

ديان يعترف



0160432



Bibliotheca Alexandrina

ديان يعترف

إعداد: شوقي إبراهيم
ومراجعة: عزيز عزمي

مؤسسة
دار التعاون للطبع والنشر
مركز الدراسات الصحفية

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير العام

ممدوح رضا

مدير المركز ورئيس التحرير

عزالدين كامل

المترجم الفني

جميل شفيق

سكرتير التحرير

مسيد قنديل

الإدارة

٦ شارع عبدالقادر حمزة
جاردن سيتي - القاهرة
هاتف ٤٨٤٠١ / ٦ خطوط

مركز الدراسات الصحفية
بمؤسسة دار التعاون

تقديم

حوار قبل الطبع !

جاءنى زميل شاب ، يحمل « بروفات » هذا الكتاب ، ووضعها أمامى .. ولم ينصرف !
وبدأت أتصفح البروفات ..
واستغرقنى هذا الامر ، بعض الوقت ...
ثم ... تنبعت الى أن الزميل الشاب ، ما زال واقفا بالقرب من مكتبى ، فشكرته وأبلغته بأن فى استطاعته العودة الى عمله .
غير أن الزميل ، قال على الفور :
- أرجو أن تسمح لى بالبقاء ، حتى تنتهى من قراءة البروفات !
وأفهمته بأننى سوف أرسل فى طلبه ، اذا تطلب الامر ذلك ..

فابتسم وهو يقول :
- فى الواقع ، ليس هدفى تسليم البروفات بعد الانتهاء من قراءتها فقط ! ولكن عندى سؤال ، أود أن أستمع الى اجابتك عليه،
بعد انتهاء القراءة !

وأزحت البروفات جانبا ، ثم قلت له :
- تفضل ...

وفى صوت خفيض ، وكلمات هادئة ، قال :
- أريد أن أسأل : لمصلحة من نثر الفزع فى قلوب الناس ؟
قلت له : ماذا تقصد ؟

قال : هذا الكلام الذى تنشره الصحف ، منذ حصل الارهابى
مناحم بيجين على أغلبية مقاعد الكنيست ! وهذه الاحاديث
والتحليلات الطويلة ، حول دوره فى السياسة الاسرائيلية ، وعدائه
الصريح للعرب ، وللسلام ٠٠٠ لمصلحة من ؟

اننى أخشى أن يشير هذا الكلام ، فزعا بين الناس !
أخشى أن يتوقعوا أن جهود السلام قد فشلت ، وأن حرباً
جديدة مع اسرائيل ، على الابواب !
قلت له :

✳ أولاً - وكما تعلم - لم يعد أى عربى - بعد حرب أكتوبر
الجيدة - يفرح من اسرائيل ، وساستها ٠٠ فقد أثبتنا
تفوقنا ومقدرتنا ٠٠

ولعلك تعلم - شأن كل مصرى - أن قضية السلام ، بعد
جهود الرئيس أنور السادات الكبيرة ، وآخرها اجتماعاته
بالرئيس الأمريكى جيمى كارتر ، قد أحرزت تقدماً هاماً
٠٠ واتسع نطاق مساندتها ، وتزايدت الجهود الدولية
من أجل دعمها ٠٠
هذا من ناحية ٠٠

ومن ناحية أخرى ، فنحن - مع كل جهودنا من أجل
السلام ، ومع كل حرصنا على تحقيقه - نستعد بأقصى
ما لدينا من طاقات وامكانيات للحرب ! لماذا ؟ لاننا قد
صممنا على تحرير اراضينا المحتلة ، ايا كانت الوسائل !
✳ ثالثاً - قيادة مصر ، بعد ثورة التصحيح ، لا تخفى عن
الشعب شيئاً ! لا تعلن غير ما تبطن ٠٠ لا تدعى البطولات
الكاذبة ، أو المواقف المزيفة ٠٠٠ لا تستتر وراء الاوهام
والخرافات ٠٠٠ لا تفرع لأية تطورات فى الموقف ، لأنها
تخطط سياساتها ، على أساس جميع الاحتمالات !

وقلت للزميل الشاب :

— هل تعلم أن هذا الكتاب ، الذى قدمت لى بروقاته منذ
دقائق ، هو أكثر ما يوضح لك ما أقول ؟
قال فى استغراب :

— كيف ؟

وما هى العلاقة بين كتاب عن حياة (موسى دبان) وبين
موضوع سؤالى ؟

قلت له : سأروى لك — باختصار — كيف تطورنا وأصبحنا
لا نمانع فى نشر أية حقائق عن الموقف فى إسرائيل ، ولا نخشى
تقديم مثل هذا الكتاب ، للقارئ العربى !
قبل ثورة التصحيح .. كان كل ما يكتب عن إسرائيل ، وكل
ما يصدر عنها ، ممنوعا ومحظورا !

كنا نعيش فى وهم كاذب ، بأن اخفاء ما يجرى فى إسرائيل ،
عن المواطن العربى ، أفضل من الافصاح عنه .
كنا نخفى الصورة الحقيقية للموقف فى إسرائيل .. ونمادت
الاجهزة المختلفة فى هذا الاتجاه ، فأصبحت تخفيها حتى عن الحاكم
نفسه !

ولذلك ... كان المواطن المصرى ، لا يعرف شيئا عما يجرى
فى إسرائيل .. عن مجتمعها .. عن اقتصادها .. عن فكر
فادتها ! الا اذا كان من هواة الاستماع الى الاذاعات الخارجية !
وكان الاسرائيليون يعرفون ذلك عنا ..

وهذا ما دفعهم لاتهامنا بأننا شعب لا يقرأ ، ولا يفكر . ولا
يتطور !

وتحملنا هذا الاتهام — فى ألم وصبر — لانه لم يكن فى
استطاعتنا تكذيبه ! لماذا ؟ لان جميع الكتب السياسية — العربية

والاجنبية - كانت ممنوعة من التداول في مصر ٠٠ ولان معظم الصحف والمجلات الاوربية والامريكية ، كان لا يسمح بتوزيعها في مصر ٠٠ ولان كل الدراسات والابحاث التي كانت تعكس التطور الضخم من حولنا ، كانت تخفى تماما ٠٠ حتى عن الاجهزة العلمية !

وعندما كنا نسافر الى الخارج ، كان أول ما نعرض عليه ، زيارة المكتبات ، للاطلاع على ما استحال الحصول عليه أو نواجهه في مكتبنا !

وكان معظمنا يشتري بكل ما معه ، كتب جديدة ٠٠ ولكن ! كنا - ونحن نعود بها الى مصر - نعمل على اخفائها بين ملابسنا ٠٠ تماما كما تخفى المخدرات ! خوفا من أن يصادرها رجال الجمارك ، أو تعلم بأمرها أجهزة الارهاب والقمع !

وعندما ننجح في الوصول بها الى مصر ، كنا نتداولها - فيما بيننا - بأسلوب الماركسيين في تداول المطبوعات والنشورات الماركسية !

هكذا كان الأمر ، قبل ثورة التصحيح ...

فماذا حدث بعدها ؟

بعد أن عهد الرئيس أنور السادات - في اليوم الاول لثورة التصحيح - الى الدكتور عبد القادر حاتم بمسئولية تصحيح مسار الاعلام وأجهزته ، ذهب الى الرئيس ، ليرفع بعض مقترحاته ٠٠ وكان بينها اقتراحا بالسماح للمصحف الاجنبية بالدخول الى مصر *

ولم يتلق الدكتور حاتم موافقة الرئيس فحسب ٠٠ ولكنه فوجيء بتوجيهات للرئيس ، جاوزت كل الاحلام !
لقد قال له الرئيس ، وقتئذ :

* اسمعوا لكل صحف العالم بدخول مصر .. حتى يتابع
الشعب كل ما يجرى من حولنا *

* مكثوا الناس من قراءة كل الكتب السياسية .. حتى لو
لم تحتوا الا على النقد *

* افرجوا عن الكتب الممنوعة من التداول .. بما فى ذلك
الكتب التى صدرت فى اسرائيل أو عنها .. حتى يطلع
كل مواطن ، على فكر عدوه ، وحتى نكون جميعا . قادرون
على مواجهته *

ثم

أتبع الرئيس هذه التوجيهات ، بقرارات أكثر جراءة !
* أمر برفع الرقابة عن برقيات المراسلين الاجانب ..
وأصبح من حق أى صحفى اجنبى ، أن يبعث تصحيته
بأى أخبار أو تعليقات عن مصر .. أيا كان اتجاهها .
بعد ذلك ...

* كان قرار الرئيس التاريخى برفع الرقابة تماما عن
الصحف .. ذلك القرار الذى أصبح حقيقة ملموسة
لكل مواطن ، والذى لا يدع الرئيس أى فرصة تهر ، دون
أن يؤكد اصراره الكامل على استمراره *

وسكت الزميل الشاب قليلا ، ثم قال :
- دعنى أصارحك ! لقد أجبت على سؤال ، كنت - بصراحة
- خجلا من توجيهه اليك !

هل تعرف ماذا كان السؤال ؟
كيف تجرؤ احدى المؤسسات الصحفية المملوكة للانحداد
الاشيراكى على إصدار كتاب ألفه زعيم اسرائيلى بارز كموشى ديان ؟
وما حكمة اختيار كتاب ديان بالذات ؟

قلت له : اذا اعتبرت أننى قد أجبتك على الشطر الاول من
سؤالك .. فدعنى أجيبك على الشطر الثانى !

ان ديان - كما قلت - واحد من أبرز زعماء اسرائيل ..
وهو - كما تعلم - الرجل الذى شارك فى التخطيط
لجميع الحروب التى شنتها اسرائيل ضد العرب ..
كذلك .. فهو الرجل الذى قاد هذه الحروب ، وعرف
نشوة الانتصار فى معظمها .. وعاش نكبة الهزيمة فى
آخرها !

وأخيرا .. فانه الرجل الذى اختاره متاحم بيجين -
رئيس حكومة اسرائيل القادم - لقيادة العمل الدبلوماسى فى
أصعب مرحلة تواجهها اسرائيل : مرحلة السلام .. التى لم
يعد لاسرائيل مفرا من قبوله ، مهما ارتفعت الاصوات المتطرفة
داخلها ، ومهما علا صياح صقورها بالتهديد والوعيد .. ومهما
استمرت أحاديثهم وأحلامهم عن الاحتفاظ بالاراضى العربية
المحتلة ، أو (الاراضى المحررة) .. كما يسميها متاحم
بيجين !

وقلت للزميل الشاب :

- دعنا لا نطيل وقت اعداد هذا الكتاب ..
دعنا نقدمه بسرعة الى القارئ !

و

أعطيته الموافقة على بروفات هذا الكتاب .

محمود رضا

هذا الكتاب

هذه هي قصة حياة موسى ديان ٠٠

مما كما كتبها باللغة الانجليزية في ١٧٥ صفحة نحت عنوان :
STORY OF MY LIFE

ونظرا لضخامة حجم الكتاب الاصلى ، فقد نشأت مشكلة الترجمة ٠٠ فلو تمت الترجمة حرفيا لخرجت فيما يناهز الالف صفحة .. ومن هنا ، فقد رؤى ان خير وسيلة هي ترجمة مضمون الكتاب بشكل عام مع عدم الاخلال بملا فيه من تفاصيل ٠٠

غير أننا فى كثير من الاحيان اضطررنا الى اللجوء الى ما يشبه الترجمة الحرفية ، حرصا على أن تكون كل دقائق الكتاب أمام القارئ العربى .

ان مركز الدراسات الصحفية بمؤسسة دار التعاون للطبع والنشر باختياره لهذا الكتاب ، يستهدف بالدرجة الاولى توسيع آفاق المعرفة والادراك أمام القارئ العربى ٠٠ لانه بالقطع كتاب

هذا الكتاب

بالغ الاهمية ٠٠ يجب أن يقرأه - وبامعان - كل انسان عربى .
مدنيا كان أم عسكريا ٠

وود تضافرت عدة عوامل على اضافة الاهمية على هذا الكتاب :

● فكتابه هو موسى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى ، والرجل الذى تولى قيادة معارك عسكرية عديدة ضد العالم العربى .

● والكتاب ، من خلال سيرة حياة هذا الرجل ، يعطى نى الومت نفسه صورة واضحة لكل أبعاد الصراع العربى الاسرائيلى حتى يومنا هذا ٠

● وهو وتيقة تحكى كيف بدأت الهجرة اليهودية اسنمارا للحلم الصهيونى فى العودة الى أرض فلسطين ٠٠ وكيف تمت صياغة الذهنية اليهودية تمهيدا للاستيلاء على هذه الارض ٠٠ ثم كيف اعتمدت الحركة الصهيونية على السلاح والعدوان وسسيهه لحياتها ، وللبقاء فى المنطقة ٠

● وهو سجل يروى بالوفائع والاماكن والتواريخ مسلسل الحرب الذى فرضته اسرائيل على شعوب المنطقة لكى تبقى الحرب هى الخيار والبديل الوحيد أمام الشعب العربى ، مضحيا بكل موارد ومشاريع التنمية فيه ٠

● وهو أخيرا ولبس آخر - شهادة لما أنجزه الجندي العربي عندما هب في حرب أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ يدك بأقدامه 'حضون بارليف وموانع المرتفعات السورية (الجولان) . وكيف كادت اسرائيل تسقط هتهاوية تحت الاقدام ، لولا النجدة الامريكية .

لهذه العوامل ، وغيرها ، كان الكتاب هاما . بل بالجملة .

وليسمح القارئ العزيز ، بأن تقدم له قبل أن يشرع في قراءة هذا الكتاب ، عرضا لعدد من الملاحظات العابرة التي قد تعينه أثناء رحلته عبر الصفحات .

ان هذا الكتاب هو موسى ديان الذي يعرفه العالم من خلال صورتين بالذات :

[١] الصورة الاولى له وهو يقف بعد حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ على الضفة الشرقية لقناة السويس واضعا يديه في وسطه وهو يقول ، بكل الصلف والغرور : « هل هناك حدود أكثر أمنا من هذه ؟ » .

هذا الكتاب

□ أما الصورة الثانية ، فصورته وهو يجلس في مؤتمر صحفي ، أثناء حرب أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ والاسى يملأ وجهه والدموع تغمر عينه ، وهو يعلن سقوط أعتى خطوط الدفاع في العالم تحت أقدام الجندي العربي .

باختصار .. هو الصنم الذي تهاوى ، والاسطورة التي نحطمت ، والرمز الذي سقط .

من هنا يتعين علينا ان ندرك اننا امام رجل يحاول - في نفس الوقت - أن يدرك عن نفسه تهمة التقصير والفشل ، وأن يثبت - بالمباعدة - أنه بالفعل ذلك البطل القديم ..

سيجد القارئ أن ديان يحاول ، منذ بدء حديثه عن حرب أكتوبر أن ينفي عن نفسه مسئولية الزلزال الذي حدث (وعبء لوصفه هو) ، ويلقى بها على عاتق الآخرين . بل أنه يحاول أن يعزو الى نفسه ، وإلى جهوده ، كل ما قامت به اسرائيل من تحركات بعد أن أفادت من مفاجأة (الزلزال) وكأنه المنقذ والمخلص .

لكن القارئ سوف يلمس في كل سطر من سطور الكتاب ، تلك السمة التي يتصف بها ديان وهي : الغرور .

وفي يوم ١٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٥ أذاع التلفزيون الفرنسي لقاء مع موسى ديان بمناسبة صدور الطبعة الفرنسية من

هذا الكتاب ، سأله فيه المذيع : هل حقيقي أن كثيرا من الاسرائيليين
يعجبون بك ، وأنت لا تعجب بأحد ؟ فكان رد ديان : « بالعكس
فأنا أعجب بكل فرد ، لكننى أعجب بنفسى كلما قمت بعمل أفخر
به ، » .



وهذا الكتاب يضم القصة الحقيقية لمؤامرة الاستيلاء على
فلسطين ٠٠ وكيف بدأت أفواج الهجرة اليهودية من العالم الى
أرض فلسطين ، رغم أن والدى ديان - كما يقول : « لم يتعرض
لاضطهاد فى روسيا ، ولم يطردا قسرا » ٠٠ بعد أن نجحت
المنشورات الصهيونية فى جعل أبيه « يحلم وهو فى أوكرانيا بمياه
نهر الاردن » . ثم كيف حاول الصندوق القومى اليهودى شراء
الارض فى فلسطين التى كانت - كما يقول : « جزءا من
الامبراطورية العثمانية » . وكيف نشأت المنظمات الارهابية اليهودية
كالهجاناه والشترن والارجون زفاى ليومى ، وتحالفت مع
سلطات الانتداب البريطانى ، كى تتمكن فى النهاية من خدمة
أغراضها التى انتهت بإقامة اسرائيل « الدولة » . ثم كيف دعمت
« الدولة » وجودها بجلب المهاجرين اليهود من كل أنحاء العالم -
الى حد « نقل ١٠٠٠ يهودى بالطائرات كل يوم من عدن » .

لكن الكتاب مع ذلك لم يكن بوسعه أن يتجاهل وجود شعب
فلسطين فى هذه الفترة ٠٠ ونضاله المستمر ضد محاولات الاستيلاء

هذا الكتاب

على وطنه .. ونورة عز الدين القسام .. والثورة العربية التي استمرت ثلاثة أعوام في الفترة ما بين ١٩٣٦ و ١٩٣٩ .

ويجب أن يكون واضحا في الالذهان أن ديان يوجه هذا الكتاب الى القارئ العربي . ولذا فهو يرسم صورة فاتمة للمنطقة عندما وصل اليها « الرواد » اليهود .. فالملايا والتراكوما « المرضى المزمّن في الشرق الاوسط » ، تنتشران فيها .. ومدرسة « ويزو » للبنات التي كانت « الاولى من نوعها في الشرق الاوسط » . أما « الرواد » اليهود ، فهو يصورهم بصورة البطولة .. فهم « يعملون في الحقول وهم يرتجفون من أثر الحمى » .. الى أن أصبحت « الارض أرضنا الآن .. ونحن نعمل على اعادتها الى ما كانت عليه من ازدهار » .



أما الحديث عن معركة سيناء عام ١٩٥٦ ، فانه يكشف عن الكثير من الاسرار ، لعل أهمها أن بن جوريون كان يعارض شنّها بسنّة ، متبرا العديد من الحجج المنطقية والمعقولة . في حين كان ديان يحاول اقحام إسرائيل ضمن المخطط الانجلو - فرسي - حتى ولو لم تكن « شريكا كاملا » في العملية ، باعتبار أنها « فرصة » تاريخية سانحة قد لا تتكرر .. والا عدنا الى العزلة ، وبضطر

بن جوريون الى نسجية خطة المعركة ب « خطة ديان » الذي لم يسورع - عندما وجد بن جوريون مستعدا للموافقة - عن أن يرسم له خريطة الحرب والمعارك على علبة سجائر .

وعندما يصل موتى ديان في قصة حياته الى « حرب يوم الغفران » ، فانه برغم كل محاولاته لتصوير تحركات اسرائيل . بعد عدة أيام من اندلاعها ، بأنها نوع من الانتصار فانه لم يستطع أن يتكرر عدة حقائق :

● ان مصر وسوريا تملكان عنصر المبادأة ، ولم تكن معتادين على حرب لا تكون المبادأة فيها لنا » .

● ان القوات العربية تمتعت هجوما « بكفاءة أكبر مما قدرناه لها عند اعداد الخطط » .

● ان « مخابراتنا ، ومخابرات أمريكا ، فشلت في اكتشاف استعداد مصر وسوريا للحرب » .

● ان الحرب وقعت « في اليوم الوحيد الذي لم تكن نتوقعها به » .

● « ان العزلة السياسية سيطرت على اسرائيل ، ولم يكن هناك أمانا الا أمريكا » .

هَذَا الْكِتَابُ

وفي الوقت نفسه فإن ديان يعترف بأن كل ما حققته إسرائيل من تقدم على الجبهة المصرية حتى وصلت إلى مشارف السويس والأدبية وعناقية ، إنما تم بعد صدور قرار وقف إطلاق النار في ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ .

أما موجات المصريين التي عبرت القناة .. وهجومهم بالآلاف ، وأما الدبابات السورية التي احتاحت مرتفعات الجولان ، فقد فرضت نفسها كحقائق حتى على حياة موسى ديان .



وسيجد القارئ أنه أمام شخص مجنون بالحرب .

فمنذ مطلع شبابه وحياته كلها مصبوغة بالعسكرية .. وفي عام ١٩٥٦ استطاع أن يستدرج بن جوريون إلى الموافقة على شن الحرب ضد مصر ، مستخدماً كل أساليب الخداع المتاحة .. وفي عام ١٩٦٧ ظل يجول بين المواقع العسكرية إلى أن فرض نفسه على الموقف وزيراً للدفاع . بل إنه يعترف بأنه لا يحاسب الجنود إذا ارتكبوا أخطاءً في المعركة ماداموا قد نجحوا في تحقيق النصر العسكري .

وسرى القارئ أن كل سياسات إسرائيل التي تمارسها في الأرض المحتلة ، مرسومة ومخططة من قبل فيام حرب ١٩٦٧ ،

بدليل أن ديان - وفق كلامه - قد شرع فى سياسات برع الضمة
الغربية عن الاراضى والمقدسات العربية ، بعد أسبوع واحد فقط
من انتهاء هذه الحرب •

••• على الفور شرعوا فى إعادة بناء المهنعمرات اليهودية فى
نفس أماكنها القديمة التى كانت عليها قبل حرب ١٩٤٨ من
كفلر عصيون • وبعد أيام فقط من انتهاء الحرب تم التوقيع على
اتفاقية تنظم أداء المسلمين واليهود لشعائر دينهم فى المسجد
الابراهيمى انتهت - كما نرى الآن - الى تقسيم فعلى لمسجد أبى
الانبياء وتحويل جزء منه الى معبد يهودى •

ومع ذلك فان ديان لا يخجل من أن يقدم المبررات لهذه
السياسات ، ولسياسات تسف المنازل ، ونفى قيادات الشعب
الفلسطينى ، خارج الارض المحتلة •



ويسمى ديان نضال الفلسطينيين بـ « أعمال التخريب التى
يعوم بها الارهابيون » •

لكنه يعترف بأن « الارهابيين » قاموا بـ ٥٨٤٠ عملية داخل
الارض المحتلة ، خلال ثلاثة أعوام ابتداء من عام ١٩٦٧ •

ويعترف أيضاً - فى غمار جنونه العسكرى - بأنهم بعد أن

هذا الكتاب

قتلوا الفدائيين الثلاثة الذين احتلوا مدرسة في « معالوت » ، تبين لهم أن هؤلاء الشباب لم يكونوا قد أعدوا عدتهم لتسف المبنى كما كانوا يهددون .

لكنه يعترف أيضا بأن « الارهابيين » حققوا بعملياتهم داخل اسرائيل سبباً هاماً ، هو أنهم « ولدوا الخوف لدى الاسرائيليين »



والغريب أن جوناو يارنج ، مبعوث الامم المتحدة الى الشرق الاوسط ، ظل سنين يتنقل بين عواصم المنطقة سعياً وراء التوصل الى تسوية لازمة ، ومع ذلك فإن ديان لا يذكره الا في صفحة ٣٦٩ من كتابه الذي يضم ٥١٧ صفحة . بل انه يتحدث عن يارنج في معرض المساومة مع أمريكا ، فاما الحصول على طائرات حربية والعودة - في المقابل - الى محادثات يارنج ، والا فلا مباحثات معه بدون الطائرات .

أليس ذلك دليلاً على كراهية ديان للسلام ، وللعاملين من أجله ؟!



وسبلا حظ الفريء أن موسى ديان ، بعد أن أسهب في وصف تحركات اسرائيل المضادة خلال حرب أكتوبر ، وبعد أن رسم صورة زاهية لهذا التحرك ، قد عاد الى الحديث عن تقرير لجنة اجرائات

التي شكلتها اسرائيل للتحقيق في اخطاء هذه الحرب وتحديد
المسؤولين عنها .

وكمثال فقط فان هذه اللجنة اوصت في تقريرها ، بالنسبة
لكبار رجال المخابرات الاسرائيلية ، بعدم تكليفهم بأى عمل يتصل
بالمخابرات وبانهاء خدمة البعض منهم .

ولو كان ديان يريد انصاف لذكر هذه الحقائق أثناء
حديثه عن مجريات الحرب .. لكنه تعمد أن يهرب من الواقع
الثابتة ، والتي تقطع بفشلهم ، ونجاح المصريين والسوريين ،
وما كان مطلوباً - بالطبع - من ديان أن يكون منصفاً .. ،
صادقاً .



وبعد ..

فقد استمعنا القارئ عذرا في تقديم بعض الملاحظات ،
قبل أن يبدأ رحلته عبر الصفحات مع موشى ديان .

ونعتذر للاطالة ، فلم يكن هدفنا سوى لقاء بعض الاضواء على
محتويات هذا الكتاب .. هذا الدرس الذي يجب أن نضيه جيذا ..

مركز الدراسات الصحفية

مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر

من العمل السرى تحت الأرض حتى الحرية ١٩١٥ - ١٩٤٨

فصة التسلل الى الارض الفلسطينية وبداية
الاستيطان والهجرة تحت ستار اتمعير والتعايش
مع العرب بم نقلب الصورة وتنشأ المنظمات
الارهابية اليهودية كالهجاناه والشتيرون والارجون
زفاه ليومي وتتحالف مع الاستعمار البريطاني من
اجل اقامه اسرائيل وببدا الحرب السافرة مع
العرب ومعاداة كل من يعفد في طريقهم للاهداف
اصبحت معنة والهدف هو وطن اسرائيلي على
حساب افناء وجود الشعب الفلسطيني .

البداية

اسمى موسى ٠٠

وقد ولد هذا الاسم فى جو من الاسى ، لانه كان مكوبا على أحد المقابر بجوار كهف من الكهوف التى كانت تستخدم فى حفظ الزيوت فى مستعمرة دجانيا ، وهى المستعمرة (الكيبوتز) الرائدة لجميع المستعمرات الاسرائيلية ٠٠ اذ أنشئت فى عام ١٩١٠ فكانت مهذا لحركة الاستيطان ، فى الوقت الذى لم يتعد سكانها العشرين من الرجال والنساء ٠ وكان اسم موسى الذى أطلقوه على هو اسم أول من قتل فى سبيل الحركة الصهيونية ، وكان يدعى موسى بارسكى ٠٠ كان فتى فى التاسعة عشرة من عمره ، جاء من قريته فى روسيا ليساهم فى عودة اليهود الى أرض الميعاد ٠٠ وكان ملما بعض الشئ بالزراعة ، وكانت طبيعته وتكوينه الجسمانى تؤهلانه للقيادة ٠

وفى أحد أيام شهر فبراير (شباط) أصيب والدى بوعدة ، وذهب موسى لاجتماع الدواء من قرية مجاورة ٠ ولم يكن ذلك أمرا طبيعيا خلال

هذه الايام ، فقد كان خطرا على أى يهودى أن يغادر مستعمرته بعد حلول الظلام ، اذ كان العرب يهاجموننا بعنف فى تلك الايام . ولكن موسى جازف وذهب . وبعد فترة رجع حصانه بمفرده مفزوعا . وقام أهالى المستعمرة بتفسييم أنفسهم الى مجموعات مسلحة خرجت للبحث عنه . وأخيرا وجدوه مقتولا عند شاطئ نهر الاردن . وعلم فيما بعد أن الذين هاجموا هم ستة من الافراد العرب . وبعث والدى برسالة تعزية الى والد موسى فى روسيا ، الذى رد عليه بقوله (اننا لم نحزن ولم نبك . ان على أبناء شعبنا أن يناضلوا بقوة من أجل استعادة وطننا . وسنرسل ابننا الثانى شالوم كى يأخذ مكان الاول الذى سقط على الطريق . ولعل موت موسى يحفزنا على استعادة وطننا) .

ووصل شالوم بعد ذلك ، وتبعته أخته ، ثم أمه ومعها أطفالها الثلاثة الباقون ، وأخيرا وصل الاب .

وبعد ذلك بعام ، أى فى ٤ مايو (آيار) ١٩١٥ ولدت انا فى دجانيا ، وأطلق على اسم موسى . وكانت أرض اسرائيل تدعى فلسطين فى ذلك الوقت ، وكانت واقعة تحت الحكم التركى من خلال الامبراطورية العثمانية . وبعد ذلك بعامين ونصف تحطمت الامبراطورية العثمانية بانتصار الحلفاء فى الحرب العالمية الاولى ، وتم وضع البلاد تحت الوصاية البريطانية ، وأدار أمورها حاكم عسكرى بريطانى .

لكنى نشأت وترعرعت فى مجتمع يهودى مستقل . ينكلم العبرية . ويتمسك بالقيم الاسرائيلية القديمة التى أرسيت قواعدها فى مجتمع اسرائيل القديم . وكان والدى ممن ساهموا فى انشاء أول مجتمع اسرائيلى عندما انتقلوا من روسيا الى هذا العالم المجهول . ركان والدى ناجر جياذ وعربات وكانت أمى ابنة أحد التجار . ولم يكونا قد نعرضا لاي اضطهاد شخصى فى روسيا ، ولا كانا قد طردا قسرا . ولم يكن والدهما راضيين عن ذلك ، لكنهما كانا نخيلبان بالمثالية والادراك والوعى وكان الدافع القوى وراء تصميمهما على المجيء هو احساسهما العميق بأن أرض اسرائيل هى مكان لليهودى فعلا . ان أولادى وأحفادى لا يعرفون لهم بلدا الا اسرائيل ، أما أبى وأمى فقد واجها صعوبة الاختيار أمام الصراع الروحى ، ومع ذلك خاضا الكفاح واتخذوا القرار الملائم .

وجاء اسم ديان نتيجة لان جدى ، وجد والدى ، كانوا يشتغلون قضاة فى الطائفة . وفى العبرية كان اسم ديان يطلق على هذا القاضى . أما

اسم العائلة الاصل فلم يكن احد يتذكره . وكان جدى فى سعيه من اجل
ايجاد لقمة العيش لسبعة أطفال جياع ، يعمل فى عدة مهن . يساعده
فيها ابنه الاكبر الياهو ووالدى الذى ترك المدرسة الدينية اليهودية وهو
فى سن الثالثة عشرة .

وكان جدى هذا متدينا للغاية ، ويحتفظ بكنب الصهيونية ويجربدة
هاتزفيرا التى تكسب باللغة العبرية الحديثة . وكان والدى أيضا يحتفظ
بجريدة العامل الصغير ، وهى احدى النشرات الصهيونية . ومن خلال
سطور هذه النشرة قرأ والدى الكثير عن وصف اراضى اسرائيل ، وعن قمم
جبل الشيخ وعجائب القدس وعن سفوح الجليل . وعن مياه البحر
الاحمر . وكان وهو فى قرينه باقليم اوكرانيا فى روسيا ، يحلم بمياه
نهر الاردن الدافئة ، وبالتلوج على قمة جبل الشيخ . وانضم أبى الى
الجماعات الصهيونية فى أوديسا ، التى كان عمى قد انضم اليها من قبل .
وكانت هذه الجماعة تقوم باعداد الطلائع التى ستسافر الى فلسطين لانشاء
دولة اسرائيل . وفى عام ١٩٠٨ سافر والدى وعمى مع مجموعة من هذه
الطلائع تقدر بستمائة فرد ، وتبعتهما عمتى بيلا بعد ذلك بأربعة أعوام .

وواجه أبى تحدى العمل فى الارض . وكانت كل الظروف أنثى
تمثل تحديا له . فالحرارة . . والذباب . . والبعوض . . والفقر . . وكل
نلك الظروف السيئة التى عمت الاراضى التى كان الاتراك يحتلون بها . .
بل حتى نفس طبيعة العمل اليدوى الذى لم يكن والدى معتادا عليه
وكان فى الثالثة عشرة من عمره حينذاك . وفى بتاح تكفا كان يقوم
بتحزيم عيدان القمح وحفر قنوات الري ، ثم يعود بعد هذا العمل اليومي
الشاق ، مثفل الرأس . . محنى الظهر . . ممزق الاصابع . . مشقق
اليدين . . حيث لا يجد أمامه من طعام سوى لقمة من الخبز وبعض حبات
الطماطم . . ومثلما حدث لرفاقه الشبان فقد أصيب بعد فترة بالمalaria ،
لكنه استمر فى العمل برغم مرضه . وبعد أن شفى عمل حارسا ليليا .
ثم عاد بعد ذلك الى العمل فى الحقول . واعتاد على هذا العمل بمرور
الايام . وأصبح يشغل وقت فراغه فى أغراض أخرى غير التى يشغل
بها القوم أنفسهم ، بل أضحي كوخه بمثابة ناد للشباب يجتمعون فيه
لمناقشة المجتمع المثالى لدولة اسرائيل ، ويتعلمون اللغة العبرية ، ويقرأون
النشرات الصهيونية التى تصدرها حركة العمل اليهودى . وقد ساعد
ذلك أبى فى وقت لاحق على أن يلعب دورا فى تطوير الحركة .

كان معظم الجهد مركزا فى منطقة الجليل . وكانت هناك حاجة
ماسة الى أيد عاملة يهودية كثيرة فى المستعمرات التى تم انشاؤها .

واشترى والدى لنفسه من يافا مسدسا تركيا قديما وحزاما للخبرة . وانطلق الى الشمال حيث عمل في مزرعة يهودية في قرية يافنيل ، قام فيها بالحرث والعرس وجمع المحاصيل وركوب الخيل . وسرعان ما ترقى الى النوم فى الحظائر ليطعم الحيوانات ويحرسها . كانت متعته بحياته جمع الطلائع كاملة ، وكان متغوبا بعمله الجديد فخورا بتجارتها فى الفلاحة وهو العمل الذى لم يكن يؤديه سوى غير اليهود فى أوكرانيا . وبعد سنة سهور رائعة قضائها فى يافنيل سقط مرة أخرى مريضا بالمalaria . وعندما شفى انضم الى مجموعة عمال فى كينريت رحبوا به كعامل زراعى مسمى . وكان فويا برعم اصابه بالمalaria . وأصبح يجيد الحديد بالعبرية . وكان فى وسط هذه المجموعة يشعر وكأنه فى وطنه ، وكانوا يتحدثون عن التغييرات التاريخية التى يعملون من أجل تحقيقها . . وكان هذا الايمان هو دافعهم الى تحمل المزيد من العمل الشاق .

كانت قرية يافنيل ملكا للصندوق القومى اليهودى ، وهو الهيئه التى أنشأتها المنظمة الصهيونية لتملك الارض . وفى نهاية عام ١٩٠٩ قام سبعة من عمال مزرعة كينريت بتشكيل مجموعة مستقلة ، واستمروا لمدة عام يزرعون مساحة أخرى من اراضى الصندوق القومى اليهودى بالقرب من أم جونى . وكانت تلك هى بداية دجانيا ، التى اشتق اسمها من كلمة القمح بالعبرية . ولدى نهاية العام ، غادرها هؤلاء السبعة الى مكان طلائعى آخر ، ونم استبدالهم بمجموعة أكبر . وانضم اليها والدى فى عام ١٩١١ .

ونارت علامة استفهام كبرى فى وجه كل سكان مستعمرة ، هى : ما الذى يمكن ان يقوم عليه مجتمع المستعمرة ؟ وجرت المناقشات حول شكل الحياة فى المستعمرة فى كل مكان . . فى الاجتماعات . . فى الحقول . . فى المنازل . . وكان أولئك العاملون فى الحقول بمثابة رواد أوائل فطع كل مهنتهم هى فلاحة وزراعة قطعة من الارض ، ثم تسليمها لمجموعة من المواطنين ، وينتقلون بعد ذلك الى قطعة أخرى من الارض . لزراعتها وفلاحنها . وطرح يوسف بصل - العضو البارز فى الجماعة - فكرة أن تكون دجانيا على هيئة نوع من التعاون التام ، وعليه فلا يجب أن تكون هناك أى ملكية خاصة ، ويجب على الكل أن يعمل ، وأن يأخذ كل بقدر حاجته ، وتكون للنساء الحرية فى اختيار العمل اللائمه لهن ، وعلى المستعمرة أن تعتمد على عمل أبنائها .

وإذا كانت فكرة الكيبوتز قد قامت فى هذه المستعمرة ، فقد كان على أفرادها أن يواجهوا أيضا مشاكل الحياة اليومية . الحرارة والرطوبة

نظراً لانخفاضها ٦٥٠ متراً تحت سطح البحر . قلة المياه اللازمة لمواجهة العطش . قلة الغذاء . التراب . البعوض . الذباب . الى ما لا نهاية له من مشاكل الزراعة . ومع ذلك كله فقد كنت هناك فرص في الامسيات للعباءة والرقص والقراءة والنقاش .

كان هذا هو العالم الذي جاءت اليه امي ، دفورا ، في عام ١٩١٣ من احدى ضواحي كييف في اقليم أوكرانيا بروسيا . وكانت جميلة ، وفي مثل سن والدي ، غير أن عائلتها كانت تختلف تماماً عن عائلة والدي . فقد كان أبوها هو اليهودي الوحيد في قرية برونشوروفكا على نهر الدنيبر ، وكان يعمل مديراً لعمال احدى شركات الاخشاب التي تنولى قطع الاشجار وتعويمها مع التيار . أما أبي فقد نشأ متديناً ، يقرأ ويكتب المقالات ، وكتب كتاباً عن الحياة اليهودية في القرن السابع عشر .

سأت أمي دون أن نشارك والدها الاهتمام بدراسة اللغة العبرية ، بل نلعت التعليم في المدارس الروسية حتى وصلت الى كلية التربية في جامعة كييف . لكنها تأثرت تأثراً بالغاً بالثورة الروسية عام ١٩٠٥ وعاطفت الى قدر كبير مع العمال ضد النظام القيصرى . كما قرأت القصص الروسية وتأثرت كثيراً بتولستوى . وانضمت الى فروع الدراسات للحزب الاسراكي الديموقراطي ، وساعدت أستاذها في رعاية العديد من الاطفال في كييف . وعلى العموم فإن أمي كانت تتمتع بالذكاء ، وتسيطر عليها الافكار الاستراكية وبعض افكار الشباب الروسى في ذلك الوقت . كما خدمت أيضاً كممرضة متطوعة على الجبهة البلغارية عام ١٩١١ عندما سجن البلغاريون بمساعدة الروس الحرب ضد الاتراك .

وفجأة ، ولامر غير واضح لى ، بل ولا لأمي ، بدأت تشعر بانعدام الثقة في نفسها . واهتزت علاقتها بزملائها ، وبدأت في مناقشة عقيدتها اليهودية . ثم تركت الجامعة وعادت الى منزلها حيث أخذت تناقش والدها في أفكاره ، وتقرأ الخطابات التي كان ممثلو حركة محبى صهيون في فلسطين يكتبونها لوالدها . وكان أحد هؤلاء ، ويدعى زئيف تيمومكين قد بعث الى والدها بوصف للحياة الصعبة التي تواجهها الطلائع الصهيونية في فلسطين . وقد دفعها ذلك الى التعاطف مع أبناء شعبها ، فصممت على أن تذهب الى فلسطين . وهكذا وصلت عام ١٩١٣ ، وكان عمرها آنذاك ثلاثة وعشرين عاماً . وكانت قد استقلت سفينة حجاج من أوديسا حيث وصلت بعد أسبوع الى حيفا آملة أن تقابل في الميناء اسراييل بلوخ ، أحد مؤسسى مستعمرة دجانيا ، الذي كان تلقى رسالة توصية بخصوصها .

لكنه لم يتمكن من مقابلتها لانشغاله في شراء بعض الابقار للمستعمرة من دمشق . ولذلك استقلت القطار الى بلدة زيماخ في الجليل ، ثم جاءت الى المستعمرة سيرا على الاقدام .

ولاقى أمي فشلا ذريعا في التعود على طبيعة الحياة في المستعمرة . وكانت مسئولة عن المطبخ ، لكن المسئولية كانت مرهقة . واصطدمت أفكار أمي المثالية بالواقع المر . وكان عدم المأما بالعبرية وتعلقها بالادب الروسي سببا في أن أعضاء المستعمرة اعتقدوا أنها بورجوازية . وقد رفض طلب العضوية الذي قدمته ، وكان أبى أكبر المعارضين في مسحها العضوية . وانتقلت أمي للعمل وتعلم العبرية في مستعمرة أخرى هي سيجيرا ، ولكن الاتصال بقي مستمرا بينها وبين أبى . وعندما توجه أبى الى بيروت لعلاج أذنه من عضة بعوضة ، أنفقت آخر قرش لديها لقطع بطاقة السفر للذهاب الى بيروت ومشاهدته . وعادا الى دجانيا مخطوبين . لكن استقبال دفورا هذه المرة تم دون أية تحفظات .

وتزوج والدى في المستعمرة عام ١٩١٤ بعد نشوب الحرب العالمية الاولى مباشرة . وكنت أنا أول من يولد في دجانيا ، لكنى لم أكن أول طفل يولد في المستعمرات . اذ تمت قبل ذلك بستتين ولادة جدعون من أبوين من الاعضاء المؤسسين هما يوسف ومريم باراتز ، غير أن ظروف المستعمرات آنئذ كانت مختلفة اذ تحتم على الام أن تذهب الى طبرية لكي تلد .

لم يكن اغتيال موني بارسكى قد انمحي من الالهام ، وقد وسعت فيما بعد عدة حوادث قتل . غير أن العلاقات مع الجيران العرب استمرت علاقات ودية . كان كل من العرب واليهود يفلحون الارض ويزرعونها ، وبدأوا يتعلمون أشياء جديدة من بعضهم البعض . وكانوا يتبادلون الزيارات ويحضرون احتفالات بعضهم البعض . ولم يكن اليهود يتعرضون للهجمات من هؤلاء المواطنين ، وإنما من بعض العرب الآخرين ، اذ أن ملاك الاراضى العرب كانوا هم الآخرون يتعرضون لمثل هذه الهجمات .

وكانت أيام طفولتى الاولى هي سنوات الحرب العالمية الاولى . وكانت تركيا قد انضمت الى محور ألمانيا والنمسا والمجر ، وأعلنت التعبئة العامة في فلسطين . وتشكلت السلطات التركية في ولاء بعض قادة الحركة اليهودية وفتتهم الى مصر ، أما الجزء الآخر فقد انضم الى الجيش التركي . لكنه تعين علينا أن نبقي أكبر عدد ممكن من المستعمرات حتى نستمر عملية التعمير والتنمية . وتعرضت المستعمرة في أول سنوات الحرب

الغزوة جراد أنبت على كل شيء . . وهكذا ولدت في أسوأ فترات غزو الجراد . وعندها بلغت من العمر عاما أصيبت بمرض العيون الزمن المنتشر في الشرق الأوسط ، التراكوما ، ثم نقلت العدوى الى أمي ، فتوجهنا للإقامة مع عمتي بيلا هورفيتز في بلدة نخلة يهودا جنوبي تل أبيب حيث تم علاجنا .

وازدادت الأمور سوءا باستمرار الحرب ، فقد وصل بعض الطيارين الألمان الى المستعمرة واحتلوا المنازل ، وكن على أعضاء المستعمرة أن ينتقلوا الى المخازن والكهوف خلال هذا الشتاء المطر القارس البرودة . ومرض جميع الاطفال . وأصبت بالتهاب في اللوزتين ، واشتد المرض في عيني .

وفي عام ١٩١٩ ، بعد انتصار بريطانيا في معركة فلسطين وانتهاء الحرب ، اصطحبتني أمي الى إحدى المستشفيات في القدس . وكنت قد بلغت الرابعة من عمري ، وبدأت أمي في تعليمي القراءة والكتابة وأخذت أفواج جديدة من يهود أوروبا الشرقية في الوصول الى المستعمرة ، ولذا فقد تقرر انشاء مستعمرة جديدة تحت اسم دجانيا (ب) ، وأوكلت الى والدي مهمة الاشراف على الترتيبات اللازمة . لكن والدي لم يكن مقنعا بالاستمرار في البقاء في المستعمرة .

ونشأت عندئذ فكرة جديدة تقضى بأن تكون لكل عائلة حريه تملك البيت الذي تقيم فيه ، في الوقت الذي يتم فيه العمل الجماعي بصورة مشتركة . وكانت هذه الفكرة هي فكرة الموشاف كنوع جديد من المستعمرات ، التي بخلاف عن الكيبوتز حيث يتم العمل والملكية وكل شيء بصورة جماعية . وتم انشاء أول موشاف في ناحلال بوادي جرزيل . وقرر والدي الانتقال للانضمام الى هذا المشروع . وكان يوم الرحيل يوما مؤسفا بالنسبة لي ، فقد كنت أودع - وأنا أبكي - زملائي من الاطفال الذين شاركوني اللعب ستة أعوام ، ومعهم كانت ذكرياتي . وقد استغرق مشروع ناحلال وقتا طويلا الى أن حصل على موافقة المؤتمر اليهودي عليه وتم اعتماد ميزانيته وشراء الاراضي اللازمة لتنفيذه . وعشنا خلال هذه الفترة في تل أبيب ، حيث عمل والدي في مركز زراعي تابع للحزب ، ووجدت أمي وظيفة في مكتب العائلات المفقودة ، وأرسلت أنا الى إحدى دور الحضانة .

وفي شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٢١ انتقلنا الى ناحلال ، وكانت عيوننا عبارة عن مجموعة من الخيام ، تطل على وادي هيرزل حيث تبدو

من بعيد آثار المدن القديمة المدفونة ، وخيام البدو ، وبعض القرى العربية .
البائسة . وخوفا من هجوم العرب فقد أقمت أنا وأمي وبقية النساء
والاطفال فى منزلين تم استئجارهما فى مدينة الناصرة العربية . لمدة
ثمانية أشهر ، وهناك عولجت من التراكوما .

وكان وادى جرزيل فى تلك الاثناء مربعا لأمراض الخبيثة مثل
الملاريا والتيفود التى تنشر من مستنقعات الوحل ، وكان علينا أن نجفف
هذه الاحوال ، وكان الرجال يقومون بعملية الاصلاح هذه وهم يرتجفون
من أثر الحمى .

وتطور بيتنا من خيمة الى كوخ تم الى منزل خشبى يضم غرفتى نوم
ومطبخا ، وعندما بلغت الثامنة ، وأصبح لى أخت ، صممت أُمى على أن يقوم
والدى ببناء غرفة خاصة لى ، ظلمت أستخدمها الى أن تزوجت . وكنت ،
بعد المدرسة ، أساعد والدى فى عمله بحلب الابقار والزراعة وقيادة
العربة حتى ماكنة الطحين فى قرية عربية مجاورة . وكنت أساعد أُمى
أيضا فى بعض الاعمال المنزلية . واشتغل أبى بالحياة العامة واحتل مكانا
مرموقا فى الحزب والمنظمة ، حيث أرسل مرتين الى الخارج ، استغرقت
كل مرة عاما . وكانت أُمى تقوم بالعمل كاملا خلال فترات غيابه ، وكنت
أساعدها .

وولدت أختى (أفيفا) فى حيفا حيث كان يقيم خالى . وهناك أيضا
ولد أخى (زوريك) . وكنت قد بلغت الحادية عشرة من عمرى ، وهد
الى بالقيام بعمل الزراعة ، وكان أبى فى الولايات المتحدة الامريكية .
وقد ورثت عن أُمى حب القراءة ، وكنت متأثرا بالقصص الروسية التى
نحكيها لى . وعندما بلغت الرابعة عشرة من عمرى بدأت أُمى فى كتابته
مقالات فى أكبر جريدة يومية هى (دافار) ، ثم طلب اليها الانضمام الى
هيئة التحرير وأن تصبح عضوا فى مجلس المرأة العاملة . وكانت تذهب
الى تل أبيب لاداء هذه المهام .

وبعد انقضاء عام على بدء العمل فى ناحلال ، جاء الينا مدرس مهمته
تدريب الخمسة عشر صبيا فى القرية . وقسمنا الى ثلاث مجموعات على
حسب السن ، وكنا نتلقى الدروس فى كوخه ، الى أن تم بناء مدرسة من
وصلين . وكان المدرس مهتما بخلق التجربة الشخصية لدينا أكثر من
اهتمامه بالدرس . وأصبحنا ، من خلاله ملتصقين بماضى شعبنا
وبالظروف المحيطة بنا . وبعيدا عن الدراسة فقد كنت أهوى المعسكرات
والرحلات . وتعلمت أن أناقش الاطفال العرب والبدو بنفس لغتهم .

وأذكر هنا طفلا بدويا ، له نفس عمرى ، اسمه (وحش) وقد أصبح صديقا حميما لى . وعلى الرغم من أن جيراننا العرب كانوا فقرا . ومتخلفين ، بالقياس بنا ، فإن إعجابا واحتراما نميا لدى لما لمستهم فيهم من صبر وزهد وعادات قديمة وذلك القدر من الكرامة التى يشعر بها حتى أفقر فقرائهم . واستطعت من خلال صباى أن أكتشف أن الوصول إلى العرب وكسب صداقتهم ليس بالامر الصعب .

وفى عام ١٩٢٦ أنشأت المنظمة الصهيونية العالمية النسائية (ويزو) مدرسة زراعية للبنات فى فاحلال ، كانت هى الاولى من نوعها فى الشرق الاوسط . وكانت الفتيات اللاتى يجئن الى المدرسة من كل الانحاء ، مثار اهتمامنا نحن الشباب . وعقب انتهاء دراسنا الابتدائية انهمق على ادخالنا الى مدرسة ويزو جنبا الى جنب مع البنات . وتوالى رسوب رفاقى الشباب ، ودخولهم الى معترك العمل الفلاحى ، واصبحت فى الذبابه الشاب الوحيد الذى يتلقى العلم فى مدرسة للبنات .

٢ التآهب

فى عام ١٩٢٩ ، وكنت عندئذ فى الرابعة عشرة من عمرى ، دعيت للانضمام الى التنظيم السرى للهاجاناه ، وهو القوة العسكرية التى أنشئت سرا للدفاع عن يهود فلسطين . وقد تم انشاؤها فى اعقاب المذبحة العربية على الخليل التى أسفرت عن مقتل ٦٧ شخصا ما بين رجل وامرأة وطفل . وجرح ستين آخرين ، كما تم حرق عدد من المنازل والمعابد .

وهكذا فامت الهاجاناه لتكون بداية للتنظيم المسلح ، مقررّة ألا تبقى المستعمرات بدون سلاح تحت رحمة أى هجوم عربى . وكان على كل مستعمرة أن تنشئ قوتها الدفاعية . وكنت أنا أصغر المنضمين الى الهاجاناه فى مستعمرة ناحلال .

غير أن البريطانيين رفضوا السماح بإحراز السلاح غير المرخص أو التدريب عليه . وتولت سلطات الانتداب البريطانى المسئولية عن حماية كل مواطن . لكنها كانت عاجزة لسببين : أولهما أنه كانت لديها قوة بوليسية صغيرة ، وثانيهما أنها كانت غالباً ما تصل متأخرة اذا ما دعيت لتجلبه احدى المستعمرات . وفى النهاية سمحت هذه السلطات للكيبوتزات والموشاف بأن تخرز كميات صغيرة من الاسلحة فى صورة بنادق عديمة

العائدة . وازاء ذلك اضطرت الهاجاناه الى القيام بوزيع سلاحها الذى كان يسم اخفاؤه فى محابى خاصة فى كل مستعمرة . وكان ذلك بمثابة اجراء غير قانونى ، تماما مثلما كانت عضوية الهاجاناه بالضبط . ولذا بحتمت السرية .

وما أن انضممت الى الهاجاناه حتى بدأت فى التدريب على الاسلحة النارية . ولم يكن هذا التدريب ذا فائدة بالنسبة لى ، اذ أننا كنا نحفظ على الدوام فى منزلنا فى ناحل بمدفع رشاش أحضره أبى من داخانيا . وكنت أقوم دائما بتنظيفه وتزييته . وتعلمت استعماله . لكننى شعرت ، فى هذه المرة ، أن استعمالى للسلاح أكثر فائدة ، اذ أنسى سوف أدافع به عن ناحل وعن أى مستعمرة مجاورة اذا ما تعرضت لهجوم من العرب . وعندما كبرت بعض الشئ نظم يهودا هور أحد أعضاء مستعمرة ناحل فرقة من الشباب الصغير لينولى حراسة حفول المستعمرة ضد أى هجوم عربى . وقد تلقينا تدريباً على المستوى شاراك فيه أعضاء المستعمرة الذين كانوا يقومون من قبل بنفس العمل فى روسيا . وقد أطلقت على حصاننى اسم توكا ، وهو اسم حصان همدى فى احدى روايات جول فيرن .

وكان عرب المزاريب يجيئون بأغنامهم من وقت لآخر للرعى فى بعض الحقول ، وكانت وظيفتنا هى طردهم . وكان نسق حياتهم يجرى على سرقة واستغلال الحقول التى تخص غيرهم . ولم تكن هناك أية أسس سياسية لشجارنا مع العرب ، وكانت العملية ببساطة مجرد مناقشات حول التعدى على اراضى الغير ، تماما مثلما يحدث دائما بين أى جيران فى القرى ، وخاصة فيما يحدث بين البدو الرحل والفلاحين المزارعين .

فى ذلك الوقت كان الشجار السياسى محتتما بين الاحزاب اليهوديه . ويدور حول محور واحد هو التنظيم الداخلى ليهود فلسطين .

وكانت هناك مجموعة من الكيبوتز والموشاف قد أقيمت فى البلد نابعة لواحدة من حركتى العمال القائمتين آنئذ ، واللتين انحدتا فى عام ١٩٣٠ وأطلق عليها اسم الماباى . أى حزب عمال اراضى اسرائيل . وكان فى الحزب جناح للشباب ، لكننى لم أكن جاد الاهتمام بالانضمام اليه ، مقتصرنا على نادى الشباب فى مستعمرة ناحل الذى كان ينظم نشاطات مختلفة تحظى باهتمامى كالادب والغناء والرقص الشعبى . وكنا ننظم أمسيات للقراءات الادبية والنقش ، ندعو اليها بعض الادباء . ووقع اختيار النادى الادبى على للذهاب الى القدس لدعوة الشاعر ابراهيم سلونسكى لكى يحاضرنا فى الشعر العبرى وقراءة بعض أشعاره . وقد توجهت اليه ولبى الدعوة ، وخلق لب الشباب . هذا فى الوقت الذى

كان الكبار في المستعمرة يعجبون بتساعرننا القومي حاييم نحمنا بياليك
وراشيل شاعرة وادى الاردن .

وفى احدى أمسيات ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٢ أقيمت قنبلة
على كوخ يوسف يعقوبى ، أحد جيراننا فى المستعمرة ، أدت الى قتل طفله
الذى يبلغ الثامنة من عمره ، وتوفى الوالد فى الصباح متأثرا بجراحه .
وقد أرسى هذا الحدث اتجاهات جديدة فى علاقاتنا مع جيراننا العرب .
كان من الواضح أن هناك خطأ سياسيا وقوميا وراء هذا الحادث ، وأعقبه
هجوم على مستعمرة ياجور ، وهى مستعمرة مجاورة ، وألقت السلطات
البريطانية القبض على بعض العرب ، لكنهم لم يكونوا هم مرتكبى تلك
الحادث . كان الذين قاموا بالهجوم هم أعضاء جمعية تطلق على نفسها
الشيوخ ذوى اللحية ، عرفت فيما بعد بالقسامية . نسبة الى مؤسسها
وقائدها الشيخ عز الدين القسام . وكانت القرية العربية زيبورى ، التى
تقع بجوار الناصرة هى مقر قيادة هذا التنظيم .

وكان لدى والدى اعتقاد ، حملته أنا بعده ، بأن العرب اناس ذوى
طبيعة تتميز بالعنف والغوغائية وانهم مسببون للمتاعب وأحسست
لوهلة أن الامر ليس هينا حينما ركبت وتوجهت الى هذه القرية العربية ،
وهناك تحدثت مع بعض العرب الذين تربطنى بهم صلة ، ومع بعض أفراد
فبائل المزاريب . وكانوا جميعا يتحدثون باعجاب عن القسامية ،
ويصفونها بأنها تمثل المصالح فى التدين ، وأن أفرادها يقضون معظم
أوقاتهم فى الصلاة . كانت نظرتى للعرب المجاورين نظرة ودودة وإيجابية .
وكنيت أعجب بطريقتهم فى الحياة ، واحترمهم كعمال جادين فى عملهم .
وكنيت اعتقد فى إمكانية العيش فى سلام بينهم هم فى قراهم طبقا
لثقافتهم ، ونحن فى قرانا وفقا لثقافتنا . غير أن تغلغل مبادئ
القسامية فى أحاسيس العرب - وإن لم يكن قد أثر فى مشاعرنا الشخصية
إزاء بعضهم - فرق بين العرب وبين اليهود الذين كانوا ينفذون مبادئ
الصهيونية ومثلها العليا .

وانتهت دراستى فى مدرسة ويزو الزراعية ، لكن علاقتى بها لم
تنته . إذ أننى ارتبطت بفتاة جميلة زرقاء العينين تدعى جوديث كانت
تكبرنى سنا وتفوقنى طولا . وكنا كثيرا ما نتنزه فى غابة الاشجار خلال
أيام شهر فبراير (شباط) ، ونقضى أمسياتنا فى مشوار طويل فى حقول
الذرة . وكنت مستمرا فى ممارسة نشاطى فى نادى الشباب . ونظمنا
ما أطلقنا عليه اسم الحلقة الايدولوجية . وكنا نقرأ وناقش ما يكتبه
قائدنا وعلى رأسهم بن جوريون الذى أصبح الآن قائدا للحركة ، وحاييم
ارلوزوروف الذى رأس الدائرة السياسية فى الوكالة اليهودية الى أن
قتل ، وموشى شاريت الذى خلفه . وسرعان ما ألقينا سلاحياتنا وراءنا .

ظهورها وتزايد اهتمامنا بما كان يحدث ويقال في حركة العمل ، ثم
« انضمامنا إليها أخيراً » .

كان العمل الشاق في المزرعة في ناحلال يستغرق فترة طويلة ،
وكان أبى مشغولاً برحلته التي يقوم بها لحساب حزب العمل والحركة
الصهيونية ، أما أمى فقد نظمت أوقاتها بين الحياة العامة والكتابة لصحيفه
« العمل اليومية » . أوسع الجرائد انتشاراً في البلاد . وبالنسبة لى فقد
بدأت اهتماماتى تتعدى موضوع ركوب الخيل الى الانشغال بتتبع الصراع
الوطني والسياسى . وكان تفكيرى مركزاً حول استكمال دراستى العليا
.. لكننى لم أكن قادراً على الابتعاد عن ناحلال .

وفى عام ١٩٣٣ ، كنت قد بلغت الثامنة عشرة من عمري ، بدأت
فى المستعمرة عملية بناء منازل دائمة .. وكان منزلنا من بين الدفعة
الآخيرة التى سيتم بناؤها . وانضمت الى فرقة البناء .. وكان العمل
بالغ المشقة والأجر غير مجز . وقد عرض علينا المهندس المشرف على
العملية وظائف فى تل أبيب بأجر مجز .. وفى الخريف كنا قد أتممنا
بناء المنازل الاربعين التى تم اعتماد الميزانية الخاصة بها .. وكان مقدراً
لعملية بناء المنزل أن تستغرق عامين ، ولذا قبل ثمانية أفراد من المجموعة
عرض المهندس بيبير وذهبوا الى تل أبيب .. وكنت أنا واحداً من أفراد
هذه المجموعة . ولم يكن تغيير رأيى طمعاً فى المرتب المجزى ، وإنما
سعيًا وراء اكتساب مزيد من التعليم . وقد سمح لنا بعد فترة العمل فى
الصباح بأن نتلقى دراسات عليا فى الرياضيات والآداب واللغة العبرية
فى الجامعة الأهلية التابعة للدائرة الثقافية فى الهستدروت .

وكنت فى نفس الوقت أشاهد باستمرار جوديث ، التى انتهت
دراستها فى المدرسة الزراعية ، وانتقلت الى منزلها فى ريشيون ليزيون .
وكنا نتقابل فى منزلها أو فى تل أبيب . ولم يكن والدائ سعيدين بهذه
العلاقة . بل كانت لجوديث نفسها أفكار غريبة عن ذلك الشباب المراهق
الذى جاء الى تل أبيب ليصبح عاملاً للبناء . وكنا نعمل فى تل أبيب
خلال موسم الركود فى الزراعة .

ومع مطلع الصيف عدت الى ناحلال مرة أخرى . وقررت فى الخريف
أن أقوم ، مع انين من أصدقائى ، برحلة فى وادى الاردن سيرا على
الأقدام . وكان زادنا فى الرحلة : قليل من النقود وبعض زجاجات الماء
وبعض المأكولات المحفوظة وخريطة . وقطعنا وادى الاردن حتى وصلنا الى
أريحا ومنها الى بير سبع ثم الى غزة . وكانت الرحلة شاقة خاصة وقد
واجهتنا رياح الخماسين .. وكان هواء الصحراء الساخن يلفح وجوهنا
.. ولم نستطع نصب خيامنا . وفرغت زجاجات المياه .. لكنها كانت
تجربة مثيرة وهامة .

وقد وقع لنا حادث خلال هذه الرحلة كان له اكبر الاثر لى ، بل انه ما زال عالقا بذهنى بكل تفاصيله حتى الآن .
 فقد وصلنا أثناء رحلتنا الى واد قريب من الجزء الشمالى من البحر الميت . وكان الارهاق قد بلغ بنا غايته بعد يوم طويل حار وليل لم يزل حارا . . . وبعد نفاذ الماء منا . . . فسقطنا على الارض من شدة الاعياء ورحنا فى سبات عميق . واستيقظنا عند الفجر على صوت قطع من الاغنام بصحبة راع بدوى ، وطلبنا منه بعض الماء . . . لكنه اصطخبنا الى مخيم القبيلة حيث استضافنا شيخ القبيلة ولم يكنف بتقديم الماء . بل قدم لنا أفضل تقاليد الكرم البدوية . ثم اقترح علينا بعد ذلك أن يصحبنا احد رجاله الى أريحا مع بعض الحمير ليوفر لنا الراحة والأمان . وقد قبلنا ذلك العرض وذهبنا مع الاعرابي ، ثم افترقنا متجهين الى سادوم فى جنوبى البحر الميت .

لقد اخذت بهذا الكرم والعطف من البدو . . . وهى صورة تختلف فى ذهنى كلية عن الصورة التى رسمتها لى قصص تدمى اليهود من مؤسسى المستعمرات واحاديثهم . فهم لم يسرقونا ساعاتنا ولا نقودنا . . . لم يديروا ظهورهم لاولئك الشباب اليهودى العطشى . . . وانما أكرموا وفادتنا وأمنوا لنا طريقنا ، ومن واقع تجربتى فيما بعد ، فان هذا لم يكن حكما عاما بالنسبة للبدو . فالبعض منهم فى غاية الطيبة ، والبعض منهم فى منتهى القسوة . . . شأنهم فى ذلك شأن أى شعب . وعلى الدوام فلم تكن هذه هى تجربتى الوحيدة مع العرب . فكثيرا ما كنا نذهب الى القرى المجاورة ، ويحساول بعض الشباب الاعتداء علينا . . . غير أن الكبار من الاعراب سرعان ما كانوا يهبون لنجدتنا ، ويستضيفوننا فى منازلهم حيث يقدمون لنا الزيتون والخبز ثم يصحبوننا الى منازلنا فى أمان .

وقد جرى لنا صدام من نوع آخر مع العرب بعد عودتنا بعدة أسابيع ، أى فى نهاية عام ١٩٣٤ . اذ كانت هناك مساحة شاسعة من الاراضى التى اشتراها الصندوق القومى اليهودى من مالكيها العربى وكانت مزروعة دون أى استغلال ، ثم تقرر ضمها الى مستعمرة ناحال والبدء فى استغلالها . وكانت قبيلة المزاريب تستخدم هذه الاراضى فى الرعى . ولاحظت عندما بدا العمل ، أن هناك تجمعات لبعض أفراد القبيلة . شاهدت من بينهم مديقى وحش وبعض الشباب العرب الذين

أعرفهم • وبينما استمر العمل كان عدد البدو يتزايد • وفجأة انهالت علينا الاحجار •• واستعنا ببعض اليهود من المستعمرات المجاورة واستعان البدو بالعرب من القرى المجاورة • وفجأة أحسست بعصاة تصيب رأسي •• وسقطت على الأرض • ونقلت الى المستعمرة ومنها الى دار للرعاية قرب القدس ومكنت فيها بعض الوقت ثم عدت الى ناحل دار مرة أخرى • وقد رجعت بجرح في رأسي ، ولكن بدون شعور عدائي داخل نفسي ضد وحش وأفراد قبيلته المزاريب • لقد كان بهقدوري أن أفهم مشاعرهم ، لكنني لم ، لن مستطيعا قبولها • لقد كانوا عبر القرون يقوهمون برعى قطعانهم على اراضي اناس آخرين ، ويسبقونها من آبار الآخرين • وكانت الأرض في ذلك الحين قد ساءت ولم تعد صالحة للرعى • وقد أصبحت الآن أرضنا ونحن الآن نعمل على اعادتها الى ما كانت عليه من فائدة قديما • ولاني كنت أعلم أن البدو لا ينظرون للامور على هذا النحو ، فأنني لم أحمل ضغينة ضدهم • ولم أرهم بعد ذلك ، إذ نقلوا مراعيهم الى منطقة أخرى ، وتم اعداد الأرض الجديدة للزراعة • وبرغم ذلك كله فقد دعوت وحشا وأفراد قبيلته الى حفل عرسى في المستعمرة بعد هذا الحادث بدسة شهور ، وحضروا جميعا وقدموا رقصاتهم الوطنية التي يؤدونها دائما في حفلات الزفاف على نغمات الناي الذي قام بالعزف عليه شاب صغير يدعى عبد • وقد قضينا جميعا وقتا طيبا

وكانت السيدة التي تزوجتها في ١٢ يوليو (تموز) ١٩٣٥ قد جاءت الى المستعمرة في خريف عام ١٩٣٤ لتتلقى العلم في مدرسة الزراعة وقد انحدرت من أب يدعى زيفى وأم تدعى راشيل ، كانا قد تعلمتا في مدرسة هرزليا الثانوية - وهي أعلى مدرسة لتعليم العبرية - وكانت روث عضوا في ، باب حزب العمل وترى أن مستقبلها في المستعمرات وهكذا جاءت •• وتعرفت عليها •• وتونقت صلاتنا لرغبتي في تنمية معرفتي باللغة الانجليزية التي كانت تجيدها • وتدعمت عرى علاقتي بأمي وبأخي زوريا ، وأختي ايفا ، وكانت كثيرا ما تحضر الى منزلنا وأقيم الحفل في ، احة المستعمرة ، وأحضرت أم روث معها المشروب والمزات من القدس • وجاء رتل من السيارات يضم أصدقاء أسرته وكان من بين المدعوين الدكتور آرثر روين الذي يعتبر الاب الروحي لانشاء المستعمرات اليهودية في فلسطين •• كما حضر زفافي أيضا موش شاريت وزوجته زيبورا ، ودوف هوس أحد القيادات الهامة في الوكالة اليهودية • وقام بمراسيم الزواج الحاخام زكريا وهو أحد مؤسسي مستعمرة ناحل ويحذر من أصل يمني •

ولم تكن لدينا - طط للمستقبل القريب •• لكنني كنت راغبا في ترك المستعمرة • وكنت أحلم بأن أقوم بعمل مثل العمل الذي قام به أبي

عندما كان فى مثل سنّى بأن أنشأ مستعمرة جديدة • لكننى فى نفس الوقت كنت أطلع إلى تكملة تعليمى العالى • ولم تكن عضوية الهاجانا مسغرة من وفتى الكثير ، بل اننى كدت أكون خاليا من الواجبات فى المنظمة • ووجدت فرصى لتعلم الانجليزية بطلاقة ، وربما لدخول الجامعة ، عندما وجدت من بين هدايا زواجنا بطاقات سفر إلى انجلترا

وفى لندن ، كانت روث سعيدة بالعودة إلى المدينة التى عاشت فيها خمس سنوات من طفولتها حينما كان والدها يدرسان فى جامعة لندن • واشتغلت هى بتعليم اللغة العبرية ، أما بالنسبة لى فقد انهارب كل أحلامى الوردية • اذ لم أوفق إلى عمل لان لغتى الانجليزية كانت ضعيفة • ولم أكن حاصلا على شهادة اتمام الدراسة الثانوية حتى يحق لى الدخول إلى الجامعة • وهكذا بقيت بلا عمل وبلا دراسة • وكانت الحطبات تتوالى من والدى يتهمنى فيها بأننى فضلت الحياة السهلة على الكفاح فى المزرعة ، ويؤكد لى أن المزرعة فى حاجة ماسة إلى •

ووقع حادثان جعلانا نسارع بالعودة ، إلى الوطن • أولهما نشوب الثورة العربية المسلحة فى مايو (آيار) ١٩٣٦ ، وشن الهجوم على مستعمراتنا بعنف وقسوة راح ضحيتها الكثيرون • وكنت قد تلقيت بحزن شديد قبل ذلك بشهرين نبأ مقتل ابراهيم جالوتمان خير الحمضيات والرجل الذى علمنى الكثير • وأصبحت هجمات العرب المتفرقة تترك المزيد من الضحايا وراءها • ان مكانى فى وطنى • أما الحدث الثانى فكان ذلك القرار الذى اتخذته مجموعتى بإنشاء مستعمرة جديدة اختاروه مستعمرة على الحدود لكى تقوم بمسئولية الدفاع إلى جانب الزراعة وحتى يمكنهم بدء حياة جماعية مستقلة فقد منحهم مجلس ناحلال مائه هكتار فى منطقة تدعى تل شمرون • وقد قررت ، أنا وروث ، الانضمام إلى تلك المجموعة •

لم يكن الامر سهلا • ففى حين منح روث العضوية الكاملة ، فاننى اعنبرت مرشحا للعضوية بعد مرور فترة اختبار مدتها ستة أشهر أثبت فيها قدرتى على التواءم مع الحياة الجماعية • ونظرت إلى هذه التحفظات على أنها تعنى عدم الثقة وكان أصدقاؤى يعلمون أننى لا يمكن أن أنتمى إلى مجمع كهذا ، فالمساواة العاطفية والاجتماعية المطلقة لم تكن لتتفق مع طبيعتى أبدا •

وكان الامر كذلك بالفعل • وانقضت فترة التهور الستة وبذلت فيها جهدا جعلهم يثقون فى مسلكى ، ومنحت العضوية الكاملة • وكـ

في البداية سبعة عشر عضوا في ناحل ، ثم انضمت اليها مجموعة من شباب حزب العمل المهاجرين من بولندا وروسيا ، ثم انضمت اليها أخير مجموعة من الفتيات من خريجي مدرسة ويزو الزراعية .

وأعطيت لنا - أنا وروث - في البداية حجرة واحدة فارغة ، فمد أنا بصنع أثاثها من جذوع الجميز . وأوكلت مسئولية حظائر الماشية الى روث ، بينما توليت أنا مسئولية الحراسة الليلية . ولم تستطع مستعمرة سمرون اثبات نجاح مؤسسيها وظلت تعتمد على المساعدات التي يقدمها لها الصندوق القومي اليهودي . وكان ذلك موضع مناقشات أنا وروث ، على امتداد عامين . وفي عام ١٩٣٨ انتقلت مجموعة سمرون الى مستعمرة أخرى بالقرب من الحدود اللبنانية ، أما أنا وروث فقد عدنا الى ناحل مرة أخرى لنعيش في كوخ نمتلكه .

وقد ارتبطت بالميدان العسكري أثناء إقامتي في شمرون ، حيث تصادف ذلك مع حدوث ما أسماه البريطانيون (بالثورة العربية) ، التي استمرت من ١٩٣٦ حتى ١٩٣٩ عندما أصدرت بريطانيا سياستها الجديدة لفلسطين بتقييد الهجرة اليهودية ، واستيطان الاراضي . وخلال هذه السنوات الثلاث ، كافح المجتمع اليهودي من أجل الحفاظ على أمنه . وتم استنفار الجيل الشاب لاداء دور أكثر نشاطا .

وبدأت الثورة باضراب عربي شامل يهدف الى شل الحياة الاقتصادية في البلاد ، في عام ١٩٣٦ ، وسرعان ما اجتاحت كل أنحاء الاراضي موجه من العنف والاضطرابات حتى اضطرت بريطانيا الى استدعاء المزيد من جنودها . وأحس البريطانيون بالخطر ، لان موجة العنف كانت موجهة ضدهم وضد اليهود وضد العرب المعتدلين في نفس الوقت ، وجاءت لجنة ملكية بريطانية لتقصي الحقائق ، حول أسباب الصراع وتقديم توصيات للدبلوماسية المقبلة . ولان اليهود والبريطانيين كانوا هدفا للارهاب العربي ، فقد حدث تقارب بين حكومة الانتداب والسلطات اليهودية . ونمثلت أولى اجراءات التعاون في الاستعانة باليهود والاستفادة من خبرتهم في معرفة البلاد واللغة العربية . وهكذا أنشئت أول فوه بوليسية للمستعمرات اليهودية . وأصبحت - تحت رتبة غفر - واحدة من أعضاء هذا البوليس .

وكان خطاب التعيين الذي تلقيناه في مارس (آذار) عام ١٩٣٧ . وتسلمته في مستعمرة شمرون ، معنونا باسم قيادة البوليس الفلسطينية .

وعيب بمزب قدره ثمانية جنيهات فلسطينية ، وصرفت لي بدلة رسمية
وتصريح سلاح .

وكننت أعينى فى معسكر بريطانى فى منطقة عدوة التى تعتبر المركز
الرئيسى لوادى هرزل ، حيث تمتد أنابيب البترول التابعة لشركة أنابيب
العراق ، والتى تصل بين حقول البترول فى الموصل وميناء حيفا . وكانت
هذه الأنابيب عرضة لعمليات تخريبية من جانب العرب ولم يكن بمقدور
الساحبات والعربات أن تمر فى المنطقة المزدهمة بالقرى العربية .

وكان مصرحاً لي بالمبيت ليوم واحد فى المنزل . وكننت أعمل مع
فصله اسكوتلاندية وأخرى من يوركشاير . وخلال الفترة التى قضيتها
مع هاتين الفصيلتين ، وهى ثمانية أشهر ، اكتشفت مساوئ الوحدات
النظامية وخاصة فيما يتعلق بالعمل الروتينى الذى كان يفقدها الفاعلية
ضد المخربين . وكان فى تصورى أن العمل الواجب اتخاذه ضد العرب
هو البدء بالهجوم عليهم فى مخابثهم ومباغتتهم .

واشتد فى نفس الوقت نمو بوليس المستعمرات فأصبح يضم
١٣٠٠ من أعضاء الهاجاناه فى نهاية عام ١٩٣٦ . وأثر انتهاء خدمتى
فى عفوله ، عدت الى شمرون كجاويز مشغول عن الحراسة . وكننت
أقود فصيلة تتميز بالنشاط الجم ، فكنا نقوم بالمرور خلال النهار ،
وننصب الكمائن فى المساء للعرب .

وفى شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٧ أرسلتنى الهاجاناه الى
معسكر تدريبى على الاعمال القيادية ، وهناك التقيت بأسحاق ساديه
المشرف على المعسكر . وقد أحببت هذا الرجل وصار مثالى الاعلى .
وتلقينا تدريباً جيداً على المستوى المتميز بالواقعية والجبوية . وأرسلت
عقب ذلك الى مركز تدريب الجاويزية فى الجيش البريطانى . وهناك
كان جل اهتمامهم موجهاً للنظافة والاحذية التى تلمع . ولا شئ غير
ذلك .

وباضطراد التعاون بين سلطات الانتداب البريطانى والسلطات
اليهودية ، استطعنا أن نحصل على تصريح باقامة معسكرات تدريب
وتصاريح باحراز الاسلحة المختلفة التى تستخدمها الجيوش . وأصبح
فى مقدورى ، أنا وزملائى من رجال البوليس ، أن نمارس نشاطاتنا
السرية فى الهاجاناه بيسر شديد .

وانفجرت الثورة العربية. فى عنف شديد فى خريف عام ١٩٣٧ عندما أعلنت لجنة بيل توصياتها التى تقضى بتقسيم فلسطين الى دولة اسرائيلية ودولة عربية ومنطقة تحت الوصاية البريطانية . ورفضت الدول العربية هذه القرارات ، واشتد نضال العرب ضد اليهود والسلطات البريطانية .

وفى عام ١٩٣٨ خدمت فى الهاجاناه كمعلم فى مناطق ناحلال والاقاليم المجاورة لها . وكنت فى نفس الوقت مسئولاً عن تدريب القادة الفرعيين فى أحد القواعد التابعة للهاجاناه . وخرجت عن قواعد التدريب الروتينى التى تقضى بتعليم استخدام السلاح . ولكونى مسئولاً عن التدريب على حرب العصابات ، فقد ألقت كتيباً عنوانه (جرفة الميدان) خاصاً بالتدريب يحنو على تعليمات خاصة باعداد الكمائن - وأسلوب الحراسة - وتكتيك التسلل والهجوم . ووقعت هذه المذكرة فى يد يعقوب دورى قائد الهاجاناه للاقليم الشمالى ، الذى استدعانى وفاجأنى بأن امتدح هذا العمل وكفأنى ، الامر الذى جعلنى أشعر بالفخر . وكنت قد قضيت وقتاً فى التدريب فى ناحال ، وقمت بتطوير تدريبي بحيث كنت آمرن الرجال على فن الهجوم ومفاجأة العدو . وحتى اكتشف نقاط الضعف فى حراسة مستعمراتنا ، فقد كنت أضطحب رجالى فى عمليات ليلية مفاجئة نكتشف خلالها الثغرات الموجودة فى الدفاع . وازاء تحذيرات رؤسائى لى من مغبة هذا العمل ، - اذ أن قوات الحراسة قد تطلق النار علينا - فقد اضطرت لطاعة الاوامر وتوقفت عن (غزو) مستعمراتنا .

واستمرت مسئوليتى عن التدريب فى الهاجاناه ، فى الوقت الذى كنت أمارس فيه وظيفتى كجاويز فى البوليس الانجليزى . وكانت زوجتى روث تقيم فى شمرون . وكنا نلتقى بين الفينة والأخرى ، وبأنا نناقش خطط المستقبل . فكانت ترى ضرورة ترك مجموعة شمرون والبدء فى انشاء مزرعة خاصة بنا وبناء منزل دائم لنا ، وقضاء أوقاتنا فى القراءة والدراسة .

وفى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٣٨ انتقلت مجموعة شمرون للاقامة الدائمة فى مستعمرة هائيتا التى تقع بجوار الحدود اللبنانية . وكانت الهاجاناه قد احتلت هذه المستعمرة قبل ذلك بثمانية أشهر بعد أن تعرضت لهجوم عربى عليها ، خاصة وأنها تقع على الحدود اللبنانية فى النقاط التى يتسلل منها العرب لمهاجمة المستعمرات اليهودية . وكانت الهاجاناه قد حددت يوم ٢١ مارس (آذار) ١٩٣٨ موعداً لعملية مستعمرة

هانينا . وحشدت من أجلها ٤٠٠ مقاتل من بينهم مائة من بوليس المستعمرات التابع للسلطات البريطانية . ومن أجل ضمان السرية التامة ، وذلك حتى لا يشعر العرب أو السلطات البريطانية ، توزعنا على عدة مستعمرات على الشاطئ . وكانت هذه القوة بقيادة ايزاك ساديه . وكنت أنا ويجال ألون نائبين له . وفي يوم ٢١ مارس (آذار) تحركنا من نقاط جمعنا متجهين شمالا نحو هانينا ، وكان ذلك قبل الفجر بقليل . وكان علينا أن نترك السيارات في الطريق ونتسلق المرتفع الصخري . وقسمنا أنفسنا الى مجموعتين احدهما لاقامة الخيام والمسكر والاخرى لبناء برج المراقبة وسور الحماية . وكنا نتمنى أن ننتهي من عملنا خلال النهار اذ كنا ننتوق أن يكون أول هجوم عربي ليلا . لكننا لم نستطيع أن ننم مهمتنا . وصادفت عملية نصب الخيام هبوب عاصفة شديدة . وعند منتصف الليل بدأ الهجوم العربي من اثنين من التلال المجاورة . واقترح ايزاك ساديه أن نقوم ، أنا ويجال ألون ، بحركة التفاف حول المهاجمين . غير أن دوري قرر استحالة تنفيذ هذا الاقتراح ، واستمر تبادل إطلاق النار لمدة ثماني دقائق انسحب بعدها المهاجمون وراء الحدود اللبنانية . وكانت خسائرنا قتيلين وعددا من الجرحى . واستمر العمل في بناء المستعمرة لمدة ثلاثة أيام في هدوء . وفي اليوم الرابع ، وبينما كانت إحدى مجموعات البناء تعمل على الطريق ، هاجمها العرب . . . وحاولنا قطع طريق الهرب عليهم ، بيد أنهم كانوا أسرع منا . وتقرر أن تبقى قوات ساديه لحين الانتهاء من بناء المستعمرة . وكنا نقوم بنقل عمال من مدينة نهاريا ، وكان من بين واجباتي الاشراف على نقل هؤلاء العمال . أما بقية واجباتي فكانت تتعلق بالحراسة . وعندما انتهت عملية بناء المستعمرة عادت قوات ساديه مرة أخرى وانتهت مهمتي . وعدت ثانية الى واجباتي في بوليس المستعمرات . وبقيت مستمرا في الحراسة وفي عملية التدريب الخاصة بقوات الهاجاناه .

وذات مساء حضر الى شـمرون أحد أفراد الهاجاناه وبرفقته شخص غريب . هو الكابتن أورد وينجت . . الذي لم يكن جنديا عاديا . . جاء الى فلسطين عند نشوب الثورة العربية عام ١٩٣٦ محملا بأفكار غير تقليدية ضد العرب وأساليب مواجهة العنف والتخريب العربيين . . وكان في الوقت ذاته متعاطفا للغاية - بعكس زملائه العسكريين - مع الافكار الصهيونية ، الامر الذي جعله موضع ثقة كل قادة اليهود في فلسطين .

ركان هذا هو لقائي الاول مع وينجت . . كان متوسط القامة . . ذو وجه شاحب ، لكنه وجه قوى . . وكان يتمنطق بمسدس في وسطه

ويمحل انجيلا صغيرا حول وسغه . وكانت طباعه تنم عن المرح والاخلاص .
• له نظرة هادئة حين يتحدث . وكان يوجه نظرات عميقة كلما تفحص
أحد الاشخاص وكأنه يبحث في أعماقه عن سره . وطلب احضار المجموعه
ليعلمنا كيف نقاتل . وكان يصر على الحديث بالعبرية التي بدأ يتعلمها
منذ وصوله للبلاد ، غير أننا طلبنا منه بعد فترة أن يتحدث بالانجليزية .
وأخذ يتحدث عن خبرته في حرب الغابات في السودان حيث خدم لعدة
أعوام ، وعن طريقة نصب الاكمنة الليلية . وأخيرا فاجأناه باقتراح أن
نصحه لكي يعلمنا على الطبيعة كيفية عمل الكمين الليلي .

وطلب خريطة . وكانت المفاجأة الاخرى اختياره لنقطة على الطريق
الموصل لقرية محلول العربية التي تبعد عدة أميال . وكان العمل بالنسبة
الينا جديداً لاننا كنا دائماً ننصب كمائننا بالقرب من المستعمرات
اليهودية للدفاع عنها ، وليس بالقرب من خط العنف القريب من القرى
العربية . وقمنا بجمع أسلحتنا . وكنا نتحرك بأوامر وينبج على حافة
التلال وليس في الممرات . وعندما وصلنا الى هدفنا انقسمنا الى مجموعتين
نبعد كل منهما عن الاخرى مائة ياردة . وكانت التعليمات تقضى بأنه
عند ظهور أى مجموعة في تلك الليلة فلانها سوف تمر وسط المجموعتين
حيث تجرى مهاجمتها من الجانبين . وبالرغم من عدم ظهور أية مجموعة
هذه الليلة فان الدرس كان هاما وكافيا . وقد اشتد تأثير هذا الرجل ،
خاصة وأننى كنت ، قبيل العملية ، أتساءل عما اذا كان في استطاعة
هذا الرجل أن يتحرك في الظلام فوق أرض لا يدرى عنها شيئا ، في
حين أن هذه الأرض هي مسقط رأسى وأعرفها شبرا شبرا . وتساءلت
وهل سيصيبه التعب ، وهل سيطلب الراحة !!؟ غير أن كل هذه الاسئلة
انتهت تماما ، واكتشفت أن معرفته بهذه المنطقة تفوق معرفتى بها ، وانه
قوى ، ويستطيع أداء كل ما نمارسه نحن الشباب . صحيح أن أفكار
وينبج الجديدة كانت مغروسة في قلوبنا على يد اسحاق ساديه ، غير
أن وينبج تميز عنه بالاثقان والايجابية والعناد وعدم قبول الحلول
الوسط .

وقد صاحبت وينبج بعد ذلك في عمليات كثيرة نجحنا في بعضهم
ولم ننجح في البعض الآخر ، المهم أن المهاجمين العرب أصبحوا يدركون
الآن أن جميع الممرات التي قد يسلكونها غير آمنة بالكمائن التي نصبناها
فيها .

وكنّا كثيرا ما نقضى أمسياتنا فى العمل سويا • وأصبحت أو من
بأن وينجت مقاتل ممتاز • وأنسان رائع وكثيرا ما كان يصيبه الارهاق
الشديد ، وقد رأيتّه فى احدى المرات وهو يقطف ثمرة بطيخ من أحد
الحقول ويبلل بها وجهه ليستعيد نشاطه • كما كان يعمد قبيل كل عملية
الى قراءة فقرات من الانجيل •• وخاصة الفقرات التى تتحدث عن المناطق
التي سنهجمها ، ويجد فيها الدلائل على النصر •• نصر الله ونصر اليهود
•• ونظرا لتعاطفه الزائد مع الصهيونية ، فقد قام رؤساؤه بإبعاده عن
علسطين • ولكنه قاتل فى الحرب العالمية الثانية فى الحبشة وبورما
حيث قتل فى احدى غاباتها عام ١٩٤٤ •



٢٠ في السجن

كان كل أفراد مجموعة شمرون قد انتقلوا الى مستعمرة هانيتا على الحدود اللبنانية ٠٠ وذهبت معهم أنا وروث بمنية ضيوف ، تم عدنا بعد ذلك الى ناحلال مرة أخرى حيث استأجرنا منزلا من مجلس المستعمرة ، يتكون من حجرتين ومطبخ وحديقة خضروات ٠ وفي فبراير (شباط ١٩٣٩ ولدت ابنتنا يائيل ٠

وفي مايو (أيار) من هذا العام أصدرت بريطانيا ما يسمى بالكتاب الابيض ضمنته سياسة جديدة للانداب ، فحددت الهجرة اليهودية خلال السنوات الخمس التالية ثم منعتها تقريبا بعد ذلك ، وبذلك جاء كل ما فيه تناقضا مع روح وعد بلفور الصادر عام ١٩١٧ ، ومع نص قرار عصبة الأمم المتعلق بالانداب ، وسوف يؤدي في حالة تنفيذه الى تحطيم آمال اليهود في وطن قومي لهم ، ولذا قررت الهاجاناه حمل السلاح ومقاومة هذا الكتاب الابيض ، وكانت تلك نهاية التعاون بين البريطانيين واليهود ، وعادت الهاجاناه مرة أخرى الى العمل السري ٠

وفي منتصف اغسطس (آب) شرعت الهاجاناه في برامج للتدريب على تكتيكات القتال ، وبدأت من جديد في أداء واجباتي كمدرّب في هذه

البرامج التي اخبرت لها قاعدة جديدة بالقرب من قرية يافنيل على بعد أربعة أميال من مستعمرة دجانام وامعانا في التمويه ، فقد جرت هذه التدريبات ، تحت رعاية الاتحاد الرياضي اليهودي . وبعد ذلك بقليل فشبت الحرب العالمية الكبرى مما جعل الهاجاناه سرع في عملية التدريب . ومضت الاسابيع السبعة الاولى من التدريب في هدوء .

وجاء أول جرس للانداز في يوم ٣ أكتوبر (تشرين الاول) عندما كان بعض الرجال مجتمعين لتلقي بعض الدروس النظرية في التكتيك ، وعلى حين فجأة ظهر انان من رجال الامن السري البريطاني . . . قائما بنعتيش المعسكر . . . وكان من السهل عليهما أن يعترا على السلاح ، وتم بسرعة اخطار قيادة الهاجاناه حيث تم اخلاء القاعدة والانتقال الى قاعدة أخرى تبعد ٢٥ ميلا ، بالقرب من مستعمرة عين هاشوفيت . وانقسمنا الى مجموعتين اولاهما مجموعة يجال ألون ، ضمت أفراد بوليس المستعمرات المرح لهم باستخدام السلاح ، وهذه المجموعة وصلت الى هدفها بسلام بعد أن قطعت الطريق من ناحية سفح جبل تابور . والمجموعة الثانية بقيادة سوكينك قائد مركز التدريب ، وضمت ٤٣ رجلا ، وكان عليها أن تقطع الطريق خلال الظلام من خلال الجبل الى الجنوب الغربي مخترفة منطقة عربية ضخمة في وادي البيرة ، حتى تصل الى منطقة جزريل اليهودية وتخترقها خلال النهار . وكانت مهمتي أنا وسوكينك القيام بعملية الارشاد .

وكنا لسوء الحظ قد غادرنا المعسكر متأخرين . اذ ان المعسكر كان موضوعا تحت المراقبة . . . وكان علينا أن نجمع أسلحتنا الضرورية التي كانت مخبأة في بعض المخابئ . . . كانت الساعة الثانية صباحا عندما بدأنا في التحرك ، ونسلقنا عدة ممرات صعبة في الساعات التالية من الظلام . وعندما أشرف الصباح كنا على بعد أميال كثيرة من أقرب مستعمرة يهودية . وكنا على مشارف وادي البيرة الذي تمر فيه أنابيب البترول الخاصة بالشركة العراقية . وجلسنا أنا وسوكينك للراحة . وفجأة وجدنا أنفسنا محاصرين بقوة من سلاح الحدود الاردنية الخاصة بحراصة أنابيب البترول . . . وكانت بقية المجموعة بعيدة عنا حيث كنا نحن في المقدمة . . . وكان هذه القوات تابعة للامن السري البريطاني . فأخبرناهم أننا من هواة الرحلات ، وأبرز لهم سوكينك رخصة سلاحه ، وعندئذ بدأ عليهم الاقتناع . . . وتركوا ومضوا . ولكنهم ظهروا مرة أخرى وقد أحاطوا ببقية المجموعة . . . ويبدو أن أحد العرب لفت أنظارهم الى بقية المجموعة المسلحة التي كانت تسير بجوار خط الانابيب .

وسرعان ما أحاطت بنا بعض القوات المسلحة وضابط بريطاني ومحقق من سلاح الحدود . ونزعت منا أسلحتنا ، وفضيخنا بضع ساعات الى ان نقرر رؤسناؤهم مصيرنا . ثم فسمونا الى مجموعتين ، وأركبونا سيارتي نقل ، وأخذونا الى السجن . وفي قرية عكا وقفت سيارة نقل . ولحقت صديقي كالمال فكتبت له ورقة أقول فيها أنه فد ألفي القبض على وانه لا داعي للقلق . وكتبت عليها عنواني وألقيت بها اليه ، وأثناء هدد الزحلة دار النقاش حول مصيرنا ، وساد اقتناع بأن الامر سرعان ما سيتضح وسوف يفرج عنا .

ولكن حالتنا النفسية تغيرت بعد أن أوصدت وراءنا البوابات الحديدية في السجن المركزي ، الذي كان قلعة قوية يستخدمها الاتراك خلال حكم الامبراطورية العثمانية . ثم تحولت الى سجن . وقد أرسل من قبل الكبر من اليهود في هذا السجن أثناء المقاومة بعد الحرب العالمية الثانية ، ولقي بعضهم مصرعه في غرف الاعدام فيه . ودخلنا الى حجرة فمننا فيها بتسليم متعلقاتنا الشخصية ، ثم نقلنا الى حجرة أخرى انتشرت على أرضيتها بعض البطاطين الممزقة . وجلسنا جميعا متعبين . وقبل أن نغمض عيوننا لننام جاء بعض رجال البوليس وسألونا من هنا يتحدث بالانجليزية . ولم يكن هناك غيري وزفي بريز . واقتيد زفي أولا الى غرفة التحقيق التي كانت تجاور حجرتنا ، لكن نسمع ما يدور فيها هناك . وسمعنا أصواتا ، ثم صوت صفعات ولكمات ، أعقبتها تأوهات ، ثم عاد الكلام مرة أخرى والصفعات والتأوهات . وأبلغت بأن دوري قد حل . وتوجهت الى الغرفة . كانت أيادي فولاذية تمسك بي ، وبدأت عملية تحطيمي نفسي ، وأبلغوني كيف يمكن أن يحفروا لي قبرا هنا . ونصورت ابنتي وكيف يمكن أن تشب يتيمة ثم تعلم بعد ذلك أن والدها قد شفق كأي مجرم عادي ، وقررت مسرعا أن الامتناع عن الكلام غير مفيد والافضل أن أحدد ما يمكن أن يقال وما لا يمكن أن يقال .

وذكرت اسمي وعمرى ، وأبلغتهم أننا من رجال الهاجاناه ، ولا بأس في ذلك فهي منظمة معترف بها وكانت تتعاون الى وقت قريب مع السلطات البريطانية . وأبلغتهم أننا كنا نقوم بالتدريب . وعندما سئلت عن الاسماء ونوع السلاح لزممت الصمت . وقال لي المحقق أنني ان لم أذكر هذه المعلومات فلن أعيش طويلا . وحاولوا ضربني بالسياط ، غير أنني حذرته من أن أي أذى يصيبني أو يصيب أحد زملائي سوف يجعل موقعهم صعبا ، لان زملائي في الخارج لن يسمتوا ، وانه يجب عليهم ألا ينسوا أننا شركاء في الحرب ضد هتلر ، وتوقفت الايدي ، واستطعت انقاذ

رملائى الذين سئلوا بعدى • وأبلغنى زفى أنه تعرض للضرب والركل أثناء التحقيق معه لرفضه الكلام •

واستيقظنا فى الصباح على أصوات المفاتيح • وسمح لنا بأن نصل إلى البرج لكى نستنشق الهواء ، وأخذنا نتطلع إلى منظر خليج حيفا • وتناولنا افطارنا من الخبز والزيتون • وسمح لنا بالاتصال بمحام فى حيفا • وفى المساء علمنا أن المجلس اليهودى سوف يناقش المسألة على أعلى مستوى ، وإننا لن نبقى فى السجن طويلا • وإلى أن يحين موعد تقديمنا إلى المحاكمة فقد كانت معاملتنا عادية •• إذ كنا نرتدى ملابس العبدية ونتلقى الطعام من خارج السجن وسمح لعائلتنا بالزيارة ، وكنا نقوم بالتدريبات الرياضية فى الصباح لكى نحافظ على لياقتنا البدنية • وكنا نلعب الشطرنج والداما بقطع من الخبز • وبعد عدة أيام سمح لنا بعراءة الكتب فى مكتبة السجن ، وجاءنا محام من حيفا استمع إلى كل التفاصيل وولكلنا عنا فى المحاكمة •

وجرى التحقيق معنا مرة أخرى فى قسم البحث الجنائى البريطانى • وأبلغونا أن محاكمتنا ستتم أمام محكمة عسكرية بتهمة احراز سلاح بدون ترخيص • وحكم هذه المحكمة نهائى غير قابل للنقض أو الاستئناف • وكنا على ثقة من جهود المجلس اليهودى • وكان كل منا يتطلع إلى زيارة عائلته له • واقتادونا فى يوم الزيارة إلى مكان خارج السجن حيث نظمنا فى صف طويل ، وعلى بعد عدة ياردات ، وعلى وصيف مرتفع بعض الشيء كانت تقف عائلتنا يفصل بيننا حاجز من السلك • وكان مسموحا لكل منا بزائرين فقط ، ولذا ظلت بقية العائلات فى خارج السجن وسمح لروث بالدخول وهى تحمل يائيل ذات التسعة أشهر ، وهى ترتدى ثوبا جميلا • وقد بكت يائيل وهى تحاول الوصول إلى خلال القضبان • وكان كل ما حدث فى هذه الزيارة مدعاة للحسرة ، فقد مضت الدقائق العشر والكل يحاول اسماع صوته للآخرين من خلال الصياح ، وضاع الامر هباء • ومنذ اللحظات الاولى لهذه الدقائق العشر كنا نسمع الحراس العرب يطلقون صيحات (يالله •• يالله) ومعناها اسرع اسرع •

وبدأت محاكمتنا يوم ٢٥ أكتوبر (تشرين الاول) فى أحد المعسكرات بالقرب من عكا حيث كنا نجلس على أرائك خشبية ، وأمامنا هيئة المحكمة على منضدة طويلة ، وقوات الحراسة التى قبضت علينا على أرائك أخرى • ووضعت على الأرض الاسلحة التى ضبطت معنا ، كان الادعاء ممثلا بضابط بريطانى برتبة رائد ، وثلاثة قضاة من الضباط البريطانيين ، وكان هناك ثلاثة محامين من بينهم والد زوجتى ، وكانت التهمة الموجهة إلينا جميعا هى احراز سلاح بدون ترخيص ، فيما عدا

ابشالوم تاو الذى وجهت اليه نهمة أخرى هى تصويب سلاحه على القوة التى ألقت القبض علينا . وكان الادعاء قائما على حملنا سلاحا بدون ترخيص فى ظل قوانين الطوارئ . . وكان الدفاع قائما على أساس أننا مجموعة من الشباب يقومون بالتدريب على السلاح والاستعداد لمحاربة عدونا النازى واننا نجهل القوانين . واستمرت المحاكمة ثلاثة ايام وتحدد يوم ٣٠ أكتوبر (تشرين الاول) موعدا لصدور الحكم . وفى الساعة العاشرة من صباح هذا اليوم اقتادونا الى غرفة المحاكمة ، وصدر الحكم بأننا مذنبون وحكم على كل منا بعشر سنوات من السجن . . أما ابشالوم ناو فقد صدر عليه الحكم بالسجن المؤبد .

وهزتنا الصدمة . نحن الثلاثة والاربعة شخصا . بمجرد سماع الحكم ، وتغيرت أوضاعنا بعد وصولنا الى السجن ، فقد أصبحنا مساجين . . خلعنا ملابسنا وارتدينا ملابس السجن ، وحلقت شعورنا ، ووضعنا فى حجرات ضيقة لها سقف عال ونافذة مسدودة بالقضبان تطل على ساحة السجن ، وكان البرنامج اليومي فى السجن يبدأ مع اطلالة الفجر . حيث نستيقظ على صوت الجرس ، ثم نخرج فى طابور تحت الحراسة لمدة عشر دقائق ، ثم الافطار ، ثم نتوجه الى العمل . وفى الحادية عشرة نتناول أولى الوجبتين الرئيسيتين ، ثم طابور آخر ، ثم العمل حتى الدلثة من بعد الظهر حيث نتوجه لتناول الوجبة الاخيرة ، ثم نوضع فى زنازاتنا حتى صباح اليوم التالى .

وكان علينا أن ننظم أنفسنا . فاشجبنا لجنة من ثلاثة من بين الرجال الثلاثة والاربعة ، كنت واحدا منهم ، واوكلت الى مسئولية الاتصال بإدارة السجن وبالسلطات اليهودية خارج السجن ، أما الاثنان الآخران فقد كانت مسئوليتهم تنظيم الأنشطة والترتيبات داخل زنازات السجن التى تضم رجالنا . وتقدمت بعدة مطالب لأمور السجن وافق على بعضها ، وكان أهمها اختصار وقت العمل بالنسبة اليانا الى النصف لاستغلال النصف الآخر فى تحصيل العلم ، أما بقية المطالب فقد كانت السماح لنا باستعمال أدوات الكتابة واحضار الكتب من الخارج والسماح بالاضاءة فى زنازاتنا حتى الثامنة مساء . وبهذا أصبحنا قادرين على تعلم اللغة الانجليزية والعربية والكيمياء ، وكان مدرسوننا هم زملاؤنا الذين كانوا من قبل يدرسون هذه المواد . كذلك فقد قمنا بتطوير برنامج التدريب الخاص بالهأجانه . وكنا عندما تطفأ الانوار نجتمع حول المصباح (الكلوب) الذى سمح لنا باحضاره ، ونستمر فى الدراسة حتى تنطلق الصفارة الاخيرة الخاصة بإطفاء كل الاضواء .

واسـطعنا نهريـب ملابس داخـلية وبـطاطين وأغـذية وخطابات من
الـحارح ، فـقد كـان مـسموحاً لـنا بـكتابة الخطابات مـرة كـل شـهر فـقط و كانت
الزـيارة مـرة كـل شـهرين . كان القلق مـسيطرأ عـلى عائلـتنا ، لكنهم كانوا
بـلا حـول ولا قـوة . وكان القلق متبادلاً . هم قلقون علينا ونحن قلقون
لـقـلهم . كان هـذا هو نفس حال عائلتي ، وكنت أشعر بـتلك الحـالة من
حـلال حـطابـهم ومن ظـراب أعينهم عـندما يحضرون لزيارتي . وكنت أقول
لهم في حـطاباتي أن السـجن لبس نـهاية العـالم ، وما هو الا فـترة نقضيها
بـم بـخرج لنغسل ونبسـي الأمر . أما هم فكانوا يرون في السـجن مأساة
حـقيقـة يعينون عـلى أحـزانها . أما بالسـبـة لا بـوى فـقد كان السـجن هو
ذلـك الشئ ، الذـى فرأوا عـنه في كتابات ديسـوفسكى ، وما سمعـود مـمن
سـجنهم الا نـراك خـلال الحـرب العـالمية الأولى ، عـندما كانت فلسـطين جزأ
من الامبراطورية العـثمانية المتـحـالفة مع المانيا . أما من ناحيتي أنا فـقد
كـنت أنظر الى السـجن عـلى انه جـر من مـسـالما من أجـل بـناء اسـرائيل عـلى
الـرعـم من أن الافامـة في مـل هـذا المـكان ام بـكن شـئنا طـيباً . . لكنها كانت
عـلى الاقل أفضـل حـالا من سـيبيريا . لكنني كـنت أشـعر بالأسف لاننا دخلنا
السـجن لمـجرد سـوء الحظ . وليس لاننا فـمنا بـعملية من أجـل وطينا القومى
أما السـبب الذـى كان أبـضا مدعـاة لاسـفنا جـميعاً فهو اننا كنا مسـجونين
في الوقت الذـى تدور فيه الحـرب وكنا جـميعاً نـتـحرق شـوقاً الى أن يأخذ
كل منا مكانه فيها .

وفي نـهاية سـهر نوـفمبر (شـرين التـانى) تم التصديق عـلى الحـكم
مع تخفيض المدة المحكوم بها علينا من عـشر سنوات الى خـمس سنوات .
وقمنا بالاضـراب عـن الطـعام لمـدة يوم احتـجاجاً عـلى عـدم الافراج عـنا نهائياً .
ووزعت الهـجانـه منشـورات ضـد الحـكم مـطالبة بالافراج عـنا نهائياً . ثم
نقلنا بـعد شـهر الى زـنـانات أخرى ، وقسمونا الى أربع مـجموعات . ومن
حـسن الحظ أن المـكان الجـديد كان يـتميز بالاضـاءة القويـة في المـرات ،
الأمر الذـى ساعـدنا عـلى الـامتـذكار حـتى وقت متـأخر من اللـيل .

وفي أول زيارـة بـعد المـحاكمة ، طلبت زـوجتي روـث من الكابـتن
جـراـت قائـد الحـراس أن يـسمح لى بالاقـتراب من ابنتي يائيل الـتى كـافت
قـد احتفلت بـعيد ميلادها الأول ، ولكن الكابـتن جـراـت دـفعها ونـهرها .
وفـد خـلف ذلـك عـندى احـساسـا مـريـراً بالحـقد . كما ترك لـدى روـث شعـورا
بـالرعب والكـراهية . وكـتبت لروـث بـعد ذلـك أصـف لها مشـاعري تـجاه
جـراـت وكيف أنه يشـبع ميـوله السـادية بـرفض مـطالبنا ، وأخبرتـها أنه
لا يـمر يوم دون أن يـدخل السـجن مـزيد من الـيهود من بـينهم الكـثير من
مـنظمة ارجـون زفاى ليومى ، كما كان الكـثير من العرب أيضاً يدعـاون

السجن ، وان غنبر الاعداد كان يهزم أربعة مساجين ينظرون نهميد
الحكم ، وان العالم مليء بالرعب والفرع فى كل مكان . . فى بولندا . وفى
ألمانيا وروسيا وفى نهاية خطابى تمنيت لطفلتى حينما تكبر أن تعيش
حياة أفضل فى عالم مختلف عن هذا العالم .

وكنا نعمل فى مزرعة الخضروات . وكان حارسنا سمحا ومتعاهما
معنا ، فكنت نستخدم هذه المزرعة فى اخفاء علب المأكولات المحفوظة التى
كنا نقوم بتوريدها من الخارج . وذات يوم ألفت بغأسى على الارض باهمال
فانكشف موقع الكنز وظهرت نلاب علب من اللحم المحفوظ (البولوييف)
واستدعيت أمام جرائنت حيث كان نصيبى يومين فى الحبس الانفرادى .
ونظم زملائى مع أحد الجاويشية موضوع ارسال الطعام لى اذ كان طعام
المحبوس انفراديا ينكون من خبز وماء فقط . وكانت زنازاة الحبس
الانفرادى صغيره - مظلمة - وباردة . . وكل مساء كانوا يصرفون لى
بطانية خفيفة ووسادة . وفى الليل سمعت صوتا خافتا يغنى تلك
الاغنية المقدسة التى يغنيها يهود الجليل من أبناء مدينة صغيرة . .
وأدركت أن السجن اليهودى المجاور لى كان يرتل صلوات ليلة السبت .
ورددت حوائط السجن ابتهالات اليهودى الصندى الى السماء واعترائى
شعور غريب قضى على كل احساس آخر بالظلمة والبرودة والوحدة ، لقد
سبطن على وجدانى الاحساس بيوم السبت - السبت اليهودى .

وفى احدى الزيارات أبلغنا روف هوس ، وهو أحد رجال القسم
السياسى فى الوكالة اليهودية وأحد قادة الهاجاناه ، بأننا سننتقل الى
معتقل شمالى سجن عكا ، حيث الظروف أفضل بكثير وحيث السماح
بالزيارة أكثر . وقد رحبنا بهذا الانتقال والامل يحدونا فى أن يواصل
المجلس القومى اليهودى جهوده من أجل الافراج عنا .

وكان أخى زوريك وأختى أفيفا يتوليان رعاية المزرعة ، وانتقلت
روث ويائيل الى القدس حيث أقامت مع والد روث . وكان أبى يكتب
الينا كل أسبوع عرضا للمسرح السياسى علمنا منه أن شبح الحرب بدأ
يقتررب من البلاد ، وهو ما سمعناه من المساجين الجدد من أفراد الهاجاناه
المحبوسين بتهمة احراز سلاح بدون ترخيص .

وبات واضحا أن السلطات البريطانية مصممة على تحطيم الهاجاناه
على الرغم من علمها بأنها منظمة للدفاع عن اليهود . وكان من بين
المسجونين الذين جىء بهم حديثا أحد عشر شخصا من مستعمرة جينوسار
شمالى الجليل ، كانوا قد سارعوا الى نجدة بعض زملائهم الذين كانوا قد

نعرضوا في الحقول لهجوم مفاجيء من العرب ، وبعد انتهاء المعركة جاء وحيدة من قوات الامن البريطانية فوجدت المدافعين لا يزالون حاضرين اسلحتهم ، ولم تقبل أعتداهم ، وجيء بهم الى سجن عكا . ومن بين الذين جيء بهم أيضا أربعة وثلاثون شخصا من منظمة أرجون زفاى ليومى ، وهو الجناح اليميني الذى يعمل فى السر ، والتقيت بهم واتفقنا على التمثيل المشترك فى مواجهة سلطات السجن ، وحصلوا بالفعل على نفس الميزات التى كنا نتمتع بها .

وكان هناك أيضا مئات من العرب من منظمة القساميين وكانت العلاقات بيننا ودية وعلى أساس من الاحترام المتبادل ، اذ كان يجمع بيننا قاسم مشترك واحد وهو أننا لسنا مجرمين عاديين ، بل كان كل منا يدافع عن أفكاره القومية ويضمدجى بحريته وحياته من أجل شعبه . وكانوا يدعوننا فى أعيادهم الاسلامية وكنا ندعوهم الى أعيادنا اليهودية .

والتقيت خلال اقامتى بعيد السالم الذى كان يعزف فى حفل زفافي . وحضرت اعدام الكثيرين من العرب ، وكان الحزن والرعب يجثمان على السجن فى أعقاب أى عملية اعدام ، وكان هناك بعض الحراس من البريطانيين من بينهم من يحسن معاملتنا ، ومنهم من كانوا يعاملوننا بقسوة . وكان كاتبى جرائد هو أكثرهم وقاحة . لكنه كان يخشى على أية حال من أن يذهب معنأ بعيدا فى وقاحته اذ أنه كان يتوجس من أن يقوم القادة اليهود بتقديم شكوى ضده الى المفوض السامى البريطانى . . . كذلك فقد كان يخشى تنظيمنا ووجدتنا داخل السجن .

وفى شهر فبراير (شباط) ١٩٤٠ نقلنا الى معتقل المزرعة بعد خمسة شهور من وجودنا فى سجن عكا ، وبعد مفاوضات طويلة . ونقل معنا بقية المساجين من اليهود ، وهناك التقيت بكثير من العرب من المسجونين السياسيين . وكانت الظروف فى هذا المعتقل أفضل بكثير ، وكنا نعمل فى محطة الزراعة القريبة من المعتقل ، وكان مسموحا لنا بزيارات عائلية متعددة . وبرغم ذلك فقد بدأ صبرنا ينفذ ، وكنا نقضى أوقاتنا فى العمل والاستذكار ، لكننا كنا نشعر بأننا نحيا حياة فارغة . نعيش فيها عبر الماضى دون أن نساهم فى خلق المستقبل . وكنت نشغل أنفسنا بالقضايا التافهة كجودة الطعام وما الى ذلك . وبالطبع بدأنا ننتقد تقاعس السلطات اليهودية عن السعى للإفراج عنا . غير مدركين لاهمة العمل الذى يقوم به القادة اليهود فى حل مشاكل قيام الدولة .

والاسراع بتنفيذ الحلم الصهيوني في تحويل الوطن القومي اليهودي
الى افع تحت الانتداب البريطاني الى دولة يهودية مستقلة .

كانت زيارات العائلة متعددة ، وقد سمح لنا باللقاء في حجرة ،
واصبحتا نلتقي ونحن نشعر بأدميتنا ، وكثيرا ما كنا نستقبل خلسه
زيارات عديدة أثناء عملنا في الحقول . وكان روف هوس يحضر إلنا
كثيرا لحيطنا علما بما يحدث في الخارج .

واحتفلنا في الربيع بعيد الغفران لليهود ، فجاءت سيارة نقل محملة
بالاطعمة والنبيذ ، وحضر إلنا ابراهام هارزفلد الاب الروحي لحركة
المستعمرات حيث أقام شعائر الاحتفال بهذا العيد . وغنينا ورقصنا .
وكانت عائلتنا خلال أيام العيد السبعة تحضر إلنا باستمرار .

وجاءنا قائد الهاجاناه ليبلغنا بالخطة الجديدة لتأسيس قوة يهودية
جديدة تحارب مع الجيش البريطاني . وعلقتنا الآمال على أن يجعل هذا
باطلاق سراحنا ، اذ كان من الطبيعي أن يرحب الجيش البريطاني بالمزيد
من المتطوعين ، وكان الحلفاء يعانون من المتاعب في أوروبا ، وأخذ النازيون
يحتلون الدولة عقب الاخرى . وكنا نتوقع أن يتم الافراج عنا في ٦ يونيو
(حزيران) بمناسبة عيد ميلاد ملك إنجلترا ، لكن يوم ٦ يونيو (حزيران)
مر دون أن يحدث أى شيء . وكانت فرسا قد سقطت ، وانسحبت
القوات البريطانية الى إنجلترا ، ونم الاسعداد للحرب في فلسطين
وظللنا نحن في السجن .

رحل الخريف ، وكان معنى ذلك انقضاء عام ونحن مازلنا في
السجن . نمارس حياة لا معنى لها ، بينما تتساقط دول أوروبا الواحدة
بعد الاخرى في يد النازي ، واليهود يذبحون ، والحرب تدق أبواب
الملاذ . وعلى عكس احتفالنا بعيد الغفران ، فقد احتفلنا بعيد الشموع في
شهر ديسمبر (كانون الاول) والحزن يملأ نفوسنا . كنا نحتفل في
هذا العيد بالمكابين الذين حرروا القدس في القرن الثاني قبل الميلاد من
الوثنيين . وكنا قد احتفلنا بهذا العيد في العام السابق على أمل أن نوقد
الشموع في هذا العام في بيوتنا ، لكن الامل بدأ بعيدا . ومما زاد في
حزننا أن دوق هوس قتل في حادث سيارة أثر زيارة قام بها لنا . ولانه
كان أكثر المدافعين عنا وعن مصالحنا ، فقد خيم الحزن علينا جميعا

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٤١ بدأت الاشاعات والانباء تصل
إلنا عن تبدل موقف السلطات البريطانية من المجتمعات اليهودية في

فلسطين ، وعلمنا أن الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية قد نجحتا في جعل السلطات البريطانية توافق على انشاء قوة يهودية خاصة من يهود فلسطين تنضم للجيش البريطاني . ورحب بذلك أيضا القائد البريطاني لمنطقة الشرق الاوسط ووزير المستعمرات . وقررنا الاضراب عن الطعام ابتداء من أول مارس (آذار) . غير أننا أبلغنا في ١٩ فبراير (شباط) ١٩٤١ أنه قد تقرر الافراج عنا في صباح اليوم التالي . ولم تصدق لفرض فرحتنا . ولكننا في الصباح تسلمنا ملابسنا المدنية ، وفتحت البوابات . وخرجنا . . وأصبح السجن وراء ظهورنا .



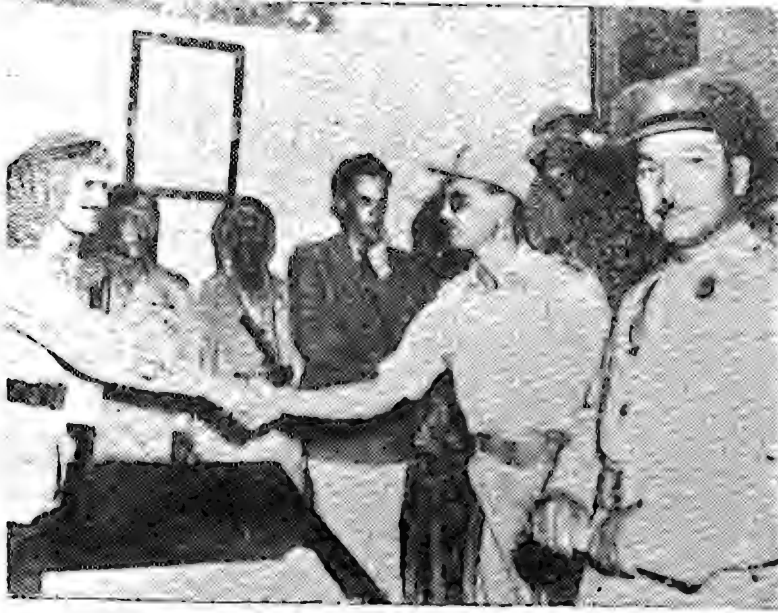
لقطات من حياته

من ملف الصور الذي عرض فيه موسى ديان لقطات مختلفة لمراحل حياته وتمثل صورة واقعية لحياة واحد من المواطنين الاسرائيليين والتفاعلات المتعددة التي مرت بهم المتحرش بالمواطنين الاصليين والاستيلاء على اراضي العرب ثم بدأت الميلول العدوانية بالهجوم علي الدول العربية المجاورة والاصرار على الاستيلاء على الاراضي المقتصبة تحت اسم امن اسرائيل وحماية حدودها .. وجاءت حرب اكتوبر ١٩٧٣ وقلبت هذه الاساطير الاسرائيلية المزعومة وانهزمت اسرائيل من الحدود الامنة في حين انتصرت بدون الحدود الامنة ..

والصورة العليا لعائلته قبل هجرتها من روسيا عام ١٩١٠ ، ويرى والده وجده وبعض الاقارب من الدرجة الاولى ..

اما الصورة الجانبية فهي موسى وهو في الخامسة من عمره مع والده ووالدته ..

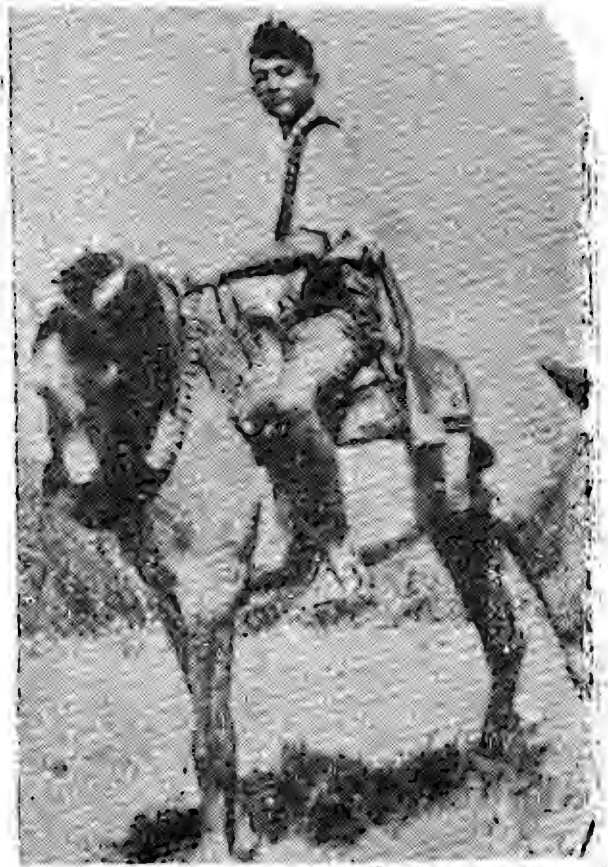




٥ صورة أوغلي ديان مع
عبد الله التل وذلك أثناء
قيامه برئاسة قطاع القدس .



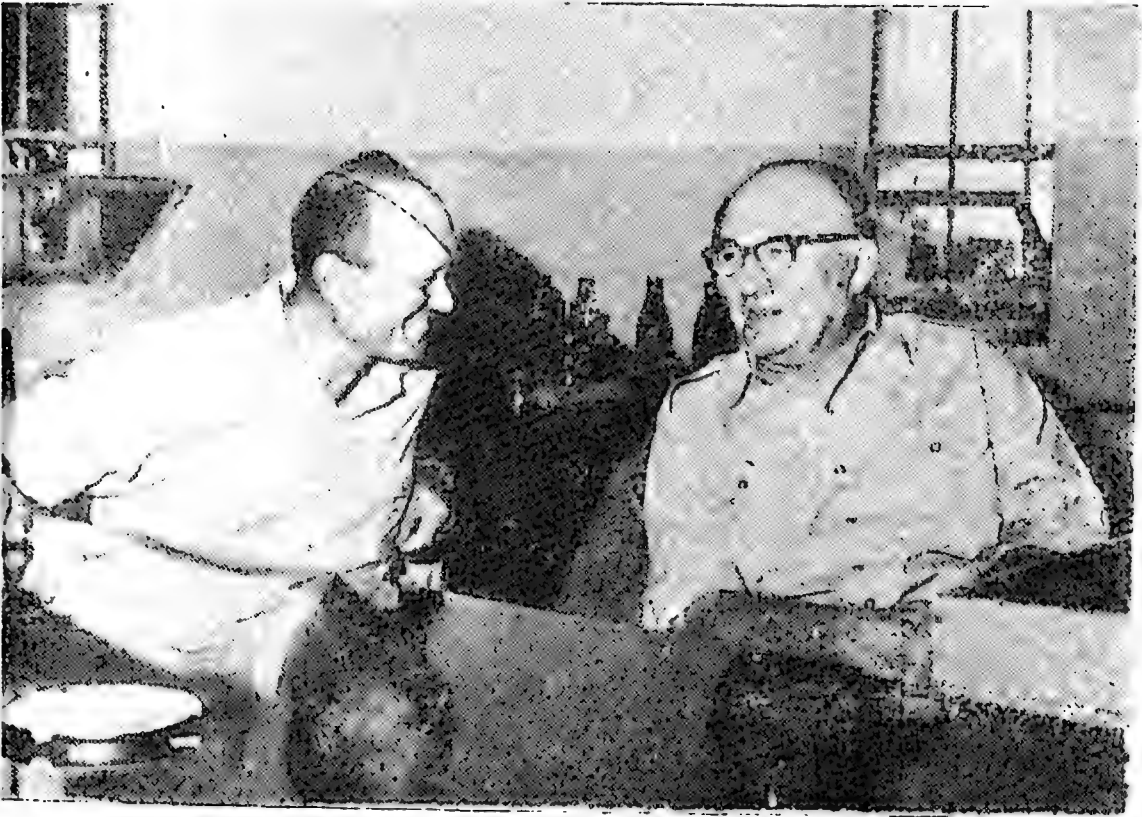
ثم اشتغل في الزراعة
وفي الصورة وهو يقود جرارا زراعييا .



بدأ في سن المراهقة التدريب على حرب العصابات
وركوب الجياد واستخدام السلاح .



صورة لوشي ديان في ادغال فيتنام يحارب
الوطنيين جنباً الى جنب مع الاستعمار
العالمى مما يؤكد ان هناك وحدة بين العنصرية
الصهيونية والاستعمار العالمى فكلاهما يهدف
الى مواجهة حركات التحرر ونصرة الشعوب
سواء اكانت تلك الحركات فى اسيا ام افريقيا
والصورة لوشي ديان عام ١٩٦٦ وهو يحارب
مع القوات الامريكية .



ديان وزير الدفاع في حديث مع رئيس الوزراء ليفي اسكول .. واسأل يراؤب القوات المصرية عند القتال ..





عام ١٩٢٧ التقى كتيبة اسرائيلية للقوات البريطانية



عام ١٩٢٩ في السجن بعد انضمامه للعصابات الارهابية .



● في المستشفى
جونيون في زيارته - وا
شارك الجنود للاعداد
الجيش المصري عام ١٩٥٦



● الصفحة التساء
حديث هاس مع بن م
ثم مع جولدمانير .





● لقد انتهت القصة بالحسرة والندم والوقوف أمام غضب الشعب ...

٤ عودتي ميدان القتال

بدأت أتمتع بحريتي بعد خروجي من السجن ، وتأكدت بالفعل من أن الحرية هي هواء الروح الذي يمنحها الحياة . كانت عكا تبعد قرابة عشرين ميلا عن مستعمرة ناحلال التي أستغرقت رحلته العودة إليها عاماً ونصف العام من حياتي ، من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٩ حتى فبراير (شباط) ١٩٤١ . وعندما عدت الى مزرعة والدي شرعت في العمل في مزرعة العجول والدواجن . وكنت عندما ينتهي الموسم ، أعمل كاجير في المزارع المجاورة . وكان أحب الاوقات لدى هو وقت الفراغ الذي كنت أقضيه في اللعب مع يائيل أحب من في الوجود بالنسبة لي . أما في الليل فقد كنت أؤدي واجبات الحراسة .

وكان الموقف في الحرب العالمية يميل لصالح النازي ، فبينما كان روميل يتقدم بجيوشه نحو الحدود المصرية ، كانت الجبهة الشمالية بالنسبة لنا ، وهي سوريا ولبنان ، تحت الاحتلال الفرنسي أي تحت سيطرة حكومة فيشي المتعاونة مع النازي . وفي ضوء هذا الموقف الخطير حددت الادارة البريطانية في فلسطين قبولها للعرض الذي تقدمت به الوكالة اليهودية لانشاء القوة اليهودية داخل الجيش البريطاني . . . وبدا توثق التعاون من جديد بين السلطات البريطانية والهاجاناه . وكانت

النتيجة أن استغلت الهاجاناه الفرصة وقامت بتوسيع قواتها ودعمها من أجل حماية اليهود من أى هجوم عربى . وتم تعيين اسحق ساديه - أحد قيادات الهاجاناه - قائدا لتلك الوحدة اليهودية الجديدة فى الجيش البريطانى . وعينت أنا ويغال ألون قادة مجموعات . . وكلفنا بواجب فورى هو جمع المتطوعين . وفى أوائل مايو (آيار) استدعانى اسحق ساديه أنا وزفى سيكتور . وأعطانا الاوامر الخاصة بتعبئة القوة اليهودية وتدريبها ، لكنه لم يوضح لى نوعية العمليات التى ستشارك فيها هذه القوة . وكان الامر الوحيد الواضح لى هو أن اقامنى مع عائلتى قد انتهت واننى سأبدأ العمل العسكرى من جديد . وعلمنا فيما بعد أن قواتنا سوف تشترك مع قوات الحلفاء فى غزو سوريا كخطة لحماية شمال البلاد . وكان متوقعا أن تكون هذه القوات دليلا لقوات الحلفاء نظرا لدرايتها بطبيعة الارض .

ولم تشارك وحدتى فى العملية الاولى التى كانت تستهدف نسف مستودعات البترول فى ميناء طرابلس لمنع امدادات الجيش النازى من البترول ، وخاصة طائراته التى كانت تستخدم احدى القواعد الشمالية السورية . وتم تشكيل قوة من ٢٣ متطوعا بقيادة زفى سيكتور ، أبحرت من ميناء حيفا فى منتصف ليلة ١٨ مايو (آيار) على متن اللنش أسد البحر ، مزودين بثلاثة قوارب مطاطية للانزال . وكان برققتهم فى نفس الوقت المقدم أنتونى بالمر . من فرع عمليات الجيش البريطانى . ولم يتحقق الهدف من العملية ، لان القوة لم تصل الى طرابلس ولم تعد مرة أخرى . ولم يزل ما حدث لافرادها أمرا غامضا حتى الآن . واستنتجنا أن يكون أمرهم قد انكشف بعد أن قامت الطائرات البريطانية بقصف طرابلس ، مما نبه العدو الى هذه القوة فأغرقها . وما زلت أذكر جلوسنا طويلا أمام البحر فوق سطح أعلى بنايات حيفا بالنظارات المكبرة نترقب عودة القوة والقلق الغامر يعترينا . وقد تأثرنا جميعا بما حدث لهذه القوة ، خاصة وانها كانت أول عملية تشارك فيها القوة اليهودية .

وكننت أنا بالذات أكثر تأثرا ، اذ أننى كنت قد التقيت مع زفى قبل قيامه بهذه العملية ، وعلمت منه أن ساقه قد أصيبت فى حادث سيارة الامر الذى قد يعجل بغرقه فيما لو حدث للقارب أى سوء . وكانت الهواجس تراوده حول احتمال فشل العملية ، خاصة وانه تولى قيادة العملية بعد أن اعتذر القائد الذى كان معينا لها .

واستدعيت بعد ذلك بعدة أيام من قبل قائد القوات ، وتسلمت تعليمات بخصوص وحدتى التى ما زالت قيد التكوين . وكانت التعليمات

الأولية تقضى بأن تكون وحدتى جزءا من القوة الاسترالية التى ستكون مقدمة لغزو الحلفاء لـسوريا . وكانت مهمتنا على القيام بدوريات استطلاعية لاكتشاف تحصينات العدو ومدى امكانية استخدام السيارات فى العبور الى الجبهة الشمالية وخاصة بعد أن قامت حكومة فيشى بقطع خطوط المواصلات وتدمير الطرق . وستكون مهمتنا فى ليلة الغزو عبور الحدود واحتلال نقاط المراقبة والجسور والطرق المؤدية الى بيروت . وكان على أن أعثر خلال فترة وجيزة على رجال مدربين أكفاء لهذه العملية . وكان ساديه قد أعطانى أسماء ثلاثين رجلا من المستعمرات يصلحون لهذه المهمة ، ومعظمهم ممن يقيمون فى المستعمرات المجاورة ، ولذا فقد تحتم على أن أمر على هذه المستعمرات جميعا لتجنيدهم ، كما تعين على أيضا أن أخطر مستعمرة هانينا التى تقع على الحدود بأمر هذه المهمة للتأهب واعداد قاعدة لهؤلاء الرجال ، وفى الليلة التالية ، كان الثلاثون رجلا موجودين فى القاعدة وكلهم من الشباب غير المدربين على الاسلحة ولم يكن بينهم من يتكلم اللغة العربية سوى واحد ، كما لم يكن بينهم سوى واحد يعرف قيادة السيارات فى حين كان واجبنا الاول هو اكتشاف طرق مهيطة لعبور السيارات .

كانت أهمية نجاحنا فى العملية ضرورة ملحة من أجل زيادة الوجود اليهودى مع الحلفاء فى محاربة هتلر . وكانت السلطات البريطانية ترى فى بداية الامر أن تخفف من قبول المتطوعين اليهود فى مختلف الوحدات خوفا من أن يتجه العرب الى التعاون مع النازى . ولم تشكل القوات اليهودية الخاصة الا فى عام ١٩٤٤ عندما تم تشكيل اللواء اليهودى وكانت السلطات البريطانية تولى أهمية خاصة للقيمة التى يسفر عنها اشتراكنا ، وكنا نحن أيضا نعلق الآمال فى أن يعطينا نجاحنا فى هذه العملية الفرصة للاشتراك فى عمليات أكبر ، ویمنحننا الحق فى أن نزيد قواتنا وأن نحصل على أسلحة كثيرة . ورغم أننا كنا ثلاثين رجلا فان السلطات البريطانية لم تصدر لنا سوى عشرة تصاريح وصرفت لنا تسعة مسدسات فقط مع طلقات من قياس مختلف عن الاسلحة .

وتغلبنا على مشكلة التسليح بالاستعانة بترسانة الهاجاناه ، وقهرنا مشكلة التدريب بالاستعانة بأثنين من ضباط الهاجاناه قاما بتنظيم برنامج للتدريب العنيف والسريع . وبقيت عدة مشاكل ، من بينها أن أحدا منا لم يكن يعرف الارض السورية التى كان من المفروض أن تكون وحدتنا هى المقدمة التى ترشد قوات الغزو اليها ، هذا بالإضافة الى أننا لم نكن مزودين بخرائط تفصيلية . وجاء لانقاذنا من هذه المشاكل يوسف فاين (والد موردخاي هود قائد الطيران الاسرائيلى فيما بعد) ، وكان يقيم

لفترة طويلة في المنطقة السورية المتاخمة للحدود ويعرف بدقة كل دروبها وله أصدقاء كثيرون من العرب . وتمكنا بواسطة يوسف من تجنيد اثنين من العرب لقيادة وحدتنا الاستطلاعية حتى الحدود . وقسمت رجالى الى مجموعتين قادهما يوسف .

كانت عمليات الاستطلاع تتم ليلا ، اذ تبدأ الدوريات منذ الغروب ونعود قبل الفجر . وكانت الدوريات ترتدى الملابس العربية . وقررت أن أنزل احدى عمليات الاستطلاع بنفسى ، وصاحبى فى هذه الرحلة دليل شركسى ، وخوفا من أن يضلبنى هذا الدليل فقد تم احتجاز عائلته فى أحد فنادق حيفا ، وعرف الشركسى أنه فى حالة حدوث أى شىء لى فإن ذلك يعنى أن عائلته قد انتهت . وحاولنا خلال هذه الدورية أن نتجنب مقابلة أى شخص ، غير أننا صادفنا بعض المهربين الذين حاولوا خداعنا ، كما حاولنا نحن خداعهم ، وتبادلنا التحية بالعربية ، وافترق كل منا فى سبيله . وكان الليل باردا ، غير أن السير فى ممرات الجبال كان لطيفا . وفد عرفت كل الطرق الصالحة للسيارات وكل الممرات ، وعدنا فى الصباح الى هانيتا . واستمرت داوريائنا الاستطلاعية لمدة أسبوع ، واكتشفنا عدة ممرات تصلح لسير العربات وطرقا للاخلاء .

وتحددت ليلة الغزو فى ليل السبت ٧ يونيو (حزيران) . وكان على أن أتوجه الى القيادة فى حيفا لآخذ التعليمات الاخيرة . ولكنى توجهت قبل ذلك الى ناحلال لاصطحاب روث التى فضلت أن تنتظر عودتى من العملية فى هانيتا . واصطحبت معى كذلك زلمان مارت ، وهو أحد رجال الهاجاناه المدربين ، بعد أن وافق على مرافقتى فى هذه العملية . وأثناء عودتى الى نهاريا استوقفنى أحد رجال الهاجاناه ومعه أحد القادة البريطانيين عند ناحلال ، وأبلغانى أن هناك تعليمات جديدة خاصة بالغزو حيث اكتشف البريطانيون طرقا جديدة لسير السيارات غير تلك التى استكشفناها ، وان الامر يحتاج الى استكشاف ليلي لهذه الطرق بواسطة . وبركت روث فى نهاريا وعدت أنا ومارت الى حيفا حيث عثرت بعد بحث على اسحق الدرزى ، وهو من أحسن المرشدين ، وذلك لكى يصحبنا فى دورية سريعة ، وانجھنا نحو الحدود . وهناك التقينا بسائق احدى سيارات الخبز فطلبنا اليه أن يبقى فى انتظارنا ، فاذا لم نعد حتى الصباح فإن عليه أن يذهب الى هانيتا ويخبر رجالى بأن يقوموا بالعمل بدونى وينموا المهمة . وعندما حل الظلام تسلمت أنا ومارت واسحق الدرزى عبر الحدود ، واستطعنا فى الساعات التالية أن نغطى المنطقة بأكملها واكتشاف كل شىء فيها ، كما اكتشفنا نقاط مراقبة العدو وحالة الاستعداد فى قواعد المنطقة ، وعدنا مرة أخرى قبل الفجر .

وانصلب فوراً بقيادة الهاجاناه فى حيفا لتقديم تقريرى ، واستمع لى
اسحق ساديه بهدوء واهتمام ، وأبلغنى أن اليوم هو السبت ٧ يونيو
(حزيران) وأن ساعة الصفر فى الليل . وكان واضحاً بجلاء أن الوقت
متأخر للغاية لتغيير خطة الغزو . وكان يشك فى امكانية العنور على أى
ضابط مسئول فى قيادة الحلفاء لإبلاغه بهذا التغيير . وكان من الصعب
تغيير التعليمات الصادرة لمخلف الوحدات التى سنشارك فى الغزو إذ
أن كل الترتيبات قد اتخذت . وأبلغنى أن أفعل ما أراه ملائماً بالتنسيق
مع قائد القوة الاسترالية التى تعمل معنا . ووصل الاستراليون الى
حيفا ، وجلست بعد ظهر يوم السبت مع اثنين من الضباط لمراجعة الخطة
الخاصة باحتلال جسر الاسكندرونه واحتلال الطريق الرئيسى والمحافظة
عليهما لحين وصول قوات الغزو .

وخصصنا لهذه المهمة فصيلة تتكون من خمسة من رجالنا ، وعشرة
من الاستراليين ، من بينهم ثلاثة ضباط ، ورشيد طاهر المرشد العربى ،
وكنا مسلحين ببنادق ومسدسات ورشاشات . وحضر الينا يعقوب دورى .
وهو أحد قادة الهاجاناه الرئيسيين (الذى أصبح فيما بعد أول رئيس
للاركان فى اسرائيل) وكان بصحبته اسحق ساديه ، حيث شاركنا
وليمة العشاء قبل بدء العملية . وبدأ تحركنا فى الساعة التاسعة والنصف
مساءً . كانت روحنا المعنوية عالية للغاية لاننا بدأنا عملية كنا نرتب لها
طوال الفترة الاخيرة ، وسوف يترتب على نجاحها مدى اشتراكنا فى
المستقبل فى عمليات مشتركة مع البريطانيين . وكان البدر كاملاً مما
سهل مهمتنا فى اكتشاف الارض التى نتحرك عليها ، لكنه كان فى الوقت
نفسه عاملاً على اكتشافنا بسهولة . وبعد تسلىق شاق استمر أربعة
ساعات وصلنا فوق هدفنا مباشرة . وأخذنا فترة راحة تناولنا فيها
بعض الشوكولاته . وراقبنا الجسر بالنظارات المكبرة . لم تكن عليه أية
اضاءة فلم نتح لنا الفرصة لمشاهدة التفاصيل . ولم نستطع رؤية نقط
المراقبة الفرنسية . لكنه كان علينا أن نستنتج مواقعها . وانقسمنا
الى مجموعتين ، وتوجهت فى المقدمة أنا ورشيد والضابط الاسترالى الى
الجزء الشمالى فوجدناه بدون حراسة .

وكانت المفاجأة أننا بعد كل تلك الدورات التى استمرت اسبوعاً ،
وكل هذا التسلىق الشاق ، وجدنا أن مهمتنا تتم بسهولة متناهية دون أن
نطلق طلقة واحدة . إذ لم يكن علينا الا أن نحافظ على الجسر والطريق
الى أن تصل قوات الغزو التى كان مقرراً أن تصل بعد ساعتين ، أى فى
الرابعة صباحاً ، ولذا فقد انتحيت جانباً من الطريق ورحت فى النوم .
واستيقظت فى الصباح ، وكانت الشمس قد بزغت ، على أصوات اطلاق

النار وهي تأتي من بعيد .. وكان المنظر حولي يضم قوات الغزو وقد بدت على مرمى البصر . غير أن موقعنا نحن كان صعبا .. إذ كان من السهل مهاجمتنا من أي تل مرتفع . وأبلغني رشيد أن هناك نقطة بوليس على بعد ميل ، ففكرت في إمكانية احتلالها قبل أن نتعرض للهجوم .. وعرضت الفكرة على الاستراليين فوافقوا .. وتوجهنا إلى النقطة لاحتلالها . ولم نجد عند وصولنا قرب المبنى رجال شرطة بل وجدنا قوات فرنسية عسكرية ، فاحتمينا بأحد مزارع الرتقال المجاورة ، ولكن الفرنسيين اكتشفوا أمرنا وأخذوا في إطلاق النار علينا . وحضرت مجموعات فرنسية أخرى على صوت إطلاق النار ، وانضمت لهذه المجموعة . وبنين من خلال هذه المعركة أن رشيد ، المرشد العربي ، مقاتل من الدرجة الأولى ، قتل كل من حاول التسلل إلى موقعنا محتميا بالاشجار . ووجدنا ساترا للحماية هو السور المحيط بالمزرعة ، فاحتمينا به وظلمنا نطلق النار . وفجأة تغير الموقف بعد أن أطلق علينا أحد الرجال مدعنا رشاشا سريع الطلقات وحاصرنا وراء الساتر الذي نحتسى به وبدأت ذخيرتنا في النفاد . وطلبت من المجموعة تغطية خروجي أنا ومارت لمهاجمة النقطة .. وأخذت أقترب ثم ألقيت قنبلة يدوية لكنها انفجرت خارج المبنى . وتسبب الانفجار في إيقاف عملية إطلاق النار عدة لحظات سمحت لبقية المجموعة بالخروج من خلف الساتر ومهاجمة النقطة وألقيت القنبلة الباقية معي ، فدخلت من النافذة وانفجرت في الداخل . واقتحمنا النقطة وأتممنا احتلالها واستسلم الفرنسيون .. ولم يكن مدفعهم الرشاش قد دمر فسارعنا بإحضاره إلى سطح النقطة .. وكان من حسن حظنا أن فعلنا ذلك إذ سرعان ما هاجمتنا قوة فرنسية . وكنا قد استولينا على بقية الأسلحة الفرنسية ، ووضعنا الأسرى في الطابق الأسفل ، وكانت كمية الأسلحة التي غنمناها جيدة للغاية . وقد أفادنا احتلال نقطة البوليس التي كانت تستخدم كمقر للقيادة . وعلمنا أن القوات الفرنسية الرئيسية قد انتقلت إلى الحدود لمقاومة قوات الغزو وأن الطرق الرئيسية قد وضعت عليها عوائق لمنع الغزو ونصبت بالقرب منها كمائن لتغطيتها . وكنا نتوقع هجوما من الفرنسيين خاصة إذا لم تكن قوات الغزو قد تمكنت بعد من عبور الحدود ، ولذا فقد كان علينا أن نحاول الاتصال بها . وأخذ مارت دواجة نارية كانت موجودة خارج النقطة ، واتجه ناحية الحدود آملا أن يمر وسط العوائق التي وضعها الفرنسيون في الطريق . ولكن النار أطلقت على العجلات فاضطر إلى العودة ثانية ، وكان سعيد الحظ في أن تمكن من العودة حيا . ولم يكن أماننا إلا أن ننظم أنفسنا للدفاع لحين وصول قوات الحلفاء وأخذت موقعي خلف المدفع الرشاش الموضوع فوق السطح . وجاءت

دوة فرنسية أحاطت بالمبنى فأخذت في إطلاق النار عليها . . . وأمسكت بالمنظار الكبير كي أرى الموقف من حولى . وما أن تمكنت من تحديد الرؤية ، وعلى حين فجأة أطلقت على رصاصـة من بندقيـة . ودخنت الرصاصـة الى المنظار حيث حطمت احدى زجاجاته وفجرت الغلاف المعدنى الذى استقر فى قاع عيني اليسرى كما أصبت فى يدي وفقدت النوعى للحظات . وفى الحال صعد مارت الى السطح حيث ضمه عيني ويدي ولف وجهي بكوفية ، وانزلت الى الدور الارضى . ورقدت أفكر فى كيفية توصيل تقرير عما يحدث الآن وأعترف الآن بأن الامر احتاج منى قدر! كبيرا من التركيز . واستطعت أن أتبين تطورات المعركة بأذنى ومن واقع طلقات الرصاص التى أسمعها ومن التقارير التى كن مارت يوافيني بها باستمرار ، ولم يكن قد سقط منا قتلى ، وكنت أشعر وكأن مطارق هائلة تدق فوق رأسى باستمرار . وخوفاً من أن أفقد كمبة كبيرة من الدم فقد اقترح أحد الضباط الاسنراليين تسليمي الى الفرنسيين كي أحظى بالعلاج السريع قبل فوات الاوان ، ولكنى رفضت . وكان سير القتال جيداً لصالحنا ، اذ كان المدفع الرشاش يغطى الساحة الكبيرة فى حين كان مدفع المورتار يغطى الطريق الرئيسى . واستنطعنا الاستيلاء على عدة سيارات نقل فرنسية بمعداتها ، كانت جزءاً من قافلة قادمة من بيروت لمقاومة قوات الغزو . ومع أننا كنا محاصرين ولا سبيل أمامنا للهرب ، لكننا فى الوقت نفسه كنا مزودين بأسلحة كافية ، وجدران عالية محصنة ، ومقاتلين شجعان استطاعوا أن يجعلونا بعيدين عن منال الاعداء .

ووصلتنا مقدمة الغزو المشككة من القوات الاسترالية بعد عدة ساعات . ووضعت أنا واثنتين من الجنود الاستراليين الجرحى فى سيارة نقل فرنسية من تلك التى استولينا عليها ، ونقلنا الى الجنوب . وأخيراً ، وبعد رحلة شاقة ، وصلنا الى روش هانيكرا حيث كانت كتيبة الخدمات الطبية . وأمر الطبيب البريطانى الذى شاهدنى بسرعة نقلى الى المستشفى . وكان رشيد ومارت يرافقانى **خلال تلك الرحلة** . ونقلت الى حيفا بسيارة اسعاف حيث وصلنا قبل الليل بقليل ، أى بعد اثنى عشرة ساعة من اصابتى . وقد كللت مهمتنا بالنجاح حيث لم تدمر القوات الفرنسية الجسر وتم استخدامه فى الغزو . . . صحيح أنهم دمروا طريقاً آخر لكنه لم يكن داخلاً فى نطاق مهمتنا . وفى غرفة العمليات فى مستشفى حيفا قام الجراح بفحصى وأبدى اعجابه بمارت لانه انتزع شظايا الزجاج من قاع العين الامر الذى أوقف نزيف الدم . وعندما سألت الجراح عن الحالة قال لى أن هناك حقيقتين الاولى أنك فقدت عينك والثانية أنك ستعيش . . . أما الامر غير الواضح حتى الآن فهو حالة رأسك التى ترقد فيها كل هذه القطع من الزجاج والمعدن .

٥ الشفاء

كنت أظن في بداية الامر أنني سوف أعود الى ميدان القتال بسرعة . . . بيد أن الامر أصبح معقداً . اذ نقلت الى القدس حيث أقمت مع أبوى زوجتى روث ، وكنت أتوجه كل يوم الى العيادة الخارجية للمستشفى لاستمرار العلاج . وكنت أعانى من أعراض جانبية مثل الصداع وآلام الجروح فى يدي ورأسى ، وعدم تعودى على استخدام عين واحدة فكانت الحروف تهتز أثناء القراءة ، وكلما صببت لنفسى كأساً من الماء كنت أخطئ الكوب وأسكب الماء على غطاء المائدة . وكان من الصعب التعود على الظلام وكدت أياس من استرداد لياقتى الحربية . كما كنت دائم التفكير فى مستقبلى ومستقبل عائلتى ، خاصة وأن زوجتى كانت على وشك أن تضع الابن الثانى ايهود .

وكان من حسن الحظ أن ريوفين شيلواه - وهو أحد أعضاء الدائره السياسية فى الوكالة اليهودية وهى الجهاز الاعلى لرعاية شئون اليهود فى فلسطين - كان مقيماً فى نفس المنزل . وذات يوم عرض على العمل معه فى القسم ، وقبلت على الفور اذ كان لى فى ذلك حل لمشكلة تكاليف المعيشة من ناحية ، كما أنه يدخلنى من ناحية أخرى الى ميدان السياسة ، وهو مجال جديد بالنسبة لى ، وكنت قد بدأت أعتاد على حالتى الجديدة

نفسيا وجسديا . وأصبحت أقرأ بسهولة وأميز المسافات بعين واحدة وأقود سيارة وأسير فى الظلام . . كنت أتعثر أحيانا لكنى تعودت المحافظة على نوازنى .

وكان من بين المهام الموكولة الى هذه الدائرة أن تعمل فى خدمة قوات الحلفاء ، فقد أصبح التهديد بالغزو النازى حقيقة ، وخاصة بعد تقدم جيوش روميل والانتصارات التى حققها فى الصحراء الغربية ، وكانت المهام المناطة بنا هى الحصول على المعلومات اللازمة للحلفاء فى حالة الغزو الالمانى لفلسطين ، وكان التعاون وثيقا - فى نفس الوقت - بين جهاز المخابرات البريطانية فى الشرق الاوسط والوكالة اليهودية والإهجاناه . واتصل البريطانيون بشيولوا وطلبوا منا العمل معهم للحصول على معلومات تتعلق بالنشاط العسكرى للاعداء وارسالها الى القيادة البريطانية بالراديو . وأعطينى فكرة بشأن طريقة الاتصال ، وقدموا لنا بعض الوسائل الحديثة للاتصالات وفى أغسطس (آب) ١٩٤١ وضعت خطة هدفها إنشاء مراكز اتصالات فى القدس وتل أبيب ومستعمرة ماعوز-حاييم فى جنوب وادى الاردن ، يدير كلا منها قائد ويعمل فيها فرد للاتصالات اللاسلكية ، مع مجموعة المخابرات ، ووافق البريطانيون على الخطة .

ونظمت دورة تدريبية للاتصالات بالراديو لعشرين رجلا . وكان على رأس المجموعة واحد من رجالنا يدعى ريهوبوام أمير الذى تم اسقاطه فيما بعد وراء خطوط الاعداء فى أوروبا . وكنت أتنقل فيما بين المراكز لتحديد مواقع العمل والمخابىء السرية ، وتكفلت السلطات البريطانية بدفع التكاليف المادية . وأصبحت أتقاضى راتبى من المخابرات البريطانية ، وقدره خمسة وعشرون جنيها بالإضافة الى ثلاثة جنيهات ايجارا للمنزل فى القدس كان يستخدم كمركز لتبادل المعلومات .

كان الاسم الرسمى لنا هو العنصر الفلسطينى ، لكنها كانت معروفة باسم مجموعة موسى ديان . وعلى الرغم من أننا كنا نعمل تحت سيطرة البريطانيين مباشرة ، فإن صلتنا بالهجاناه ظلت مستمرة . وكان كل أفراد المجموعة من أعضاء الهجاناه ، وكان من بين الضباط البريطانيين المسئولين عنا منهم الكولونيل ريد من قيادة المخابرات البريطانية للشرق الاوسط ، وضابط آخر يدعى هوبر أبلغنى أنه ولد فى مصر حيث كان والده يعمل رئيسا للبوليس . . وكان يتحدث اللغة العربية بطلاقة . وكنت دائم التنقل من مكان لآخر أعقد الاجتماعات وأقوم بالتفتيش . وكانت هوايتى المفضلة هى التجول فى القدس القديمة ، حيث كنت أسير على طول قمة السور القديم المحيط بها ، وكان كل ما فيها يسحرنى سواء

حوادثها القديمة أو أسواقها أو الاماكن المقدسة فيها ، أما القدس الغربية .
بمبانيها الحديثة فقد كانت غريبة على نفسى .

**وطرحت فكرة تكوين مجموعة من اليهود العرب واليهود الالمان
للعمل معنا ، فى حالة وقوع الغزو والاحتلال ولاقت الفكرة قبولا وأرسلت .
الىنا المخابرات البريطانية واحدا من رجالها لاختيار أفراد هذه المجموعة
وتدريبهم ، وكان هو الرجل الذى قاد طائفة لورانس خلال الحرب العالمية .
الاولى .**

وقمنا بتنفيذ مهام كثيرة ولكن خلف خطوط الاعداء فى أوروبا ، قام .
بإداء أولها أربعة من رجالى منهم ريهوبوام أمير ، وبيريز روزنبرج الذى
أسقط فى يوغوسلافيا فى مايو (آيار) ١٩٤٣ ، حيث قام بإجراء
الاتصالات اللاسلكية للبعثة البريطانية لدى تيتو .

وتم إرسال مجموعة من البالماخ - أنشط فروع الهاجاناه - للتدريب .
فى القاهرة . وكانت هناك مهمتان للعناصر التى يتم إسقاطها خلف
خطوط الاعداء ، الاولى مساعدة رجال المقاومة والثانية مساعدة اليهود على
الفراخ من حكم النازى . وقد نجح الكثيرون من هؤلاء المتطوعين فى
مهامهم ، بينما ألقى القبض على بعضهم . كما حدث بالنسبة لحانا زينيس .
الذى ألقى القبض عليها أثناء محاولاتها لعبور الحدود اليوغوسلافية الى
المجر لتقديم العون الى المجتمعات اليهودية هناك ، وانزوى سيرينى الذى .
أعدم فى معسكر داخار فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٤٤ . ومن سخرية
القدر أن هؤلاء المظليين الذين نجوا من العرب ، لقوا مصرعهم فى عام
١٩٥٤ عندما كانوا يحضرون حفلا لحياء ذكرى زملائهم ، اذ سقطت عليهم
طائرة كانت تحمل رسالة من الرئيس فى هذه الذكرى . وكان أحد أبناء .
سيرينى من بين القتلى .

ومع ابتعاد شبح الغزو الالمانى للشرق الاوسط ، انتهى عمل العنصر
الفلسطينى ، وعدت الى ناحل مرة أخرى . وسمعت ، قبل عودتى الى
الشمال ، أن هناك قافلة سيارات بريطانية سوف تسافر الى بغداد لى
ننقل فرقة هندية وتعود بالفرقة الانجليزية الموجودة هناك . وقمت
بالاتصال بأحد السائقين فوافق على أن يأخذنى معه كزميل . وعندما علم
قادتى فى الهاجاناه بأمر هذا الاتفاق طلبوا منى توصيل ثلاثة طرود من
الاسلحة الصغيرة الى تنظيم الهاجاناه فى بغداد .

كانت القوة البريطانية معسكرة في العراق بعد أن قضت على نظام
رئيسه على ، الذي كان مناهضا لبريطانيا ومؤيدا للنازي . وكان العرب
حلال عهد رئيسه على فدهاجموا حي اليهود في بغداد وقتلوا أربع مائة
يهودي ، ولنا أنشيء للهاجانه فرع هناك ، أنيطت به مهمتان أولاهما
تنظيم الدفاع عن اليهود ضد أية هجمات واتخاذ الاجراءات اللازمة لتهديب
اليهود العراقيين سرا الى فلسطين . وعندما وصلنا الى أحد المعسكرات
البريطانية التي تبعد عشرين ميلا خارج بغداد ، صدرت اليها التعليمات
بعدم دخول بغداد خوفا على حياتنا . لكنني استطعت دخولها خلسة بعد
أن هربت من المعسكر قبل الفجر بقليل حافي القدمين مرتديا سروالي
وملابسي الداخلية . . . ووصلت الى العاصمة بعد أن اندسست وسط
قافلة حمير متوجهة الى أسواق بغداد وتظاهرت بأنني واحد من الرعاة .
ولم يعطن الى أمرى أحد في نقطة التفتيش عند الجسر .

وكانت متسكني هي الانصال بمندوب الهاجانه انزو سيريني .
الذي يقيم في فندق أمية . ووافق البواب ، بعد أن منحته بقشيشا ، على
أن نجرى اتصالا به في حجرته - ونزل الى في الشارع - وعن طريق
المزيد من البقشيشين سمح لي بالصعود معه . وبعد أن أبدلت ملابسي
اتفقنا على أن نזור الحي اليهودي في المساء وأخذ انزو يشرح لي معالم
بغداد وآثارها ، ولم أكن آثذ - للأسف - مهتما بالآثار . وقد أصابتنى
بغداد بصدمة بالغة ، صحيح أنني لم أكن أتوقع أن أشاهد فيها ملامح
هارون الرشيد ، لكنني لم أجد على الأقل أسواقا تشبه أسواق
دمشق ، وإنما وجدت جوا ومبان كئيبة .

وفي الحي اليهودي التقيت بالاعضاء النشطين في
الهاجانه والراغبين في الهجرة الى فلسطين الذين طلبوا مني
تهديب شايبين بولنديين كانا قد وصلا الى بغداد ، ووافقت .
وعدت في الليل الى المعسكر ، ثم التقينا عند الفجر فسلمتهم
الاسلحة واستلمت الشايبين وألبستهما الملابس العسكرية
البريطانية .

وبعد عودتي الى ناحال ، قضيت العامين التاليين مع عائلتي في كوخ
بمزرعة والدي . وكنا نتحرق شوقا الى انشاء مزرعة خاصة بنا .
وأصبحت أعتقد ، أن مستقبلي قد يكون للمرة الثانية كواحد من أعضاء
مستعمرة ناحال التعاونية . وماكدنا ننتهي من المفاوضات الخاصة بانشاء
المزرعة ، حتى جاءني الياهو جولومب أحد قادة الهاجانه وطلب مني
الذهاب الى تل أبيب للتفاوض حول تعييني ضابطا في الهاجانه ووافقت

يعد هناك داع للتعاون معهم بعد انتهاء الحرب • وخلال أحد الاجتماعات الداخلية للوفد أدليت بوجهة نظري المؤيدة لرأى بن جوريون وخاصة ما يتعلق منها بوجهة نظري ، وكنت فى غاية السعادة لتأييد الهجرة والاستيطان ، وكم سعدت بتأييد بن جوريون لى •

وعقب انتهاء المؤتمر توجهنا الى باريس لكي أعرض نفسى على أحد الجراحين لعمل عين صناعية لى بدلا من العصابة السوداء على عيني •

واعتزم الطبيب أن يزرع عظمة فى عيني يمكنها أن تحمل عينا صناعية • ولقد كنت على استعداد تام لأن أفعل أى شيء وأن أتحمّل أى ألم فى سبيل أن أتخلص من هذه العصابة السوداء التى كانت تلفت الانظار الى حيثما توجهت حيث كانت الناس دائما تشير الى وتبادل الهمسات • وكم كنت أتمنى لو استطعت أن أسير فى الشوارع او اجلس على مقهى أو أدخل الى دار للسـمـيـنـما دون أن أثير أى اهتمام خاص •

لكن العملية فشلت ، اذ رفض جسمى قبول العظمة المزروعة ومكثت شهرا فى المستشفى وكانت روث وشقيقتها تتناوبان السهر على • وعندما نفذت نقودنا عدنا الى ناحلال •

كان الانتداب البريطانى على وشك الانتهاء ، وكنا نعد عدتنا من أجل مقاومة أى هجوم عربى من الدول المجاورة ، وقبيل انتهاء الانتداب استدعانى يعقوب دورى الذى عينه بن جوريون قائدا للهاجانات ، وهكذا وجدت نفسى فى الخدمة العسكرية مرة ثانية • • لكنى عملت فى هذه المرة فى المخابرات لمقاومة العرب • وعندما أعلنت الامم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٤٧ قيام دولة اسرائيل ، كانت الدنيا ليلا • فأيقظت أولادى من سريرهم وتوجهنا الى قاعدة ناحال لنشترك مع بقية الاهالى فى الرقص • وعندما أعلن القرار ، الذى ساهم فيه بن جوريون بقسط وافر ، شعرت باحساس عميق أننى يهودى بل بأننى لم أكن يهوديا كما أنا الآن • وسرى فى عظامى الاحساس بنصر اليهودية التى تغلبت عبر ألفى عام على القيود والاضطهاد والمذابح الى أن حققت حلمها القديم فى العودة الى صهيون مستقلة •

لكننا كنا جميعا نشعر ، برغم فرحتنا ، بأننا لن نحصل على الحل الا فى ساحة القتال ، فقد رفضت الدول العربية قبول القرار ، واشتعلت البلاد بأحداث عنيفة طوال الاشهر الخمسة التالية ، اذ بدأ الفلسطينيون

يعد هناك داع للتعاون معهم بعد انتهاء الحرب • وخلال أحد الاجتماعات
الداخلية للوفد أدليت بوجهة نظري المؤيدة لرأى بن جوريون وخاصة
ما يتعلق منها بوجهة نظري ، وكنت في غاية السعادة لتأييد المهجر
والاستيطان ، وكم سعدت بتأييد بن جوريون لي •

وعقب انتهاء المؤتمر توجهنا الى باريس لكي أعرض نفسي على أحد
الجراحين لعمل عين صناعية لي بدلا من العصابة السوداء على عيني

واعترز الطبيب أن يزرع عظمية في عيني يمكنها أن
تحمل عينا صناعية • ولقد كنت على استعداد تام لأن أفعل
أى شيء وأن أتحمّل أى ألم في سبيل أن أتخلص من هذه
العصابة السوداء التي كانت تلفت الأنظار الى حيثما توجهت
حيث كانت الناس دائما تشير الى وتبادل الهمسات • وكم
كنت أتمنى لو استطعت أن أسير في الشوارع أو أجلس على
مقهى أو أدخل الى دار للسينما دون أن أثير أى اهتمام
خاص •

لكن العملية فشلت ، اذ رفض جسمي قبول العظمية
المزرعة ومكثت شهرا في المستشفى وكانت روث وشقيقتي
تتناوبان السهر علي • وعندما نفدت نقودنا عدنا الى ناحلال •

كان الانتداب البريطاني على وشك الانتهاء ، وكنا نعد عدتنا من أجل
مقاومة أى هجوم عربي من الدول المجاورة ، وقبل انتهاء الانتداب
استدعاني يعقوب دوري الذي عينه بن جوريون قائدا للهاجانات ، وهكذا
وجدت نفسي في الخدمة العسكرية مرة ثانية • لكنني عملت في هذه المرة
في المخابرات لمقاومة العرب • وعندما أعلنت الأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر
(تشرين الثاني) ١٩٤٧ قيام دولة اسرائيل ، كانت الدنيا ليلا • فأيقظت
أولادي من سريرهم وتوجهنا الى قاعدة ناحال لنشترك مع بقية الاهالي في
الرقص • وعندما أعلن القرار ، الذي ساهم فيه بن جوريون بقسط وافر ،
شعرت باحساس عميق أنني يهودي بل بأنني لم أكن يهوديا كما أنا
الآن • وسرى في عظامي الاحساس بنصر اليهودية التي تغلبت عبر ألفي
عام على القيود والاضطهاد والمنايح الى أن حققت حلمها القديم في العودة
الى صهيون مستقلة •

لكننا كنا جميعا نشعر ، برغم فرحتنا ، بأننا لن نحصل على الحل الا
في ساحة القتال ، فقد رفضت الدول العربية قبول القرار ، واشتعلت
البلاد بأحداث عنيفة طوال الاشهر الخمسة التالية ، اذ بدأ الفلسطينيون

المعرب بمساعدة متطوعين غير نظاميين جندتهم حكوماتهم للقيام بالهجمات المستمرة . وأعلنت الحكومة البريطانية أن الانتداب سوف ينتهي في ١٥ مايو (آيار) ١٩٤٨ . وكان القلق يساور أصدقاءنا ، وبدأ القادة اليهود يتعرضون لضغوط قوية لصرف النظر عن موضوع الاستقلال . لكن القادة أدركوا ، كما أدرك كل يهودي ، أن القتال سوف يكون شغلنا الشاغل ، وقرروا أننا ما لم نفعل ذلك وننتصر فلن يتم تحقيق حلم صهيون ولن تكون هناك هجرة ولا استيطان ولا استقلال .

وبحكم عملي كمسئول عن الشؤون العربية في الهاجاناه فقد ركزت اهتمامي على جمع المعلومات عما يحدث بين القوات العربية غير النظامية في فلسطين ، وكان هناك من بين من يجاربونا لواء من المرتزقة الدروز بقيادة شبيب وهاب . يخضع لرئاسة فوزي القادقجي قائد جيش الإنقاذ . وفي مارس (آذار) ١٩٤٨ تعرض القادقجي لهزيمة قاسية عندما فشل هجومه على مستعمرة مشمار ها إيميك الاستراتيجية الموقع .

وقتل أخي زوريك - عن ٢٢ عاما - في معركة مستعمرة رامات يوحنان التي استمرت أربعة أيام ، تاركاً وراءه زوجة وطفلاً صغيراً اسمه عوزي ولكم حزنت أُمي على وفاة زوريك ، الذي كان أقرب أبنائنا إلى قلبها ، بل أقرب إليها مني ومن أختي أفيفا . وكنت أحرص على زيارة أبوي لتسريتهما ، لكنني كنت أعلم أن جراح أُمي لن تندمل ، وإن النور قد غاب عن حياتها .

وعلى أثر هذه المعركة وطد أحد أعواني علاقته بالدروز ، وأبلغني بأن في استطاعته تجييدهم . وعقدنا اجتماعاً مع بعض ضباط الدروز وتم تقديمي إليهم على أنني شقيق أحد قتلى معركة رامات يوحنان ، واعتقدوا أنهم وقعوا في فخ . . . وإن الأمر ليس اجتماعاً بل عملية انتقام . وقد وافقوا عقب الاجتماع على عدم الاشتراك في الحرب ومستقبلاً ، بل وانضم بعضهم للحرب في صفوفنا . وعلى الرغم من حزني على فقد أخي زوريك ، فقد نجيت عواطفنا جانباً ، إذ كنت في هذه الأثناء أؤدى واجبا سياسيا وعسكرياً أقوم فيه بتجييد عدو أو كسب صداقته . وكان سروري عظيماً عندما أبلغني اسحق ساديه ، قائد الهاجاناه ، بتكليفني بتشكيل لواء من الكوماندوز ، إذ كنت أتحرق شوقاً إلى ترك المجال السياسي والدخول إلى الميدان العسكري غير آبه بالعين الواحدة ولا يفقد العين الأخرى . وعندما بدأت في تكوينها ، أعلنت دولة إسرائيل ، وبدأ الهجوم من جانب سبب دول عربية .

الاستقلال

(١٩٤٨ - ١٩٥٢)

وبدأت الحرب لتحرير الوطن العربي من الغزو
الاسرائيلي التي لعب فيها ديان دورا رئيسيا في الهجوم
على الجيوش العربية ولتثبيت الاستعمار الاسرائيلي على
الارض العربية ... وفي هذا الباب يخلع ديان قناعه
ويظهر على حقيقته ونسى الشعارات الزائفة التي كان
يتخفى وراءها .

٦ خطر في الأردن

كان المشهد منواضعا ، لكن الحدث كان عظيما ...
ففي الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر يوم ١٤ مايو ١٩٤٨ بدأ الاحتفال بمناسبة انشاء دولة اسرائيل وافتتح دافيد بن جوريون دورة جديدة خاصة للمجلس القومي ليهود فلسطين وكانت دورات هذا المجلس تنعقد في القدس ولكن نظرا لوقوعها تحت الحصار وتواجد معظم القادة في تل أبيب فقد انعقدت الدورة هناك في قاعدة كبرى من قاعات المتحف وعندما نهض بن جوريون ليبدأ حديثه كان التاريخ يكتب سطره .
فبعد ١٩ قرنا من طرد الرومانيين لليهود وتدمير القدس والدولة اليهودية ، أعلن اعادة موالد اسرائيل الجديدة وحرية اليهود على أرضهم القديمة وستصبح دولة اسرائيل حقيقة في منتصف الليل عندما ينتهي الانتداب ثم قرأ بن جوريون - وسط جو مشحون بالعواطف - اعلان استقلال اسرائيل^{١٠}

وبعد ساعات قليلة تعرضت الدولة الجديدة لهجوم من الشمال والشرق والجنوب ، وكان الهجوم من قبل الجيوش اللبنانية والسورية والعراقية والاردنية والمصرية والقوات السعودية التي كانت تعمل تحت القيادة المصرية وقد عبرت كل هذه الجيوش الحدود وغزت اسرائيل وواجهها

موفما صعبا للغاية لان كل هذه الجيوش النظامية لدول ذات سيادة كانت مزودة بأسلحة ثقيلة وكان من السهل عليها الحصول على اسلحه بصفة مستمرة ، فى حين لم يكن لدى اليهود احتياطى كاف من السلاح وكانت قوات الهاجاناه مجرد جيش صغير جدا وعدة سيارات مدرعة محليه الصنع وبعض طائرات التدريب الخفيفه .

ودخل الجيش السورى بعد منتصف الليل بقليل وخلال اليومين التاليين قصفت القوات السورية عدة قرى فى وادى الاردن وبدأت استعداداتها لسحقها وفى اليوم الثالث (١٨ مايو آيار) استدعيت وأمرت بترك الامر الصادر لى بتشكيل قوات الفدائيين وأوكلت الى قيادة القوات فى قطاع الاردن وكان مقر القيادة فى مستعمرة كنيريت فى جنوب غرب بحر الجليل وهى المستعمرة المجاورة لمستعمرة داجانيا مسقط رأسى والتي فضيت فيها فترة طفولتى وأعرف كل شبر فيها .

وكانت القوات المعدة للدفاع عن وادى الاردن غاية فى الضعف . . وعندما وصلت مقر القيادة أبلغت أن القوات السورية قد احتلت منطقة زماخ منذ ساعات وأن القوات الموجودة قد انسحبت نازكة خلفها الكثير من القتلى والجرحى ، وكذلك علمت أن السوريين يعدون لهجوم على مستعمرة داجانيا وشقيقتها داجانيا (ب) ومن حسن الحظ أننى عندما كنت فى طريقى الى (كنيريت قابلت صديقى يورى بار - أوت على رأسى) مجموعة متطوعين كانوا فى طريقهم الى وادى الاردن وكنت أيضا قد حملت معى ثلاثة مدافع بازوكا .

وفد استقبلنى موشى مونتاج قائد المنطقة بحفاوة ولكن وبغليل من الارتياح لم يكن الامر مفهوما لديه ، وكنت قد فهمت من القيادة أن مهمتى هى مساعدة قوات وادى الاردن والقيام بعمليات خاصة خلف خطوط السوريين ولكن لم تكن هناك أى قوات تحت قيادتى وفى البداية سبب لى هذا الأمر ضيقا ولكنى بعد أن قمت بجولة تفتيشية فى المواقع ، وجدت أن الموقف يدعو لليأس لم تعد هناك المشكلة هى من يصدر القرار وانما المشكلة هى ماذا نعمل .

وكانت قيادة القوات السورية متمركزة فى منطقة زماخ المحتلة وتشكون من كتيبة من المشاة تتلقى تموينها من الدبابات والسيارات المدرعة والمدفعية عبر أحد الجسور . كما كانت تتلقى أيضا مساعدات جوية فى حين كان كل ما لدينا عدة قنابل مولوتوف وعدد قليل من مدافع البازوكا ، لكنه كانت لدينا أيضا الروح المعنوية العالية والتصميم وبدأت تصل

الينا اعداد قليلة من المتطوعين فى وادى جزيل ومدينة طبرية القديمة ومن قرية يافتيل وبدأنا نعد الخطة لمساعدة مستعمرات داجانيا وأخبرنى مونتاج قائد القطاع أن أربعة مدافع ٦٥ مم فى طريقها الينا .

وفى اليوم الثالث بعد احتلال زماخ واحلاء مستعمرين آخرين سادت الوادى حالة من الكآبة وبم اجلاء الاطفال والنساء والعجزة وفى المساء كانت الباماخ - أقوى العناصر الضاربة فى الهاجاناه تأمل فى تغيير الموقف فقامت مجموعة منها لاحتلال نقطة البوليس الحصينة فى زماخ ، ولكنها فشلت فى مهمتها ولم يكن فى وسعنا عمل أى شئ سوى اعداد أنفسنا للدفاع .٠ وقد أمضينا اليوم التالى ١٩ مايو (أيار) فى مراجعة أسباب سقوط زماخ حيث اتضح لنا أن خط الدفاع عنها لم يكن قويا وبحتم علينا أن نسرع بتفوية هذه الخطوط ووقع اختياري على (جورا) من مستعمرة افيكم لتولى مسئولية الدفاع عن داجانيا وفد لاحظت أيضا قصورا فى اعداد خطة دفاعية فى بيت براج التى تقع شمال داجانيا والتى كان واضحا أن القوات السورية تخطط لاحتلالها هى وسقيقتها داجانيا (ب) حتى تتحكم فى الطريق بين نهر الاردن وبحر الجليل وهو مفتاح التقدم شمالا الى طبرية وغربا نحو قرية بوربا ومرتفعات الجليل .

وفى الساعة الرابعة والنصف صباح يوم الخميس بدأ السوريون هجومهم بنصف شديد من المدفعية والمورتار ، وبعد نصف ساعة تقدمت الدبابات والمشاة تدعمها بعض هجمات الطيران التى لم تكن دقيقة ولم تؤثر فى موقفنا . كان تقدم السوريين يتم وفقا للدروس النظرية التى تعلموها ، فكانت الدبابات تتقدم يحف بها المشاة من كل جانب ، وعندما نصل الى مدى مواقعنا لينتشر المشاة فى الحقول وتستهزم الدبابات والمدفعية فى التقدم ووصلت المدرعات الى أسوار داجانيا ، بل ان احتلى الدبابات استطاعت تحطيم السور والدخول الى ساحة المستعمرة ولكنها ضربت باحدى قذائف البازوكا وزجاجة المولوتوف ودمر المتطوعون من قرية باقتيل اعدادا أخرى من المدرعات . ومن موقع فى قرية بوربا على مرتفعات الجليل تلقيت رسالة تفيد أن مدافع ال ٦٥ مم قد وصلت وستصبح معدة للعمل عند الظهيرة وقد أرسلت نائبي الى داجانيا (ب) لبرى الموقف هناك نظرا لعدم وجود وسائل اتصالات لاسلكية وأرسلت الى يورى أسأله عما اذا كان يحتاج الى استخدام المدافع اذ قررت أنه فى حالة عدم احتياجه فائنى لن أستخدم المدافع فى هذا اليوم .

وازاء التقارير التى وردت عن سوء الموقف أصدرت أوامرى باستخدام المدافع فى أسرع وقت ممكن .

وبحطم الهجوم السوري وانسحبت القوات السورية وتم ذلك نتيجة لعاملين فقد صد المدافعون عن داجانيا وبيت براج الهجمة وصدر أمر سوري بالانسحاب بعد أن بدأت قنابلنا المدفعية تذك مراكز الشرطة في رماخ . وحتى يكون حديني أكثر دقة ، فإن الدبابات السورية هي التي بلعت الاوامر بالانسحاب فور أن بدأت مدافعنا في الاطلاق اما الجنود السوريون الذين سمعوا القذائف فوق رؤوسهم فإنهم لم ينتظروا صدور الامر ، وأدبروا هاربين .

ومع المساء كان واضحا أن السوريين قد انسحبوا تماما من رماخ الى التلال الشرقية المجاورة ولم أكن أشاهد أى ضوء وأى حركة وقررت أن أذهب بنفسى الى هناك واصطحبت معى بعض الاصدقاء منهم قائد فرقة باراك لنرى الموقف على الطبيعة . . . وكانت المنطقة مهجورة ساكنة هادئة وجئت قتلانا ملقاة فى حفرة على جانب الطريق .

وترك السوريون خلفهم بعض الاسلحة والسيارات مبعثرة فى الطرقات وأخذنا سيارة اتصالات لاسلكية سورية معنا الى قياداتنا فى كبريت .

وانتهت المعركة الشاقة والمؤلة ، التى أريقَت خلالها دماء الكثير من الشباب الذين لم يكونوا مدربين على القتال وقد صمدنا أمام المدرعات السورية بأسلحة ضعيفة فقاذف اللهب لم يعمل وقنابل المولوتوف كانت تنفجر بطريقة بدائية ، والمستعمرات لم تكن معدة للحرب ولم تكن مجهزة بخنادق للدفاع . . . لم يكن هناك الا المدافع التى وصلت فى آخر لحظة وقد واجهنا الخطر ، وانتصرنا عليه ، وعلم الجميع ، من خلال الجولة الاولى فى حرب الاستقلال انه لن يكون هناك تراجع ولن يكون هناك استسلام .

٧ فرقة الكوماندوز ٨٩

وعندما عدت من وادي الاردن كلفت بقيادة فرقة الهجوم الميكانيكي ، كما كان يطلق عليها رسميا وهي نفس الفرقة التي كان أسحق ساديه قد كلفني بشكيلها من قبل وقد أعطيت الوحدة رقم ٨٩ وكانت تابعة للواء ساديه ولم تكن تعمل كتشكيل منفرد ولكنها تحت قيادتي أصبحت تعمل مستقلة وكنت سعيدا بهذا التعيين إذ اتفق تماما مع رغبتى وقد شرح لي اسحق عمل هذه الفرقة وهي أن تكون بمثابة فرقة فدائية خاصة تماما كتلك الفرقة الانجليزية التي كانت تحمى خطوط البترول وجيش بويسكي الخاص خلال الحرب العالمية الثانية وفي البداية علمت أنني سوف أكون مزودا فقط بسيارات جيب وأسلحة خفيفة وسأعمل بدون معاونة أى أسلحة أو قوات أخرى لان طبيعة عملنا ستكون التسلسل خلف خطوط الاعداء والعمل هناك ثم تقرر بعد ذلك أن تكون هناك قوات أخرى للمساعدة وزودنا بسيارات نصف مجنزرة .

وأعترف هنا أنني تركت مسألتى التنظيم والتسليح - وهما أهم مهمتين لنائبى بوجنان يلتز الذى كانت له خبرة واسعة فى المسائل التنظيمية ، إذ كان يعمل بها خلال خدمته كضابط فى اللواء اليهودى بالجيش البريطانى خلال الحرب العالمية الثانية وانشغلت أنا فى عملية

السفينة الى بل ايبب باركة وراءها بعض النشرب البسيطة من الاسلحة-
على الناطي .

ولما كان الخلاف بين الارجون والحكومة خلافا سياسيا فاننا لم نكن
نرعب في أن يتطور الامر الى خلاف عسكري لانهم ليسوا أعداءنا بل هم
منا . . وبعد ذلك استدعيت للقيادة العامة وطلب مني أن أصحب جمان
الكولونيل دافيد ماراكوس لدفنه في الولايات المتحدة وصحبني في تلك
الرحلة موسى هاريل ولم أكن أعرف الكولونيل ماراكوس جيدا . اذ كنت
قد قابلته مرات قليلة وكان ضابطا أمريكيا يهودى الديانة من خريجي
المظلات وست بوينت العسكرية وخدم خلال الحرب العالمية وبالرغم من
أنه لم يكن من رجال المظلات الا أنه طلب اسقاطه بالبراسوت في نورماندى
خلال الحرب العالمية الثانية وقام بأعمال مجيدة وقد تطوع للعمل بالجيش
الاسرائيلي وكان قائدا لقطاع القدس وقتل في نهاية مايو خطأ على يد جندي
اسرائيلي يقوم بالحراسة عندما غادر خيمته لبل ليهول بجوار سور
المعسكر .

وخلال توقف الطائرة بباميس للتزود بالوقود تسلمت برفيه من
رئيس الوزراء بن جوريون يأمرني بالعودة بسرعة للاجتماع به ولذا لم
أمكن في الولايات المتحدة أكثر من أيام قلائل قضيتها بين وست بوينت
ونيو يورك دون أن أشاهد شيئا من أمريكا التي أزورها للمرة الاولى وقد
قابلت خلال اقامتي في نيو يورك عددا من اليهود ولكني تعرفت على شخصية
اعتبرتها خير من يعمل معي في الفرقة وهو شاب يدعى ابراهام باوم وكان
قد عمل مع الجيش الامريكي خلف خطوط الالمان خلال الحرب العالمية
الثانية . وقد تعلمت من ابراهام دروسا كثيرة في العمل خلف خطوط
الاعداء .

فقد تحدث معي عن الاهمية القصوى للسرعة والحركة في المعركة
وكان يرى أنه ليس ثمة داع لارسال وحدات استكشاف أولية الى الاهداف
التي ستجرى مهاجمتها ، اذ أن أية معلومات سوف تعود بها ستكون
ضعيفة بالاضافة الى أن العدو قد يتبينه فيضيع عنصر المفاجأة وكان يرى
أن تقوم القوة بأكملها بالهجوم على أن تتقدمها وحدة الاستطلاع التي تعود
بالمعلومات اللازمة وتقود القوة الى الهدف صحيح . أن خبرة باوم وتحاربه
جاءت من حروب مختلفة ، لكني رأيت أن هناك شيئين يمكن تطبيقهما عندنا
أحدهما الحاجة الى المحافظة على الحركة المستمرة ، وثانيهما أن يكون
القائد موجه في الميدان على الخط الامامي مباشرة لكي يقرر ما يجب
عمله على الطبيعة وعدت الى اسرائيل على نفس الطائرة التي كانت في هذه

المرّة تحمل أول شحنة من أوراق النقد الاسرائيلية التي طبعت في الولايات المتحدة الأمريكية وأنا هبوط الطائرة في مطار عين شيمر الذي يتوسط حيفا وتل أبيب أطلقت علينا بعض المواقع العربية النار ولكننا لم نصب وقد توجهت فوراً الى مقر قيادتي وقررت أن أنام جيداً لبدء عملي في الصباح .

ولكني لم أذهب الى الفراش لانني قابلت عند البوابة فصيلة من رجال متوجهة في مهمة الى كفر سيركين للهجوم على المناطق التي احتلها العرب والتي تبعد أميالاً قليلة عن تل أبيب من ناحية الشرق وأبدلت ملابسى وخرجت مع رجالى .

وكان عمل بقية الفرقة الاستيلاء على المواقع العربية التي تحيط بالقرى العربية في كلا والطيرة والتي تشكل محورا هاما في تحرك الجيوش العربية في هذا القطاع المتوسط وكانت الطيرة تبعد ثلاثة أميال شمال مطار اللد الدولي الذي كان في أيدينا ولكنه يقع في مرمى نيران العرب وكانت مدينة اللد نفسها التي تبعد ميلين عن المطار واقعة تحت الاحتلال العربي ولم أكن مجبذا للحظة التي وضعها نائبى والتي تقضى بالتمهيد بقصف مدفعى ، وقررت الاسراع في الهجوم المباشر .

وحركنا عند الفجر وتعرضنا لنيران شديدة ولكن استطعنا الافلات وكلفت (اكينا سار) بالهجوم على كلا وهاجمت أنا الطيرة واستطعنا احتلال الموقعين وكانت خسائرنا خمسة جرحى . . وكانت عملياتنا بعد ذلك احتلال دير طريف على بعد ميلين أيضا حيث كان هجومنا هناك بالنسيق مع لواء القيادة وكنت قد تلقيت بعد عودتي من الولايات المتحدة رسالة شديدة اللهجة تذكرنى بالبرقية التي تسلمتها في باريس وتطلب منى الذهاب فوراً الى تل أبيب لمقابلة رئيس الوزراء وحيث أن القتال كان متوقفاً فقد اعتذرت ساعتها وتوجهت الى تل أبيب لمقابلة رئيس الوزراء .

وكان بن جوريون قلقاً نظراً لاشتداد الهجوم العربى ولعدم موافقة منظمى الاراجون وشستيرن على الخضوع لسلطات الحكومة وطلب منى أن أتسلم قيادة القدس من (دافيد شاليتش) وعلى الرغم من تفديري فقد رفضت العرض وأبلغته بأننى قد انتهيت لتوى من تشكيل فرقة الكوماندوز ، وقد قمنا بأول عملياتنا هذا الصباح فقط وأن وجودى في هذه الفرقة أهم بكثير من قيادة القدس . ولما سألنى عن نتائج المعركة وأبلغته بها ، وافق على بقائى فى قيادة الفرقة مؤقتاً . على أن يبقى موضوع قيادتي للقدس معلماً .

وما أن أنهيت مفايلنى لرئيس الوزراء حتى قررت التوجه للانضمام الى فرقتى فى عملية ديرتا طريف وعندما حل الظلام قررت قضاء الليله فى أحد الحقول على طريق مستعمرة يتاح تكفاً لاختد قسط من الراحة وعند الفجر تحركت، وقابلت أحد رجالنا وسألته عن نائبى (بلتز) فوجدته نائماً فى درعة زينون وكدت أنفجر من الغضب عندما علمت أنهم خاضوا معركة خاسرة وأن الفرقة ٨٢ المدرعة التى كنت نعاونهم قد انسحبت ، وحلت محلها وحدة سيارات الجيب . ولذا تركت نائبى نائماً وأمرت رجالى بالتحرك فوراً وقابلت اكيفا سار ومجموعته عنده التلال المحيطة بدير طريق وقد احتلوا الجزء الغربى والشمالى ، ولكن العرب ما زالوا يحتلون الجزء الشرقى وقررت أن أذهب الى قمة التلال ، ولكن اكيفا حذرني من المدفعية الاردنية التى تحل هذه المواقع ومع ذلك حسمت على الذهاب وكان اكيفا ورأى مباشرة وشاهدت بعض سياراتنا المدرعة عاجزة عن الحركة كما شاهدت سيارة مدرعة أردنية مقلوبة على جنبها فقمنا بنقلها الى خطوطنا .

وصحيح أننا قد تعرضنا للنيران خلال عملية سحب السيارة ، ولكننا كنا حسنى الحظ حيث استولينا على دير طريف وبقيت أمامنا نفطة مقابلة هى بيت ناب الله وكانت المهمة خطيرة اذ كان علينا أن نزل الوادى مرة أخرى نم نتسلق اليهم ، فلا نمة مفاجأة ولا ضربة مفاجئة وانما قد يعرضنا هذا لنيرانهم ونظرت حولي وشاهدت حقول البرتقال التى تبعد ثلاثة أميال فى أرض مسطحة وفى اتجاه مدينة اللد وقررت أن أسلك طريقاً لا تتوقعه اللد هو الطريق القادم من الشرق والذى كان يسلكه القوات العربية وأن أقوم بالهجوم على اللد على هذا النحو . ولكن كيف نستطيع تنفيذ الخطة خاصة وأن اللد مدينة محصنة عامرة بالسكان وفيها قوات وعتاد فاستدعيت قادة الجماعات وأخبرتهم بهذا الامر بمزيج من المزاح والجدية ولكنهم أصروا أولاً على انهاء خطة احتلال دير طريف .

وفجأة تلقيت رسالة لاسلكية من قائد لواء القطاع الاوسط ملاح كوهين الذى يعمل فى الجانب المقابل لنا كأحد فكى الكماشة ولكننى لم أكن أعرف موقعه على وجه التحديد وتعرفت على صوت ملاح الذى أباغنى أن وحداته قد اقتربت من اللد ولكنها تعرضت لنيران عنيفة وسألنى عما اذا كان فى استطاعتنا مساعدتها بعد حصارها ، فأجبته بالاجاب . وطلبت فقط امهالى حى الساعة الثانية بعد الظهر الى أن أنتهى من مهمتى الحالية وبدأت مدافعنا المورتار فى ضرب بيت ناب الله لاجلاء القوات العربية من هناك وبعنت مجموعة شترن بالمزيد من الرجال الى طريق الكلا - اللد ولكننى كنت مصمماً على استخدام السارة المدرعة ذات المدفع

المزدوج النى أخذناها من الاردنيين فبواسطتها كنا سنصبح بالفعل كالمملوك وفى خلال ساعة واحدة كنا قد دربنا بعض الرجال على استعمال المدفع وأسمننا العربية (النمر المرعب) وفى طريقنا الى اللد وعلى بعد مئات اليااردات من بيت ناب الله وجدنا طريقين اخترنا أحدهما لكن النيران فتحت علينا من أحد حقول الزيتون فتراجعنا الى الطريق الاخر حيث فتحت علينا مجموعة من العرب نيرانها لكن نيران المدافع الاتوماتيكية أجبرتهم على الابتعاد وأصيب احدى سيارات الجيب بلغم *

ووصلنا مستعمرة بيت شمين فى منتصف الطريق بين بيت ناب الله واللد وهى مستعمرة يهودية ظل العرب يحاصرونها شهورا طويلة وانقطعت كل الاتصالات بينها وبين المستعمرات الاخرى * وكان منظر وصولنا ميرا لآبناء المستعمرة الذين خرجوا لتحييننا وقد اتفقت مع ملاح كوهن على أن تجلى قواته من الممر الذى يصل بين بيت ناب الله واللد ، وهو الممر الذى قررت استخدامه فى الهجوم باعتباره النقطة الوحيدة التى لا يتوقع العرب الهجوم منها *

ولم تكن لدينا أية معلومات عن العدو وقوة تسليحه أو مواقعه وكان القرار هو هل نهجم أم لا ؟! وقررنا الهجوم على أن تقود المجموعة السيارة المدرعة (النمر) التى استولينا عليها من القسوات الاردنية وتتبعها السيارات النصف مجنزعة للمجموعة الاولى ، وفى النهاية مجموعة الجيب المسلحة وأصدرت تعليماتى للطابور أنه اذا أصيبت النمر أو أى سيارة نصف مجنزعة فعلى بقية المجموعة الالتفاف حولها والتقدم وعندما ننجح فى اختراق نقط العدو الاولى فان على الطابور أن ينتشر وعلى المدفعية أن تطلق النيران فى كل الاتجاهات وأن تنشر الفزع لنتمكن من اجبار العدو على التسليم ، وبعد أن يصلوا الى الطريق الرئيسى نتجه المجموعة الاولى شمالا والنانية جنوبا - وعندما ننهى المجموعات من عملها نتقاسل فى مفترق الطرق واذا واجهت مجموعة أية مصاعب فان على الاخرى أن يسارع لنجدها وأخبرت الضباط أنه فى حالة عدم تنفيذ الخطة لاي سبب فان عليهم الانتشار بمجموعاتهم والهجوم على العدو من كل الاتجاهات وأكدت على أهمية عامل السرعة لتقليل حجم الخسائر ونضحييم الصدمة لدى العدو وكان علينا أن ندوس على عدونا وأن نعطيه معنوبا وحسديا * وانتهى اللقاء بالضابط فى دقائق وشرعنا فى العمل *

وما أن تقدمنا مائة ياردة حتى اكنشف أمرنا وبدأنا نتعرض للنيران ولكننا استمررنا فى التقدم بدون رد تم توففت النمر لتطلق مدافعها على موقعين وتدمرها فى دقائق نم بدأنا التقدم مرة أخرى ولكن بعد مئات

الياردات نوفعنا لان حائط الدفاع فتح النيران علينا من كل المواقع وبدأت سياراتنا النصف مجنزرة وسيارات الجيب فى الانتشار لمواجهة هذه المواقع وانقلب الموقف الى جحيم ولم نستطع التقدم لان الطريق كان مسدودا بحجارة لمنع المدرعات من العبور وتركزت عربتى متوجها الى النمر حيث وجدت السيارات مستعدة لدخول اللد لكنها كانت تفضل أن يدخل النمر أمامها لا العكس .

وفامت النمر باثارة عاصفة ترابية ضد مواقع الاعداء ساعدتنا على التقدم عبر طريق فرعى والدخول الى قلب اللد وتقدمت النمر الى الشمال وبدلا من أن تتبعها المجموعة الاولى طبقا للخطة توجهت الى الجنوب مع المجموعة الثانية وتركزت النمر بمفردها فى الشمال ووصلنا الى منتصف الطريق وتقدمت بقية القوات الى طريق الرملة للاستيلاء على مركز البوليس الذى تحتله مجموعة عربية ولما كان هجومنا هذا خرج قائد المجموعة العسكرية العربية الى العراء ليشاهد ما يجرى ولما تبين حقيقة الامر اختفى واندفعت القوات نحو طريق الرملة واستطعت أن التفى بالجميع عند محطة السكك الحديدية هناك على طريق القدس .

وفامت بجولة تفتيشية على القوات فوجدت أن أربعة من قوات سيارات الجيب قد قتلوا وأن هناك بعض الجرحى من مجموعات السيارات نصف المجنزرة وهناك عدة مفقودين ومعظم السيارات انفجرت اطاراتها وأصيبت فراملها وخزانات أسلحتها وبدأنا فى علاج الجرحى واصلاح الاطارات وقبل الانتهاء من مهمتنا بلغنا أن هجوما عربيا فى طريقه اليينا وانهاالت علينا قذائف من المورتار ، وتحول الموقف الى اتجاه سىء للغاية وانجبهنا الى طريق الرملة اللاطرون وأخذنا عدتنا للنقل خلال رحلة العودة ولكننا كنا لا نزال تحت مرمى نيران العدو وبدأت قوات العدو تقترب منا وتعجلت الرجال للهرب بسرعة ، حين ظهرت فجأة مدرعة عربية ، وقبل أن تصيبنا طلقاتها كنت قد طلبت من عامل الراديو ، وهو ابن الحاخام زكريا الذى عقد قرانى ، أن يطلق نيرانه ، وما أن فعل حتى هربت المدرعة وعاد الاتصال بالراديو مرة أخرى وأخبرنى (دوف جرانيك) الذى تركته فى دير طريف أن هجوما عربيا حدث ضدهم وأن العرب احتلوا المواقع مرة أخرى ، وأن بعض رجاله جرح والبعض الآخر مفقود وطلب مساعدة ولكنى أخبرته أننى لا أستطيع تقديم أى مساعدة فى الوقت الحالى وانه بمجرد الانتهاء من موقفى الصعب سأسرع اليه وعليه الاتصال بقيادة اللواء فقد يكون فى امكانها ارسال نحدة سريعة له ، ولكنه أخبرنى أن الاتصال بينه وبين القيادة مقطوع وسألنى ماذا يفعل ؟

فقلت له أن ظروفنا صعبة في اللد ونقاتل قتال شوارع وأنه إذا لم يكن قادرا على الصمود فعليه الانسحاب إلى الطيرة ، على أن نتعامل بحن مع دير طريف في اليوم التالي ولكن أجابني لم تقنعه على ما يبدو ، اذ عاد يقول انه ربما يستطيع تنظيم رجاله والاستيلاء على دير طريف مرة أخرى الآن ، وهنا اتضح لي أنه لم يكن في انتظار الاوامر وإنما كان يبحث عن تشجيع وعندئذ صرخت في الراديو قائلا : هل نحن فدائيون أم لا ؟ ولما لم يسمع ما قلته أعدته عليه فصرخ (نعم فدائيون) فقلت له أهاجم من الشرق وكان رده نعم ..

وهاجمنا نقطة البوليس على الطريق بين اللد والرملة واستطعنا انتشارال الجنث والجرحى وانسحبنا ولكنه كان انسحابا شاقا وكان علينا المرور من أمام نقطة البوليس الاخرى ولكن النمر الذي ظل يخوض المعركة بمفرده استطاع أن يغطي انسحابنا ولم ينبج من التدمير سوى **النمر** وسيارتين نصف مجنزرة ودمرت بقية السيارات وكانت خسائرننا خلال هذه العملية ٩ قتلى و١٧ جريحا وتركنا وراءنا فقط سيارة جيب مدمرة وسحبنا الباقي وفي اللد التي كان يسودها الهدوء تقدمنا ببطء وأوقفنا النيران ووصلنا إلى طريق الخروج من المدينة الذي يصل إلى بيت شيمينى والتقينا بأفراد باللواء الذي كان مكلفا باحتلال المدينة .

وخلال تحركنا جاءني قائد إحدى الفصائل بالاذن بالعودة إلى نقطة الشرطة للبحث عن أحد رجاله المجرحين وكدت أن أرفض لولا أن رأيت عيون كل الرجال تحدق في عيني ، وكأنما كل منهم يتصور نفسه جريحا ملقى على الأرض بعد أن تركه زملاؤه بالعودة شريطة ألا يشتبك في أية متاعب .

٨ الطريق إلى النقب

وأخيرا وصلنا نل هاشومير ، حيث توجد فاعدتنا ، وفي صباح اليوم التالي بعد أن قضينا الليل نتجول في الحقول بحثا عن طريق آمن ٠٠ وفي القاعدة كانت تروى قصص كثيرة عن احتلالنا لكلا والطيرة ودير طريف وتتوج هذه الاعمال باختراقنا للد ولكن حالة الفرقة كانت مؤسفة فمعظم سياراتنا تحطمت ومعظم رجالها أصيبوا وخاصة الضباط ٠٠ ونمت عدة ساعات وعندما استيقظت وجدت رسالة من قائد العمليات اللواء ايجال يادين يدعوني لمقابلته في القيادة العامة ولما توجهت الى هناك يوم ١٢ يوليو (تموز) أعطاني الاوامر بأن أنضم الى لواء جيقاتي في عملية اختراق النقب وكان المصريون قد احتلوا خطا عبر الساحل يمتد شرقا مارا بطريق المجدل - الفالوجا - حيث فصلوا النقب جنوبا عن مراكز التجمع السكاني في الشمال وكانت الاوامر تقضى باحتلال ثلاث قواعد للمصريين هي هاتا وبيت عفا وهي قريبة من مراكزنا ٠

أما مهمة فرقتي فقد كانت احتلال قاعدة كاراتيا التي يتطلب الوصول اليها اخراق خطوط المصريين وكانت التعليمات تقضى بأن أنسحب من القاعدة بعد تطهيرها وتسليمها للواء جيقاتي وكانت هذه العملية هي أصعب العمليات الثلاث ٠٠ وكان اللواء يادين على علم بما حدث في الد

يوجد هنا في أول الأمر ، لكنه لم يكن يعرف شيئا عن أحوال الفرقة حاليا ، فبينت له أن سيارتنا نصف المجنزرة معطلة وأن رجالنا مصابون وأن نائبى واثنين من قادة الجماعات مصابون ، وأن هذه الحالة قد لا تسمح لنا بعمليات مثل هذه فى الوقت الحالى .

وفكر يادين قليلا ثم طلب منى انتظاره لحين التشاور مع بن جوريون وبورك حجرته الى الحجرة المجاورة حيث مكتب وزير الدفاع ، وعاد بعد عدة دقائق وقال لى هناك سؤال واحد : هل الفرقة بهذه الحالة تستطيع الوصول الى النقب ؟ فقلت نعم قال اذن نفذ الامر وبعد الهدنة الثانية سنحاول تنظيم الفرقة من جديد . . وناقشنا خطة العمليات ووعدنى بسيارات نصف مجنزرة جديدة وخرجت من مكتبه وأمر العمليات فى جيبي يقضى بالتحرك فورا وذهبت لمقابلة بن جوريون بناء على طلبه .

وأنا معى بن جوريون مرة أخرى موضوع فيادتي لقوات القدس ولكنه أجله لحين الانتهاء من عملية النقب وسألنى عن عملية اللد ولكنه لم يوافقنى على أن طبيعة عمليات الفرقة تتطلب الهجوم السريع والجري ، وقال أن تلك ليست حربا ، بل عمليات حرب عصابات . . وطبقا لنظريته فإن أى هجوم يجب أن يكون مخططا ومنظما وتسير حركته كجريان النهر . . وانتهى حوارنا وقد تكونت لديه فكرة عن أننى قائد شجاع وجريء ولكننى الى حد ما متهور ، أما أنا فقد تكونت لدى فكرة عنه . . رجل عاقل وسياسى بارع ويبنى نظرياته عن العرب والحرب بعيدا عن الواقع والخبرة ، فهو يعرف الكثير عن العرب ولكنه فى نفس الوقت لا يعرفهم .

وعدت الى القاعدة ومعى ٦ سيارات النصف مجنزرة التى وعدت بها وبدا أصبحت قوة الفرقة تتضمن ١٢ سيارة جيب و ٨ سيارات نصف مجنزرة وأربع سيارات سكوت وستينارين مصفحتين والنمر المرعب وخمس مجموعات من الرجال وقسمت الجماعات الى جماعة سيارات الجيب وتشمل ٢٥ رجلا قسموا الى ثلاث فصائل ، مع كل فصيلة ٣ سيارات جيب مسلحة بمدافع ماكينة وجماعتين مزودتين ببنادق أتوماتيكية الاولى تضم ٣٣ رجلا والثانية ٢٥ رجلا وجماعة مساعدة من سيارات سكوت وأخيرا مجموعة القيادة التى تشمل جماعة الاستطلاع وتضم سيارتين جيب ووحدة المعلومات ونصف سياراة جيب ، ومجموعة السيارات المصفحة ، وكان مجموع رجال القوة ١٣٠ رجلا وكان فخر المجموعة كلها النمر الرهيب وفى يوم ١٥ (تموز) تحركنا الى طريق النقب وهناك أنشأنا قاعدة جديدة لنا فى أحد حقول البرتقال حيث بدأنا فى تنظيم أنفسنا . . ولم أكن أعرف

الكثير عن منطقة النقب بالرغم من أننى قمت فيها بعدة رحلات ، وكانت دائما تبدو لى غريبة بعرائها ، فهى خالية من الحدائق والمزارع ولا توجد فيها مياه بل أن رمال صحرائها لم تكن ناعمة ككل رمال الصحارى .

وفى المساء تلقيت أمر العمليات من لواء جيقاتى الذى سيعمل معنا وكان الامر بالتحرك لاحتلال فاعدتى حيفا وبيت عفا واختراق الخط للوصول الى كاراتيا وكان علينا أن نستولى على كاراتيا مساء يوم ١٧ يوليو وعقدنا اجتماعا فى مقر قيادة عمليات اللواء وقلت أن التحرك ليلا سيكون صعبا للغاية بالنسبة لسياراتنا وافنرحت أن يتم الهجوم نهارا ولكن اقتراحى رفض ، اذ أن المجموعات الاخرى التى ستشاركنا القتال كانت تفضل القتال ليلا وفى ١٥ يوليو (تموز) أرسلنا خلال الليل فصيلة استطلاع لتكتشف الطريق الى كاراتيا ، وعندما وصلت الى قرب الفالوجا تعرضت ليران ثقيلة ، مما دفعها الى العودة مرة أخرى بدون تحقيق هدفها وكان علينا أن نجهز للعملية وكان سوء الحظ فى الاستطلاع هو نصيننا فقد نكون محظوظين فى العملية نفسها .

وحددت ساعة الصفر وكانت العاشرة من مساء يوم ١٧ يوليو (تموز) وكنت أعرف مقدما خطورة اختراق خطوط المصريين ولذا وضعت خطتى على أساس أن تتقدم السيارات بأقصى سرعتها على طريق المجدل الفالوجا .

وبطلو النيران خلال تقدمها وتدور حول الفالوجا فى الطرف العربى متجهة الى كارانيا وأصدرت تعليماتى الى الرجل فى السيارات بأن يحنو رؤوسهم طوال الطريق . وقد فضل قادة لواء جيقاتى البقاء فى القاعدة وإدارة العملية منها بينما كنت أنا أقود العملية بنفسى وناقشونى فى هذا الامر ولكننى قلت اننى أفضل أن أقود رجالى بنفسى وكنت أعجب أحيانا كيف يمكن للقائد أن يدير المعركة من مكتبه ويعطى الاوامر - وهو آمن - لجنوده باكتساح العدو . وفى ساعة الصفر تحركنا وفى البداية أصيبت سيارة نصف مجنزرة بلغم فى الممر ونزل طاقمها وركب سيارات أخرى . وكانت التعليمات تقضى بعدم التوقف لاي سبب من الاسباب وبإخلاء أى سيارة تصاب لكى لا يتعطل الطابور . وتقدم الطابور نحو الفالوجا وفى المقدمة سيارات الاستطلاع يتعقبهما النمر ثم مجموعة المدافع الاتوماتيكية ثم مجموعة سيارات الجبب ومجموعة المعاونة وقد ركبت السيارة الذابية فى مجموعة المدافع الاتوماتيكية وكان القمر كاملا ، لكنه حتى لو كان الظلام دامسا فان اكتشافنا كان بسبب صوت السيارات وخاصة النصف

مجنزرة وعندما وصلت معدمة الطابور بالقرب من حافة الفالوجا الساعة العاشرة والنصف فتحت علينا نيران المورتار ومدافع الماكينة ، واستمرينا نى التقدم بدون رد الى أن وصلنا الى مسافة ١٥٠ ياردة من العدو ، وهنا أصدرت الاوامر بأن تفتح كل الاسلحة نيرانها .

ووصلنا الى أصعب النقط على طريق المجدل الفالوجا حيث وجهنا بمدافع المصريين النغيلة من المورتار ومدافع الماكينة وعندما حاول فائد مدفع النمر أن يخرج برأسه ليواجه نيرانه مات فى الحال وجرح ستة رجال عندما انفجرت سيارتهم النصف مجنزرة ولكننا استطعنا اختراق الطريق المير وتوغلنا فى الحقول للالتفاف والتوجه الى هدفنا مباشرة ولكن نيران الاعداء ما زالت توجه فوق رؤوسنا ولكننا كنا قد ابتعدنا كثيرا عن الخط ووصلنا الى الوادى المحدد على الخريطة على أساس أن به طريقا صالحا للسيارات ولكن الخريطة كانت خاطئة ولم يكن هناك أى طريق يصلح للسيارات .

وكان الوادى صعبا وحتى تستطيع السيارات الخروج منه فيجب عليها أن تتسلق حافته وكنا نستطيع العودة ولكن ذلك كان يعنى النخلى عن مهمتنا . دخلنا الطريق وتأخرنا ونال التعب من رجالى وسألنى قادة الجماعات ماذا نعمل فإن كنا ستعود ، فيجب أن يتسم ذلك فورا ، لان المصريين ما زالوا يطلقون علينا وابلا من النيران وشعرت بالضيق وكانت الاوامر قبل أن نصل الى الوادى تقول : أخترق وتحرك وتحرك وأطلق اندران كما كانت نقضى بعدم التوقف اطلاقا وها نحن الآن فى مصيدة لا نستطيع الخروج منها وأخيرا قررت أن الطريق الوحيد للخروج من المأزق هو أن نهد طريقا بأيدينا وأمرت رجالى بأن يمهّدوا بأيديهم طريقا للخروج من الوادى فى الناحية الغربية وكان عملا هرقليا تحت وابل من نيران المورتار ولكن لم يكن أمامنا حل سواه .

وكلفت عاموس ابراموسن بأن يتولى عملية الاشراف على حفر الطريق والحراسة والتزام بقية الرجال الهدوء وتحركت أنا الى الجانب الآخر من الوادى ولقفت رأسى فى كوفية عربية ونمت وعندما استيقظت بعد ساعة كنا لا نزال نتعرض لنيران المصريين وكنت أشعر بالنشاط بعد أن نلت قسطا من الراحة ولاننى تركت مهمة الاشراف على اعداد الطريق للرجل المناسب ، ولاننى لم أصدر قرارا سريعا فى الوقت الذى كنت أشعر فيه بتعب . والآن شعرت بنشاط موفور وبقدرة على اتخاذ قرار بأن نستمر فى الحفر لمدة نصف ساعة أخرى لاعداد الممر ، وقررت أن أنقل رجال

السيارات التي لا تستطيع المرور الى السيارات الاخرى وفجأة جذبني شخص فائلا هل ما زلت على ذلك الجانب من الوادى ؟ لقد انتهى اعداد الممر .

وفى الساعة الرابعة صباحا بحركنا نحو كارايا بسيارتى الاستطلاع فى المقدمة تليها النمر ثم خمس سيارات نصف مجهزة نحمل كل الرجال وخلفنا رجال المشاة من لواء جيفانى ووصلنا الى الطريق المؤدى الى كارايا وعندما وصلنا الى مسافة ٢٠٠ ياردة من القرية انتشرت السيارات النصف مجهزة يميننا وشمالا وبدأت فى اطلاق النار وكان العدو ضعيفا فى عدة طلعات وتقدم النمر لحماية الهجوم وتقدمت مجموعة الجيب الى كارايا ثم دخلت السيارات نصف المجهزة الى القرية بدون أى خسائر .

وفجأة وجدنا أنفسنا تحت نيران المدفعية الثقيلة للمصريين وبدأ رجالنا يركبون سياراتهم وذهب رجال الاستطلاع لاكتشاف طريق للخروج من هذا الجحيم .٠٠ لمحاولة الوصول الى هاتا وكانت احدى كتيتبى لواء جيفانى قد احتلت طريق الفالوجا المجدل فى المساء وهاتا ولكن الكتبة الثانية فشلت فى احتلال بيت عافا وتكبدت خسائر كبيرة فى هجودها ولكننا استطعنا تطهير كارايا واحتلالها رغم نيران المدفعية المصرية الثقيلة الآتية من بعيد وأصبحت الآن هاتا وكاراتيا تحت أيدينا وفتحنا الطريق بين النقب وشمال البلاد وكانت السادسة صباحا عندما غادرنا كارايا فى طريقنا الى قاعدتنا عن طريق هاتا بدون خسائر وبعد عدة ساعات زرت الجرحى من رجالى فى المستشفى وكان من بينهم اربك فهمكين ، وميشا بن بارك ، وعلى عيني كل منهما ضمادات وارتسم البؤس على وجهيهما وتذكرت حالتى عندما فقدت عيني ، وقلت لهم تكفى عين واحدة لرؤية كل الاشياء السيئة فى هذا العالم .

وكانت تلك هى آخر صلتى بالفرقة ٨٩ .

٩ صيفي العرب

بعد خمسة أيام من عملية النقب في ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٤٨ ، عينت قائدا للقدس وحاولت مجموعة شتيرن في الفرقة ٨٩ عرقلة هذا التعيين غير أن جهودهم ذهبت هباء وقد قابل أعضاء هذه المجموعة رئيس الوزراء بن جوريون ، وحاولوا اقناعه بأهمية وجودى على رأس الفرقة ٨٩ ، وهددوه بأن تتبعنى الفرقة كلها الى القدس . واستمع لهم بن جوريون ثم سألهم كيف استطعت كسب ثقة كل الرجال وخاصة المنشقين من مجموعته شتيرن ، فأجابوه دون تردد بأن السبب هو أننى كنت أقود بنفسى كل رجالى فى كل المعارك وفى النهاية أخبرهم بن جوريون أن القدس تحتاج لقائد مقاتل ممتاز وأن القدس تحتل الاولوية على غيرها من الامكنة .

وعندما قال بن جوريون ذلك فلا بد أن افكاره كانت تشتمل على احتمال أن القتال يمكن أن يتجدد فى القدس ، على الرغم من مرور شهرين على الغزو العربى ، وشهدوا على توقيع اتفاقيتى القدس التى أبرم أولاهما سلفى الكولونيل دافيد شاليتيل والتى تنص على وضع جبل المكبر تحت اشراف الامم المتحدة والثانية التى وقعها عن الجانب الاردنى المقدم عبد الله التل قائد قوات الجيش الاردنى بالقدس والتى تقرر بمقتضاها وقف

اطلاق النار ، ونم تثبيت الوضع القائم فى الارض المنزوعة السلاح بين خطوط الجانبين .

وخلال الشهور الخمسة التالية حتى نهاية الحرب فى ٧ يونيو (كانون الثانى ١٩٤٩) لم نشترك سوى فى عمليى قتال محدودين ولم تنجح العمليتان . وكان السبب الاساسى وراء هذا الفشل أن الرجال الذين حاربوا كانوا من المهاجرين الجدد الذين لا يعرفون شيئاً عن طبيعة البلد ولغتها وتضاريسها وجوها ، بالإضافة الى أنهم كانوا غير مدربين على القتال . وعندما استلمت قيادتى للقدس قمت بالتفتيش على كل النقاط ، وكانت حالة لواء عصيبون سيئة جداً ولكننى عملت على سد كل هذه الثغرات بنفسى ، وحاولت رفع المعنويات من خلال أحاديى مع الضباط والجنود ، ومنحهم الثقة من خلال سلوكى الشخصى خلال جولاتى التفتيشية وأمرت بإعداد برنامج للتدريب ونحسين الاسلحة وقمت بإحضار ضباط جدد وبهذا ارتفع مستوى اللواء مرة أخرى ولكن القتال لم يتجدد فى القدس وظل خط التقسيم بين اسرائيل والاردن هادئاً ولكن طريقنا الى (رامات راشيل) كان واقعا فى مرمى قنار العرب ، ولم يكن لدينا سوى طريق صغير الى الشاطئ ، وأصبحت القدس بالفعل بؤرة المشاكل لا حل لها سياسية وعسكرية يهودية .

ولقد جئت الى القدس فى عملية تعيين عسكرية ولا شك أن ذلك الترشيح تم بناء على مؤهلاتى القتالية لكننى تحولت الى السياسة حيث كان عملى محصوراً فى اجراء المفاوضات حول الترتيبات المحلية مع قادة القدس العربية وعقدة الانقيبات ولم أكن فى بداية الامر أولى اهتماماً شديداً بالمفاوضات مع العرب وكنت أخطط لقرارات عسكرية وأتوقعها . كما كنت أرى أن حل المشاكل لن يتأتى الا من خلال الخنادق والرصاص والهجوم ولكن عندما توصل وقف اطلاق النار الى انتهاء القتال نفسى انتقلت المعركة الى مائدة مجلس الامن وسرعان ما وجدت نفسى مندمجاً فيها .

وجعلنى هذا العمل السياسى على اتصال مباشر مع رئيس الوزراء بن جوريون ومع الزعماء السياسيين الآخرين لكننى أصبحت أرى الآن بصورة مباشرة كيف يتفوق بن جوريون على كافة القادة فى مجال السياسة ، وقد تأثرت جداً بحكمته السياسية .

وكنت عندما نقلت الى قيادة القدس قد اصططجت عائلتى معى ، وكنا نسكر فى منزل واسع يقع فى مواجهة الجانب الاردنى ويتعرض

لرصاص الذى يطلقه الاردنيون بين الحين والحين وكنا عندئذ نضطر الى الانتقال الى الجانب الغربى من المنزل والى الملاجئ لتجنب الرصاص والشظايا . ومع هدوء الاحوال فى المدينة وتوقف أعمال القناصة ، كان المستأجرون الجدد ينزحون الى المدينة فجاء اليها أليعازر كايلاى وزير المالية وغيره . وكنت على اتصال دائم برجال الصحافة ، الذين كانوا يستقون أخبارهم من اتصالاتى واجتماعاتى مع الجنرال ويليام رايل كبير مراقبى الامم المتحدة ، وأعضاء لجنة الهدنة التى كانت تضم جين نويتهاميس من بلجيكا ورينيه نوفيل من فرنسا ووليام بارديت من الولايات المتحدة وتلقف الصحفيون الاخبار عندما اجتمعت مع العقيد عبد الله التل قائد القدس العربية .

وعملت زوجتى روث فى الوكالة اليهودية فى تنمية الحرف والصناعات اليدوية بين المهاجرين وكانت تمضى معظم وقتها فى زيارات لهذه العائلات لتشجيعها على العمل وتسويق انتاجها أما احتياجات المنزل فكانت تقوم بها سيمحا ، وهى أرملة فى الخمسين من عمرها ، أحبها أطفال وتعلقوا بها وقد سبب لى الاطفال كثيرا من المتاعب فى القدس وخاصة مع الجيران. ولم تكن الحياة فى القدس مختلفة عن الحياة فى ناحل ، بالنسبة للاطفال فحسب ، وانما بالنسبة لى أيضا حيث غرقت فى اجتماعات ومناقشات ومحادثات لا نهاية لها ، بالاضافة الى الحفلات الكثيرة والمأكولات الدسمة كانت حياة اجتماعية تختلف عما تعودناه فى ناحل . أما من حيث عملى فقد كنت أفضل دائما الا أبقي فى مكتبى وأن أخرج فى زيارات تفقدية لكل مواقعنا على السور . صحيح أن وقف اطلاق النار كان ساريا لكننى كنت أحب أن أطمئن بنفسى على هذه المواقع وكثيرا ما كنت أخرج من هذه الجولات مباشرة الى اجتماعات رسمية ، وغير مبال بأن تكون ملابسى أو حذائى متسخا .

بعد اسبوعين من تسلمى قيادة القدس ، وفى يوم ١٠ أغسطس (آب) وصل الكونت فولك برنادوت مبعوث الامم المتحدة فى زيارته الثانية وكان من الواضح أنه قد قرر حل المشكلة الفلسطينية بنفسه وقد وضع خطة تتعارض مع قرار التقسيم الذى أصدرته الامم المتحدة فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٤٧ وأقترح - من بين بنود هذه الخطة تسليم القدس الى العرب ، الامر الذى كان لا بد له أن يؤدى الى اطالة أمد القتال لا الى اقرار السلام .

وتقابل برنادوت مع الدكتور دوف يوسف الذى كان يرأس لجنة انقاذ القدس خلال الحصار ، وأصبح الآن ممثلا للحكومة مسئولاً عن ادارة

القدس • وكان مع دوف يوسف فى الاجتماع اسحاق بن زيفى ، الذى أصبح فيما بعد نانى رئيس لدولة اسرائيل ودانيل استور أول عمدة للقدس وعهد الاجتماع فى القنصلية البلجيكية •• وعندما وصل برنادوت الى المبنى استقبله مجموعة من الشباب تحمل لافتات كتب عليها استكهولم بلدك والقدس مدينتنا ، وتحت هذه العبارة توقيع (المحاربون من أجل حرية اسرائيل) وهى الاسم الكامل لمجموعة شتيرن • ولم أعلم بما حدث الا عندما اتصل بى دوف يوسف نليفونيا وطلب منى تفريق المتظاهرين ونوجهت الى هناك على الفور وطلبت من المتظاهرين الانصراف فانصرفوا فوراً بدون أى مناقشات •

وبعد شهر أى فى ١٧ سبتمبر (أيلول) عُد برنادوت الى القدس مرة أخرى وقبل أن يلقى مع دوف يوسف توجه الى مقر الحكومة الذى سلمته السلطات البريطانية الى الصليب الاحمر على اعتبار أنه قد يصلح مقراً لقيادة هيئة الرقابة الدولية ثم انتقل بعد ذلك الى دوف يوسف فى قافلة تضم ثلاث سيارات تابعة للامم المتحدة وفجأة فى منتصف الطريق اعترضت القافلة سيارة جيب قفز منها ثلاثة رجال يرتدون الملابس العسكرية وهاجموا برنادوت وأطلقوا النار عليه وعلى رئيس أركان حربه الكولونيل أندريه بيبير سبروف الذى كان يجلس الى جواره وعلم فيما بعد أن سيارة الجيب المستعملة تابعة للامم المتحدة وكانت قد سُرقت من قبل •

وأعلى تنظيم يدعى (جبهة الوطن) مسئوليته عن هذه العملية وكانت الشكوك قد اتجهت الى منظمة شتيرن ، غير أن قادتها أنكروا وسرعان ما تصاعدت آثار هذا الحادث ، وقررت الحكومة حل هذه المنظمة وفى اليوم التالى قامت قوات الجيش بمحاصرة معسكر شتيرن فى القدس وسلم الاربعون وجلاً الذين كانوا هناك أسلحتهم بدون مقاومة •

كانت شتيرن حتى ذلك الحين تعمل فى القدس بشكل صريح وتحظى باستقلال تام وتعين علينا أن نضع حدا لهذا الوضع الشاذ الذى لم يكن موجوداً الا فى القدس ، حيث توجد منظمة شبه عسكرية ترفض الخصوع لسلطة الحكومة • أما منظمة الارجون فأعلنت عن رغبتها فى الانضمام الى القوات المسلحة للبلاد وبدأت التكهانات عما ستفعله الشتيرن ازاء القرار بحلها ، لكنها فى النهاية سلمت أسلحتها الى الوحدات الاسرائيلية •

لم تكن العواقب السياسية لمقتل برنادوت واضحة أمامى ، فقد كان مجالها بعيداً عني ، ولم أكن مهتماً بالشئون السياسية بالقدر الذى

فمت به بالفعل بعد عدة أسابيع ، كُن أهم ما فى الموقف أنسى اصبح
القائد الوحيد لكل القدس .

وسرعان . انغمست فى الشئون السياسية التى بدأت بالمفاوضات
التي كنت أجريها مع القادة الاردنيين للقدس ، ثم تلنها المفاوضات مع
الدول العربية فى رودس ، ثم اشراقى على تنفيذ اتفاقيات الهدنة التى
عقدت مع الدول العربية الاربعة التى اشتركت فى حرب ١٩٤٨ وهى مصر
والاردن وسوريا ولبنان . وأسفر خطوط وقف اطلاق النار عن تقسيم
مدينة القدس الى نصفين ، النصف الغربى وقد سيطرت عليه اسرائيل ،
والنصف الشرقى وقد سيطرت عليه الاردن ، بما فى ذلك القدس القديمة
والجانب الغربى - اقدس الاماكن المقدسة لدى اليهود - والحى اليهودى .
ونظرا لوقوع منطقة اللطرون تحت السيطرة الاردنية ، فقد اضطرت
اسرائيل الى شق طريق يزيد طوله عن الستة أميال لربط القدس بتل
أبيب .

وفى ٣٠ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٤٩ وفعت نيابة عن اسرائيل
انفاقية (لوقف مخلص ومطلق لاطلاق النار) ، ووقعها عبد الله التل
باسم الاردن (وكل القوات العربية الاخرى فى منطقة القدس) . وألحقت
بالانفاقية خريطة تبين مواقع وقف اطلاق النار والمنطقة المحرمة بين
الجانبيين . وسمحت الاتفاقية بعبور قافلة اسرائيلية الى جبل المكبر كل
اسبوعين حاملة المؤن والافراد الجدد .

وقد أتاح لى المفاوضات مع العرب فرصة طيبة لكى أعرف الطرف
المقابل لى معرفة جيدة . وقد أعجبت بالجنرال عبد الله التل وبشخصيته
الثقوية وعيونه النفاذة ، وازداد اعجابى به عن غيره من الضباط والسياسيين
العرب الذين كنت قد التقيت بهم حتى ذلك الحين .

أما فى اجتماعات لجنة مراقبة الهدنة ، فقد كان الكولونيل الامريكى
كارلسون - باقحامه نفسه فى المناقشات واثارته للعقبات - مدعاة لنفاذ
صبرى . وحدث فى أحد الاجتماعات التى اشترك فيها كارلسون . أن
اضطرت الى طلب عقد اجتماع منفرد مع عبد الله التل فى غرفة مجاورة .
ولم يمض وقت طويل حتى كنا قد سويتنا ما بيننا من مشاكل بل واتفقتنا
على مد خط تليفونى يربط فيما بيننا دون ما حاجة الى الاتصال بالام
المنحده . ولم يمر هذا الاتفاق دهشة الحاضرين فحسب ، وانما أدهس
أيضا الجنرال رايلي رئيس هيئة الرقابة ، الذى وان كان تاريخه العسكرى
فى البحرية معروفا ، الا أن دراسته بالشرق الاوسط كانت ضئيلة .

وفد كان هذا الخط التليفونى - حتى الآن - هو الخط الساحن الوحيد فى الشرق الاوسط . وقد أثبت هذا الخط فائدته فى ترتيب اللقاءات بينى وبين التل ، وبينى وبين الملك عبد الله فيما بعد فى قصره الشتوى فى الشونة . **ولو اننا اعتمدنا على الامم المتحدة فى مثل هذه الامور لكنا قد قشلنا بالقطع .** وقد بذل التل جهودا رائعة فى ترتيب لقاءاتنا مع الملك عبد الله أو فى اطلاق سراح الاسرى . وكانت مخاطرته الشخصية كبيرة عندما كن بصطحبنا فى سيارته عبر نقاط الحدود العربية ، وكان وجهه يكتسى بياضا كلما نظر أحد الجنود من داخل نافذة السيارة خوفا من أن ينكشف أمرنا .

كذلك فقد ساعدنى التل على الافراج عن أسرانا فى الحرب بعد أن حصل على موافقة الملك عبد الله على ذلك . وفى يونيو (حزيران) ١٩٤٩ قدم التل استقالته من الجيش بعد أن اختلف مع الملك حول بقاء الانجليز فى الاردن . وسافر الى دمشق ثم الى القاهرة حيث اشترك فى العمليات ضد البريطانيين فى القناة . وحدث أن جاءنى أحد الامريكيين باقتراح ترتيب معه . . لكن هذا اللقاء لم يتم .

١٠ محادثات مع ملك عربي

عقب توقيع (اتفاقية وقف اطلاق النار المخلص) مباشرة ، ابلغني عبد الله التل أن الملك قد خوله صلاحية بحث كل الامور المتعلقة بالقدس والمناطق المحيطة بها . وكانت اقتراحات التل مبنية على أساس أمرين هما : تبادل الاراضي وقيام سيطرة مشتركة . . ولا بد أن تلك كانت هي أيضا نفس أفكار الملك . وكن بن جوريون يريد قيام سلام رسمي ودائم ونهائي . ومع أنه كان على استعداد لتبادل الاراضي الى حد معين ، فإنه لم يكن يرى امكانية قيام سيطرة مشتركة .

وفي ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٨ اقترح التل اعادة احياء اليهودي مقابل اعادة احياء القطمون ، وفتح طريق اللطرون . لكن بن جوريون رفض الاقتراحين . وفي ٥ ديسمبر (كانون الاول) جاءني التل باقتراحين باسم الملك ، أولهما تخلي الاردن عن جزء من منطقة اللطرون نسيطر عليها قوة بوليس عربية - يهودية ، في مقابل اعادة بعض اللاجئين العرب الى البلد والرملة ، أما الاقتراح الثاني فكان الاستجابة لما سبق أن اقترحته بخصوص اعادة فتح خط السكة الحديد بين القدس وتل أبيب في مقابل استخدام الاردن لطريق القدس بيت لحم . وكان بن جوريون يعارض أساسا في الترتيبات الجزئية ، وطلب منه ابلاغ الملك - عن طريق التل - بأننا لا يمكن أن نستمر في المحادثات مع وجود الهدنة . وأننا على

استعداد - بل نجبد بشدة اجراء مفاوضات لاييجاد الظروف الحقيقية
لقيام السلام .

وفي لقاء يوم ١٨ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٨ مع رئيس الوزراء
بن جوريون ، قال ان مستقبلنا هو السلام مع اصدقائنا العرب ، وأن
الهجرة تتطلب السلام ، وانه يجب اجراء محادثات مع الملك عبد الله .

وبعد مرور اسبوع أبلغني عبد الله التل أن الملك قد خوله الاشراك
عنا في وضع مشروع خطة السلام ، وسوف يكون برفقته طبيب الملك
الخاص ، حتى اذا ما انتهينا من العمل عرضه الملك على حكومته لاقراءه .
وتقرر أن نعقد اجتماعاتنا في مبنى يقف في الارض المنزوعة السلاح ،
فاذا ما أحرزت الاجتماعات تقدما عقدناها مرة في مبنى أردني ومرة في
مبنى اسرائيلي . وطلب الينا التل الحضور بالملابس المدنية ومعنا الخرائط
والوثائق اللازمة .

وقرر بن جوريون أن يتشكل وفد اسرائيلي من (ريوفين سيلواه)
من وزارة الخارجية بالاضافة الى . وأعطانا عددا من التوجيهات منها
الا تنوقف المحادثات لكي نحتفظ بالهدنة على الجبهة الاردنية ، اذ كانت
الهدنة مع مصر قد خرقت ، وألا نعطي أى تعهدات أو التزامات وخاصة
فيما يتعلق بضم الاردن للصفة الغربية ، وأن نذكر امكانية منح الاردن
ممر الى غزة عبر الاراضي الاسرائيلية .

وانعقد الاجتماع الاول يوم ٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٩ ، في
أحد المباني عند بوابة مندليوم . وتبادلنا أوراق الاعتماد . فكانت
اوراقنا مكتوبة باللغات العبرية والانجليزية والعربية بتوقيع بن جوريون
رئيس الوزراء وموشى شاريت وزير الخارجية . أما أوراق اعتماد الجانب
الاردني فكانت عبارة عن رسالة بخط يد الملك عبد الله . وبدا واضحا
عند البداية ، بعد أن عرض التل اقتراحاته ، أن الهوة واسعة تفصل
ما بين مفهوم كل منا للتسوية . ونقلنا كما حدث الى بن جوريون مبينين أنه
لا جدوى من الاستمرار في المحادثات ، لكنه أشار علينا بالمضي فيها
لنثبت استعدادنا لبحث امكانية السلام بشكل جدي .

واتفقت مع التل على أن نعقد الاجتماع الثاني يوم ١٤ يناير (كانون
الثاني) . وقبل حلول موعد الاجتماع بيوم واحد أبلغني التل أن الملك
يدعونا الى قصره في الشونة ليظهر لنا شخصيا رغبته في احلال السلام .
وتلقيت موافقة بن جوريون على ذلك . وعقدنا اجتماعين مع الملك عبد الله

أولهما يوم ١٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٩ ، والثاني بعده بأسبوعين - ومنلت اسرائيل فى هذين الاجتماعين مع الياهو ساسون من وزارة الخارجية • أما الجانب الاردنى فقد حضره مع الملك فى الاجتماع الاول كل من التل وطبيب الملك ، وفى الاجتماع الثانى حضره توفيق أبو الهدى رئيس الوزراء • وكان التل يصحبنا الى هذه الاجتماعات فى سيارته الخاصة التى يقودها بنفسه •

وفى الوقت الذى كنا نجرى فيه هذه المحادثات • كانت هناك فى رودس محادثات أخرى تحت اشراف وسيط الأمم المتحدة رالف يانسن لعقد اتفاقيات هدنة مع الدول العربية • وها نحن قد استطعنا بعد ثمانية أشهر من الحرب ان نعيد قوات الدول العربية الى قرب حدودها الاصلية • وانتهت المحادثات بتوقيع اتفاقيات الهدنة مع مصر فى ٢٤ فبراير (شباط) ومع لبنان فى ٢٣ مارس (آذار) ومع الاردن فى ٣ ابريل (نيسان) وأخيرا مع سوريا فى ٢٠ يوليو (تموز) •

وأعود الى المحادثات مع الملك عبد الله ، حيث لم تنته الى نتائج ملموسة تغير من الموقف شيئا • وكان الملك ينتظر توقيع الاردن لاتفاقية الهدنة لكى يتم بعدها بحث اتفاقية سلام بدون وساطة الأمم المتحدة ، وأن يجرى ذلك علنا فى القدس بحضور الملك كضيف شرف ، بل أن الملك اقترح تشكيل وفد اسرائيلى منى ومن شاريت دساسون • وكان الملك حريصا على ألا نعيد غزاة الى المصريين ، اذ كان الاردن يحتاجها كمنفذ له الى البحر الابيض المتوسط ، وكان يقول لنا (خذوها أنتم - اعطوها للشيطان ولكن لا تعطوها لمصر) •

كانت اجتماعاتنا تتم فى قصر الشونة الملى بمظاهر الابهة ، وكانت تبدأ دائما بتحيات الملك الى قادتنا حاييم وايزمان - الرئيس - وبين جوريون وموشى شاريت ، أما جولدا مائير فلم يكن الملك يحبها • ويرجع ذلك الى لقائها معه قبيل الحرب وطلبها اليه عدم دخولها • وازاء هذا التحذير من جانب امرأة فان الملك (بالطبع) اختار أن يدخل الحرب • وعندما علم أثناء المحادثات أنها تعمل فى سفارتنا فى موسكو قال (دعوها هناك - دعوها هناك) •

وكان شاريت يتصرف حسب الاصول فى حضرة الملك ، لكنه فى أحد الاجتماعات صحح معلومات الملك حول عضوية الصين فى عصبة الأمم ، وكان وهو يؤكد عدم عضويتها يتصرف كهدرس فى الخيانة وأمامه تلميذ متخلف عقليا • وكانت تلك بالطبع هى نهاية هذا الاجتماع • وأثناء

عودتنا سألت شارييت عما اذا كانت عضوية الصين تستحق كل هذا الجهد ، فرد على قائلا ان الصين بالفعل عضو في عصبة الأمم •

وكانت هناك دائما قبل الاجتماع دعوة لتناول الغداء مع الملك سسيفها لعبة شطرنج أو قراءة للشعار ، وعندئذ لم يكن الامر يقتصر على الهزام في الشطرنج وانما على ضرورة ابداء الاعجاب بالتحركات التي يلعبها الملك ، أو التهنيد من أعماقنا خلال قراءته للشعار • وبالرغم من ذلك فأنني لا أبخس الملك عبد الله حقه ، اذ كان رجلا حكيما ، قادرا على اتخاذ القرارات بنفسه مباشرة •

أما المحادثات الرسمية بعد ذلك ، فقد بدأت رودس في الاول من مارس (آذار) ١٩٤٩ واستمرت أسبوعا • وكان وفد اسرائيل مكونا من شيلواه ومنى • وكانت مصر قد وقعت اتفاقية الهدنة معنا ، فلم يعد أماننا الا أن نفسخ نفس الاتفاقية مع ابدال كلمة (مصر) بـ (الاردن) في نصوصها • وجرت المحادثات تحت اشراف رالف بانسن ، ورأس الوفد الاردني العقيد أحمد صدقي الجندى • والواقع أن آخر ما قد يصلح له الوفد الاردني هو اجراؤهم لهذه المحادثات ، فهم لا يقومون بعمل الا اذا تلقوا الامر وما يصلحون له فعلا هؤلاء العسكريين ليس الا حفظ النظام عمان أو مطاردة اللصوص في الصحراء •

وأثار اعجابي حسن رئاسة رالف بانسن للاجتماعات • كان رجلا يحسن الاستماع ، ويجيد قيادة الامور نحو الاتفاق ، ويرع في صياغة ما قد نتفق عليه من بنود • وكم أصاب عندهما قال لي ان المهم الآن هو أن نصل الى انتهاء القتال ، وبعدها فان حقائق الحياة هي التي ستفرض الاتفاقات اللازمة •

وعندما اسسولت اسرائيل على أم السراش ، وهي ميناء ايلات ، بادر الملك عبد الله يوم ١٤ مارس (آذار) ١٩٤٩ بالابراق الى شارييت متسائلا عن صحة ذلك وعن حقيقة تصريحه بأن اسرائيل سوف تحتل أية اراض تنسحب منها القوات العراقية • وفي اليوم التالي بعث والتر ايتان - المدير العام لوزارة الخارجية - رسالة نيابة عن وزير الخارجية أكد فيها للملك استعداد اسرائيل لاستدعاء العقيد موسى ديان من رودس لاجراء المحادثات اللازمة مع ممثل الملك في القدس للوصول الى اتفاسق حول الاراضي التي تنسحب منها القوات العراقية •

وبناء على استدعاء برقي ، عدت الى القدس والتقيت مع عبد الله التل يوم ١٨ مارس (آذار) حيث بادرت بمطالبتها في الاراضي التي

ستنسحب منها القوات العراقية ، وبعد أن بين أن الاردن لا تستطيع الموافقة على ذلك نظرا لتورة الرأي العام الاردني ، انفض اجتماعنا على أن يعود للقاء في اليوم التالي .

وفي اليوم التالي أبرق الملك عبد الله الى ايتان مقترحا أن يجتمع معه ومعى للاتفاق على هذه النقطة ، وتوجهت الى مقابلته بالفعل ومعى النقيب يهوشوقات هاركابي ، حيث عرضنا عليه اقتراحاتنا التي وان لم تكن منواعة فقد كانت عادلة . وقرر الملك عرض الامر على وزرائه ، ثم أمر بتشكيل لجنة وزارية تجتمع معنا لاتخاذ القرار اللازم ، تضم فلاح باشا المدادحة وزير العدل والمدير العام لوزارة الخارجية والتل . وبدأ الاجتماع وانفض دون الوصول الى نتيجة بعد أن استبد بالجميع التعب . وكان وفدنا مكونا من ايتان ويجال يادين - رئيس العمليات - وهاركابي وأنا .

وفي اليوم التالي عقد الملك اجتماعا ، حضره وفدنا بنفس تشكيله ، أما الجانب الاردني فقد ضم نائب رئيس الوزراء ووزير العدل والتربية والمدير العام لوزارة الخارجية . واستمر الاجتماع حتى الثالثة صباحا حين تم توقيع الخرائط . وعندما كان الملك خلال الاجتماع يذكرنا دائما بالتضحيات التي يقوم بها ، خرجت عن مشاعري وقلت له ان كل عضو في وفدنا هذا فقد آخا له في هذه الحرب . وفي نهاية الاجتماع قدم ايتان الى الملك تورا مجلدة بالفضة هدية من بن جوريون ، وأعطانا الملك هدايا ، وكان نصيبى مسدسا .

وقد لنا وهو يودعنا (الليلة أنهينا الحرب وأرسينا السلام) .

وبعد ذلك بساعات عدت الى رودس ، وفي يوم ٣ أبريل (نيسان) تم توقيع اتفاقية الهدنة مع الاردن ، وعدنا بالاتفاقية والخريطة الملحقة بها موقعة من قبل الجنرال جلوب باشا عن الاردن ، وممهورة عن اسرائيل بتوقيعي .

وقد التقيت بالملك عبد الله بعد ذلك عدة مرات ، ولم تكن الرحلة الى عمان سهلة مثل الرحلة الى الشونة ، اذ كان يتعين على بعد أن أنهى الاجتماع في عمان أن أبقى فيها الى أن يحل الليل ثانية فأعود الى القدس . وأبلغ أحد المراسلين الاجانب بن جوريون أن الملك عبد الله مستعد للتوصل الى السلام ، فبحث هذا الموضوع في أحد اجتماعنا مع الملك - أنا وشيلوب - يوم ١٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٩ . وطرحنا عليه (معاهدة سلام) لكن الملك غير الاسم الى (ورقة سلام) ، ثم عاد في

اجتماع آخر فطلب اليها اعتبار هذه الورقة كأن لم تكن ، ما دامت الدول العربية الاخرى ، وبالذات مصر ، لم تفعل نفس الشيء . ولست أدري ما اذا كانت الحكومة الاسرائيلية قد صدقت على هذه الورقة ، لكننى أعلم أن بن جوريون لم يرفضها وإنما اكفى بحك أنفه وهو يقرؤها .

وبدا تنفيذ اتفاقية الهدنة يوم أول مايو (أيار) ١٩٤٩ . وعندما توجهت مجموعة القوات الاسرائيلية والاردنية الى المواقع لوضع الاسلاك الشائكة وتحديد خط الفصل بين الجانبين ، نشأت مشكلة تمثلت فى قرية بيت صفافا التى تحتم أن يهر السلك الشائك فى منتصفها ويفصل بيوتها وأهلها الى قسمين أحدهما فى اسرائيل والاخر فى الاردن . وهب الاهالى وأطلقت النيران وقتل أحد جنودنا ، وفى اليوم التالى وازاء اصرارنا وتصميمنا تم مد السلك . وأصبح خط سكة حديد تل أبيب بأكمله فى قبضة اسرائيل .

وفى الوقت الذى غمر فيه الفرع بن جوريون ، انتفضت الاردن فى غضبة ماثجة واستقالت الوزارة . وعين الملك وزارة جديدة ضم اليها ثلاثة من الفلسطينيين فى محاولة لاحتواء غضبتهم . ولقد كان بوسع الملك أن يفيد الاردن والشرق الاوسط ، لولا أنه اغتيل على يد عربى فلسطينى يوم ٢٠ يوليو (تموز) ١٩٥١ أثناء خروجه من المسجد الاقصى عقب صلاة الجمعة .

وبقيت طوال عملى فى القدس ، والى أن عينت قائدا للجهة الجنوبية فى ١٥ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٩ ، أعالج أمور اتفاقيات الهدنة . وتم تشكيل لجان هدنة مشتركة ، وفى ٩ يونيو (حزيران) ١٩٤٩ صدر قرار بتعيينى رئيسا لكل اللجان المشتركة للهدنة مع الاردن ومصر وسوريا ولبنان . ويمكننى القول أن الاتفاقيات قد وضعت موضع التنفيذ، وان كانت قد فشلت فى أن تكون منطلقا نحو السلام الدائم نظرا لرفض الدول العربية الاستمرار فى المحادثات مع اسرائيل .

وكان هناك أمران نشأ حولهما الخلاف فى هذه الاتفاقيات ، أولهما يتعلق بحق اسرائيل فى الوصول الى الاماكن المقدسة والجبل المكبر ، والثانى يتعلق بتعريف المناطق منزوعة السلاح على الحدود السورية . ولم أكن مهتما بالمناطق منزوعة السلاح على الناحية السورية ، قدر اهتمامى بالقدس حيث كان التفسير الاسرائيلى لهذه المادة الحق فى الوصول الى الاماكن المقدسة وخاصة الحائط الغربى (حائط المبكى) . وكانت اتفاقية الهدنة قد دعت الى تشكيل لجنة خاصة لوضع الترتيبات

اللازمة لذلك ، لكن الاردنيين أداروا ظهورهم لهذه الفقرة ، وظلت القدس القديمة موصدة في وجه اليهود *

وحاولت ، بدون جدوى ، اقناع بن جوريون والآخرين بأن الحل هو استخدام الجيش لفتح الطرق وتنفيذ الاتفاقية ، مؤمنا بأن عدم اصرارنا على تنفيذ بنودها يعد استسلاما أمام العرب * وسألني بن جوريون عن احتمال أن يؤدي هذا العمل العسكري الى تجدد الحرب ، فأجبته بأنني لا أعتقد ذلك اذ سيبقى الامر اشتباكا عسكريا لا يفجر الاعمال الحربية ، بل ان اصرارنا قد يؤدي الى اجبار الاردنيين على التنفيذ *

وكنا في تلك الاثناء نقوم بعملية انقاذ هائلة يتم خلالها تجميع اليهود اليمينيين في عدن ثم نقلهم الى اسرائيل بالطائرات بمعدل ألف يهودي كل يوم ، وبلغ عددهم عدة عشرات من الآلاف * وكان اليهود اليمينيون جزءا فقط من عملية تجميع اليهود من كل أنحاء العالم ، وبوجه خاص أولئك الذين وقعوا ضحايا معسكرات التعذيب النازية * وتطلب الامر جهودا شاقة من أجل اطعام هؤلاء المهاجرين وايوائهم ثم اسكانهم وانشاء المستعمرات الجديدة وخاصة في الصحراء * كانت تلك هي الاولويات ، خاصة وأن أرض اسرائيل - كما قال بن جوريون - لن تظل في أيدينا اذا اعتمدنا فقط على الحرب وقوة السلاح *

كان كتاب الحرب ، في عقل بن جوريون ، قد أغلق ، ولو في الوقت الحاضر * وأصبحت عيونه معلقة الآن بتحقيق الحلم الصهيوني ، الذي كانت الهجرة هي جوهره ، وعودة اليهود المنفيين ، وحياء الارض -

عالم جديد



بعد ذلك بشهر واحد ، فى أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٩ ، رقيت
الى رتبة جنرال وعينت قائدا عاما للقيادة الجنوبية التى كانت تمتد حتى
ايلات • وكان سلفى فى القيادة ضابطا من قوات البالمخ ، قوات الهاجاناه
الضاربة قبيل قيام الدولة ، هو يجال ألون • وكان مع ضباط القيادة من
رجال البالمخ الذين أغضبهم تعيينى فى هذا المنصب أثناء وجود آلون فى
رحلة فى الخارج •

كانت مهام القائد جديدة بالنسبة لى ، تماما مثلما كانت الارض
التي سأعمل فيها • وعلى الفور شرعت فى استكشاف المنطقة فى رحلة
بالسيارة الجيب وصلت فيها حتى ايلات • وعندما رقدت على رمال ايلات
بعد أن قذفت بجسدى المتعب فى الماء ، أحسست بمدى اختلاف هذا
العالم الجديد عن العالم الذى اعتدت عليه فى شمال اسرائيل - فالعالم
هنا صحراوي - شاسع الامتداد (جاف) حار •

والتقيت فى الصحراء بمهندسى الجيش وهم يمهّدون لانشاء طريق
وسط هذه القفار يصل ما بين ايلات وبئر سبع ، وقد توصّلوا الى خلط
الملح مع الارض لكي تستطيع تحمل الطريق الجديد ، وفقا لنفس الخطة

التي ذكرتها التوراة . وكانت هناك أيضا بضع كيوترات استطاعت أن
نروع الصحراء ، لكنني رأيت أن الجيش يمكنه أن يقدم الكثير من أجل
اعمارها .

وفرت عرض الامر على بن جوريون خلال زيارتي لتل أبيب لاجراء
محادثات في مقر القيادة . واقتحمت عليه خلوته أثناء اعداده إحدى
خطبه ، وعندما سألته عما اذا كان يريد منى أن أهتم بالتنمية المدنية
للمنطقة أجاب بالإيجاب ، وبالفعل تم وضع رئيس سلطة تنمية النقب
نحت امرتي . وفجأة قال لي بن جوريون أن بيغن - وزير خارجية
بريطانيا - يريد ضمان تسليم منطقة النقب لمصر لكي ترتبط مصر
والاردن بجسر أرضي متين . وعندما حدثته عن اجراءات الامن التي اتخذتها
قاطعتي قائلا : (ان الامن لا يعنى مواقع عسكرية ، وانما يعنى تأسيس
مدن يهودية ومستعمرات زراعية في النقب ، وجعل الصحراء تزدهر) .

وهكذا كنت ألجأ الى بن جوريون مباشرة لحل كل المشاكل المدنية
في المنطقة . فقد وجدت مثلاً في قرية المجدل ، التي وقعت داخل اسرائيل.
وكان أهلها يعيشون من العمل في غزة ، وجدت أن الاهالي يريدون العودة
الى غزة أو الى مدن أخرى داخل اسرائيل - وحصلت على موافقة المقدم
محمود رياض ، ممثل مصر في لجنة الهدنة المشتركة ، وكنت قد التقيت
به من قبل في اجتماعات لجان الهدنة المشتركة . ووافق بن جوريون
على ذلك سريته أن يوافق عرب المجدل بأنفسهم على ذلك .

وخلال استعداداتي لاتمام العملية تلقيت تعليمات بالتوقف وانتظار
تعليمات أخرى . واتضح أن بنحاس لافون - سكرتير الهستدروت
(اتحاد عمال اسرائيل) ، والذي خلف بن جوريون فترة قصيرة كوزير
للدفاع عندما كنت رئيساً للاركان - قد اصرح أن ينولى الهستدروت
تشغيل عمال النسيج في المجدل فقط ، في حين أن اقتراحى كان مفيداً
للقرية كلها . واستدعينا لمقابلة بن جوريون الذي وقف الى جانبي بعد
أن سمع اقتراحينا . وأثبت المقدم محمود رياض احترامه للوعد الذي
قطعه ، اذ وجدته قد أعد لوريات عند نهاية الطريق لتنقل عرب المجدل
الى غزة .

وانقضى عام ١٩٥٠ هادئاً في المنطقة لم يكن لنا فيه من عمل الا القيام
بالدوريات ونصب الكمائن لمنع المتسللين من عبور الحدود ، وكانت هناك
بعض قبائل البدو التي تنزح لنا المتاعب كقبيلة العزازمة التي كانت تصر
على حريتها في التجول بحرية بين اراضيها ، أما القبائل الاخرى فقصدها
مددنا لها خدمات طبية وتعليمية بل وأسلحة للدفاع ضد القبائل المعادية .

وأعترف بأننى كنت أتمتع بالمشاركة فى الدوريات عبر الدوب غير المأهولة فى الصحراء هرباً من العمل فى المكنت . وكنا نتعرض لاطلاق الرصاص علينا من جانب المهربين أو بعض العازمة الذين يريدون تصفية حسابهم معنا . وكنت أصطحب معى فى الصحراء أحياناً ابنتى يائيل . وهى فى سن الحادية عشرة ، وأشاهدها وهى مبهورة بالصحراء الواسعة أو بقطعان الغزلان الجامعة .

وحدث خلال إحدى الدوريات أن اقتربنا من موقع القسيمة المصرى ، واكتشف المصريون وجودنا لكننا تمكنا من العودة دون أى حادث . وعدمت القيادة بذلك فبعت الى رئيس أركان حرب الجيش برقية يقول فيها انه فيما عدا الدوريات والمهام الرسمية فانه شخصياً يمنعنى من عبور خطوط الهدنة دون اذن مسبق .

وفى أحد الايام اصطحبت ابنى عساف فى رحلة لصيد الحمام . وعندما وصلنا الى تل الصافى وجدت بعض الاباريق الفخارية حمراء اللون تتدلى من أحد الحوائط التى غسلتها مياه الامطار فكشفت عما كان مخبئاً داخلها . وظننت أن الاباريق تخص بعض العرب ، وحملت واحداً منها معى وأريته لصديق على ادراك بعلم الآثار ، فاكشفنا أنها تعود الى عصر ملوك العبريين ، أى الى القرن التاسع قبل الميلاد . وعندما عدت الى تل الصافى مرة أخرى وجدت الكثير من الآثار الأخرى التى فتحت أمامى عالماً جديداً وجدت فيه بقايا وآثار الشعب الذى عاش على هذه الارض منذ ثلاثة آلاف عام . ومن هنا نشأ عندى الولع بالآثار وظل باقياً فى نفسى حتى الآن . وتمكنت عبر عدة أعوام من اقتناء مجموعة هائلة من الآثار .

وكنت أقضى كل أوقات فراغى وعطلاتى فى الورشة التى أقمتهما وراء منزلى فى زاحالا ، وأنا أرمم الآثار بصمغ فرنسى أو أغسلها مما علق بها من أتربة ورمال . وكثيراً ما كنت أشاهد آثار بصمات أصابع صانع الاوعية والاوانى وخاصة قرب حافظتها ، بل كنت أجد علامة أظفاره . وعندما كنت أعيد تشكيل الاوانى وفق حالتها الاصلية منذ آلاف السنين ، كنت أمتلىء بمشاعر الخلق .

كانت مسئولية قيادة المنطقة كبيرة ، فهى تغطى نصف مساحة البلاد ، وهى مجاورة للحدود المصرية ، أقوى الدول العربية ، بالإضافة الى محاذاتها لقطاع غزة الذى أصبح يضم ١٠٠ ألف لاجئ فلسطينى غير سكانه الدائمين ، وبات مركزاً للفدائيين وعمليات التخريب الفلسطينية ضد اسرائيل .

وتجسدت في هذه المنطقة أهم التحديات التي تواجه الدولة وهي:
احياء الارض المهجورة وايواء المهاجرين الجدد . وكان المهاجرون يصلون
اليها كل شهر. وخاصة من يهود الدول العربية ، حيث اقيمت بسواحلهم
عدة مدن مثل بير سبيع وعسقلان وايلات .

ووقع حادث واحد على الجبهة الاردنية في اواخر عام ١٩٥٠ عند
علامة الكيلو ٧٨ من طريق ايلات ، اذ أعلنت الاردن أنه يمر داخل
أراضيها وأغلقتة . وتلقت القيادة الجنوبية أمرا بفتح الطريق وطرد
العدو . وكنت في هذه الاثناء أقضى أجازتي في تركيا مع عائلتي ، عندما
استدعيت للعودة . ورجعت مباشرة الى الكيلو ٧٨ فوجدت الجنود
الاردنيين قد أغلقوا الطريق وجنودنا يناورون من حوله دون أن يخترقوه .
وركبت طائرة صغيرة طارت على ارتفاع منخفض ، واستطعت أن أتبين أن
عدد الجنود الاردنيين قليل وانهم لا يمتلكون مدافع أو دبابات . وكادت
الطائرة أن ترتطم بالأرض ، بل ان عجلاتها اصطدمت فعلا بالأرض ثم
عادت الى الجو .

وبدا الامر كأنه أوبرا فكاهية . اذ أرسلت رسالة الى القائد
البريطاني للقوة الاردنية اطلب اليه رفع الحواجز من الطريق منها
الى أن الموضوع معروض على لجنة الهدنة المشتركة وسوف نلتزم بما
تقرره . وعندما رفض القائد ، أمرت جنودي برفع الحواجز والمروء
والامتناع عن اطلاق النار ما لم يبدأ الاردنيون بإطلاقها . ومرة الجنود
بدون أي حوادث ، لكن الاردنيين عادوا الى أغلاق الطريق في اليوم
التالي ، واطلقوا النيران على جنودنا الذين أزالوا الحواجز . . لكن
مدفيعتنا تمكنت من اسكاتهم وأجبرتهم على التراجع . وأبنت لجنة
الهدنة المشتركة أننا قد أخطأنا وأن المسافة بين الكيلو ٧٤ والكيلو
٨٧ تقع في الارض الاردنية . وعلى الفور شيدنا طريقا آخر في هذه
المسافة غربا ، من ناحيتنا .

وأوليت اهتماما خاص الى رعاية الكيبوتزات التي كانت قائمة على
الحدود بالقرب من غزة . ومن أجل العمل على تحقيق الازدهار
والرخاء لهذه المستعمرات فقد وضعت عربات الجيش وقواته تحت
تصرفها . كذلك أوليت اهتمامي الى تحسين الظروف المعيشية في
المسكرات التي كانت تأوى قرابة الستة آلاف عائلة من المهاجرين
الذين جيء بهم ليسكنوا مستعمرات النقب ويعمروها .

ولم تعد رعاية المهاجرين الجدد عملا ذا أهمية خاصة ، وانما
أصبحت مصدرا للالهام وللإنسانية ، والاحساس باليهودية لدى كل
القوات . وكان ذلك بالضبط هو الجوهر الحقيقي للصهيونية .
وأمام مشاهد المجندات وهن يقمن بكل الاعمال ، انتقلت كل المهمات

والاطباء والعمال للعمل في قواعد المهاجرين : وكانها لم تعد تعمل في الجيش .

وفي أثناء عبوري الطريق الصحراوي ، اصطفت معي عائلة يمنية من المهاجرين ، وجلس الرجل الى جوارى . . فسرحت خواطري وأنا أفكر في كمية التغير التي حدثت في حياة هذا اليمنى الذي لم ير من الاختراعات ما هو أبعد من الموقد البريموس ولم يركب الا ظهر حمار ، وتساءلت عما يحس به هذا الرجل الآن ؟ وكم فوجئت عندما سألتني « الا يوجد في سبارتك راديو ؟ » واعتذرت بالطبع وأدريت له الجهاز .

واخذت الح على ضرورة انشاء مستعمرات من نوع الموشاف ، تكون مجاورة للكيبوتزات القائمة في النقب ، واقترحت نظاما للحراسة والامن مع ضرورة حصول المهاجرين الجدد على تدريب عسكري لمدة شهر . وتمت الموافقة على اقتراحي وبدأ مشروع انشاء القرى الزراعية للمهاجرين .

وكان من الضروري أن تبدأ اسرائيل في تدريب ضباطها ، وخاصة ذوى الرتب العالية ، على مهام القيادة . . صحيح أنهم اشتركوا في الحرب جميعا لكنهم كانوا يقودون مجموعات أكبر من رتبهم . وتلقت الدورة التي تقررت للضباط ومدتها ستة أشهر ، وبعد ذلك - وفي عام ١٩٥٢ - أكملت الدورة بوحدة أخرى في مدرسة كبار الضباط في إنجلترا . ومع اننا كنا ارضى - في الرتبة - من معلمينا ، فقد استفدنا من الدروس التي تلقيناها منهم .

لم يكن كافيا ان اكون على دراية بالارض والنلال والممرات ، وانما تعين على أن أخذ في الحساب نوع الحرب مع اعدائنا العرب . كان واجبا علينا ان نضع في اعتبارنا مسئوليتنا عن مستعمرات الحدود ، وشخصية الجندي العربى ، والميزات القتالية للجندي الاسرائيلى . وكنت أحب الخوض في المناقشات ، لا حبا في النقاش ، وانما لكى يساعدنى ذلك على التفكير في الامور ، ووزنها ، واتخاذ القرار الملائم بصدها .

واناحت لى هذه الدورة فرصة الاحساس بالعطلة بعيدا عن القيادة . . وكنا نجري تدريبات ناكينكية على مختلف انواع الارض الموجودة . . كذلك فقد ادركت بعمق مدى أهمية عربة القيادة وقدرتها على الحركة فوق مختلف التضاريس .

أما الدورة التي تلقيتها في لندن فكانت في الاسهر الثلاثة الاولى من عام ١٩٥٢ . وبالإضافة الى بعض الاجانب ، فقد كان اعضاء الدورة من الانجليز . ولم اكن اقحم نفسى في الامور انشاء التدريب ، فأنا لم

أت الى انجلترا لكي اعلم البريطانيين كيفيه القتال ، وانما جئت لاستمع وأراقب ، وأوسع مداركي العسكرية ، وكان البريطانيون يعلمونني ببرود ، وخاصة أولئك الذين حاربوا منهم في الشرق الاوسط وكانوا لا يحبون اسرائيل أو اليهود .

وكنت اقضى عطلة الاسبوع مع روث في لندن .

ولا أقول أن هذه الدوره جعلت من تفكيرى بريطانيا . وانما تاحت لى الفرصة لكي اعرف بريطانيا والبريطانيين ، وأن أفهم طرفهم العسكريه .

وعندما عدت الى اسرائيل استدعاني يجال يادين ، رئيس أركان حرب الجيش ، وعرض على قبسول منصب نائب رئيس هيئة الأركان ورئيس العمليات ، وذلك بدلا من الجنرال موردخاي ماكليف الذى منح أجازة دراسية ، ولكنى رفضت ، وشرحت ليادين مدى عدم ملاءمة شخصيتى لكي أكون نائبا أنطق بلسان رئيس لى . صحيح أنني كنت على استعداد لتنفيذ أوامره حتى وان كنت أعارضها ، لكنه لم يكن باستطاعتي أن أنوب عنه أو أمثله في أمر أخطأ فيه . كان ممكنا ان أخضع لرأسته ، اما ان أنوب عنه فكان شيئا مختلفا .

وابدى يادين أسفه لرفضى ولم يحاول ان يغير لى رأيى ، وبدلا من ذلك عيني قائدا للمنطقة الشمالية . وبقيت في هذا المنصب ستة اشهر الى ان عينت رئيسا لفرع العمليات في هيئة الأركان في ديسمبر « كانون الاول » ١٩٥٢ وانتقلت مع عائلتي الى منزل يقع في منتصف الطريق بين حيفا وناحلال . ودخلت يائيل المدرسة العليا بينما دخل ولداى مدرسة فى ناحلال .

ولم تكن المنطقة الشمالية غريبة عني ، فقد كنت أعرفها منذ طفولتى . مثلما فعلت في القيادة الجنوبية ، فقد جمعت ضباط القيادة وأبلغتهم باستعدادى لتزكية طلب أى منهم في الانتقال الى وحدات أخرى ولا أذكر أن أحدا طلب ذلك . وكان مستوى ضباط القيادة الذين عملوا معى عاليا ، وخاصة اثنين منهم هما الكولونيل حاييم بارليف آمر شؤون الضباط والكولونيل اريك شارون ضابط المخابرات .

كانت المنطقة الشمالية مختلفة عن المنطقة الجنوبية من حيث ان غالبية العرب يفتنونها . فقد كانت لهم قرابة المائة قرية وخاصة في الجليل بالإضافة الى قراهم في الناصرة ووادي جزريل . والمجتمع العربى جزء لا يتجزأ من اسرائيل . ولكن الامر لم يكن بيدهم ، اذ لم يكن هناك عربى يود أن يكون اسراياليا . لقد فرض عليهم الانتماء للدولة كنتيجة لحرب الاستقلال ، تلك الحرب التى أجبرنا عليها شعبهم . وعندما وقع الجانبان اتفاقية الهدنة ، لم يكن أمامهم الا واحد من خيارين : فاما ان

يصبحوا مواطنين اسرائيليين ، أو أن ينزكوا ديارهم وينتقلوا الى بلد عربي آخر . واختاروا - فيما عدا استثناءات قليلة - أن يمكنوا ويقبلوا المواطنة الاسرائيلية .

واتاحت مثل هذه الظروف الفرصة أمام توسيع انعدام الثقة بين العرب الاسرائيليين واليهود الاسرائيليين . وكان على الحكومة العسكرية أن تعمل بين امرين ، اولهما اتخاذ الموقف الصحيح ازاء العرب كمواطنين في اسرائيل ، وتانيهما الانتباه الى أنهم قد يعملون كطابور خامس واحتمال استخدام قراهم كقواعد للاعمال الفدائية ضد الدولة .

كانت حدود المنطقة الشمالية مرتبطة بكل من سوريا والاردن ولبنان ، وكانت الجبهات هادئة منذ توقيع اتفاقيات الهدنة ، ولم تكن الا بضعة مشاكل مع سوريا مثل حق السوريين في الصيد في بحر الجليل والموقف بالنسبة لبحيرة الحولة بعد أن قمنا بتجفيف جزء كبير منها ، وهكذا اضطرت الى تجديد علاقتي بلجنة الهدنة السورية الاسرائيلية المشتركة .

كانت اللجنة برئاسة كولونيل امريكي يدعى تكساس . وفي يوم ٩ اكتوبر « تشرين الاول » ١٩٥٢ دعانا الى اجتماع في فندق شولاميت شمالي بحر الجليل ، وكان الوفد الاسرائيلي برئاسة ، والوفد السوري برئاسة العقيد جديد . وتعرضت المحادثات بعد أن أكد جديد أنه ليس مستعدا لمبحث أية اتفاقيات ، ولا مخولا بذلك . واقترحت عليه أن نتناول الطعام سويا ، فوافق ، وكانت تلك هي أول مرة يوافق فيها على اقتراح اسرائيلي .

وانتحييت بجديد جانبا اسأله عن العقيد البزري الذي كان عضوا في الوفد السوري خلال مفاوضات الهدنة . وكنت في تلك الاثناء قد انهمكت في حديث مع البزري عندما جاءنا جديد متسائلا « ما الذي تطبخانه أيها اليهوديان في هذا الركن ؟ » . وابلغني جديد أن البزري عضو في الوفد السوري في الامم المتحدة . ومن الواضح أن أمه كانت يهودية ثم اعتنقت الاسلام وتزوجت عربيا .

وكان جديد يرفض كل اقتراحاتي التي طرحتها على مائدة المحادثات لكنه ابلغني بعد ذلك أن دمشق تفضل بقاء الوضع الراهن بكل تعقيداته على أن توقع اتفاقية أخرى مع اسرائيل .

وأصبحت رئيساً للأركان

(١٩٥٣ - ١٩٥٧)

ودخل ديان الى مرحلة جديدة في حياته وتقلد منصب
رئيس الأركان ليتمكن لإسرائيل أن تواجه التغيير الجديد
الذي حدث في الجبهة المصرية - فقد كسرت مصر مصادر
السلاح وبدأ اعداد الجيش المصري اعداداً عسكرية
حديثاً - فكان لابد من الهجوم على مصر وتحطيم الجيش
المصري قبل أن يستعيد مكانته الحقيقية تحت الشمس.

١٢ تطوير الجيش

وفي ٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥٢ عينت رئيساً لفرع العمليات في هيئة الاركان ، وبقيت في هذا المنصب حتى ديسمبر « كانون الاول » ١٩٥٣ عندما عينت رئيساً لهيئة اركان الحرب . أما سلفى الكولونيل موردخاي ماكليف فقد عين رئيساً للاركان عقب استقالة الجنرال يجال يادين .

وجاء هذا التعيين خلال فترة مالية صعبة ، اذ كانت الاولويات أمام البلاد هي استقبال واستيعاب وتوطين مئات الآلاف من المهاجرين الذين نزلوا الى شواطئنا خلال سنوات قليلة وتحتم توجيه الاموال نحو نشاطات المهاجرين ومشاريع التنمية ، وخفضت ميزانية الوزارات ، بها في ذلك وزارة الدفاع •

وازاء ضيق الامكانيات المادية ، فقد اتفقت انا وماكليف على الاهتمام بالوحدات القتالية على حساب وحدات الخدمات ، وقررت ذلك بالفعل هيئة الاركان . وتمثل ضعف قواتنا في حوادث الحدود في أوائل عام ١٩٥٣ عندما حدثت بعض حوادث التسلل والتخريب : وقيام بعض الاعمال الانتقامية التي كانت تكلفنا عددا من القتلى في كل مرة .

واعتبرت أن من واجبي احداث هذه التغييرات •• ووجهت جمل اهتمامي نحو الرجل المقاتل ، فهو الحد القاطع في ادارة الجيش ، ونحو أن

يكون الجندي الاسرائيلي مستعدا على الدوام للمعركة . وعقدت اجتماعا مع الضباط ابلغتهم فيه اننى لن افبل من اى ضابط ان يقدم تقريرا يقول فيه انه « لم يستطع » انجاز مهمته ما لم يكن قد فقد بالفعل ٥٠٪ من قوته القتالية . وانه ما دامت القوة قادرة على القتال فلتستمر في الهجوم اما بقية الحديث فقد كان واضحا على قسما وجهى ، وكانت تعبيراته تقول انه من لا ينجح في اقناعى بفشله سوف يترك الجيش .

وعملت انا وماكليف على ضم المجندين ذوى المؤهلات الى الوحدات القتالية ، مع تأسيس وحدة خاصة تعرف بالقوة ١٠١ : تضم متطوعين يقومون بعمليات خاصة ، ويرأسها المحارب الشجاع اريك شارون واعترف باننى لم اكن اؤيد انشاء هذه القوة . وقد ساعد نجاح عمليات هذه القوة على احداث التأثير المطلوب في الناحية القتالية لدى بقية الوحدات .

وفي شهر يناير « كانون الثانى » ١٩٥٤ ، عقب ترقيتى رئيسا للاركان ، انضمت القوة ١٠١ الى لواء المظليين برئاسة شارون . واصبح منوطا بهذه الفرقة كل عمليات الانتقام والغارات عبر الحدود . ولم تعد قوات المظليين مجرد تشكيل في الجيش ، وانما اصبحت مفهوما ورمزا للقتال بشجاعة .

واصبحت عندما عينت رئيسا للاركان اتربع على قمة الهرم في الجيش . وبدأت افرق في مشاكل فنية وادارية ومالية . . . وابتعدت عن المعارك والمواقع . . . لم اعد احارب وانما اصبحت اصدر الاوامر الشفوية والكثائية من فوق مكتبى . لكنه كان من الطبيعى ان اشعر بالفخر لكونى الجندي رقم واحد في الجيش الاسرائيلى . وعندما قلدى بن جوريون الرتبة ، شعرت بثقل المسؤولية ، وعزمت على حملها بأمانة واخلاص .

وعقب انتهاء الاحتفال أسر سكرتير الحكومة فى اذنى قائلا « يجب ان تشكل موشى ديان فى شكل جديد » ، ولكننى رفضت ذلك مؤكدا اننى لم اتغير وانما تغير شكل رئيس الاركان . وابلغته بعزمى على تغيير أسلوب الجيش ومضمونه . وبدأت التغير فى مكتبى نفسه فحولته من غرفة فاخرة الى غرفة مؤتمرات تملؤها الخزائط ، وتعمدت ان اعيش حياة الجنود كلما زرتهم . . . وان اتحدث اليهم مباشرة وجها لوجه حتى مع اصغر قادة الوحدات . كذلك كنت أقوم بجولات تفتيشية ليلا لتأكد من مراعاة الانضباط .

وكان تعيينى رئيسا للاركان هو آخر اعمال بن جوريون الرسمية كرئيس للوزراء ووزير للدفاع قبل ان يستقيل فى شهر ديسمبر « كانون الاول » ١٩٥٣ ، ويعتزل فى مستعمرة سدى بوكر فى النقب « وسوف يعود الى الحكومة فى فبراير « شباط » ١٩٥٥ » وخلفه فى رئاسة الوزارة

موشى شاريت وأصبح بنحاس لافون وزيرا للدفاع . وكانت تلك هي أول مرة يتولى فيها شخصان رئاسة الوزارة ووزارة الدفاع . كانت العادة أن يقوم الترابط والتنسيق بين المنصبين ، لكن الخلاف بدأ منذ اللحظة الأولى .

ونبع الخلاف من اختلاف فى وجهات النظر السياسية للثنتين ، إذ اختلفت نظرة كل منهما للحاجات السياسية والامينة للبلاد . كانت سنة ١٩٥٤ صعبة ، إذ كانت بريطانيا قد انسحبت من قناة السويس ، وبدأت أمريكا فى بسط نفوذها على المنطقة . كما بدأت مصر فى احكام الخناق حول السفن الاسرائيلية فى القناة وفى خليج العقبة . ورفضت مصر قرارا لمجلس الامن فى نوفمبر « تشرين الثانى » ١٩٥١ بالسماح للسفن الاسرائيلية بالعبور ، ولم تكن تسمح الا احيانا بمرور شحنات غير استراتيجية وعلى سفن غير اسرائيلية ، ثم فرضت فى عام ١٩٥٣ حظرا شاملا على الشحنات من وإلى اسرائيل . وكان شاريت يجذ اتخاذ المسالك الدبلوماسية والدولية ، غير أن روسيا طبقت الفيتو ضد قرار لمجلس الامن فى مارس « آذار » ١٩٥٤ ، وبدأت اسرائيل فى صورة ضعيفة وهنا قرر لافون القيام بعمليات عسكرية لردع العرب عن شن أى هجوم ضد اسرائيل .

كان لافون ينظر الى شاريت باعتباره وزيرا للخارجية فقط لا كرئيس للوزراء ، ولذا ابقاه بعيدا عن وزارة الدفاع ، واشتكى لافون من انه لم يكن يعلم بالعمليات العسكرية الا من الصحف . وفترت علاقته برئيسى الوزير حتى قدمت استقالته فى منتصف يونيو « حزيران » ١٩٥٤ كان لافون يريد الاستئثار باتخاذ القرارات العسكرية بغض النظر عن توصياتى وتوصيات القادة العسكريين . وجاء الانهيار عندما رفض لافون توصية بجيازه دبابة جديدة تدعم قدرتنا الهجومية . وقام - دون ابلاغى - بتحويل الاعتمادات الى شراء مدافع المورتار وهى اسلحة دفاعية ، بل ورفض تبرير هذا التصرف -

وازاء طلب الاستقالة الذى قدمته ، دعانى لافون الى الغداء معه حيث سويتا الخلاف وان كانت جذوره قد بقيت . ثم اختلفنا حول الوحدة الخاصة التى كانت قد انشئت خلال حرب الاستقلال عام ١٩٤٨ للقيام بعمليات محدودة داخل بلاد العدو . فكان لافون يتحرق الى تحريكها ، وكنت ارى انه لا داعى لاستخدامها فى وقت السلم .

وفى النصف الاخير من يوليو « تموز » ١٩٥٤ ، وأثناء زيارتى للقواعد العسكرية فى الولايات المتحدة الامريكية ، شنت الوحدة عدة عمليات تخريب داخل القاهرة والاسكندرية واسفر الامر عن اعتقال احد عشر فردا ومحاكمتهم ، ثم انتحر واحد منهم وأعدم اثنان فى أول يناير « كانون الثانى » ١٩٥٥ .

وهاج الرأي العام الاسرائيلى . . وقال كبير الضباط المسئول عن الوحدة ، أنه تلقى أمرا شفويا من وزير الدفاع ، دون أن يكون هناك شهود حاضرين ، وادعى لافون أن الضابط تصرف من تلقاء نفسه . ولم تستطع لجنة التحقيق أن تصل الى من أعطى الامر بتشغيل الوحدة . وقرر زملاء لافون فى الحكومة وفى حزب الماباى ضرورة استقالته . وبالفعل قدم استقالته يوم ٢ فبراير « شباط » ١٩٥٥ ، وقبلتها الحكومة فى العشرين من الشهر نفسه . وفى نفس اليوم عاد بن جورىون وزيرا للدفاع تحت رئاسة شاريت رئيسا للوزراء ، الى ان حانت الانتخابات فى شهر نوفمبر « تشرين الثانى » فعاد بن جورىون رئيسا للوزارة ووزيرا للدفاع .

وكننت انتهاز فرصة تخريج دفعات الضباط الجدد لاختط فبهم قائلا ما أريد أن أقوله . ففى أواخر شهر مايو « آيار » ١٩٥٥ كنت قد فصلت ضابطا شابا لأنه أمر جنديا بسحب سيارة تعطلت تحت نيران المصريين ، وقلت لهم ان ضباط اسرئيل لا يأمرؤن جنودهم وانما يقودونهم .

ولم يكن الكلام كافيا لصقل الجيش ، اذ كان ضباطه ممن حاربوا فى حرب الاستقلال ولم يستزيدوا من العلم أو يدخلوا الجامعة . وشرعت فى ارسال الضباط الى الجامعة للدراسة على حساب الجيش فى أى فرع يريدونه حتى ولو كان الفلسفة والآدب ، بالإضافة الى ارسال ضباط آخرين الى معهد التخنيون الفنى فى حيفا .

وفى منتصف عام ١٩٥٥ ارسلنا مجموعة من المتطوعين فى عملية لاستكشاف شرم الشيخ ، الذى يتحكم فى مدخل خليج العقبة ، والذى كان مغلقا أمام الملاحة الاسرائيلية نحو شرق أفريقيا والشرق الاقصى . وقد أفادت هذه العملية الاستكشافية بعد عام ونصف من اتمامها .

وفى ٢٧ سبتمبر « ايلول » ١٩٥٥ أعلن جمال عبد الناصر ان بلاده وقعت اتفاقية تجارية مع تشيكوسلوفاكيا تقدم بمقتضاها السلاح لمصر فى مقابل القطن والارز . وأحدثت هذه « الاتفاقية التجارية » ثورة فى ميزان التسليح فى المنطقة ، واعطت لروسيا موطئ قدم فى منطقة كانت مغلقة أمامها ، ونهتحت جبهة ثانية للولايات المتحدة فى الحرب الباردة ، وهددت وجود اسرائيل بالخطر .

وتسلم مصر بمقتضى هذه الاتفاقية اعدادا هائلة من الأسلحة الحديثة من الكتلة الشرقية من بينها ٣٠٠ دبابة متوسطة وثقيلة و ٢٠٠ حاملة جنود مدرعة ومدافع مضادة للدبابات والطائرات و ٢٠٠ طائرة من طراز ميج ١٥ و ٥٠ طائرة اليوشن ومدمرتين وأربع كاسحات ألغام و ١٢

رورفطوربيد مع استبدال كل السلاح الخفيف فى الجيش بالبندقية
الروسية نصف الآلية .

ان هذه الارقام لا تقارن بمقاييس الوقت الحاضر ، لكنها شكلت
أيامها نصاعدا خطيرا فى ميزان التسليح فى المنطقة ، سواء بعددها أو
بتنوعيتها . صحيح اننا كنا نؤمن بتفوقنا فى القدرة القتالية والمهارة ،
ولكن ذلك لا يفيد أمام حداثة الاسلحة الجديدة . وأصبح واضحا لدينا
فى اسرائيل ان صفقة الاسلحة التشيكية ما هى الا تمهيد لمواجهة حاسمة
سيقوم بها عبد الناصر لمحونا من الوجود ، او على الاقل لتحقيق نصر
عسكرى يجعلنا خاضعين بلا حول ولا قوة .

وبدأ تدفق الاسلحة السوفيتية على مصر فى نوفمبر « تشرين
الثانى » ١٩٥٥ ، وكان تقديرنا فى قيادة الاركان ان المصريين يحتاجون
الى ٦ أو ٨ اشهر لاستيعاب وفهم الاسلحة الجديدة ، اى اننا يجب ان
نتوقع هجوما مصريا فى أواخر الربيع أو أواخر الصيف . وتحتم علينا أن
نجد مصادر جديدة للحصول على سلاح يمكن أن يضاهاى السلاح
السوفيتى ، وبصفة خاصة الطائرات من فرنسا .

ومن أجل احباط الخطط المصرية ، قدمت مذكرة الى بن جوريون
يوم ١٠ نوفمبر « ت ٢ » اوصى فيها بالقيام بعمليات انتقامية حادة ضد
المصريين ، والاستيلاء الفورى على قطاع غزة ، وشرم الشيخ لفك الحصار
عن خليج العقبة . وبعد ذلك بثلاثة ايام اجتمعت مع بن جوريون وقدمت
له مقترحات عملية فى المجال العسكرى من بينها اعادة الجنرال يجال
نادين رئيسا للاركان وجعل موردخاى ماكليف رئيسا للعمليات ويحال
آلون قائدا للمنطقة الشمالية ، على ان اترك أنا رئاسة الاركان واتولى
قيادة المنطقة الجنوبية فى سسيناء . غير أن بن جوريون رفض اقتراح
نعيين رئيس للاركان بدلا منى ، وطلب منى تأجيل عملية شرم الشيخ
الى يناير « كانون اول » ١٩٥٦ .

وكانت النهور التى تلت صفقة الاسلحة التشيكية شهورا صعبة ،
اذ كان علينا أن نعد البلاد لمواجهة الحرب . وقررت الحصول على السلاح
من أى مصدر كان . وبدأ وصول طائرات الميستير الفرنسية فى ابريل
« نيسان » ١٩٥٦ ، كما وعدتنا فرنسا بامدادنا بدبابات « ايه . أم .
اكس » وشيرمان ، اما الولايات المتحدة فقد أصرت على موقفها من حظر
تزويدنا بالسلاح .

وتحدثت الى جنودنا وابلغتهم اننا لا نملك صفقة تشيكية ولا غيرها
وان الصفقة الوحيدة التى يمكننا ابرامها هى « الصفقة الاسرائيلية »
نعمدها مع انفسنا ونعنى كل قوانا لمواجهة الحرب اذا ما فرضت علينا
وعلى تلك الصفقة نوقف مستقبل الدولة والجيش والامة .

وما أن وصلت أولى الطائرات الفرنسية الى اسرائيل ، حى حدث خلاف بين وزارتي الخارجية والدفاع الفرنسيتين حول صفقة الاسلحة وسافرت الى باريس سرا أنا وشمعون بيريز - المدير العام لوزارة الدفاع - في أواخر يونيو « حزيران » ١٩٥٦ ، حبت نجحنا بعد مفاوضات شاقة في ابرام صفقة الاسلحة اللازمة .

وأعطت الاسلحة الروسية ، بالإضافة الى الموقف الروسى المؤيد ، لجمال عبد الناصر شعورا هائلا بالثقة ، فكان قراره الذى أعلنه في أحد ميادين القاهرة يوم ٢٦ يوليو « تموز » ١٩٥٦ بتأميم قناة السويس . وأحدث القرار ابعادا دولة واسعة ، وتقرر أن يسافر كريستيان بينو وزير الخارجية الفرنسى الى لندن للاجتماع مع أنتونى ايدن رئيس وزراء إنجلترا . وطلب مننا الفرنسيون معلومات مفصلة وحديثة عن قوة التشكيلات العسكرية المصرية ومواقعها فى الارض والبحر والجو .

وفى اليوم التالى غمرنى حزن شديد ، اذ بوفيت امى ودفنت فى ناحلال . وبعد الجنازة اقترحت على بن جوريون القيام باحدى العمليات التالية : أما احتلال سيناء حتى قناة السويس ، واقامة سيطرة دولية على هذا الممر المائى ، او الاستيلاء على شرم الشيخ ورفع الحصار عن خليج العقبة ، او الاستيلاء على قطاع غزة . وأكدت لبن جوريون انه لا داعى لمخاوفه بشأن الاسلحة الثقيلة التى لم تصلنا وان جيشنا قادر على تحقيق الهدف حتى مع عدم وصول هذه الاسلحة . لكنه مع موافقته على أن الظروف الدولية مواتية لمثل هذا التحرك ، فقد طلب منى الصبر واستيعاب الاسلحة ثم توجيه ضربة حاسمة الى عبد الناصر لازالة تهديداته .

وفى لندن ، قرر الطرفان الانجليزى والفرنسى القيام بعمل عسكري لاستعادة القناة والغاء التأميم واستعادة حقوق الدولتين فى سلطة القناة ووضعوا نصب اعينهم اسقاط عبد الناصر . ووضع العسكريون من الدولتين خطة تقضى بنجميع القوات فى مالطه وقبرص وانزالها بالسفن بعد اسقاط المظليين ، وفقا للنمط الذى اتبع خلال الحرب العالمية الثانية . وسميت الخطة « موسكيتو » ، ورأس القوات السير تشارلز كيتلى قائد القوات البريطانية فى الشرق الاوسط ، وعين الادميرال بير بارجو ، قائد القوات الفرنسية ، نائبا له .

وكانت فرنسا تؤيد استعمال القوة ، وكذلك كان موقف ايدن وان كانت قد واجهته معارضة قوية فى الداخل - اما الولايات المتحدة فقد عارضت خطة حلفائها الاوروبيين الموجهة ضد مصر . وظلت هذه الاعتبارات قائمة الى ان حانت ساعة الصفر .

١٣٠ الاتصال الفرنسي الأول

في اليوم الاول من سبتمبر (أيلول) ١٩٥٦ ، وصلتنا أول معلومات عن اهتمام فرنسا بالتنسيق مع اسرائيل في الهجوم على مصر ، وجاء ذلك من خلال برقية للمحقن العسكري هناك وصلتني خلال اجتماعي مع هيئة الاركان بحضور بن جوريون . وكانت توجيهات بن جوريون أن اسرائيل مستعدة لتقديم كل المعلومات اللازمة ، أما من حيث الاشتراك في الحرب فإنه سيوفدني الى باريس . وأبرقت بالتوجيهات اللازمة الى رئيس العمليات أثناء وجوده في أوروبا آنشد للتباحث مع الفرنسيين مع عرض وضع كل القواعد البحرية والجوية في المعركة ، والتأكيد على أن قدراتنا على الاشتراك في العمليات محدودة .

وتمت المحادثات في منزل خاص بحضور الاميرال بارجو الذي سأل عن امكانية اشتراك اسرائيل بعمل عسكري في سيناء . وذلك لمجرد العلم ، انتظارا لاية ظروف سياسية قد تكون ملائمة لاشتراك اسرائيل فعليا . وكانت القوات الاسرائيلية في تلك الآونة قد ردت بعنف على الهجمات التي شنت ضدها على الجبهة الاردنية ، وساهم هذا الجو في اضعاف تأثير على محادثات السويس .

ومع استمرار تدهور الموقف السياسى ، كنت أركز كل جهودى على اعداد الجنود والمعدات والطائرات بحيث تسند لاي طارئ ، هذا مع اعادة فحص خطط الطوارئ بالنسبة لمصر ابتداء من الاسبيلاء على كل سيناء وانتهاء بالقيام بعمل محدود كالاستيلاء على مضائق تيران أو فطاح غزة . وشرحت لرجالى الموقف الذى نواجهه فى وجود مشاكل عالمية مثل قناة السويس ومشاكل محلية مثل قطاع غزة الذى تشن منه الهجمات ضدنا ومضائق تيران التى تفرض الحصار حولنا . وبيئت لهم انه اذا ما اتخذت الحكومة الاسرائيلية قرارها فسوف تقوم اسرائيل بعمل عسكري ضد مصر ، سواء رضيت بذلك القوى المعادية لمصر أو لم ترض .

وذهب شمعون بيريز الى باريس للتوصل الى تخفيف شروط تسديد ثمن المعدات ، لكنه نظرا لصداقته بوزيرى الخارجية والدفاع الفرنسيين ورئيس وزرائهما ، فقد تقرر أن يجرى معهم محادثات صريحة وغير رسمية حول موضوع التعاون السياسى الفرنسى الاسرائيلى فى الشرق الاوسط . وطلبت منه أن يصر على عدة أمور منها أن تأتى المبادرة من جانب فرنسا اذا ما أرادت مثل هذا التعاون ، وأن تتم صفقات الاسلحة سرا نظرا لوجود اتفاقية تنسيق مشترك بين فرنسا وانجلترا وأمريكا فيما يتعلق بتزويد اسرائيل بالسلح . وكان رأيى أن الوقت قد حان - اذا أرادت فرنسا تعاوننا معنا - لان يتم هذا التعاون بين حلفاء متساويين ، لا مع قاصر خاضع لوصاية ثلاثة .

كذلك فقد كان ضروريا أن نتجنب أى صدام مع انجلترا قد يؤدى الى قيامها بعمل عسكري ضد اسرائيل ، نظرا لارتباط انجلترا باتفاقيات دفاع مع عدد من الدول العربية . هذا بالاضافة الى أنه اذا ما قامت العرب فسيكون فى وسع اسرائيل تصحيح حدودها فى سيناء وذلك بضم نهر التسيخ ونخل وأبو عجيلة ورفح ، وجميع هذه المناطق صحراوية غير مأهولة ، واعترف بأننى كنت أشك فى أن ينجح بيريز فى التوصل الى كل ما فلت له وسلف بيانه . لكنه فاجأنى عندما استطاع تحقيق ما كنت أظنه مستحيلا .

وعقب سفر بيريز بثلاثة أيام أبرق الى أن وزير الدفاع الفرنسى قد استكشف مع احتمالات اشتراك فرنسا واسرائيل فى عمل عسكري دون اقحام بريطانيا . وعندما التقى الوفدان الفرنسى والبريطانى فى لندن فى ١٢ سبتمبر (أيلول) ، أفاد الوفد البريطانى بضرورة تأجيل (عملية موسكتير) واضطراهم لقبول اقتراح جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا بإنشاء هيئة المنتفعين بقناة السويس . وخسرت فرنسا ذلك بتخلى

بريطانيا عن القيام بعمل عسكري ضد مصر ، ولذا اسندت فرنسا
نحوها .

وانهز وزير الدفاع الفرنسي فرصة البرقية التي أرسلها الى بن
جوريون مهنئا بعيد ميلاده السابعين ، فأكد على رغبة فرنسا في (عمل
سـ) مع اسرائيل دفاعا عن مصالح البلدين ضد العدوان المصري . كان
التوقيت بالنسبة لفرنسا هاما ولذا حيدت اتخاذ اجراء فوري في حين
رأت بريطانيا انتظار ظروف أكثر ملاءمة . ولذا فقد بعث بن جوريون
برد شخصي أكد فيه على استعداد اسرائيل لتبني سياسة مشتركة مع
فرنسا ، ووقف الى جانب فرنسا في أهمية التوقيت ، والاستعداد لعمل
مشترك مع فرنسا بدون بريطانيا .

وعادت أعمال التخريب والعنف مرة أخرى ، وكنت أرى ضرورة
القيام بعمليات عسكرية ضد الدول العربية التي نشأت منها هجمات
الفدائيين ، حتى تتوقف تلك الدول - وخاصة الاردن - عن مساعدتهم .
وإزاء تصاعد أعمال العنف على الجبهة الاردنية ، دعا بن جوريون يوم ٢٥
سبتمبر (أيلول) الى اجتماع للوزارة لبحث اتخاذ اجراء عسكري ضد
الاردن . وحددت لبن جوريون عدة أهداف عسكرية يتمركز فيها الجنود
بعيدا عن المدنيين ، لكنه خشى من أن يؤدي ذلك الى إعاقة التعاون الفرنسي
الاسرائيلي ، أما بيريز فقد أوجز لبن جوريون نتائج آخر اجتماع للهيئة
المنتفعين في لندن يوم ٢١ سبتمبر (أيلول) حيث عاد وزير الخارجية
الفرنسي بعد أن أبلغ ايدن أن فرنسا قد تقوم بعمل عسكري مع اسرائيل،
وحصل من ايدن على موافقته على ذلك على ألا تهاجم اسرائيل الاردن .

وكان وزير الدفاع الفرنسي يرى أن بريطانيا في النهاية ، قد تشترك
في العملية وأن الولايات المتحدة لن تتدخل ، لكنه لم يكن يعرف رد فعل
الاتحاد السوفيتي . وفي ضوء هذه الوقائع خولت الحكومة الفرنسية
وزير الدفاع دعوة ممثلي اسرائيل لبحث اتخاذ عمل مشترك معهم ضد
مصر .

ومع أن بن جوريون كان يريد القيام بعمل مشترك مع فرنسا ضد
عبد الناصر ، إلا أنه كان يعتقد أن الموضوع لن يسفر عن شيء هام . وكان
اهتمام بن جوريون موجها نحو احتلال الضفة الغربية لخليج العقبة وسرم
الشيخ الامر الذي يؤدي الى ازدهار الميناء في ايلات وبالتالي ازدهار النقب
كلها .

كانت العراق هي الدولة الوحيدة التي لم توقع معنا اتفاقية للهدنة،
ونذا بقيت في حالة حرب مع اسرائيل . وقررنا ألا نهاجم الاردن طالما لم
يسمح بدخول القوات العراقية أراضيها ، وأكد بن جوريون أن بريطانيا
قادرة على تحييد الاردن وعدم ادخالها الحرب . وقرر بن جوريون ايفاد
وفد الى فرنسا يضم جولدا مائير وزيرة الخارجية وموسى كارمل وزير
المواصلات وشمعون بيريز وأنا .

واشتركت قبيل سفرى الى باريس في عملية قامت بها قواتنا انتقاما
لعمليات تخريبية . وقد نجحنا في نسف الموقع العربي ، لكننا خسرنا
عشرة قتلى و١٦ جريحا . وبدأ لي من الضروري القيام بمواجهة شاملة مع
العدو يتم بعدها وضع أسس السلام على طول الحدود .

وقبيل سفرنا الى باريس اجتمعنا مع بن جوريون الذي أعطانا
التوجيهات التالية :

✳ ان اسرائيل ستشارك في العمليات اذا ما بدأها أصدقاؤها .
✳ أن نتأكد من أن الولايات المتحدة لن تعارض العملية ولن نعرض
عقوبات على اسرائيل .
✳ أن توافق بريطانيا ، ولا تشارك مع أية دولة عربية تساعد
مصر .

✳ ان هدفنا هو السيطرة على الساحل الغربى لخليج العقبة ، وفد
نفكر بعد ذلك في نزع سلاح سيناء كلها ولو تحت إشراف دولي .

ومن ناحيتى أضفت التوجيهات التالية بشأن العمليات .
✳ أن تعمل قوات كل دولة - الأرضية والجوية - في قطاعها
منفصلة عن الأخرى حتى مع وجود قيادة مشتركة .

✳ إذا تلقينا المعدات الكافية ، ودخلت القوات المصرية مصر ،
فسنقوم باحتلال الجانب الشرقى من قناة السويس (أى كل سيناء) .

✳ ألا يكون تزويدنا بالمعدات شرطا نعلق عليه اشتراكنا في
العمليات .

وكان بن جوريون قلقا ازاء موقف الولايات المتحدة ومتشككا في
موقف بريطانيا . أما أنا فقد كنت أخشى أن تندمج بريطانيا الى مساندة

الاردن ضدنا • وكانت الاردن والعراق قد وقعتا اتفاقية دفاع مشترك
لننسيق العمل العسكري بينهما •

وفى ٢٨ سبتمبر (ايلول) توجهنا الى فرنسا • وفى اليوم السالى
بدأت اجتماعاتنا فى منزل يملكه المستشار السياسى لوزير الدفاع فى
مونبارناس • ورأس الوفد الفرنسى كريستيان بينو وزير الخارجية •
وبدا بينو بعرض للموقف من وجهة نظر بلاده مبينا أنه لم يعد هناك الا
القوة بعد أن أمم عبد الناصر القناة ، واقترح النصف الاول موعدا للعملية
حيث تكون الاحوال الجوية مواتية فى البحر الابيض المتوسط ، بالإضافة
الى انتهاز فرصة الانتخابات الامريكية وحرص ايزنهاور على عدم الظهور
أمام ناخبيه كمن يضحى بحلفائه بريطانيا وفرنسا •

ركان على بينو أن يسافر الى الولايات المتحدة للمشاركة فى اجتماع
مجلس الامن ، حيث داج هامرشولد - السكرتير العام للأمم المتحدة - قد
اقترح تكوين لجنة رباعية تتولى الوساطة بين مصر والدول الغربية •
راستعدت فرنسا لاستخدام الفيتو ضد هذا الاقتراح • وأكد لنا بينو أن
فرنسا لا تطلب مشاركة اسرائيل كحل لمشاكل فرنسا ، وانما لو اشتركت
اسرائيل فان ذلك يتم دفاعا عن مصالح اسرائيل ، فى حين تتحمل فرنسا
المسئولية عن عملها ضد مصر • وأشار بينو الى أن اتفاقية ١٩٥٥ المعقودة
بين مصر وبريطانيا تعطى للاخيرة الحق - فى حالة الحرب - فى احتفاظ
بعساة السويس ، أى أن هناك أساسا قانونيا لمثل هذا العمل •

وبعد أن تحدث بينو لمدة ٤٥ دقيقة ، قام وفدنا بعرض وجهة نظر
اسرائيل • وبدأنا بالاتفاق على أن العلاقات مع عبد الناصر لم يعد ممكنا
معالجتها بالوسائل الدبلوماسية ، ولم يبق الا الحل العسكرى • بانبا :
اننا نعتبر فرنسا صديقا وحليفا ومستعدون للعمل المشترك معها •
نالت • ما هو موقف بريطانيا وهل ستقف الى جوار الاردن • رابعا • ما
هو موقف أمريكا وهل ستفرض علينا مقاطعة اقتصادية • وأخيرا : ما الذى
سيفعله الاتحاد السوفيتى وهل سيرسل جنوده لمساعدة مصر • ؟

٤
كانت أجوبة الفرنسيين تنسم بالحدر • قيل لنا أنه كلما قصر أمد
العملية كلما سهل تفادى التدخل الروسى المباشر ، مع الوضع فى الحسبان
أن يعمل البولنديون والتشيك كطيارين فى مصر • ورأى الفرنسيون أن
الاس سوف بصر على سياسة عدم التحرك ، ونصحنونا بالأ نفاثحه فى
الموضوع ، اذ أنه عندما سئل عن رأيه وافق على اشتراك اسرائيل ولكن
بعد نهاية العام أى بعد انتهاء الانتخابات الامريكية • أما بالنسبة

لبريطانيا فكانوا يرون انها لن نحسارب اسرائيل طالما لم نقم الاخيرة
بالهجوم على الاردن •

وبدا واضحا أن فرنسا تنتظر قرار بريطانيا بشأن العملية ، وانها
تحبذ قيام اسرائيل بالبدء في الهجوم وفقا لتخطيطها ، وعندئذ يمكن
ضمان اشتراك بريطانيا • ولم أكن سعيدا بما انتهت اليه هذه الحولة
من المحادثات اذ بات واضحا أن قرارا لن يتخذ قبيل انتهاء اجتماعات
مجلس الامن الامر الذي لا يترك لنا وقتا كافيا للاعداد العسكري • ولم
يكن باستطاعة فرنسا دخول الحرب بمفردها خوفا من العواقب السياسية
والعسكرية ، كما كنا نعرف أن بريطانيا لا تريد تلطيخ اسمها وبالمشاركة
معنا في حرب ضد العرب ، وانها كانت تفضل لو قمنا بالحرب وحدنا
ثم سارعت القوات البريطانية الى طردنا من مصر والعودة الى احتلال
الغداة •

وبعد أن تناولنا الغداء عدنا الى الاجتماع مرة ثانية حيث بدأنا ببحث
الامور العسكرية • وكان أول ما يحتنا احتمال استخدام قواعد الطيران
الاسرائيلية كبديل للقواعد البريطانية في قبرص وفقا لخطه (موسكتير) •
وانتهى اجتماعنا والاتفاق على الاجتماع في اليوم التالي مع رئيس هيئة
الاركان الفرنسية ، على أن يعود معنا الى اسرائيل وفد فرنسي لبحث
امكانية استخدام اسرائيل بديلا عن قبرص •

وحاولت جهدي خلال الاجتماع مع رئيس الاركان وزملائه العسكريين،
أن أفنعمهم بامكانية نجاح العملية بدون اشتراك بريطانيا • وسألنا
الفرنسيون عن القوات التي سوف نقدمها اسرائيل فأبلغهم بأنها تقدر
فيما بين ٦ الى ٨ فرق مشاة ومدعة و٧٠ طائرة مقاتلة ، وعلى الرغم من
صغر هذا الجينس فقد كنت موقفا بأن في وسعه هزيمة المصريين لا بدون
بريطانيا فحسب بل وبدون فرنسا أيضا •

وبحثنا الموقف بالنسبة للطائرات والمطارات المصرية ، خاصة وقد
كان في مصر عدد من الطيارين والفنيين التشيك والبولنديين ، وفي الامكان
دعوة غيرهم على وجه السرعة لو بقيت المطارات سليمة • وكانت قوة
الطيران المصري تبلغ ١٥٠ طائرة ميج و٤٠ قاذفة اليوشن • أما من حيث
السلح البحري فقد تقرر أن تقوم البحرية الاسرائيلية بحماية الشواطئ
الاسرائيلية وتتولى البحرية الفرنسية أمر الشواطئ المصرية ، اذ لم يكن
لدينا في ذلك الوقت أية غواصات •

وسألني الفرنسيون عما اذا كنت أعتزم الاحتفاظ برأس جسر على الضفة الغربية من القناة . وأجبت بالنفي . كنت أعلم أنهم سيسألونني عن القاهرة ، وعندما سألوني أجبتهم بأن احتلال القاهرة سوف يخلق تعقيدات رهيبة لا بد من تجنبها . وكنت في ذلك الوقت أعبر عن رأي شخصي بحث .

ولم أستطع معرفة حجم القوات الفرنسية التي ستشارك في العملية . وأبلغوني أن الخطة الانجليزية الفرنسية تضم ٤ فرق مشاة ، بالإضافة الى فصف المطارات المصرية ، والهدف هو الاسنيلاء على فناء السويس . وفي نهاية الاجتماع أعرب الفرنسيون عن رضاهم عن الخطة الاسرائيلية التي ستمكنهم من اتمام العملية فيما لو انسحبت انجلترا منها ، وأبلغوني أن هناك ٧٥ طائرة قاذفة فنانبل و٢٥ طائرة ميستير ستشارك من جانبهم . وقد أبلغتهم أننا سنقدم للوفد الفرنسي كل التسهيلات لتفتيش مطاراتنا ومعرفة قدراتها على استقبال الطائرات الفرنسية ، أما استعمال هذه الطائرات لمطاراتنا فأمر متروك لحكومتي لاقاراره .

وعندما سألوني عن احيانا قدمت لهم القائمة التي كنا قد أعدناها ، وتنضمن دبابات وعربات مصفحة ومدافع بازوكا وطائرات نقل . وتفاهمنا على التوقيت بعد أن بينا لهم أن جيش اسرائيل الذي يعتمد على الاحتياطى يحتاج الى ٥ أو ٧ أيام لاتمام التعبئة (بارتياح) ، وحيث أن منافسات مجلس الامن منتهى في ١٢ أكتوبر (تشرين الثاني) ، ثم يتخذ القرار النهائي يوم ١٥ ، فاننا نكون جاهزين تماما يوم ٢٠ .

كان الفرنسيون في حيرة ازاء أمرين يتعلقان بالعملية وبدايتها ونهايتها . كانت فرنسا وانجلترا في حاجة للهجوم على مصر ، أما اسرائيل فكانت لديها المبررات الكافية ازاء هجمات التخريب والاستعداد المستمر للحرب من جانب مصر . وكانت النهاية بالنسبة لنا طرد المصريين من سيناء وفتح العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية . كذلك كنا نحن أيضا نود أن يغيب عبد الناصر ويحل محله نظام جديد يسعى نحو السلام . لكن ذلك لم يكن جزءا أساسيا في خطتنا ، فقد كان احتلال سيناء كفيلا بتحقيق أهدافنا حتى لو بقي عبد الناصر .

وأدرك الآن فقط السر في تردد بن جوريون في أن نقوم نحن بالعملية ونبدأها . كانت هناك أسباب كثيرة تضطرننا ألا نفعل ذلك . أما الآن فقد سنحت فرصة لن نتكرر حيث نقوم بالعمل ولكن دون أن

نكون بمفردنا بل معنا فرنســا وربها انجلدرا • وكان رأيي أن نفعل
أنصى ما فى وسعنا للاستفادة من هذه الفرصة التاريخية •

وغادرنا باريس مساء الاول من أكتوبر (تشرين) وبرفطنا الوفد
الفرنسى العسكرى ، ووصلنا الى اسرائيل فى اليوم التالى • وكان أمام
الوفد الفرنسى بالاضافة الى استكشاف مطاراتنا ، عدة مهام منها تحديد
درجة حاجتنا الى المعدات التى طلبناها وامكانيات وصول الاسـلحة
واستيعابها فى الموعد المحدد •

وذهب الوفد الاسرائيلى الى رئيس الوزراء لابلاغه بنتائج محادثات
باريس • أما الوفد الفرنسى فقد اجتمع مع لجنة تمثل الاسلحة الثلاث ،
وبوصلوا الى ضرورة الاسراع فى تزويدنا بالاسلحة حتى ولو وصلت بعد
بدء المعركة • وبالفعل أبرق الوفد الى وزارة الدفاع الفرنسية يوصون
بسرعة امدادنا بالاسلحة • وفى الليل عقدت اجنماعا لضباط القيادة
أبلغتهم فيه بالانذار بالحرب فى حدود يوم ٢٠ من الشهر أى بعد ٦٨
يوما ، والمتوقع أن تستمر ثلاثة أسابيع •

وأخذنا استعداداتنا لاعلان التعبئة ، وطلبت استدعاء الضباط الذين
يندرسون فى الخارج - وفى صباح ٣ أكتوبر (تشرين) تلقيت مذكرة من
رئيس الوزراء تتسم بالتشاؤم والتحفظ وخاصة فيما يتعلق بعدم اشتراك
بريطانيا وخشيته من أن تتعرض مدن اسرائيل للقصف الجوى • صحيح
انه لم يرفض الخطة ولم يؤيدها ولكنه طلب ابلاغ الفرنسيين ببدى
التعقيدات التى قد تواجهها اسرائيل • وقد جانب الصواب بن جوريون
فى هذا رأى ، فالفرنسيون يجذبون اشتراك بريطانيا معنا بل انهم
شاركونا لانه لم يكن أمامهم بديل آخر •

واجتمعت أنا وشمعون بيريز مع بن جوريون قبل أن يلتقى بالوفد
الفرنسى • ورجوته بالحاح أن يعدل عن فكرته فى ارسال مذكرة الى جى
مؤييه رئيس وزراء فرنسا يشرح له فيها شكوكه ومخاوفه ، وناشدته
انتظار الاقتراحات الفرنسية النهائية • وأخبرت بن جوريون أن تديره
للطيران المصرى مبالغ فيه ، وأن الطيران الفرنسى قادر على احداث اضرار
حسيمة بالطيران المصرى حتى ولو لم تشترك بريطانيا • ولم أندم على أن
نبرة صوتى فى الحديث كانت مرتفعة ، فما دامت فرنسا عازمة على
الاشتراك معنا فى عمل واحد ، فسوف نكون فى قمة النحس لو رفضنا
عرضها وعدنا الى الحالة التى كنا عليها فى صراع منعزل •

وأثناء اجتماع الوفد الفرنسى مع بن جوريون . سألته كيف سيحفظون هدفهم الرئيسى وهو إسقاط عبد الناصر فى حين أن خططهم ترمى الى احتلال قناة السويس ؟! وقال ان الجيش يمكنه القيام عندئذ بأعمال فدائية ضدهم وقد يطلب عبد الناصر معونة سوفيتية . ووافق الفرنسيون على هذا رأى ولم يجدوا عليه حوبا فى خططهم الراهنة . كذلك أبدى بن جوريون اهتمامه بالتطور الذى سيحدث خلال أيام المعركة وبعدها ، وأعرب عن تشككه فى اشتراك بريطانيا .

وعدتا مع الوفد الفرنسى الى تل أبيب ، حيث طلبنا قائمة جديدة من المعدات لسلاحنا الجوى . وأبدت اهتماما بموضوع الاسراع فى المعركة . وكنت أضغ فى ذهنى الخلاف بين الجنود الاسرائيليين والجنود المصريين . فالمصريون يحاربون طبقا لنظريات الحرب ، وقادتهم بعيدون عن الجبهة ، وليس من السهل بناء الخطوط الدفاعية البديلة ، وتغيير أهداف الهجوم . أما نحن فكنا معتادين على السرعة وقادتنا فى المواقع يتخذون القرارات فورا .

وكان من رأى أن نستفيد من هذه الميزة . ولذا وضعت خططنا على أساس إسقاط قوات مظلية بالقرب من هدفنا النهائى ، مع التحكم فى الممرات التى يستخدمها المصريون فى تدعيم قواتهم ، والاحتفاظ بهذه المواقع الهامة الى أن تصل قواتنا الرئيسية بعد قرابة ٤٨ ساعة . وأثنى الفرنسيون على كفاءة قواتنا مؤكدين أن فكرتهم عن جيشنا قد تبدلت .

ولم تخل هذه الاجتماعات العسكرية من بحث أمور عسكرية مثل سبب بدء المعركة وكيف ستنتهى . كنت أثناء تقديمى للخطط أبين أن الهجوم الاسرائيلى سوف يواكبه فى نفس الوقت هجوم فرنسى . وسألنى الفرنسيون عما اذا كانت هناك أهمية عسكرية لذلك ، فأجبتهم بالإيجاب اذ أن ذلك سيجبر عبد الناصر على توجيه غالبية قواته لصد الفرنسيين وترك قواته فى سيناء دون تدعيم . أما من الناحية السياسية فان رد الفعل العربى والعالمى سيختلف فيما لو قامت اسرائيل بالحرب وحدها عما لو قامت بها فى نفس الوقت مع فرنسا .

وفى الوقت الذى أبلغنى الفرنسيون فيه صعوبة قيام قواتهم بالهجوم فى نفس اليوم الذى سنهاجم فيه ، فانهم سألونى نفس الاسئلة التى وجهها اليهم بن جوريون والتى لا بد أن رؤسائهم سيوجهونها اليهم فى باريس : ما الذى نفعله لو وصلت قوات كل منا الى مواقعها المحددة دون أن ينتج عن ذلك نظام مصرى جديد ؟ وماذا لو بدأ عبد الناصر حربا

عدائيه ، وأليس هناك خطر من أن تنقلب الحرب القصيرة الامل الى حرب طويلة منهكة ؟

وكانت تلك مشكلة بالفعل ، ولم يكن هناك من مخرج لها • لكنها كانت تمثل لنا مشكلة أكبر مما تمنله لفرنسا • فنحن دولة ناشئة وأى هزيمة سوف تصيينا فى الصميم ، أما فرنسا فدولة كبرى لن تهتز أسس وجودها حتى ولو اضطرت الى سحب قواتها • وأجبت بأن المصريين هم أصحاب المشكلة الحقيقية فهم الذين ستصيبهم الخسائر •

وفى ٤ أكتوبر (تشرين أول) اجتمعت مع بن جوريون الذى وافق على كل افتراحاتى ، وعلى الإستمرار فى الاستعداد للمعركة دون انتظار لمناقشة الحكومة لها واتخاذ القرار بشأنها ، وعلى أن نقبل الاسلحة من فرنسا - فاذا ما ألغيت الخطة أعدناها أو دفعنا تمناها • وأكد بن جوريون للوفد استعداد لابقاء قوات اسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة طالما كانت هناك على الضفة الغربية قوات فرنسية حتى ولو كانت رمزية • واتفق الجانبان على ضرورة الحصول على موافقة بريطانيا ولو كان ذلك بالصمت •

لم يكن بن جوريون متفائلا بشأن الخطة ولم يكن يتوقع أن توافق عليها الحكومة الفرنسية الا بنسبة ٢٠٪ ، وكنت أكثر تفاؤلا منه • ومضينا فى اتخاذ الاستعدادات اللازمة ، وعقدت الاجتماعات اللازمة مع قادة الافرع والاسلحة • وعقدت اجتماعا يوم ٨ أكتوبر (تشرين) لاصدار الاوامر الخاصة بخططنا التى أسميناها (عملية قادس) تيمنا باسم آخر موقع سكنه أبناء اسرائيل فى سيناء قبل أن يتوجهوا نحو الارض الموعودة •

وكان من بين الاوامر التى أصدرتها الاصرار على أن الهدف ليس هو قتل أكبر عدد ممكن من جنود العدو وانما الاستيلاء على أسلحتهم ومعداتهم • وتقرر استخدام المظليين فى السيطرة على أهم المواقع ، مع دفع المشاة بسرعة للتقدم الى الامام حتى ولو تخطوا مواقع العدو ، مع الاهتمام بالألا يعتمد أى تشكيل فى تقدمه على مدى التقدم الذى تحرزه التشكيلات الأخرى • وحرصنا على ألا تكشف مخابرات العدو الامر والا نفقدنا عنصر المفاجأة •

وفى يوم ١٠ أكتوبر (تشرين أول) قامت قواتنا بهجوم - تم تخطيطه بسرعة - على قرية قلقيلية الاردنية • وقد حقق الهجوم أهدافه

لكن خسائرننا كانت كبيرة اذ قتل منها ١٨ (منهم ٨ ضباط) وجرح ٥٠ (من بينهم ١٤ ضابطا) . هذا بالاضافة الى أن علاقاتنا مع بريطانيا عرضت للخطر . وكانت الايام القليلة السابقة قد شهدت مقتل عدد من العمال والفلاحين الاسرائيليين . وكان بن جوريون قد طلب منى عدم القيام بأعمال انتقامية وخاصة فى هذا الوقت الذى يجب أن نظهر فيه كضحايا لا معتدين . وازاء استمرار أعمال العنف فقد قررت الحكومة القيام بأعمال انتقامية تركزت فى قلقيلية .

واستمرت معركة قلقيلية طوال الليل ، ولولا قيام مجموعة انقاذ بفتح طريق العودة لجزء من القوة كان محاصرا ، لكانت قوة من المدرعات والمشاة قد تقدمت تحت حماية الطيران - وفقا لوامرى - لانقاذ المحاصرين . وسرعان ما بدأت التعقيدات السياسية ، فقد اتصل القنصل البريطانى بوزارة الخارجية الاسرائيلية لابلغها أن الملك حسين طلب ارسال الطيران البريطانى لنجدة القوات الاردنية وفقا لمعاهدة الدفاع المشتركة . وفى اليوم التالى أبلغ القائم بالاعمال البريطانى رئيس الوزراء أن طابورا عراقيا يتقدم نحو الاردن ، واذا اتخذت اسرائيل أى اجراء فان بريطانيا ستقف الى جوار الاردن .

واعترض بن جوريون على التحرك العرافى واحتفظ بحرية اتخاذ الاجراء اللازم فى حال حدوثه . وبالطبع لم تسهم هذه التطورات فى تحسين العلاقات مع بريطانيا فى الوقت الذى كنا فيه على شفا تحرك مشترك ضد مصر .

١٤ الاتصال الفرنسي الثاني

وفى ١٨ أكتوبر (تشرين) بعث جى موليه رئيس وزراء فرنسا ببرقية الى بن جوريون يدعوه فيها الى باريس لبحث الامور بشكل مباشر . وقررنا السفر يوم ٢١ الى باريس بعد أن عرفنا نتائج الاجتماع الفرنسي البريطاني الاخير والذي سلم فيه البريطانيون اعلانا يتضمن ففرتين بتوقيع ايدن رئيس الوزراء وطلبوا ابلاغنا به . وقد شعر البريطانيون بأن هذا الاعلان كفيف بطمأنة قلوبنا وجعلنا نبدأ المعركة بمفردنا ونصل الى القناة .

ونصت الفقرة الاولى على أن بريطانيا وفرنسا سوف تطلبان من مصر واسرائيل سحب قواتهما من منطقة القنال ، فاذا رفضت احدهما تدخلت قوات الدولتين لضمان سيولة الملاحة . وهذا الشرط يقدم الاساس القانوني والسياسي والمعنوي لغزو مصر . أما الفقرة الثانية فتؤكد أن بريطانيا لن تدخل الحرب الى جوار مصر حتى ولو طلبت منها ذلك . ولم يكن الحال هو نفسه مع الاردن التي ما زالت بريطانيا مرتبطة معها بمعاهدة دفاع .

ولم يعتبر بن جوريون هذا الاعلان أساسا للقيام بعمل مشترك ، وأصر على ألا تكون البادئين بالحرب بينما يظهر البريطانيون والفرنسيون

بمظهر ملائكة السلام الذين يعيدون الهدوء الى المنطقة • وفلت.
لبن جوريون زنى أنظر للامور من زاوية أخرى ، فالبريطانيون
والفرنسيون بطائراتهم الخمسمائة قادرون على القضاء على سلاح الطيران
المصرى ، بالإضافة الى الاسلحة الارضية والبحرية ، لكننا نملك ميزة
يحتاجونها وهى أننا نقدم لهم الحجة اللازمة للعملية . وبذلك نتاح لنا
الفرصة لدخول (نادى) معركة السويس • كذلك فقد كنت أرى أن
مواجهتنا مع مصر تشكل حالة من الحرب المستمرة ، فإزاء تصرفات
ناصر كغلق العقبة كان علينا أن نأمر قواتنا بعبور الحدود والقتال ، أى
أن الرأى البريطانى سليم ونستطيع نحن أن نقدم الحجة اللازمة •

وأبلغت بن جوريون أننا قد نفقد فرصة ناريخية لن تسنح مرة
ثانية • فسوف يتحتم علينا أن نمضى فى صراعنا مع ناصر بمفردنا بدون
معوثة انجلترا وفرنسا وبدون الاسلحة الفرنسية التى سنحصل عليها
فى اطار العملية • ولنفرض أننا قمنا من جانبنا فقط باحتلال شرم
الشيخ لتأمين الملاحة فى العقبة ، ألم يكن ذلك كفيلا باثارة الدول الكبرى
وضغطها ضدنا ؟ لهذه الاسباب كنت مقتنعا بأن نقوم بالحرب على أن
تؤمن لنا فرنسا الحماية البحرية والحماية الجوية الدفاعية لحيفا ونبل
أبيب ، وعلى أن تشترك بريطانيا وفرنسا بعد عدة أيام بالاستيلاء على
القناة •

وجاءت طائرة فرنسية لتقلنا الى باريس ، وجاء على متنها اثنان
من أعضاء الوفد الفرنسى للبدء فى المحادثات قبل الوصول الى باريس
• وكان محور الحديث يدور حول (الحجة) أو (السيناريو) كما
أسماء الفرنسيون • ولم تكن بريطانيا قد تزحزحت عن موقفها ، وحاول
الفرنسيون اقناعنا بقبول العرض الوحيد الذى يمكن لبريطانيا أن
نشتترك بمقتضاه ، وهو أن تظهر كوسيط يعيد النظام للمنطقة •

وسألت الفرنسيين عما اذا كانوا مستعدين لنجدتنا اذا ما تعرضت
مدننا للقصف خلال الساعات الاربع والعشرين ، فأجابوا بالنفى وأضافوا
أن بريطانيا ترى أن ذلك سيفسد (السيناريو) • ولم أتملك نفسى عند
هذا الحد ، وانفجرت ، فلم أكن أفهم أن يقوم طرف بعملية تم يأتى
شريكاه ليطرده • أو أن تتعرض مدننا للقصف المصرى لان طائراتنا
مشغولة بالتمهيد للغزو الفرنسى البريطانى ثم لا تأتى طائراتهم لنجدتنا
لسبب واحد هو عدم افساده (السيناريو) •

وهنا عرض الفرنسيون ابقاء دوريات فرنسية في اسرائيل ، نفوم بعمل واحد هو الدفـع عن المدن الاسرائيلية في حالة الطوارئ فقط . ومع أننى لم أرفض هذا العرض ، فقد كنت أرى أن قيامنا بعمليات بالقرب من القنـة لن يدفع المصريين الى قصف مدننا خوفا من أن نرد بالمنـل .

وتوجه وفدنا الى المطار مكونا منى ومن بن جوريون وشمعون بيريز وموردخاى بار أون مسدير مكتبى . ولم يكن بن جوريون قد علم بأمر المبعوثين الفرنسيين الا عندما ابلغته بها ونحن فى طريقنا الى المطار ، وكاد أن يلغى الرحلة برمتها عندما علم أن الفرنسيين يريدون فرض الخطة البريطانية علينا . وعندما وصلنا المطار قال لهما بن جوريون ، وهو يتمالك أعصابه بصعوبة ، أن الامل الوحيد الباقى هو لقاء رئيس وزراء فرنسا .

ووصلنا الى باريس يوم ٢٢ بعد رحلة مرهقة استمرت ١٧ ساعة . وبعد استراحة قليلة بدأت الاجتماعات ، وضم الوفد الفرنسى رئيس الوزراء ووزيرى الخارجية والدفاع . وبدأت المناقشات بأمر عامة . وبدأ بن جوريون بعد ذلك بتحذير الفرنسيين من أنه سوف يقدم اقتراحا قد يبدو للوهلة الاولى خياليا أو ساذجا . وقال انه يرى أن الاردن لا تملك مقومات الدولة ولذا فانه يقترح تقسيمها ، فيعطى الجزء الشرقى منها الى العراق مقابل تعهدها باسكان اللاجئين فيها . أما غرب الاردن فتكون اقليما له حكم ذاتى فتصبح جزءا من اسرائيل . وتتنازل لبنان عن بعض من ضواحيها الاسلامية . وقال بن جوريون ان هيكـل الشرق الاوسط بهذا الشكل يسهـج لانجلترا بالسيطرة على العراق التى تأخذ الاردن . ويكون النفوذ الفرنسى مهيمنـا على لبنان وربما على سوريا بالإضافة الى الصـلات الثمينة مع اسرائيل . وبذلك تصبح الملاحة فى قناة السويس مضمونة دوليا وتسيطر اسرائيل على مضائق تيران .

قل بن جوريون ان ذلك سوف يجعل من والسهـل قيام سياسة مشتركة بين الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا وبريطانيا واسرائيل . وأسار بعدم التسرع فى العمل العسكري ونصح باستكشاف الاحتمالات السياسية ، وأكد أن الوقت ملائم لاعادة تقييم الامور على هذا النحو .

واسنـمـع الفرنسيون الى بن جوريون باهتمام ، لكنهم كانوا متمسكين بالخطة العسكرية . وكان من رأيهم أن الامريكيين لن يقتنعوا بضرورة قلب نظام عبد الناصر ، وانهم لم يفهموا المشاكل الاوروبية الا قبل مرور

سنتين ، فذلك ما قد حدث فى الحرب العالمية الاولى عندما تدخلوا عام ١٩١٧ وفى الحرب العالمية الثانية عندما تدخلوا عام ١٩٤١ •

ونحدث بينو - وزير الخارجية - فحذر بن جوريون من أن السعى لحل جميع المشاكل مرة واحدة لن يحل أى مشكلة ، وأن ايدن يواجه مناعب فى البرلمان ومن حزب العمال بل ومن حزبه وحكومته ، وكلما طال الوقت كلما ازداد موقفه ضعفا . اما ناصر فقد كانت قبضته تزداد احكاما كل يوم وصلاته تنوثق مع الروس ، ولهذا فانه يرى أن الفرصة المناسبة السانحة الآن قد تضيع • وعدد بينو ثلاثة أسباب للقيام بالعمل فوراً هي : ان البحر الابيض المتوسط ستشتد أمواجه بعد هذا الشهر ولن يصلح للانزال ، وان أمريكا مشغولة فى انتخابات الرئاسة ولا وقت لديها للشرق الاوسط ، وان روسيا مشغولة فى مشاكل داخلية فى بولندا وغيرها •

وعاد بن جوريون الى تأكيد أنه لا يريد حل كل المشاكل مرة واحدة ، وانما على مراحل • وهكذا نشأ الخلاف بين بن جوريون والوفد الفرنسى على أساس شخصى ، فبن جوريون كان يحبذ الحلول الشاملة ، أما الفرنسيون فكانوا يبحثون عن الترتيبات العملية للغزو العسكرى الذى يعتزمونه مع البريطانيين • وكان بن جوريون يريد انتهاز فرصة وجود اسرائيل مع بريطانيا وفرنسا لتحقيق سياسة متفق عليها تغطي كل مشاكل الشرق الاوسط •

وأوضح وزير الدفاع الفرنسى أنه ما لم تتم العملية خلال أيام فان فرنسا ستسحب منها ، اذ لم يعد ثمة داع لحشد كل هذه السفن ، كما أكد استعداد البحرية الفرنسية لحماية شواطئ اسرائيل بل والمشاركة فى الدفاع ضد الطائرات • كذلك فقد وافق على ابقاء قوات جوية فرنسية فى اسرائيل واشراكها اذا اقتضى الامر فى الدفاع الجوى •

وفى الساعة السابعة مساء وصل سلوين لويده وزير خارجية بريطانيا ، ولم يشترك معنا فى الاجتماع وانما التقى بالفرنسيين فى غرفة مجاورة حيث لخصوا له ما تم حتى الآن من محادثات • تم عاد الفرنسيون بمفردهم واستمر الاجتماع • وبات واضحاً أن الموقف وصل الى طريق مسدود لا مخرج منه ، فلم يكن بن جوريون مستعداً لقبول المقترحات البريطانية وأبدى استعداده للسفر الى اسرائيل صباح اليوم التالى • وهدد رئيس وزراء فرنسا بتسريح قواته المعبأة ما لم يتخذ قرار حاسم وسريع •

وعاد بينو الى قراءة الجدول الزمني الذي وضعته بريطانيا بدءاً من تحرك اسرائيل ثم الانذار البريطاني الفرنسي فقصص المطارات المصرية ان رفضت مصر • ونفرد عقد اجتماع آخر مع البريطانيين على أن ننضم نحن اليهم • واستمر الاجتماع ساعة ونصف ثم استؤنف بعد العشاء حيث عاد لويده الى لندن لابلاغ حكومته •

كان الاجتماع غريباً ، فقد بدأه بن جوريون وسلوين لويده بمواقف غاية في التشدد ثم أنهىاه بقدر مفاجيء من الاستعداد والتفاهم • ويبدو أنهما وجداً استحالة في التفاهم بينهما الامر الذي لا تجدى معه أية تفسيرات أو توضيحات ، ولذا قررا المضي مباشرة الى نقط الاتفاق النهائية بينهما • وبرغم رقة وزير خارجية انجلترا ، فانه لم يخف امتعاضه من الاجتماع والحاضرين وموضوع البحث •

وبدأ لويده حديثه كتاجر يقايض على بضاعته ، فقال أنه سوف يصل الى اتفاق مع مصر حول القناة خلال سبعة أيام ، وان محادثاته مع فوزى وزير خارجية مصر قد أسفرت عن موافقة مصر على الاعتراف بهيئة المنتفعين بالقناة ، وقبول الاشراف الدولى عليها ، وتحمل العقوبات التى ينص عليها ميثاق الامم المتحدة فى حالة خرق هذه التعهدات •

أما لماذا نحن هنا الآن مادامت الامور على هذا النحو ؟ فقد أجاب لويده على هذا التساؤل بقوله أن ذلك سوف يزيده من قوة عبد الناصر • وحيث أن حكومة صاحبة الجلالة تريد اقضاء عبد الناصر ، فانها مستعدة للقيام بعمل عسكري مشترك وفقاً للخطة الفرنسية البريطانية • ويتم بمقتضاها غزو الجيش الاسرائيلى لسيناء خلال ٤٨ ساعة ، تقوم خلالها فرنسا وانجلترا بتوجيه الانذار ، فاذا لم تدعن مصر بدأ الغزو البريطانى الفرنسى وأقصى عبد الناصر • ولن تقوم بريطانيا بمساعدة مصر ولا بمساعدة الاردن اذا ما هاجمت اسرائيل ، لكنها سوف تساعد الاردن اذا ما هاجمتها اسرائيل •

وكان رد بن جوريون حازماً ومختصراً ، فاسرائيل ليست مستعدة لان توصم بالعدوان ثم تتلقى اندارا بالجلء عن القناة • وهناك احتمال بأن يكون رد فعل مصر هو قصف المدن الاسرائيلية ، مع الاخذ بعين الاعتبار احتمال دعم سلاح الجو المصرى بالمتطوعين البولنديين والتشيك • ولذا فان اسرائيل ليست على استعداد للبدء فى الهجوم على مصر واذا ما هاجمتها مصر فهى قادرة على هزيمتها ولو تطلب الامر تضحيات وخسائر جسيمة •

وبعد أن شرح بن جوريون ما لم تكن على استعداد لعمله ، استأذنت منه لشرح ما نحن مستعدون لعمله . وشرحت خطتنا التي تتلخص في قيام قوة اسرائيلية بعبور الحدود المصرية الساعة الخامسة مساء يوم محدد ، ويتم ذلك بإسقاط مظليين قرب القناة وراء الخطوط المصرية . وفي مساء اليوم نفسه يجتمع الفرنسيون والبريطانيون ويطلبوا من مصر سحب قواتها من القناة لضمان سيولة الملاحة . ثم يطلبوا من اسرائيل ألا تتقدم قواتها بعد القناة ونستجيب نحن لذلك . فإذا لم تستجب مصر قامت القوات الجوية الفرنسية والبريطانية بغصف المطارات المصرية صباح اليوم التالي .

ولم يبد على سلوين لويد أنه قد فوجيء أو صدم بهذه الخطة ، ولم يطلب سوى ألا تكون القوة الاسرائيلية صغيرة وانما أن تشن (عملا حريبا حقيقيا) ، والا ما كان هناك داع للانذار ولظهرت بريطانيا كمعتد . وكان لويد يرى أن لبريطانيا أصدقاء كالدول الاسكندنافية لا ترضى عن قيام بريطانيا ببدء الحرب . ولم أجرؤ على النظر الى بن جوريون وهو يسمع لويد ، ولا أشك في أنه بذل جهدا كبيرا كي لا تغفل منه مشاعره ويظهر غضبه .

ثم تحدث رئيس وزراء فرنسا فوعد بتقديم مساعدة جوية فرنسية لاسرائيل وبإدخال القوات الجوية الفرنسية عند الطوارئ انطلاقا من قواعدها في قبرص . وعلى الفور أعلن لويد معارضته لذلك .

وهنا لم يتمالك بن جوريون أعصابه وسأله عما اذا كانت حكومته قد قدرت مدى الخسائر التي قد تتعرض لها المدن الاسرائيلية خلال اليومين اللذين ستخوض فيها الحرب بمفردها ؟ ورد لويد بأنه جاء الى باريس لكي يناقش الخطة الفرنسية البريطانية كما وضعت ، لكنه يواجه الآن اقتراحا جديدا . ولم يبد على لويد أنه رفض هذا الاقتراح اذ عاد الى السؤال عن القوات الاسرائيلية التي ستعبر الحدود فأكدت له أنها ستكون (عملا حريبا حقيقيا) . وهنا اقترح هو أن يصدر الانذار في نفس الليلة التي نبدأ فيها الحرب .

وسافر لويد الى لندن عند منتصف الليل ، وقرر بينوا أن يسافر غدا للقاء رئيس الوزراء البريطاني على أن يعود يوم ٢٤ أكتوبر (١) .

وكان بن جوريون حريصا على أن يسمي الخطة التي عرضتها بـ (خطة ديان) ، واعتقد أنه لم يكن يناور بذلك أمام البريطانيين والفرنسيين ، وانما كانت لديه بالفعل شكوك حولها .

وعكفت على مراجعة البرقيات التي وصلتني فوجدت أحدها نفيدي
بأن رئيس الوزراء الاردني المقبل هو سليمان النابلسي المعادي للبريطانيين
والذي أعلن أنه سيلغى المعاهدة مع بريطانيا . كذلك فإن الاردن سوف
ينضم الى القيادة العسكرية السورية المصرية المشتركة وسوف ينعقد في
عمان في نفس اليوم اجتماع لرؤساء أركان حرب الجيوش الثلاثة المصرية
والسورية والاردنية برئاسة عبد الحكيم عامر .

وتصاعد التوتر الدولي ، وحل الدور على فرنسا . فبعد تلك الضربة
التي وجهتها الاردن الى بريطانيا ومجيء رئيس وزراء معاد لها ، اكتشفت
أحدى السفن المصرية وهي تحاول تهريب الاسلحة الى الثوار الجزائريين ،
وثارت ثورة البرلمان الفرنسي على التدخل المصري في الشؤون الداخلية
الفرنسية . وقبلها بيوم كانت فرنسا قد أجبرت طائرة بن بيلا ورفاقه
على الهبوط . وهكذا تضاعف دور عبد الناصر في معاداة الغرب .

وأثناء تناولنا الغداء كانت هذه الموضوعات مثار حديثنا . ودار
النقاش بيننا وبين الفرنسيين حول الخلافات بيننا وبين بريطانيا ،
وحاول بينو أن يحصل على (كلمتنا الاخيرة) ليحملها معه الى لندن .
ووعده بأن نعطيه هذه الكلمة بعد اجتماع منفصل لوفدنا . وكانت
هذه الاجتماعات المنفصلة غالبا ما تتم أثناء الاجتماعات أما في ركن من
القاعة أو في غرفة مجاورة .

وكانت هذه الاجتماعات المنفصلة لوفدنا مختلفة عن الاجتماعات
المنفصلة للوفد الفرنسي . فهم ذوي رتب ومناصب عالية ويستطيعون
اصدار القرار كل فيما يخصه . أما وفدنا فكانت الفجوة فيه واسعة بين
مناصب كل منا ورتبته ، ولذا فقد كان وفدنا في الحقيقة هو بن جوريون
كان كالحاخام وكنا نحن أتباعه . ولم تكن اجتماعاتنا معه للنقاش أو
البحث وإنما كنت أنا وبرز فقط نحاول اقناعه باقتراحاتنا اذا لم يكن
حد قر قراره بعد .

وكنا ندرك أن هذا الاجتماع المنفصل حاسم ، اذ لابد أن نعطي
بينو كلمة يحملها الى لندن فاما أن نشترك في الحرب أو تلغى الخطة .
ولم يكن بن جوريون قد وصل الى قرار ، لكنه كان مستاء من عدم قبول
اسرائيل كشريك كامل في العملية . ولم يكن بالفعل مستعدا لاتخاذ
مواقف مرنة أو تنازلات . وكنت أعتقد أنه يبالغ في تصوير مدى الخراب
الذي قد يلحقه الطيران المصري بمدننا خلال الساعات الاولى من الحرب ،
«وربما» كن يتخذ ذلك ذريعة للانسحاب من العملية .

واقترح بيريز أن نرسل مركبا اسرائيلية الى بورسعيد ، وعندما يمنحها المصريون تتوفر لدينا الحجة للحرب وللتدخل الفرنسي البريطانى ، واستقبل بن جوريون الاقتراح بالصمت • وقلت أنا أننى من الوجهة العسكرية البحتة أحبذ قبول العرض البريطانى ، اذ أن فى امكاننا الصمود خلال الساعات الاولى للحرب • فقال بن جوريون انهم يريدون منا قوة كبيرة نبدأ بها الحرب ، فماذا يحدث لو حوصرت قوات المظليين كما حدث فى قلقيلية ؟ وقال : هل نسينا الحالة التى وصل اليها شعبنا عندئذ ؟ •

وأجبت بأن شعبنا ثار ضد عملية قلقيلية لانها لم تحسم شيئا ، اذ استمرت أعمال التخريب • أما عندما يدرك شعبنا ، بعد اليوم الاول ، ان هذه الحرب حاسمة وانها فرصة تاريخية لا يجب اضاعتها ، فسوف يقبلها هى وتضحياتها ، والا تحتم علينا الماضى وحدنا فى الحرب ونحمل خسائر أكبر • واتبعت ذلك بشرح للخطة حيث نسقط كتيبة مظلات فى ممر متلا ، وفى نفس الليلة يتحرك طابور مدرع لاحتلال القسيمة ثم يمضى فى اليوم التالى ليحتل تماده ونخل الى أن يصل الى ممر متلا •

وأضفت الى ذلك أننا سوف نقصر العمليات طوال اليوم على معارك أرضيه بلا طيران بحيث يفسرها المصريون على أنها عملية انتقامية كبيرة ولا يقالبونها الى حرب شاملة ، فلا يعبرون الحدود ولا يضربون المدن الاسرائيلية بالطائرات • وأشارت الى أن ذلك يحقق كل المطالب التى تقدمت بها بريطانيا ، وسوف نخبرهم بحجم القوات لكننا لن نخبرهم بهواقع العملية ، اذ سينصرف ذهن البريطانيين الى أننا سننتحرك على محور العريش - القنطرة • فى حين سيكون تحركنا بالفعل نحو الجنوب فى سيناء • وعندئذ لن تحاصر قوة المظليين ، وانما ستصلها الامدادات فى اليوم التالى •

واستمع بن جوريون الى حديثى دون أن يبدي أى تعليق • ثم وافق على أن أقوم بإبلاغ بينو بتفاصيل العملية على أن أفهمه جيدا أن الخطة خطتى ولا دخل لبن جوريون بها ، كما وافق على إبلاغه أيضا باقتراح بيريز • وتركنا وصعد الى غرفته • وكان معنى ذلك أن خطتنا ليس لها سند رسمى •

وعدت أنا وبيريز الى الاجتماع مع الفرنسيين • وعرض بيريز اقتراحه بشأن المركب الاسرائيلية الى بورسعيد ، ومع أن الفرنسيين وافقوا على الفكرة فقد غارضوا ادخال اقتراحات جديدة فى هذه المرحلة •

لان ذلك سوف يعطى البريطانيين مبررا للتأخير وربما لتأجيل العملية كلها .

وبعد أن شرحت الخطوط العامة للعملية ، طلب منى بيتو أن أعيدها لكى يكتبها ويحملها الى لقائه مع ايدن . وعندما أكدت له أن بن جوريون لم يوافق بعد على خطتي هذه قال لى (اننى أعرف كيف تعملون سويا) . وحسدته على هذه الثقة . وسافر بيتو الى لندن ، وبقي بن جوريون فى غرفته ، وقررت أنا وبيريز أن تكون الليلة (أجازة) . ولكننا لم نستطع الاستمتاع بالعرض العارى الذى شاهدناه فى أحد الملاهى الليلية ، اذ كانت أذهاننا مشغولة بما هو أهم .

وعدت الى الفندق أفكر فى الموقف . فالقوات الجوية الفرنسية التى وعدنا بها كدفية ، وما دام البريطانيون عازمون على التدخل فان تأخيرهم عدة ساعات ليس مهما . كانت المشكلة هى موقف بن جوريون . فقد تأكدت أن لديه شكوكا وقلقا كبيرين حول خطتي ، وانه مازال يفكر : هل نشترك أم لا نشترك ، فهو من ناحية لم يكن يشارك الفرنسيين تفاؤلهم بشأن الموقف الأمريكى ، وقد خابت آماله من ناحية أخرى لعدم امكانه اقتناعهم ببحث حل شامل للشرق الاوسط . وكنت قناعته كبيرة بأنه ما لم تكن العملية العسكرية جزءا من سياسة شاملة ، فان مصبرها الفشل . وزاد من مخاوفه ذلك الموقف غير (الجنتلمان) الذى وقفته بريطانيا معنا .

وكننت من ناحيتى مؤمنا بتفاصيل الخطة وبأنهـا كافية لخداع المصريين وايهامهم بأن العملية لا تعدو كونها غارة كبيرة . صحيح أن التصرف وفق هذه الافتراضات كان أمرا يحمل فى طيه كثيرا من المغامرة ، اذ كان من الممكن أن تتعرض مدننا لقصف مصرى رهيب ، لكننى لم أكن اتوقع ذلك من جانب رئيس الاركان المصرية ، بنسـاء على التقارير التى ستتصله من المواقع التى ستهاجمها قواتنا خلال اليوم الاول والتى لن تعطيه انطبعا بحرب شاملة . وعند هذا الحد من التفكير أسلمت عينى للنعاس .

وفى الحادية عشرة والنصف من صباح اليوم التالى ، ٢٤ أكتوبر (ت ١) استدعانى بن جوريون أنا وبيريز لاجراء مشاورات نهائية . وطلب منى أن أعيد شرح الخطة ، فاستعنت على ذلك بعلبة سجائر بيريز رسمت عليها خريطة للعمليات والاهداف . ورسمت ثلاثة أسهم تحدد مسار قواتنا ، وكنت سعيدا بعدم وجود خريطة سليمة معى اذ

بدأت العملية نحو الجيوب لاحتلال شرم الشيخ ، فوق ورف علبة
السجائر ، عملية بسيطة سهلة التنفيذ ٠٠ فعلى هذه الورقة لا توجد
جبال ولا وديان ولا صحارى ٠

وبعد ذلك سحب بن جوريون ورقة كان قد كتب عليها عددا من
الاسئلة التى تبين أنه قد وصل الى قرار ايجابى بشأن الحطة ، اذ كانت
كلها تدور حول (كيف) و (متى) و (ماذا) ولم يكن بينها ما يبدأ
بـ (اذا) ٠ وكانت أجوبتى على بعض الاسئلة ، هى :

● تكون ساعة الصفر بالنسبة للجيش الاسرائيلى ، يوم الاثنين
٢٩ أكتوبر (ت ١) الساعة الخامسة مساء ٠

● تكون ساعة الصفر للبريطانيين والفرنسيين يوم الاربعاء ٠

● فى حلة رفض مصر ، تبدأ القوات الفرنسية والبريطانية
فصف المطارات المصرية فجر يوم الاربعاء ، ويتم انزال فرسين فرسييتين
يوم ٢ نوفمبر (ت ٢)

● اننى لا أعرف ما اذا كانت القوات البريطانية والفرنسية
ستسيطر على ضفتى القناة أم على الضفة الغربية فقط ٠

● اننى لا أعلم اذا ما كانوا سيزحفون الى القاهرة ، وأشك فى
ذلك ٠

● بالنسبة لخطتهم فيما يتعلق بسيما فائى اذكر أن سلوين
لويده قال لى أثناء العشاء (أمل ألا تكون لديك أحلام بانتهاز هذه الفرصة
للاستيلاء على سيما) ٠

● لا أعرف ما اذا كان المصريون سيقومون بنظام حكم جديد ٠

● ان لويده قال ان بريطانيا لن تحارب اسرائيل ، لكنها سوف
تتدخل اذا هاجمتنا الاردن ورددنا عليها ٠

● ان الفرنسيين والبريطانيين لا يمانعون استيلاءنا على مضائق
تيران ٠

● اننى أفكر فى تأخير الاستيلاء على غزة ورقع الى أن تستوعب
القوات المصرية فيهما حقيقة ما يحدث ٠

كانت القوات المصرية فى غزة تتكون من فرقتين احدهما فلسطينية • وكان تقديرى أن الامدادات سوف تأتي من مصر الى غزة يومى الاثنين والثلاثاء ، وعندما تندخل بريطانيا وفرنسا • فسوف يكون تحرك القوات المصرية فى الاتجاه المضاد عائدة الى مصر •

واستمرت المناقشات حتى الثانية بعد الظهر ، وقبل أن ننهي الاجتماع قال بن جوريون (ان خطة ديان جيدة • انها ننقد الارواح) وبعدها مباشرة انتقل للحديث عن المملكة اليهودية التى كان يقرأ عنها خلال الرحلة فى الطائرة فى كتاب للمؤرخ بروكوبيوس ، وقال (اننى أتعجب كيف قامت هذه المملكة فى يوتفات بدون وجود مياه • لماذا دأب اليهود على تحطيم موسى حول مشكلة مياه الشرب ؟) •

وفى الساعة الرابعة عاد بينو من لندن ، واسندعينا للاجتماع به ، حيث أبلغنا أن وفدا بريطانيا سوف يصل حالا ، وان انطباعات ايدن خلال لقائه به كانت أكثر حرارة من انطباعات لويد •

وفيما يتعلق بـ (الحجة) فقد أصر البريطانيون على أن تكون العملية (حربا حقيقية) ، ووافقوا على تقديم تحركهم بحيث يتم فى الساعة الرابعة من فجر الاربعاء • كما وافقوا على تضمين الانذار فقرة تتعلق بوقف النار ، حتى اذا ما قصفت مصر المدن الاسرائيلية اعتبر ذلك خرقا للانذار • كذلك استبدلوا كلمة (الانذار) بسحب القوات من القنصل بـ (المناشدة) •

وفى الساعة الرابعة والنصف وصل الوفد البريطانى برئاسة باتريك دين وعضوية سكرتير لويد المدعو لوجان •• أى أن مستوى التمثيل فى الوفد قد انخفض • وبدأ الاجتماع بتقديم من بينو ، ثم أثار بن جوريون مسألة المساعدة البريطانية للاردن وتصميمنا على الاستيلاء على مضائق تيران لانها (قناة السويس الاسرائيلية) • وعندما سأل البريطانيون عن خطة عملياتنا ، لم ابلغهم - لا هم ولا الفرنسيين - بالتفاصيل واكتفيت بتأكيد التزامنا بحجم القوات المطلوبة وان انزال المظليين سيتم بالقرب من مدينة السويس لا مدينة بورسعيد •

وبعد لقاء جانبي لوفدنا استمر ساعتين ، عدنا ، وتم اقرار الخطة رسميا على النحو التالى :

● بعد ظهر يوم ٢٩ أكتوبر (ت ١) ١٩٥٦ ، تقوم القوات الاسرائيلية بهجوم واسع النطاق على القوات المصرية بهدف الوصول الى قناة السويس في اليوم التالي .

● في يوم ٣٠ أكتوبر (ت ١) تقوم حكومتا بريطانيا وفرنسا بتسليم حكومتى اسرائيل مصر - كل على حدة وفي نفس الوقت - طلباً قائماً على الخطوط الاساسية التالية :

الى حكومة مصر :

● وقف مطلق لاطلاق النار .

● انسحاب جميع القوات الى بعد ١٠ أميال من قناة السويس .

● قبول احتلال القوات البريطانية والفرنسية للمواقع الرئيسية على القناة ، من أجل تسهيل الملاحة لكل سفن العالم ، والى أن يتم التوصل الى ترتيبات نهائية .

الى حكومة اسرائيل :

● انسحاب قواتها الى بعد ١٠ أميال شرقى القناة .

● سيتم ابلاغ الحكومة الاسرائيلية بقبول مصر . فاذا اعترضت احدى الدولتين أو لم تعلن قبولها خلال ١٢ ساعة ، فللقوات الفرنسية والانجليزية اتخاذ الاجراءات اللازمة لضمان تنفيذ مطالبهما .

● لن يطلب من اسرائيل تنفيذ الطلب المقدم اليها فى حالة رفض مصر .

● فى حالة رفض مصر تشن عليها القوات الفرنسية والبريطانية هجوماً فى الساعات الاولى من صباح ٣١ أكتوبر (ت ١) ١٩٥٦ .

● ترسل اسرائيل قواتها للاستيلاء على خليج العقبة ومضايق تيران وصنافير لتأمين الملاحة فى هذا الخليج .

● لن تهاجم اسرائيل الاردن خلال عملياتها ضد مصر ، فاذا هاجمت الاردن اسرائيل فسوف تقف بريطانيا الى جانب الاردن .

ولم يستطع بن جوريون اخفاء توتر أعصابه . . . وأخذ يعيد قراءة هذه الفقرات مرات ومرات وكلمة كلمة ، ثم طوى الورقة ووضعها داخل جيب سترته .

كانت أهداف الاطراف واضحة ، وانفرد الوحيدة هو أن احتلالنا قناة السويس بواسطة الفرنسيين والانجليز كان مؤقتا ، أما احتلالنا لخليج العقبة فقد نص عليه الاتفاق وعلى أنه ليس مؤقتا . وكانت هناك خطة أخرى هي أن فرنسا وبريطانيا أبلغتا إسرائيل باحتلالهما وحدهما للقناة ، كذلك فإن إسرائيل أبلغتهما بأنها ستحتل خليج العقبة وحدها . يضاف الى ذلك أنه لم يعد هناك انذار الا لمصر ، أما لإسرائيل فقد أصبح الامر طلبا يمثل جزءا من العملية .

وتسللت من الاجتماع حيث أرسلت برقية عاجلة الى رئيس العمليات أبلغه فيها بأن عملية قادش قد حانت ، وطلبت اليه أن يعي القوت فوراً ، وأن يحافظ على السرية ، وأن يستعمل الخداع بحيث تبدو العمليات وكأنها موجهة ضد الاردن بسبب دخول القوات العراقية اليه ، وقفلت عائدا الى قاعة الاجتماع حيث وجدت الاعصاب متوترة والجميع لا يدرون ماذا يفعلون ، لكن الحاضرين كانوا واضحين عما توصلوا اليه . وبدأ البريطانيون بمغادرة القاعة ، ثم تبعناهم مودعين . مضيفينا الفرنسيين بحارة .

١ وصلنا الى إسرائيل في منتصف ٢٥ أكتوبر (١) وتوجهنا من فورنا الى مقر قيادة الاركان حيث كنت قد أعددت خلال الرحلة الاوامر اللازمة لاصدارها على الفور وخاصة فيما يتعلق بالعمليات . وتم تغيير أهداف الخطة الاساسية لتصبح وفقا لالتزامنا بالخطة ، تهديد قناة السويس ، والاستيلاء على خليج العقبة ، وهزيمة القوات المصرية .

وكنتم ، فيما يتعلق بالهدف الاخير ، قد تناقشت طويلا مع بن جوريون خلال وجودنا في باريس . ففي حالة الصراع القائم في منطقتنا ، لم يكن الامر كما هو الحال في كل الحروب ، وانما كان الحرص هنا على اراقة أقل قدر من الدماء . ولذا حددت الاوامر بالالتزام (باشاعة الفوضى بين القوات المصرية وتحقيق انهيارها) .

أما التغيير الآخر في خطتنا الاساسية فكان يتعلق بالطيران ، ولم نعد الهجمة الجوية من جانبنا هي نقطة البدء ، وانما يقوم الطيران بنقل المظليين ويبقى جاهزا في مواقعه . فاذا ما استخدم المصريون طراثهم قابلناهم بالمثل مع تحديد القتال في منطقة المعارك .

وعندما خرجت من الطائرة عائدا من باريس ، كنت آمل ألا يحدث اي تغيير آخر في الخطة ، فلم يعد باقيا الا أربعة أيام فقط .

١٥ معركة سيناء

كان علينا أن نحارب في صحارى وجبال تبلغ مساحتها ثلاثة أضعاف مساحة إسرائيل آنئذ . وبدأت المعركة مساء يوم ٢٩ أكتوبر « تشرين أول » ، عندما تم اسقاط ٣٩٥ مظليا من الفرقة ٢٠٢ عند المدخل الشرقى لمر متلا على بعد ٣٠ ميلا من القناة . وفي الساعة الخامسة والتلت كانوا قد اقلعوا ب ١٦ طائرة طراز داكوتا تطير على ارتفاع منخفض لتجنب الرادار المصرى . وقبل أن تصل الطائرات الى منطقة الاسقاط بدقيقتين علت الطائرات الى الارتفاع اللازم للاسقاط . وكانت أربع من طائراتنا طراز موستانج قد قامت قبل ذلك بساعتين بقطع كافة اسلاك التليفونات المصرية فى سيناء بمحركاتها وأجنحتها ، وهى تطير على ارتفاع أربع أقدام فقط .

فى نفس الوقت كانت بقية قوات المظليين تحنسد على الجبهة الاردنية لتخدع المصريين وحلفاءهم . وكان عليهم أن يقطعوا ٦٥ ميلا من الصحراء فى النقب ، الى أن يصلوا الى حدود إسرائيل الجنوبية ، لبدأوا سيرهم بعدها نحو المعركة ، ومضى قائدهم اريك سارون نحو الحدود المصرية ، لا يعوقه عائق ، فوصلها بعد سبع ساعات ، حيث هاجم أول موقع مصرى الكونتلا . وما أن اقتربوا حتى فر المصريون . واستمروا على الطريق الصحراوى بعد ان فقدوا عددا من العربات والدبابات التى أصبحت دبابتين من أصل ١٣ دبابة . وخاضوا أول معركة لهم عند

• موقع تماده الحصين : الذى سقط بعد معركة مريرة استمرت ٤٠ دقيقة .

وفى نفس الوقت اخترفت وحدات اخرى من وحدات شارون الخط المصرى حتى وصلت الى نخل واستولت عليه بعد عشرين دقيقة . وهناك وعلى بعد ١٨٠ ميلا من نقطة انطلاقها ، التقت الوحدة بالمظليين الذين اسعفوا قبل ذلك . وهكذا تم تأمين المحور الجنوبى ، دون أن تتعرض الوحدة النى تم اسقاطها للحصار .

وفى نفس الليلة كان موقع النقب قد سقط . واستولت الفرقة الرابعة على موقع القسيمة وبذلك تم فتح الطريق نحو الجناح الجنوبى للجيش المصرى . وبذلك تحققت المرحلة الاولى من المعركة ، وتم تحقيق الاهداف الاربعة التى وضعها لحظه السوم الاول .

وكان رد الفعل المصرى وفق ما توقعته ، اذا لم يستغلوا الميزة المتوفرة لديهم سواء فى الاسلحة أو الطائرات السوفيتية . ووصلتني الانباء عن استيلاء وحدة الاسطلاع فى الفرقة السابقة على موقع ديكاً على بعد ١٥ ميلا غربى الكونتلا ، وكان معنى ذلك أن هذه الفرقة سوف نخوض اعنف المعارك فى المنطقة التى ركر فيها المصريون غالبية قواتهم . . . وكانت تلك هى معارك الحسم .

وعندما عدت من الجنوب الى مقر القيادة ، علمت ان القوات الفرنسية والانجليزية قد اجلت هجمتها على المطارات المصرية فجر يوم ٣١ كما خططت . وتوجهت الى بن جوربون ، وكان مريضاً ، فوجدت القلق مستبداً به أن يؤدى ذلك الى حصار فرقة المظليين فى ممر متلا ، وطلب سحب هذه الفرقة فوراً فى تلك الليلة ، وحاولت أن تؤكد له أنه حتى لو انسحبت بريطانيا وفرنسا من الغزو فاننا فزددون على الانتصار ، وان تعزيز القوات أفضل من سحبها . وتنازل بن جوربون عن فكرة الجلاء ، وان بقى القلق مستبداً به على ارواح المظليين .

وفى المساء اصدر البريطانيون والفرنسيون اذارهم الى مصر واسرائيل بوقف القتال والانسحاب الى بعد عشرة أميال عن القناة ، وكان على مصر ، خلال اثنى عشرة ساعة ، ان تقبل احتلال مدن القناة لضمان سولة الملاحة فيها .

فى نفس الوقت كانت الولايات المتحدة أيضاً نشطة ، ولكن فى الاتجاه المعاكس . فقد تلقى بن جوربون برقية من الرئيس ايزنهاور يطلب منه فيها انسحاب القوات الاسرائيلية ، وأن ذلك سوف يحظى بتقدير الرئيس . وعندما لم يأت رد من اسرائيل ، طالب هنرى كايوت لودج ،

ممثل امريكا في الامم المتحدة ، عقد اجتماع طارئ لمجلس الامن ،
وفد فيه مشروعا بفرار بان تسحب اسرائيل قواتها وان تمنع الدول
الآخري عن استعمال القوة او التهديد بها . وعندما انتهت فترة
التأجيل التي طلبتها فرنسا وبريطانيا واسرائيل لمدة خمسة ساعات
كانت انباء الانذار البريطاني الفرنسي قد وصلت ، واعتبر ايزنهاور
ذلك عملا من اعمال الخداع والحياكة من جانب حلفائه .

وبالطبع استخدمت فرنسا وبريطانيا حق الفيتو ضد فرار الامم
المتحدة .

وفي الوقت نفسه كانت اسرائيل قد ردت على الانذار بالايجاب
« شريطة أن يصل رد ايجابي من الجانب المصري » . وكما كان متوقعا
فقد ردت مصر بعدم استعدادها لقبول الانذار .

ومع ذلك فان الطيران البريطاني والفرنسي لم يقصف المطارات
المصرية . وبقيت القوات الاسرائيلية في سيناء تحارب تحت تهديد
الطيران المصري طوال يوم ٣١ أكتوبر (تأ) . وسارع المصريون
بارسال التعزيزات الى سيناء وشرم الشيخ ، وشرع سلاحها البحري
في مهاجمة الشواطئ الاسرائيلية . وحتى الساعة الخامسة من مساء
هذا اليوم لم يكن الطيران الانطو فرنسي قد هاجم قواعد الطيران
المصرية .

لكن ذلك لم يمنع الفرقة السابعة المدرعة من خوض اعنف المعارك
والاستيلاء على أبو عجيلة وبيبر حسنة ، وجبل لفتى ، وبيبر حما .
وبذلك اتاحت الفرصة للفرقة للتقدم بسرعة ، رغم انها بقيت خلال
يومين غير فادرة على استدعاء الطيران الاسرائيلي نظرا لسوء معدات
الاشارة .

وكان على هذه الفرقة ان تسنولى على منطقة روفادام لتحكم
الخنق حول المصريين في ام كتف وام شيهان . ومع ان الرجال كانوا
مرهقين ، بعد أن ظلوا يحاربون ثلاثة أيام ، فان قائدهم ظل يحفزهم
لاستغلال فرصة الاختراق الذي احدثوه . وواجه الرجال خنادق
ومواقع مضادة للدبابات مجهزة بكافة أنواع المدافع ، وخاضوا معركة
خسرها فيها كثيرا لكنها انتهت بتراجع المصريين الى العريش .
وأصبحنا بذلك مسيطرين على الطرق الثلاثة التي تتحكم في جنوب
سيناء .

أما فرقة المظليين في ممر منلا فقد استمرت تقاتل طوال يوم ٣١
(تأ) لمدة سبع ساعات ابتداء من الثانية عشرة والنصف ظهرا .
وكان قائد الفرقة قد طلب الاذن باحتلال الممر ، فمنح اذنا بارسال

دورية فقط بشرط الا تسنرك في فئال جدى . لكن القائد لم يرسل دورية وانما ارسل كتيبة كاملة بعرباتها المدرعة . وما أن دخلت الكتيبة الى الممر حتى انهالت عليها النيران من الجانبين . وتعرضت مقدمة الكتيبة لخسائر كبيرة ، فحاول قائد الكتيبة الاسراع لنجدتها عند الطرف الغربى للممر ، لكنه وجد نفسه محاصراً ابداً تحت النيران الكثيفة .

واستمر القتال من الواحدة بعد الظهر حتى الساعة الثامنة ، عندما استطاع جنودنا الاستيلاء على الممر في معركة لم تخسر مثلها وحدة مقاتلة من قبل ، وبقدرة من الخسائر لم تلحق أى وحدة مقاتلة من قبل ، اذ اسفرت عن مقتل ٣٨ وجرح ١٢٠ . وكانت الفرقة في بداية المعركة قد فقدت عربة الوقود وعربة الذخيرة وبعض العربات الاخرى .

وقتل قائدها بينما كان يقفز من عربته . ولم يكن امام الجنود الا ان يتسلقوا جوانب الممر ويهاجموا المصريين في معركة بالسلاح الابيض .

المهم اننا بعد احتلال الممر تخطينا عنه لكى نمضى قوائنا جنوبا نحو شرم الشيخ . وقد ابلغنى عدد من ضباط الاركان عدم موافقتهم على اننى غفرت للمظليين هجومهم على الممر والخسائر التى ترتبت عليه . صحيح ان الاسف نملكنا على هذه الخسائر ، لكننى كنت اسفا على سىء آخر ، وهو أن الفرقة استعملت كلمة « دورية » لكى « ترضى » القيادة ، وكنت اتمنى لو انهم عندما ارادوا تحسدى الاوامر ودخول المعركة ، قد فعلوا ذلك صراحة ودون مواربة . وكان بوسعى ان أفهم تصرف القائد الصغير الماكس للاوامر الصادرة اليه ، حيث سمح له موقعه ودرأته المباشرة بالعدو أن يتخذ القرار بالمعركة .

اما الخطأ الذى ارتكبه الفرقة فكان ناكسكيا ، اذ دخلت القوات الممر محمولة على عربات في هيئة طابور ، وتصور القائد ان المصريين لم يضعوا قوات كبيرة على جنبات الوادى ، وقد دفعت الفرقة بمن اخطأها بالدم . اما فيما يتعلق بخسائر الاوامر فكنت أرى أن الامر يصبح خطيرا لو فشلت الفرقة في تنفيذ مهمتها ، لا عندما تؤدى من المهام أكثر مما كان مطلوبا منها .

وأدان العالم معركة سيناء ، وتصاعدت حدة الانتقادات بالتدخل الانجلو فرنسى أولا بالانذار ثم بقصف المطارات المصرية مساء يوم ٣١ اكتوبر (ت ا) . وقادت الولايات المتحدة الحملة ضدنا فى الغرب ، واتخذت روسيا بالطبع نفس الموقف احتجاجا على الهجوم ضد صديقها مصر ، وانضمت اليهما مجموعة ممن ينادون بـ « السلام باى تمن » .

اما اخطر ردود الفعل فكان في بريطانيا ، حيث اتجه النقد اساسا ضد رئيس الوزراء ايدن . ولم يكن هناك شك في أن الرأي العام كله بل وغالبية الوزارة يرفضون تصرفه في السويس . وساهم قادة الجيش البريطاني في جعل العملية أكثر صعوبة ، اذ قدروا أن الجيش المصري يمتلك قوات كبيرة ، ولذلك اخروا موعد انزال قواتهم الارضية .

وساد الامم المتحدة نشاط محمود ، فبعد ان استخدمت بريطانيا وفرنسا حق الفيتو ، دعيت الجمعية العامة لاجتماع عاجل ليلة ١ نوفمبر (ت ٢) . وبات واضحا لي أن العمل السياسي يسير ضدنا وان الضغوط الدولية سوف تتصاعد لايقاف القتال . وهكذا لم يعد أمام قواتنا الا وقت قليل لاتمام مهمتها بأسرع ما يمكن .

وقمت بزيارة الفرقة العاشرة في مقر القيادة الجنوبية ، لاحتهم على الاسراع بالاستيلاء على موقع ام كف ، اذ بقي هذا الموقع هو وأم شيهان في قبضة العدو عائقا أمام تقدمنا نحو القطاع الاوسط من سيناء . ولم يكن اجتماعي بقاده الفرقة مرضيا ، اذ كانت لديهم شكاو كثيرة من عدم وصول الامدادات ، وارهاق الجنود الذين كانوا من الاحتياطى فليلي التدريب ، ومن حاجة الاسلحة والعربات الى الاصلاح . . . ونفذ صبرى ، فثم يكن لدى حل لهذه المشاكل ، ولم أكن أستطيع تغيير النقب ، ولم يكن أمامي الا ان افتح الطريق .

وقاموا بمهاجمة ام كف ، لكنهم فشلوا . وحدث من ناحية اخرى ان حاولت وحدة من الفرقة السابعة والثلاثين المدرعة التقدم ايضا ، لكنها فشلت كذلك . والى جانب بعض العراقيين فقد ساهمت انا في هذا الفشل . اذ الحجت على قائد القيادة الجنوبية في ضرورة الاسراع نحو فتح الطريق من ام كف . وضغط هو بالتالى على قادة القيادة قائلا انه ابلغنى ان الطريق سوف يفتح عند اول ضوء . والواقع ان اوامرى كانت فتح الطريق حتى الظهر مع الاشتباك في الجبهة حتى ولو حدثت خسائر كبيرة .

وعلى اثر فشل الفرقة العاشرة ، قام قائد القيادة الجنوبية بتغيير قائدها ، ووافقته على ذلك ، وكان رأيي أن من يفشل في القيادة لا يعاقب بل يترك الفرصة امام غيره لمقود . وكان تقديري أن فشل الفرقة راجع الى أنها لم تبذل الجهد الكافى للدخول فى معركة .

استطعنا تقدير مدى كفاءة الجنود المصريين ، فهم بحاربون جيدا من مواقع ثابتة محصنة ومزودة بالمعدات اللازمة وكانت هجماتهم المضادة ضعيفة . وقد بالغوا في تقدير أهمية ابو عجلة كمق حصين يستطيع وقف أية قوة تريد التسلل الى سيناء ، ولو كانوا قد زودوها بقوات متحركة تواجه القوات المتسللة لكانت بالفعل موقعا حصينا .

وطوال ليلة ٣١ أكتوبر (ت ١) ، بعد ٤٨ ساعة من بدء المعركة ، وطوال اليوم التالي ، انتقل القتال الى القطاع الشمالى عند رفح والعريش . وكانت دفاعات منطقته رفح عبارة عن مجموعة كبيرة من الخنادق ، فانقسمت قوائنا الى مجموعات صغيرة تشق كلا منها طريقها عبر الاسلاك الشائكة وحقول الالغام وتحارب معركة مستقلة بذاتها .

وتقدمت دبابات المقدمة فى الفرفة السابعة والعشرين نحو مفترق الطريق الى العريش ، يحوطها تهليل قوات الفرقة الاولى المشاة التى كانت قد اسنولت عليه . ووصلت فى اعقابها بدابة هجوم الفرقة السابعة والعشرين ، الذى بدأ فى الساعة العاشرة والنصف صباحا . وعند منطقة جرادى فى منتصف الطريق نحو هدفنا نشبت معركة استمرت ساعة . ووصلنا الى مشارف العريش قبيل حلول الظلام . واجلنا دخول العريش حتى صباح اليوم التالى بعد أن اشتد تعب الرجال واحتاجت الدبابات الى التموين بالوقود .

وفبل أن أخلد الى النوم أعطيت أوامرى الى القيادة بأن تبدأ الفرقة التاسعة مشاة سيرها نحو شرم الشيخ صباح اليوم التالى ٢ نوفمبر (ت ٢) ، والى الفرقة الحادية عشره متساه لتبدأ عملياتها فى غزة . وكنا عندئذ فى طريقنا الى تنفيذ المرحلة الثالثة من المعركة .

ودخلنا العريش فى الساعة السادسة صباحا دون أى مقاومة ، بعد أن انسحبت الوحدات المصرية خلال الليل . وبدأ واضحا من مخلفات السلاح أن كل فرد ، عندما صدر قرار الانسحاب ، لم يفعلوا شيئا سوى اللحاق بالقوافل المنفادرة ، وفى الوقت الذى استسلمت فيه القوات التى لم تنسحب ، فإن البعض الآخر بقى يهمل كمناسبة . وقد حدث أن وقفت ارقب الطريق فلمحني أحد القناصة واطلق رصاصة نحوى ، فأصاب رجل الاشارات الذى سقط بجوارى .

ولم تترك الفرقة فى المدينة طويلا ، فسرعان ما اتجهت الوحدات القتالة غربا نحو القنطرة ، وأندفعت وحدات أخرى نحو مطار العريش لتأمينه وضمان طريق ابو عجيلة . وفى الساعة الحادية عشرة ركبت طائرة خفيفة من مطار العريش ، لكنها لم تستطع الطيران على ارتفاع منخفض لشدة وكثافة النيران المصرية . لكننى لمحت طابورا من فرقنا المدرعة يتقدم غربا نحو القناة . وهكذا انتهت تقريبا معركة المحور الشمالى فى سيناء .

وبعد عودتى من العريش بوجهت لمقابلة بن جوريون ، فوجدت روحه المعنوية عالية ، وسألنى عما تم فى معارك العريش ورفح وغيرها . من الجبهات . وعندما لخص له معاونوه ما يجرى فى الامم المتحدة قال

لهم، « لماذا انتم قلقسون هكذا ؟ ما داموا جالسين في نيويورك ونحن جالسون في سيناء ، فالموقف ليس سيئا » .

كانت خسائرنا حتى ذلك الحين ١٠٠ قتيل و ٧٠٠ جريح ، ولم تكن قد احصينا خسائر المصريين وان كنا قد اسرنا كثيرين منهم .

وفي يوم ٢ نوفمبر (ت ٢) اتمت الفرقة ٢٧ المدرعة الاستيلاء على مجور القسيمة - جبل لفنى - الاسماعيلية ، وتم في نفس اليوم الاستيلاء على قطاع غزة . وبقيت المهمة النهائية وهي الاستيلاء على شرم الشيخ ، وعهد الى الفرقة التاسعة بالقيام بها ، فبدات تحركها في الخامسة صباحا عبر الساحل الغربى لخليج العقبة . وتم اسقاط كتيبتى مظليين في مطار الطور ، وتبعتهما كتيبة مشاة ، ومن ناحية ممر متلا تقدمت وحدة من فرقة المظليين ٢٠٢ جنوبا في طريقها الى الطور . وكانت الخطة تقضى بأن تهاجم الفرقة التاسعة شرم الشيخ من الشمال ويهاجمها المظليون من الطور جنوبا .

وفي صباح اليوم التالى ، ٣ نوفمبر (ت ٢) ركبت طائرة من طراز داكوتا طرت بها فوق طابور الفرقة التاسعة وتحدثت مع قائده ، ثم توجهت الى الطور حيث طلبت من المظليين الاسراع نحو مداخل شرم الشيخ ، ثم توجهت الى متلا ويبرحة فالعريش ، ثم عدت فى المساء الى القيادة العامة .

اما فى الامم المتحدة ، فقد انعقدت الجمعية العامة فى جلستها الطارئة يوم ١ نوفمبر (تشرين الثانى) واصدرت القرار الذى تقدم به جون فوستر دالاس ، وزير الخارجية الامريكى ، داعيا الى وقف اطلاق النار فوراً - وكان بذلك موجها الى بريطانيا وفرنسا واسرائيل - والى الانسحاب الى خطوط الهدنة ، متوجها بذلك الى اسرائيل . وفى اليوم التالى اغرقت مصر سفينتين فى القناة فأغلقتها . وكان ذلك بمثابة ضربة للحكومة البريطانية التى كانت قد اخبرت شعبها ان الهدف هو ابقاء هذا الممر المائى مفتوحا وحرا . ومما يثير الدهشة ان بريطانيا كانت قد علمت بنوايا مصر واعتزمت اغراق السفينتين فى بورسعيد قبل ابحارهما ، لكنها فشلت .

وجاءنى أحد العسكريين الفرنسيين ليبلغنى انزعاج فرنسا من تصميم بريطانيا على ان يكون يوم ٦ نوفمبر (ت ٢) هو موعد الانزال الانجلو فرنسى فى منطقة القناة . وكانت فرنسا تخشى صدق قرار معاد من الامم المتحدة ولذا كانت تتعجل الانزال قبل هذا الموعد بيومين . ولم يكن البريطانيون يريدون ، او قادرون ، على تقديم موعد الانزال وتغيير خططهم . ولم يكن موعد الانزال بالنسبة لنا يحمل أى

اهمية عسكرية ، فلم يعد باقيا امامنا ونحن ونحارب بمفردنا الا شرم الشيخ بعد ان حققنا كل اهدافنا .

وازدادت حدة الضغط السياسى ضد التدخل العسكرى بعد ان عادت الجمعية العامة الى اسئناف اجتماعها يوم ٣ نوفمبر (ت ٢) . وكان داج همرشلد ، السكرتير العام للأمم المتحدة ، قد اعلن أن فرنسا وبريطانيا واسرائيل ردت ردا سلبيا على قرار وقف النار والانسحاب ، وقال أن مصر من ناحية اخرى قد وافقت . وطالبت روسيا وتوابعها بضرورة الالتزام الكامل من جانب « المعتدين الثلاثة » . واقترح كابوت لودج تشكيل لجنتين دوليتين تعالجان مسألتى النزاع العربى الاسرائيلى ومشكلة السويس . واخيرا وافقت الجمعية العامة على الاقتراح الكندى الذى قدمه ليستر بيرسون بتشكيل قوة عسكرية دولية تضمن تنفيذ القرار .

وفى نهاية الاجتماع الذى استمر حتى فجر ٤ نوفمبر (ت ٢) تمت الموافقة على الطلب مجددا الى فرنسا وبريطانيا واسرائيل بوقف اطلاق النار . ورد ممثل اسرائيل بموانقتها شريطة « ان ترد مصر بالمثل » . ووضع ممثلنا فى اعتباره أنه فى الوقت الذى تكون فيه مصر قد ردت ، يكون شرم الشيخ قد وقع فى قبضتنا . وازاء الضغط الرهيب بدت اسرائيل وكأنها تلتزم بقرارات الأمم المتحدة .

واصيب ممثلا فرنسا وانجلترا بالفزع ، اذ ان قبول اسرائيل سرف يزيل « الحجة » للتدخل العسكرى ولذا طلب البريطانيون معونة الفرنسيين فى اقناعنا بسحب هذا الاعلان . واصدر بن جوريون تعليماته الى ممثلنا فى الأمم المتحدة بابلاغ هامرسولد أن موقفنا قد أسئ فهمه ، وأنا نقبل وقف اطلاق النار شريطة أن تعلن مصر بدون قيد او شرط قبولها لذلك ، وتدين سياسة حالة الحرب بينها وبين اسرائيل ، وتبىدى استعدادها للتفاوض معنا ، وتوقف المقاطعة الاقتصادية وترفع الحصار عن الملاحة الاسرائيلية .

واشتهر الغضب بين جوريون ، فقد استجاب لطلب الفرنسيين ، فى حين أن البريطانيين الذين كانت امامهم ستة أيام من القتال من ١٠/٢٩ حتى ١١/٤ ، لم يتحركوا بعد وكان الوقت مفتوحا امامهم الى مالا نهاية . واصبحت اسرائيل الان ، برفضها قرارات الأمم المتحدة ، فى موقف سئ على الساحة الدولية .

وفى ٥ نوفمبر (ت ٢) أرسلت بريطانيا فرقة من المظليين احتلت مطار الجميل ، بينما احتلت فرقة مظليين فرنسية كوبرى بورسعيد . وفى نفس الليلة بعث نيكولاى بودجورنى رئيس الوزراء السنوفيتى باندار. شديد اللهجة الى رؤساء وزراء فرنسا وبريطانيا واسرائيل .

ونضمن الانذار الموجه الى بن جوريون « الادانة القصوى » لكل « الاعمال الاجرامية التى ارتكبها المعتدون » ضد مصر ، ودعا اسرائيل الى وقف العمليات العسكرية فوراً والانسحاب من الاراضى المصرية .

واشارت الرسالة الى ان اسرائيل - كاداة للقوى الاستعمارية - تتلاعب بمصير السلام وبمصير شعبها ، بل وتثير التساؤلات حول وجودها ذاته كدولة ، وان الحكومة السوفيتية المهتمة بحفظ السلام والهدوء « تتخذ فى هذه اللحظة الخطوات الكفيلة بوضع حد للحرب وكبح المعتدين » . واختتمت الرسالة بإبداء اسرائيل أن السفير السوفيتى قد تم استدعؤه ، وفيما بعد قامت روسيا بقطع علاقاتها الدبلوماسية معنا .

وعندما قابلت بن جوريون لاحظت أنه وان لم يكن متجاهلاً خطورة هذا الانذار ، فإنه لم يكن مرتعد الفرائض ، لم يكن مدعوراً بل العكس وجدت الانذار يحفزها على مواصلة الصراع . لكن ما أغضبها فعلاً هو اخلاف الرسالة الموجهة الى اسرائيل عن هاتين الموجهتين الى فرنسا وبريطانيا . فالرسالة الموجهة الى اسرائيل صيغت باحتقار وازدراء وهددت وجود الدولة ذاته . أما الرسالتان الموجهتان لبريطانيا وفرنسا ، فبرغم التهديد باستعمال الصواريخ الموجهة ضدتهما ، فانهما لم تتوجها بالتهديد الى استقلالهما السياسى ، وخلصتا من أى تهكم أو سخيرية .

ولقد سررت للبرود الذى قابل به بن جوريون هذا التطور الجديد ، وسرحت خواطرى فى مدى الفزع الذى ربما أصاب كثيراً من القادة فيما لو كانوا فى نفس موقع رئاسة الوزارة .

ويبدو أن التدخل الروسى فى المجر لكبت ثورتها هو الذى أدى الى تأخر الانذار حتى ليلة ٥ نوفمبر (ت ٢) . وجاء ذلك بالضبط بعد اثنتى عشرة ساعة من اطلاق آخر رصاصة فى معركة سيناء . ففى صباح هذا اليوم كنا قد استولينا على شرم الشيخ .

وكنتم حريصاً على التأكد من استيلاء الفرقة التاسعة على شرم الشيخ فركبت طائرة الى الطور حيث وجدت المظليين قد غادروه متوجهين نحو المدخل الجنوبى لشرم الشيخ . وانطلقت فى قافلة من ثلاث سيارات لكى الحق بالمظليين ، مصحوباً ببعض جنود الاحتياطى . وعلى طول الطريق كنز الامر يشبه الكابوس المفزع . فالشمس حارقة والبخار يتصاعد من القار المدهون به الطريق . وفلول الجنود المصريين عائدة من شرم الشيخ وقد استبد بهم الارهاق والتعب . ولم

يفارقنى ولو للحظة واحدة الاحساس باننا لو توقفنا فى منتصف الطريق فسوف تكون تلك نهايتنا . . . لقد كان عددا قليلا وكان بوسع المصريين ان يهزقونا اربا حتى ولو بايديهم . . . وادركت ان فرصتنا فى الوصول الى شرم الشيخ تدمن فى امرين : الا نطلق رصاصة واحدة والا نتوقف ولو لدقيقة . . . واخيرا لمحا على البعد عربات الفرقة التاسعة .

وعلمت من الضابط المكلف بحراسة الطريق ان الفرقة احتلت المداخل الجنوبية لشرم الشيخ فى الساعة الخامسة صباحا ، وفى السادسة والنصف حلقت طائرة خفيفة وطلبت من الفرقة التقدم نحو شرم الشيخ ، وتنفيذا لذلك وصل قائد الفرقة فى التاسعة والنصف الى حافة الموقع . وعلى الفور تقدمت نحو الميناء بمناظره الطبيعية الخلابة التى لم اشهد فى مثل جمالها ابدا . وبذلك النهاية كانت الفرقة التاسعة ، وهى من رجال الاحتياطى بقيادة ابراهيم يوفى ، قد انجزت اشق المهام فى هذه الحرب .

وكان هناك بعد سياسى لهذه المهمة ، فان احتلال شرم الشيخ يعنى احتلال مضائق تيران ، وبالتالي فك الحصار عن الملاحه الاسرائيلية ، وهو الهدف الرئيسى لهذه المعركة .

والواقع ان هذه الفرقة قطعت الطريق الى شرم الشيخ وسط رمال ووديان ومرتفعات كانت تضطربها احيانا الى السير بسرعة ميلين ونصف فى الساعة . ووصلت الى اول نقاط العدو المصرية فى واحة دهب يوم ٣ نوفمبر (٢) واستطاع رجالها هزيمة ، الرجال العشرة من راكبى الجمال الذين كانوا يحرسونها ، وقتلنا ثلاثة قتلى . وعند وادى قيد اصبح عرض الطريق لا يزيد على البوصتين فاضطر المهندسون الى نسف الصخور لافساح الطريق . . .

وما ان شقت فرقة الاستطلاع طريقها حتى وقعت فى كمين فقدت فيه احدى سيارات الجيب ، واضطرت الى التراجع فى الساعة السادسة مساء . وفى صباح اليوم التالى وجد الموقع المصرى خاليا ولكن الطريق ملغم . وبعد ازالة الالغام وفى الساعة الحادية عشرة و ٥٠ دقيقة وصلت الفرقة الى السدقات المصرية فى رأس نصرانى وشرم الشيخ . وهكذا وصلت الفرقة الى هدفها بعد مسيرة استمرت ثلاثة ايام وليلتين .

وفوجيء المصريون والقائد المصري بالقوة الاسرائيلية وهى تهاجم من هذا الطريق الوعرة وذلك برغم البلاغ الذى بعثت به الوحدة المصرية

في منطقة يوسيت على بعد ٤٠ ميلا جنوبى ايلات ، والذي يفيد تقدم فرقة اسرائيلية .

وعندما وصل الطابور الاسرائيلى الى رأس نصرانى وجدها خالية ، اذ قرر القائد المصرى تركيز دفاعاته داخل شرم الشيخ . وكان المصريون قبل مغادرتهم قد أفسدوا المدافع التى كانوا قد نصبوها فى رأس نصرانى لنسف أية سفينة تحاول عبور خليج العقبة .

ورغم هبوط الظلام فقد حاولت الفرقة الهجوم على المواقع المصرية . لكنها فشلت . وفى الصباح المبكر عاودت الهجوم مدعومة بالطيران والمدفعية الثقيلة . واستمر القتال ، وبقي أحد المواقع المصرية يقاوم الى أن اصيب اصابة مباشرة . وفى التاسعة والنصف من صباح ٥ نوفمبر (ت ٢) سقط شرم الشيخ آخر المواقع المصرية فى سيناء .

صحيح ان اسرائيل حققت أهدافها من هذه الحرب ، لكنها لم تحقق هدفها فى المفاوضات المباشرة مع مصر ، اذ تم التوصل الى اتفاقية عن طريق السكرتير العام للأمم المتحدة كوسيط للفصل بين الطرفين . وكان شرطنا للجلء عن الاراضى المصرية ، ضمان حرية الملاحة الاسرائيلية فى خليج العقبة .

وفى ١٦ مارس (آذار) ١٩٥٧ ، بعد اربعة اشهر ونصف من المعركة، عادت القوات الاسرائيلية الى حدودها . وكانت آخر القوات الانجلو فرنسية قد غادرت القناة قبل هذا الموعد بشهرين ونصف . ولم تعد شرم الشيخ أو غزة الى مصر وانما وضعتا تحت اشراف قوات الطوارئ الدولية .

من وزير إلى مواطن عادى

(١٩٥٨ - ١٩٦٧)

خلع السترة العسكرية بعد أن قام بالنور العدواني المطلوب منه .. وبدأت فترة الإعداد لمرحلة جديدة عدوانية وهجومية على الدول العربية قضاها ديان بين «الجامعة للدراسة في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية» .. ثم انتقل بعد ذلك إلى فيتنام ليحارب مع القوات الأمريكية في دراسة عملية لفتح الشعوب الثائرة ومكافحة الذين يسعون لاستقلال بلادهم وخروجها عن تلك الإمبريالية العالمية .. إنها فترة أعداد وانتظار للانقضاض والاستمرار في سياسة إسرائيل العدوانية والتوسعية .

١٦ الحرية والسياسة

عندما انتهت فترة رئاستي للاركان ، خلعت سترتي العسكرية ،
والتجقت كطالب منتظم بجامعة القدس في كلية الاقتصاد والعلوم
السياسية فرع شئون الشرق الاوسط . ولم يختلف الامر في الجامعة
عنه في رئاسة الاركان ، ففي كلا المكانين كنت مضطرا الى الجلوس الى
مكتبي وسط الاوراق ، واعمل الفكر ، والمحاضرات . الخ . كان
الفارق الوحيد بينهما انتفاء المسئولية . ومرة السنتين في الجامعة
كانهما عطلة . وكما هو الحال في العطلات دائما ، فان السنتين لم
تتركاني في نفسي اي اثر .

ثم انفتح الميدان السياسي امامنا ، فقد طلب مني حزب الماباي
حزب عمال اسرائيل ، برئاسة بن جوريون ، التقدم كمرشح في
الانتخابات يوم ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٩ . والكنيست هو
برلماننا الذي يضم ١٢٠ مقعدا ، تجري الانتخابات عليها بتمثيل
النسبي . فيقدم كل حزب قائمة من ١٢٠ مرشحا في كل أنحاء البلد على
رأسها أسماء شخصيات في الحزب البارزة . وبحسب نسبة الاصوات
التي يحصل عليها كل حزب ، يكون عدد المقاعد التي يفوز بها .

وجلس حزب الماباي على ٥٢ مقعدا . وكالعادة حصل على أكبر عدد ، لكنه كالعادة أيضا لم يفز بالأغلبية المطلقة ، ولذا تحتم عليه تشكيل ائتلاف حكومي . وأصبح بن جوريون رئيسا للوزراء ، وفي ١٦ ديسمبر (كانون الاول) قدم أعضاء حكومته الجديدة الى الكنيست ، وكنت فيها وزيرا للزراعة .

لم أكن غريبا عن عالم السياسة ، ولم أكن عرضة لاي هجوم ضدي ، اذ كن وزير الدفاع هو المسئول عن تصرفات رئيس الاركان ومسلكه في الشئون العسكرية . ولكن ذلك كله تغير بعد أن أصبحت عضوا في الكنيست وعضوا في الحكومة .

ووجهت جل اهتمامي الى عملي كوزير للزراعة . . وهو العمل الذي لآمنى الى حد كبير . فقد ولدت ونشأت في بيئة زراعية ، بل انني لم أنفصل عن هذه البيئة عند اشتغالي بالجيش . وظلت ناهل موطني وبيتي . والواقع أن الزراعة والحقول والحظائر كانت أقرب الى قلبي من الخبرة العسكرية .

وتتميز اسرائيل بأن الدفاع والامن يرتبطان باستيطان الارض . وبعد قيام الدولة وجهت الحكومة اهتماما خاصا الى انشاء المستوطنات على الحدود في التلال شمال البلد ووسطها وفي النقب في طرفها الجنوبي . وكنت خلال عملي رئيسا للاركان حريصا على تشجيع انشاء المستعمرات وخاصة في النقب .

وعندما بدأت عملي كوزير للزراعة وجدت أن المستعمرات تواجه أزمة اقتصادية . فقد انخفض دخل الفلاح عن معدل الدخل العام بنسبة ٢٠ الى ٣٠٪ ، في حين أن الدخل العام نفسه كان منخفضا ، وكانت الضربة الكبرى موجهة الى مستعمرات الموشاف والكيبوتز التي لم تستطع التغلب على انخفاض أسعار المنتجات الزراعية وارتفاع نفقات الانتاج الزراعي وعدم نوافر رؤوس الاموال والقروض للحصول على الميكنة الزراعية . وفوق ذلك فقد واجهت منطقة النقب فترة جفاف استمرت مدة ثلاث سنوات .

كان ذلك كله يتطلب خطة مركزية للسيطرة على الانتاج لتجنب انخفاض الاسعار ، وكذلك تنظيم احتياجات الفلاحين الجدد الذين يحتاجون الى حصص من الاراضي والمياه ، وأنشأت جهازا للتخطيط ومجالس للانتاج والتسويق لكل فرع من فروع الزراعة ، ومكاتب

أقليمية محلية يستطيع من خلالها المزارعون تلقي الخدمات والارشاد الزراعى .

وكانت معركتى الاولى لترشيد الانتاج تتضمن البقر المدر للحليب ، واستمرت هذه السياسة طوال الخمس سنوات التى عملت فيها وزيرا للزراعة . وبرغم انخفاض الدخل فان المزارعين القدامى كانوا أحسن حالا من زملائهم الجدد وخاصة المهاجرين الوافدين الجدد ، ولذا كان لزاما على أن أقدم لهم يد المساعدة . وتحولت المستعمرات الجديدة الى مزارع ألبن فاحتاجت الى عشرة آلاف رأس من البقر الحلوب بالاضافة الى ما هو موجود حاليا . وقررت وقف الانتاج فى المستعمرات القديمة ونقل كل حصصها فى الانتاج الى المستعمرات الجديدة ، ووعدت بتعويض أصحاب المستعمرات القديمة . أما بالنسبة لمستعمرات الحدود، فقد رفعت شـعار (الارض لمن يفلحها) . ولكن مزارع الالبان التى أغلقتها سببت لى مشكلة ، اذ دأب سكانها على القيام بمظاهرات عنيفة أمم مكتبى . ولكن ذلك لم يمنعنى من تنفيذ القرار . وكانت هناك عدة مشاكل أخرى ، لكن أهم ما كان يشغلنى هو موضوع توزيع السكان بشكل مناسب على البلاد .

كانت حوالى ٩٠٪ من اراضى اسرائيل ملك الدولة . فكانت هناك الاراضى الاولى التى اشتراها الصندوق القومى اليهودى ، وهو الجهاز الذى أنشأته المنظمة الصهيونية عام ١٩٠١ لشراء الاراضى ، وهذه الاراضى انتقلت الى الدولة بعد الاستقلال ولم يكن للفرد أن يشتريها أو يكتنيها . وهناك الاراضى التى كانت تملكها قوات الانتداب البريطانية ، وهذه وقعت تحت سيطرة الدولة وتبلغ نسبتها ٧١٪ . هذا بالاضافة الى الاراضى العربية التى تركها أصحابها وهربوا بعد حرب الاستقلال ، وهذه أصبحت الدولة وصية عليها .

ووافق مجلس الوزراء على سياستى بالنسبة للاراضى . وكانت أحد عناصر تلك السياسة هى السماح بانشاء مشاريع اسكان خاصة فى وسط وشمال وجنوب اسرائيل ولكن بعيدا عن المناطق المزدحمة على الساحل بالاضافة الى أعمار ساحل البحر الابيض المتوسط لجذب السياحة ، وحرصت على تخصيص شواطئ محددة للجماهير لتقضى فيها عطلاتها الصيفية .

وبينما كنا نحاول حل مشاكلنا تلقينا طلبات عديدة للحصول على خبرتنا الزراعية من دول أفريقية ومن دول فى أمريكا اللاتينية . وأصبح

خبراء الزراعيين يعملون في قبرص وتركيا وكريت وفي نيبال وتايلاند
والفلبين وسيلان وكمبوديا .

وقد بدأت مساعداتنا الخارجية تأخذ شكلا واسعا عندما حصلت
الكثير من الدول الافريقية على استقلالها . وقد رحبت اسرائيل بزيارة
القادة الافارقة ورتبت لهم جولات في مستعمرات الكيبوتز والموشاف
خلال اقامتهم ، وفي مستعمرات النجف أيضا حيث شرح لهم رجالنا
كيف يمكن تحويل الصحراء الى اراض زراعية وكيف تحول المهاجرون
الجدد الذين لم تكن لهم أية خبرة زراعية ، الى خبراء في الزراعة . وكنا
نجد صعوبة في افهام هؤلاء الزوار ظروفنا الخاصة التي مكنتنا من انشاء
هذه المستعمرات وصعوبة نقل هذه الخبرة الى بلاد أخرى . ومما لا شك
فيه أنه كان بإمكاننا مساعدة الافريقيين في تنمية وسائل الزراعة لديهم،
لكن على ألا يتم ذلك من خلال الترجمة الحرفية لما فعلناه في اسرائيل
وانما من خلال اختيار الرجال والنساء اللاتقنين لهذه المهمة ، والمستعدين
لخدمة هؤلاء الافارقة كما خدموا مهاجريننا . وأجرينا دراسة للمشاكل
الزراعية في أفريقيا ، وكانها مشاكلنا نحن .

وبحلول عام ١٩٦٣ كان رجالنا قد عملوا لفترة كافية مكنتهم من
الحكم على نشاطاتهم ، وكنت أقابل هؤلاء العائدين وأستمع منهم الى
التقارير ، ولكن ذلك لم يكن كافيا ، وكان من الضروري زيارة هذه
المواقع بنفسى . وبحثت الموضوع مع جولدا مائير ، وزيرة الخارجية
آنئذ ، وبناء على اقتراحها قررت القيام بجولة في دول غرب أفريقيا في
خريف ١٩٦٣ ، زرت خلالها توجو والكاميرون وساحل العاج وجمهورية
أفريقيا الوسطى وغانا وفي يوليو (تموز) ١٩٦٤ متلت اسرائيل في
احتفالات الاستقلال في مالاوي (نياسالاند سابقا) . واستكملت رحلتي
في شرق أفريقيا حيث زرت كينيا وتنزانيا (تانجانيقا وزنبار حينذاك)
والتقيت في كل هذه الدول الافريقية مع رؤسائها ووزراء الدولة
والمواطنين الذين يعملون فيها مع خبراءنا ، ولكنني قضيت معظم وقتي في
زيارة الحقول . وكان نشاطنا محل أعجاب كل القادة الافارقة ، وطلب
الكثيرون منهم زيادة حجم مساعدتنا .

وكانت هناك دول أخرى كثيرة تساعد الدول الافريقية . فقد أنشأ
الروس مزارع في غانا . . وكان هناك أيضا في أفريقيا خبراء صينيون
وفرنسيون وبريطانيون وفرق السلام الامريكية . وعلى أية حال فقد
كُن هناك ناس من كل أنحاء العالم يدقون أبواب أفريقيا ويعرضون
مساعدتهم . وبالرغم من ذلك فإن الكل ، فيما عدا الاسرائيليين

والصينيين ، كانوا لا يعملون بأيديهم ولا يعملون مع الافارقة انفسهم ،
فالفرنسيين والانجليز والروس أقاموا مراكز تجريبية وكانوا من خلالها
يوزعون التقاوى والاسمدة ، و فرق السلام الامريكية - التي تتكون من
الرواد - اهتمت ببناء مراكز تجريبية وبتعليم اللغة الانجليزية .

ومن ناحية أخرى فان ممثلينا ، الذين نشأوا في أحضان الكيبوتز
والموشاف ، أقاموا علاقات قوية مع المزارعين في قراهم ، وكان الاسرائيليون
والصينيون هم الوحيدون الذين يعملون في الحقول يدا بيد مع الفلاحين
وفى جمع القطن وفى مزارع تربية الدواجن . وكان هذا الارتباط هو
العامل الرئيسى وراء النجاح الذى حققناه .

وعند عودتى من أفريقيا ، اقترحت على الحكومة زيادة معونتنا
الفنية الى أفريقيا ، وتمت زيادة عدد الخبراء ، وأنشئ مركز لتدريب
هؤلاء الخبراء ، وأسست لجنة برئاسة تشرف على شئونهم وتحل
مشاكلهم .

وعلى الرغم من الجهد الذى بذلته اسرائيل كدولة ، وبذله الافراد
باخلاص ، فانه لا يمكننى الزعم بأن برنامج المساعدة الخارجية قد لاقى
نجاحا كاملا . اذ كان علينا فيما بعد أن نحصد خيبة الامل فى كل مكان
عملنا فيه . فقد أجبر الاسرائيليون على العودة الى اسرائيل ، وهجرت
المزارع والقرى التى أنشأناها ، بسبب التقارب الذى حدث بين الدول
الافريقية حديثة الاستقلال والكتلة العربية المناهضة لاسرائيل . والواقع
أن هناك أسبابا أخرى أكثر عمقا توضح السر وراء عدم نجاحنا هذا .

لم يكن من السهل تغيير الاجيال أو المجتمعات . . وفى كل مكان
ذهبنا اليه فى أفريقيا علمناهم كل الاساليب والوسائل ، لكنهم كانوا
يقلدون ما نعلمهم اياه دون أن يتغيروا هم . ولم يكن تغيرهم هينا بعد أن
سيطرت عليهم طيلة القرون روح القدرية وانعدام المبادرة الشخصية .

كذلك فقد توالى الانقلابات العسكرية ، وأصبح من المؤسف أن
نرى القادة الافارقة يهتمون بالحكم أكثر من اهتمامهم بتحسين أحوال
شعبهم . كذلك استخدمت القرى النموذجية كوسيلة للاستعراض أمام
الزوار من الاجانب ، ولم تكن هناك الا استجابة ضئيلة للطلبات التى
كنا نقدمها لزيادة الاعتمادات المالية اللازمة ، الامر الذى ترتب عليه
فشل مشروعاتنا .

واستمر بن جوريون ينابع باهتمام برنامج المعونة الفنية التي تقدمها للدول النامية ، الى أن ترك منصبه قبل نهاية مدته ، عندما استقال من رئاسة الوزارة ووزارة الدفاع يوم ١٦ يونيو (حزيران) ١٩٦٣ . وبعد ستة أيام خلفه ليفى أشكول في المنصبين .

وكانت الاحداث التي وصلت الى هذا الحد قد بدأت قبل هذا التاريخ بثلاثة أعوام ، بل وتعود الى عام ١٩٥٤ عندما وقعت حادثة لافون - وزير الدفاع - التي أنكر فيها أنه أصدر الامر المعروف ، ثم استقال بعد أن أكد الضابط المتهم بأنه تلقى الاوامر من لافون ، وانتهت القضية باستقالته .

وفي سبتمبر (أيلول) ١٩٦٠ جرى تحقيق عسكري في قضية أخرى ، طلب على أثره لافون من بن جوريون تصحيح أوضاعه ، فأبلغه بن جوريون أنه لا يقدر على ذلك وأنه لابد من حكم يصدره قاض في هذا الشأن . ولجأ لافون الى عرض الموضوع على لجنة من الكنيست ، وتسربت الى الصحف التهم التي وجهها الى وزير الدفاع . وبناء على طلب الضابط المتهم الى رئيس الاركمان تشكيل لجنة تحقيق عسكرية ، عرض بن جوريون الموضوع على الحكومة التي شكلت لجنة وزارية مهمتها تحديد الجهة التي أصدرت الامر ، هل هي الضابط المتهم أم وزيره . وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٠ برأت اللجنة لافون وألقت المسؤولية على الضابط المتهم . وأصدرت الوزارة قرارها مع التصويت عليه في غياب أربعة من الوزراء كنت واحدا منهم .

ولم يشترك بن جوريون نفسه في التصويت ، على أساس أن الحكومة شكلت لجنة ليست لها صلاحية اجراء المحاكمة ، وأجرت تحقيقا خاصا بها ، ولم يكن لها الحق في اصدار حكم بين طرفين . وان ذلك كله يمكن أن يعهد به الى لجنة قضائية كاملة . وعلى الفور أعلن بن جوريون تخليه عن مسؤوليته عن هذه اللجنة وعن النتائج التي توصلت اليها . ثم ترك مكتبه ولم يعد اليه الا بعد عدة أسابيع لكي يقدم استقالته .

وبعد ثلاثة عشر عاما ، في اليوم الذي توفي فيه بن جوريون ، جاءني حاييم يسرائيلي ، مدير مكتبي الذي كان يعمل مع بن جوريون عندما كان وزيرا للدفاع ، وقص لي الحكاية التالية : في شهر ديسمبر (ك ١) ١٩٦٠ دعيت اللجنة المركزية لحزب الماباي الى اجتماع طارئ- تليت فيه رسالة من بن جوريون تفيد قراره بالاستقالة على أثر ظهور

نتائج اللجنة الحكومية • وقد صدم الحاضرون من هذا القرار ، وقالوا ان الحزب لن يشترك فى الوزارة بدون بن جوريون ، لكننى عارضت ذلك مؤكداً أن مصلحة الدولة فوق الجميع بل وفوق بن جوريون •

وأبلغنى إسرائيل أن بن جوريون ، عقب هذه الواقعة بأربعة أعوام ، كان يكتب مذكراته عن هذه الفترة فطلب محاضر اجتماع اللجنة المركزية للماباى ، وأحضرها له يوسف الموجى ، الرجل الحزبى القديم فى الماباى وسكرتيره آنثى • ولم يدرك الموجى أن هذا المحضر يتضمن اقتراحى بإنشاء حكومة بدون بن جوريون ، الا متأخرا •• اذ كان بن جوريون قد اطلع بالفعل على المحضر وقرأ ما قلته فيه وقال لىسرائيلى (ان موسى هو الوحيد الذى قال كلاما معقولا - فأنا كائنسان لست مهما ، وانما المهم هو الطريق الذى رسمته •• فهذا هو ما سوف يبقى) • وقد هزنى هذا التقدير •

وفى أغسطس (آب) ١٩٦١ جرت الانتخابات ، وعاد بن جوريون رئيسا للحكومة • لكن الخلافات استمرت بينه وبين أعضاء وزارته الذين اشتركوا فى اللجنة الحكومية الخاصة بلافون ، وانتهى الخلاف بأن ترك العمل ولم يعد اليه مرة ثانية •

وبقيت فى الوزارة ١٦ شهرا بعد ذلك الى أن قدمت استقالتى يوم ٣ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٤ • ولم يكن الدافع لذلك هو غياب بن جوريون عن السلطة ، وانما كان لاجساسى بأنى غير مرغوب فى وجودى بين الفريق • وعلمت فيما بعد أنه كان مخططا لى أن أقع ، لولا أن تركت الوزارة واقفا على قدمى فى الوقت المناسب •

ولم يتوقف بن جوريون ، وهو فى تقاعده فى سيدى بوتر ، عن مهاجمة حكومة أشكول بسبب قضية لافون ، ثم أعلن فى يونيو (حزيران) ١٩٦٥ انشقاقه عن حزب الماباى وتأليفه حزبا جديدا باسم رافى ، انضم اليه على الفور سبعة من أعضاء الكنيست • وبعد عدة شهور انضمت الى رافى •

وحرصت عند مغادرتى وزارة الزراعة على أن أجمع الكتب والصور التى أضعها بجوارى أينما عملت • من بين هذه الكتب التوراة العبرية ، وأشعار بياليك شاعرنا القومى ، وأشعار ناتان أولترمان شاعر الجيل الذى عشته • ويمثل أولترمان واحدة من الصور الثلاثة التى مازلت أضعها فى مكتبتى حتى الآن ، أما الصورتان الاخريان فهما لبن جوريون

وحاييم شيبا • ومع أننى لست ممن يعبدون الابطال ، الا أن هؤلاء
الثلاثة لهم فى نفسى خليط من التقدير والاحترام والحب •

وقد تعرفت على أولترمان خلال عملى كرئيس للاركان عندما عرفنى
به بن جوريون اذ كانا صديقين ، وقد جسد أولترمان معاناة شعبه
وما قاساه خلال السنين الطوال ، وكانت أشعاره ومقالاته تلهب عواطفنا
على الدوام • كان بالفعل اكبر معلم لجيل • وحفزت كلماته كل الشباب
على أن يجعلوا بعث الاستقلال اليهودى قضية شخصية لكل منهم •

أما وقد أصبحت الآن خارج الحكومة وبعيدا عن الجيش ، فقد كنت
أقسم وقتى بين حضور جلسات الكنيست ضمن حزب معارض صغير ،
وادارة شركة لصيد الاسماك ، وكتابة كتاب عن معركة سيناء ، لكننى
ظلت مهتما بأمور الدفاع والامن فى بلدى ، وبقيت أطلع الى المساهمة
بأى مقياس فى تشكيل سياسة الدفاع فى البلاد •

ورغم التقارير والقراءات التى كنت أقوم بها ، فقد بقيت بعيدا عن
ميدان الحرب • ولكنى الآن ، فى عام ١٩٦٦ ، قررت أن أشاهد بنفسى
وعلى الطبيعة ، كيف تسير الحرب الحديثة وكيف تتطور أحداثها ، وهل
يمكن نقل ذلك الى استخدماآتنا نحن •

وكانت فيتنام هى (المعمل) الافضل والوحيد آنئذ • وقبلت العمل
كمراسل حربى لاحدى الصحف • وعلمت فيما بعد أن روبرت ماكنمارا
وزير الدفاع الأمريكى عندما عرف بذلك أبلغ القائد الأمريكى فى فيتنام،
الجنرال وستمورلاند ، بفتح كل الابواب أمامى مع عدم تعريضى للخطر •
وهكذا وجدت نفسى فى أول أغسطس (آب) ١٩٦٦ على متن هليكوبتر
أمريكية متوجها من دانانج الى الفرقة الاولى الجوية الأمريكية للاشتراك
فى دورية فى الغابة •

ورأيت القاعدة من الجو حيث الطائرات الهليكوبتر فى وسطها
تحيط بها الخيام ، تحيطها أبراج الدفاع والمراقبة ، فمواقع المدافع
الثقيلة ، ومن حولها الغابة الكثيفة التى لم أحارب فى مثلها من قبل •
واستقبلنى الجنرال جون نورتون بالترحيب وطلب منى ألا أختار واحدة
من وحداته لكى أموت فيها • ثم دعانى الى عشاء حضره الكولونيل
بوندسويج قائد الكتيبة الثانية التى سوف تتحرك بعد قليل وستصحبنى
معه • وكانت العملية التى ستتم على الحدود مع لاوس وكمبوديا بحثا
عن الفيتكونج •

كانت المعركة أساسا تعتمد على طائرات الهليكوبتر حيث بلغ عددها ١٧٠٠ طائرة عند وصولي ، أى ما يفوق كل ما لدى أوروبا من هذه الطائرات . واضطرت أمريكا لاستعمالها لقهر الغابات . وكنت معتادا على مثل هذه العمليات حيث كانت هذه الطائرات توفر سهولة النقل دون ما حاجة لاستعمال الطرق أو العربات أو المطارات . ففي خلال أربع ساعات من صدور الانذار كان من الممكن نقل كتيبة بأكملها الى قلب المعركة سواء فى الغابة أو على الجبال .

وتقرر بدء العملية عند الظهيرة بدلا من الصباح الباكر نظرا لانخفاض السحب وكثافتها . كانت الخطة تقضى بانزال الجنود الامريكان بسط قوات الفيتكونج العسكرية داخل الغابة . لكن النقص الوحيد فى الخطة تمثل فى فشل الاستطلاع الامريكى الحديث فى اكتشاف المواقع الحقيقية للفيتكونج . وانطلقت الطائرات فى الساعة الواحدة وخمس دقائق فى مجموعات تضم كل منها ١٦ طائرة ، وقد اتخذ رجال المدافع أماكنهم فيها .

وسبقت عملية انزالنا عملية قصف واسعة لتنظيف الحقل الذى كنا سنهبط فيه . وقفزنا مسرعين من الطائرة واحتمينا داخل الحشائش الطويلة ، وأقلعت الطائرات عائدة . وجاءت طائرات الهليكوبتر من طراز شينوك فأنزلت المدافع ١٠٥ ، وتبعها الطائرات من طراز كرين حاملة المدافع ١٥٥ والبولدوزرات وقوافل الاتصالات . ولم أكن أتمالك مشاعري عند مشاهدة هذه الطائرات العملاقة التى تتكلف الواحدة منها ٧ ملايين دولار ، من أن أتذكر مدى المعاناة مع وزارة الدفاع الاسرائيلية واضطرابى مثلا الى الغاء رحلة دراسية لمجموعة من الضباط لكى أوفر ٧٠ ألف دولار لقطع الغيار . آه يا أمريكا . آه يا اسرائيل .

لكننى تساءلت أين الحرب ، ان العملية تشبه مشاهدة مناورة من جانب واحد . أن أكبر سلاح لدى الفيتكونج هو المورتار الذى يمكن لرجل أن يحملة على ظهره . لكن على كل حال أين الفيتكونج ؟ وأين الحرب ؟ . وبعد نصف ساعة بدأت الحرب واتضح أنهم موجودون على بعد ٣٠٠ ياردة ، وتمكنوا من ايقاع المجموعة النانية فى كمين . وتم نفلى الى مقر القيادة مرة أخرى . وكان الفيتكونج قد أخفوا مواقعهم على طول الممر الذى سالت عليه المجموعة الى أن أصبحت كلها تحت النيران . . . وكانت الخسائر ٢٥ قتيلًا و ٥٠ جريحاً منهم قائد المجموعة .

وأسرعت القيادة بارسال مجموعة أخرى للمساعدة فى نقل الجرحى والقتلى ، أما الهجوم المضاد فتم - كالعادة - بواسطة القصف بالمدافع

وبالطائرات • وكثيرا ما كانت الطائرات تستدعى لفصف مواقع ربما يكون عدد الموجودين فيها قليلا وربما كان فيها قنصى واحد • ولم يكن المشكلة أمام القوات • ريدى هى اجنباح مواقع العدو ، وانما كانت اكتشاف مواقعهم • أما الهجوم والاجتياح فكان يتم بالمدفعية والقصف الجوى •

وكانت القاذفات الثقيلة هى السلاح الأمريكى الفعال ، اذ كانت ترمى فنبالها الموجهة الكترونيا وهى تطير عالية فتحدث الدمار الشامل المطلوب بدقة •

ولم يكن الصدام الذى وقع بين المجموعة الأمريكية والفيتكونج عصر هذا اليوم أمرا عارضا ، بل تلك كانت هى سمة المواجهة بين الطرفين ، باستمرار • وكانت تلك هى النتيجة المباشرة لتاكتيك الفيتكونج واستراتيجية الأمريكين •

كان تاكتيك الفيتكونج هو تدمير العدو عندما تكون الفرصة سانحة • ومضمونة النجاح • وذلك ما حدث عصر اليوم - فقد كانوا فى مخابهم عندما مرت المجموعة الأمريكية - فى طابور طويل - أمامهم • وبالفعل - فان ٩٠٪ من المعارك فى حرب فيتنام بدأت على هذا النحو عندما وجد الفيتناميون الفرصة سانحة أمامهم •

وكان هدف الأمريكين أيضا هو تدمير العدو ، ولكن فى أى وقت وفى أى فرصة حتى ولو كان النفوق الاول للفيتناميين • اذ سرعان ما تبدأ المدفعية والطيران فى قصف المواقع التى يتم اكتشافها •

ان العدوانية التى تميزت بها معارك الجيش الأمريكى لم تكن نابعة من طبيعة هذا الجيش ، بل من السياسة والاستراتيجية والطريقة التى كان يأمل من يديرون الخطوات العسكرية فى أمريكا تحقيق النصر بها •

وحتى أستمع الى المزيد عن الاستراتيجية الأمريكية فقد طرت الى سايجون عن طريق واشنطن ، والتقيت بالجنرال ماكسويل تباور وروبرت ماكنمارا • وكان مفتاح النصر - ببساطة - فى نظر أمريكا هو تحطيم الروح القتالية لدى هانوى ، وذلك عن طريق قصف ثقيل ومستمر على فيتنام الشمالية وتدمير قوات الفيتكونج فى فيتنام الجنوبية وكان رأى ماكنمارا وتيلور ان استمرار هذه الاستراتيجية سوف يجبر هوشى منه على وقف المعارك والجلوس معهم الى مائدة المفاوضات •

وفد تواءمت هذه الاستراتيجية مع السمات العدوانية للقادة الأمريكيين ، فان من يرى الجنرال نورتون وهو يحفز رجاله على اطلاق النار قبل أن يستقل طائرته بمدافعها ١٥٥ ، لا يتمالك نفسه من أن يذكر منظر (الشريف) في الغرب الأمريكي وهو يقفز على ظهر حصانه في طريقه الى معركة يخوضها حتى النهاية .

وأعود الى عصر ذلك اليوم ، ففي الخامسة والنصف مساءً توجهت من مقر القيادة بصحبة نورتون الى مقر قيادة الجنرال ووكر حيث تناولنا العشاء . وبعدها بدأ نورتون الحديث حول الخطوة المقبلة للفيتكونج وهل سيستفيدون من الظلام في الانسحاب كمعادتهم في جماعات صغيرة . وكان رأي ووكر أنهم سوف ينسحبون ليلاً الى كمبوديا التي تبعد حدودها عشرة أميال . وأبدى نورتون قناعته بأن الفيتكونج جاءوا من الشمال بعد مسيرة ثلاثة أشهر لكي يحاربوا الأمريكيين ، وذلك بالضبط ما سوف يفعلونه .

وأبدت رأيي في فعالية الهليكوبتر ، رغم ضخامة تكاليفها ، لكني بينت أن الأمريكيين يفقدون عنصر السرية إذ أن الهليكوبتر تعلن عن نفسها خلال كل بوصة من الطريق وعند الانزال ، في حين يخفى الفيتكونج أنفسهم حتى خلال مسيرة الأشهر الثلاثة . واسنمع الى نورتون بانتباه تام ، ثم قال لي (لا تقلق يا جنرال سوف نفوز بهم) .

وبعد تناول العشاء نقلت بالطائرة الى منطقة تبعد عن الحدود الكمبودية بثلاثة أميال لاشتراك مع فرقة (البيريهات الخضراء) في دورية لمدة يومين ، وفي الصباح الباكر وردت برقية من نورتون تفيد أن هجوما كبيرا من الفيتكونج قد وقع قرب المنطقة ، ويقترح إفغادي الى موقع المعركة .

وكان الهجوم قد تم ليلاً وأسفر بعد فشله عن ٢٣٧ قتيلاً تركهم الفيتكونج خلفهم . وكانت بالموقع مجموعة من الكوريين الذين أقاموا دفاعات وتحصينات قوية وأحسبوا إخفاءها . وكانت غلطة قائد الفيتكونج أنه تصور أنه يقاتل الكوريين فقط ، دون أن يحسب حساب المدفعية والطيران والدبابات . وهكذا فإن الأقوى هزم الأضعف . صحيح أن المواجهة بين داود وجوليات في بلادى كانت واقعة نادرة ، لكن الشيء نفسه يحدث هنا في مملكة الدبابات والمدافع ، فقد انهالت على الفيتكونج ٢١ ألف قذيفة ، أو ما يفوق كل ما أطلقتته إسرائيل خلال معركة سيناء وحرب الاستقلال مجتمعتين ، الغريب أن بعض الفيتكونج وصلوا الى الاسوار واستطاعوا القاء بعض القنابل اليدوية .

ولفت انتباهى أثناء جولتى خلال الحطام ، حدانة سن الفيتكونج .
ونظافة هندامهم ، وعنايتهم بمظهرهم رغم أنهم ينتعلون الصنادل بل كان
بعضهم حافى القدمين . وكانت أسلحتهم مختلفة ما بين بنادق ماوزر من
الحرب العالمية الثانية الى بنادق نصف آلية سوفيتية التصميم صينية
الصنع الى مدافع رشاشة خفيفة .

ولقد شهدت الكثير فى فيتنام ، وسمعت الكثير ، وكنت سعيدا
بوجودى هناك . لقد رأيت كيف تكون الحرب فى منتصف الستينيات .
ولم أكن أعلم ، وأنا أغادرها فى طريقى الى بلدى ، أننى سوف أعود بعد
أقل من عشرة أشهر الى الحكومة فى وسط الشئون العسكرية مسئولا
عن ادارة واحدة من أكثر المعارك دراماتيكية .

حرب الأيام الستة

(١٩٦٧)

في هذا الباب يتحدث موسى ديان بهتتهى الصلف والغرور عن حرب الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، أو كما جرى العرف عندهم على تسميتها بحرب الأيام الستة .

ومن حقّه أن يتكلم كما يشاء ، فإن ما حدث كان خارجاً عن حدود العقل والمنطق ، ولم يدركه إسرائيل نفسها أن تتحقق هزيمة الجيوش العربية في هذا الزمن القياسي ..

ولكن « ديان » بالرغم من ذلك يكذب ويخادع ، إذ يصور الجيش المصري والجيوش العربية بصورة الوحش الفتّار جاء ليفترس لأجل الاسرائيلي الوديع الذي لم يجد أمامه من سبيل سوى الدفاع عن نفسه ضد جيرانه من الوحوش المتربصين به ثراً ..

الانتظار الطويل الأول



فى ليلة الاحد ١٤ مايو (آيار) ١٩٦٧ ، أثناء احتفال اسرائيل بعيد استقلالها التاسع عشر ، وردت أنباء من المخابرات بأن القوات المصرية تعبر القناة الى سيناء • وبعدها بثلاثة أيام طلب عبد الناصر سحب قوات الطوارئ الدولية ووافقه السكرتير العام للأمم المتحدة على ذلك • وفى خلال عدة أيام وصل عدد القوات المصرية فى سيناء الى ٨٠٠٠٠ جندى و ٨٠٠ دبابة •

وفى ٢٢ مايو (آيار) أعلن عبد الناصر اغلاق مضائق تيران فى وجه السفن المتجهة من والى اسرائيل • وكانت اسرائيل قد حددت موقفها بوضوح تام للجميع عندما انسحبت من شرم الشيخ بعد معركة سيناء ، وهو أن إعادة فرض الحصار سوف يعد عملا من أعمال الحرب • وفى ٢٦ مايو (ايار) أعلن عبد الناصر أن مصر سوف تدمر اسرائيل • وأعلن الملك حسين وضع قواته تحت القيادة المصرية ، وتلته العراق • وانضمت وحدات جزائرية وكويتية للاستراك مع القوات المصرية فى

سيناء • وهكذا وجدت اسرائيل نفسها فى مطلع شهر يونيو (حزيران) تحت تهديد من كل الجبهات العربية من جانب جيوش تفوقها عددا وعدة • وأصبحت اسرائيل فى نظر العالم محكوما عليها بالفناء •

تمت تعبئة جريئة للاحتياطى فى اسرائيل ، وجرى نفذ الابرية عن خطط الطوارئ وتم تعديلها • وكان أمام الحكومة الاسرائيلية برئاسة ليفى اشكول خياران : اما أن تأمر قواتها بالتحرك المباشر ، أو أن تسعى الى بذل جهود دبلوماسية للضغط على عبد الناصر • وقررت الحكومة البدء بإجراء الاتصالات الدبلوماسية • وبقيت القوات معبأة فى مواقعها اثنين وعشرين يوما فى انتظار الانباء الجديدة • وأخيرا وفى صباح ٥ يونيو (حزيران) انطلقت صفارات الانذار معلنة أن اسرائيل تحارب •

كانت حرب الايام الستة ، كما اسميت فيما بعد ، هى الصراع المسلح الثالث الذى تخوضه اسرائيل فى تسعة عشر عاما من استقلالها • وقد نشبت هذه الحرب بسبب القرارات الخاطئة للرئيس المصرى جمال عبد الناصر • كانت الاسباب المباشرة تتمثل فى سلسلة من الحوادث بين اسرائيل وسوريا (والاردن أيضا) وفى رد فعل مصر - أو فلنقل رد فعل رئيسها • كان عبد الناصر يعلم أن اسرائيل سوف تعبر أعماله العدوانية ، وخاصة اغلاق المضائق ، بمناسبة عمل حربى ، لكنه كان يفترض أن القوى الكبرى سوف تمنع اسرائيل من الحركة ، أو أن اسرائيل لن تستطيع اختراق الخطوط المصرية فى سيناء • ولا بد لمجلس الامن أن يتحرك ويأمر بوقف القتال فيتحقق لعبد الناصر فرض الحصار البحرى بشكل مستمر ••

وكانت احدى الدوريات الاسرائيلية على الحدود الاردنية قد أصيبت بلغم فقتل منها ثلاثة وجرح ستة • وفى اليوم التالى دخلت القوات الاسرائيلية قرية ساموا عند جبل الشيخ ونسفت عشرة بيوت وبلغت خسائر الاردنيين عشرين قتيلًا و٣٥ جريحًا • واندفعت الصحافة والاذاعة الاردنية تسخر من عبد الناصر الذى وعد بمساعدة العرب ضد اسرائيل فى الوقت الذى تختفى فيه قواته وراء قوات الامم المتحدة التى أمنت الملاحة الاسرائيلية من وإلى ايلات •

ومن ناحية أخرى فقد كانت هناك سوريا بنظامها المتطرف ، وكرهيتها لاسرائيل ، ومحاولاتها لتحويل منابع المياه من نهر الاردن ، ورعاية جيشها لنشاطات الارهابيين • وكانت سوريا أكثر

عداوة لاسرائيل من غيرها من الدول العربية الاخرى : وكانت سيطرتها على مرتفعات الجولان تتيح لها ميزة طبوغرافية هائلة مكنتها من قصف المستعمرات في وادي الاردن والحولة . وكانت المساعدات السوفيتية لسوريا بلا حساب .

وبعد عدة استنباكات وحوادث على الحدود مع سوريا ، وفي ٧ «بريل» (نيسان) ١٩٦٧ ، قام الطيران الاسرائيلي بعملية انتقامية فخرجت الطائرات السورية ، وكانت النتيجة اسقاط ست طائرات مبراج سورية ، ولم يخسر الطيران الاسرائيلي ولا طائرة واحدة .

واتجهت سوريا نحو الاتحاد السوفيتي تطلب مزيدا من الاسلحة وخاصة الصواريخ الموجهة ، ونحو عبد الناصر طالبة اشراك مصر الفعال في الدفاع عن سوريا . ولم تفاجأ اسرائيل بذلك لانها كانت تدرى مدى الجرح الذي أصاب سوريا عندما أسقط الطيارون الاسرائيليون الطائرات السورية فوق دمشق .

ثم جاءت الشكوى السورية من أن اسرائيل تركز (تحشد) على حدودها . وكانت هذه التهمة باطلة تماما . ويبدو أن السوريين تصوروا هذا الامر بعد الاشتباك الجوى . وقد حاولت اسرائيل تفنيد هذه الشكوى ، غير أن الاتحاد السوفيتي جعل من الشكوى قضية ، فاضطر ليفي أشكول الى دعوة السفير الروسى لمصاحبته فى جولة عبر الحدود للتأكد بنفسه ، لكن السفير رفض .

ووجد عبد الناصر نفسه أمام المشكلة بوجهها الحاد ، وخاصة كيفية مساعدة سوريا التي ارتبطت معها مصر بمعاهدة للدفاع المشترك فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٦ . وأضيفت الى ذلك تلك (المعلومات) التى ظل عبد الناصر يتلقاها من مصادر سورية وسوفيتية عن حشد اسرائيل لقواتها على الحدود بهدف الاستيلاء على العاصمة دمشق واسقاط نظامها اليسارى . واختار عبد الناصر الوقوف بجانب سوريا وأعلن فى خطبة له يوم أول مايو (ايار) أنه سوف يضع تحت تصرف سوريا كل احتياجاتها من الطائرات والطيارين .

وأشعل الروس الموقف ، ففي ١٢ مايو (ايار) ١٩٦٧ نقل أحد رجال المخابرات فى السفارة السوفيتية فى القاهرة الى المخابرات المصرية (تأكيدات) للتقارير السورية بأن اسرائيل تحشد قواتها على الحدود السورية . وفى اليوم التالى كرر نيكولاى بودجورنى هذا الادعاء فى

عديده مع أنور السادات (زميل عبد الناصر الوبق أنباء ريارته
لموسكو . وأضاف بودجورنى أن روسيا سوف تساعد سوريا ومصر ،
وقال (يجب ألا تؤخذ مصر على حين غرة) ، فالايام القليلة حاسمة) .
وردد وزير الخارجية السوفيتى للضيف المصرى نفس الاقوال مضيفا أن
اسرائيل سوف تتحرك ما بين ١٦ و ٢٢ مايو (ايار) .

وسارع السادات بإبلاغ عبد الناصر ، الذى أمر يوم ١٤ بارسال
فرقتين الى سيناء بالإضافة الى الفرقة الموجودة فيها بالفعل . وكانت تلك
هى المعلومات التى وصلت خلال احتفالات اسرائيل بالاستقلال . وطبقا
لما قاله محمد حسنين هيكل ، رئيس أكبر الصحف المصرية ، والصديق
المقرب لعبد الناصر ، فإن هذا التحرك كان لعاملين أولهما تأكيد لسوريا
بأن مصر سوف تحارب الى جانبها والثانى اجبار اسرائيل على سحب
قواتها من الحدود السورية لمواجهة التهديد المصرى جنوبا .

وكانت الخطوة التالية لعبد الناصر هى طلب سحب قوات الطوارئ
الدولية ، أى من غزة الى ايلات . وقال الجنرال المصرى الشرقاوى
للجنرال ريكي - قائد قوات الطوارئ - ان مصر تريد حدودها مفضوحة
نظرا لان الاعمال الحربية قد تندلع بينها وبين اسرائيل . ولم ينفذ من
الطلب سحب قوات الطوارئ من شرم الشيخ وغزة .

وبناء على نصيحة الدكتور رالف بانس ، رفض يوثانت - السكرتير
العام للأمم المتحدة - ترك قوات الطوارئ فى شرم الشيخ وغزة محتجا
بأن القوات لا يمكنها طبقا لمهمتها أن تبقى فى مواقع وتترك غيرها ،
فكلها أجزاء متكاملة من عمل واحد . وجاء رد فعل عبد الناصر يوم ١٧
مايو (ايار) بالامر باخراج كل قوات الطوارئ بما فيها تلك الموجودة
فى شرم الشيخ . ووافق يوثانت وتم انسحاب القوات بعدها بيومين ،
وعلى الفور احتل جيش التحرير الفلسطينى مواقع قوات الامم المتحدة
فى غزة .

ثم جاء قرار عبد الناصر الذى شكل الخطوة الحاسمة نحو الحرب
وذلك خلال اجتماع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى
فى منزله يوم ٢١ (ايار) ، حيث تقرر اغلاق ميناء ايلات من خلال اغلاق
مضايق تيران وعدم السماح للسفن الاسرائيلية بالمرور أو للسفن الاجنبية
التي تحمل مواد استراتيجية من والى اسرائيل . وفى اليوم التالى خلال
زيارة عبد الناصر الى قاعدة أبو صوير الجوية أعلن اغلاق خليج العقبة
فى وجه اسرائيل . وفى اليوم التالى ٢٢ مايو (ايار) أوقفت سفينتان

أثانينان وتمت مراجعة أوراقهما وسمح لهما بالمرور بعد التأكد من أن وجهتهما هي ميناء العقبة الاردنى وليست ايلات .

وفى نفس اليوم الذى أعلن فيه عبد الناصر اغلاق خليج العقبة قبل السفير السوفيتى بالقاهرة الذى سأله عما اذا كان يرغب فى أن يعلن الاتحاد السوفيتى أنه اذا هاجمت اسرائيل العرب فان القوات السوفيتية ستشارك مع العرب فى المعركة ، أجاب عبد الناصر أنه يفضل أن يوجه السوفيت هذا الانذار للولايات المتحدة الامريكية .

وهبطت التحركات العسكرية لعبد الناصر هيوط الصاعقة على اسرائيل . ربما لان الصورة التى كانت موجودة قبل ١٥ مايو تمثلت فى مجرد أن سوريا طلبت مساعدة مصر فى مواجهة اسرائيل ، أما الآن فقد تغيرت الصورة ، وأصبحت مصر - لا سوريا - هى التى تهدد اسرائيل بالحرب .

لقد حركت مصر أكثر من نصف قواتها المسلحة الى سيناء ، وسحبت قوات الطوارئ ، وأغلقت مضائق تيران ولم تكن الحكومة الاسرائيلية ولا الشعب يتوقعان هذا العمل . ولم تكن اسرائيل تريد الحرب ، لكنها أيضاً لم يكن فى استطاعتها تجاهل خطورة اغلاق مضائق تيران على ميناء ايلات ولا تجاهل التهديد المصرى الذى يدفع بكامل قوته العسكرية نحو الحدود الاسرائيلية .

وعلى الفور بدأت مشاورات فى داخل اسرائيل ، واتصالات دبلوماسية واسعة النطاق فى عواصم العالم ، لرفع الحصار عن مضائق تيران وانهاء التهديد المصرى .

١٧٣

واتضح فيما بعد أن عبد الناصر كان مخطئاً فى قياسه للنتائج التى ستسفر عنها المواجهة العسكرية لكنه كان مصيباً فى حكمه على الموقف الذى ستتخذه الدول الكبرى . وقد عمل ممثلو السوفييت فى القاهرة على تغذية مصر بتقارير زائفة عن الحشود الاسرائيلية على الحدود السورية ، بل ووعدت روسيا بإيفاد قوات فى حالة نشوب الحرب .

أما فرنسا فلم تكن ترغب فى قيام الحرب ، لكن الرئيس ديغول كان يساعد عبد الناصر فى محاولة الحصول على ما يطلبه بدون حرب . وقد أوقف الرئيس ديغول كل شحنات الاسلحة التى طلبتها اسرائيل من فرنسا ، ودفعت ثمنها . وشرح الرئيس ديغول ذلك لممثل اسرائيل

قائلا انه أوقف شحن هذه الاسلحة حتى يمنع اسرائيل من البدء فى الحرب . وجاء هذا القرار الفرنسى فى الوقت الذى كانت مصر تتلقى فيه كميات هائلة من الاسلحة من الاتحاد السوفيتى : ومضى الرئيس ديجول فاتخذ موقفا يقضى بأن اسرائيل يجب أن تنسى موضوع اغلاق مضائق تيران ، بل وذهب الى حد أنه لا بد من عودة اللاجئين الفلسطينيين لاراضيهم والاعتراف (بحقوق الفلسطينيين) ، وأنه يجب على الدول الاربعة الكبار أن تعالج هذه الموضوعات . وكان ديجول يريد أن يوضح لنا من هذا الاعلان أن فترة التعاون الفرنسى الاسرائيلى عام ١٩٥٦ قد انتهت وأن فرنسا الآن تسعى الى علاقات طيبة مع العرب .

وكان موقف بريطانيا نشيطا ولكن بدون نتائج . وكان رئيس الوزراء هارولد ويلسون يزور واشنطنون فى هذه هذه الايام . وأعلن تأييده لاقتراح الرئيس الامريكى جونسون بإرسال قوة بحرية للتدخل بالقوة وانهاء الموقف . ولكن الاقتراح تجمد . كما أن وزير الخارجية البريطانى جورج براون حاول البحث عن حلول ، لكن زملاءه فى مجلس الوزراء البريطانى خذلوه . ورفضت ايطاليا وأسبانيا التعاون خوفا من غضاب مصر . ورفضت فرنسا التوقيع على اعلان حرية الملاحة فى خليج العقبة الذى اقترحته الولايات المتحدة . وأخيرا طار براون الى موسكو يوم ٢٤ مايو (أيار) وقدم مقترحاته للقادة السوفيت ، ولكن كوسيجين هزأ به قائلا : (هل تريد سويس أخرى) . رفض كوسيجين اقتراحين آخرين لبراون هما أن تتعاون روسيا مع بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة لعودة قوات الطوارئ الدولية لمواقعها السابقة . وأن تضغط موسكو على مصر للجلاء عن شرم الشيخ . وعاد وزير الخارجية البريطانى الى لندن بعد يومين من المباحثات الفاشلة فى موسكو .

أما الولايات المتحدة فلم تكن توافق على تحركات عبء الناصر ، لكنها لم تقبع ساكنة . كذلك فان مقترحاتها لم توضع موضع التنفيذ أو التحرك الفعلى . وفى ٢٣ مايو (أيار) التقى السفير الامريكى فى القاهرة بوزير الخارجية محمود رياض وأبلغه أن موقف الولايات المتحدة يتلخص فى أنها تعارض فى جلاء القوات الدولية وفى احتلال المصريين لشرم الشيخ الا اذا أعلنت مصر قبولها حق حرية الملاحة فى خليج العقبة ، كما تعارض الولايات المتحدة دخول الجيش المصرى لقطاع غزة .

وبعد أسبوع ، فى أول يونيو (حزيران) ، بعث الرئيس الامريكى جونسون بمبعوث خاص الى القاهرة هو روبرت اندرسون الذى كان على

معرفة وثيقة بعبد الناصر ، وسلمه رسالة شخصية من الرئيس الامريكى .
وطبقاً لرواية محمد حسنين هيكل فان الرئيس جونسون أبلغ عبد
الناصر فى هذه الرسالة أن الولايات المتحدة لن نشترك فى ارسال أى
قوة بحرية لمضايق تيران . ولكن الرئيس الامريكى مهتم بأمن اسرائيل
وتنميتها وينسحب ذلك على حرية اسرائيل فى الملاحة البحرية فى
مضايق تيران . ولذا فهو يرى أنه يمكن الوصول الى حل وسط فى ضوء
كل ذلك وتجنب الحرب .

وكان الرد الرسمى لعبد الناصر أنه يقبل اقتراح يوثانت بتأجيل
اغلاق المضائق لمدة أسبوعين ، يتم خلالها الوصول الى حل معقول تقبله
كل الاطراف وقد أكدت مهمة أندرسون تقدير عبد الناصر واعتقاده فى
أن القوى الكبرى لا ترغب فى الحرب وأن روسيا وأمريكا ستعملان على
وقف الحرب كما فعلتا عام ١٩٥٦ .

وفى نفس الوقت استمر المصريون فى تفوية قواتهم فى سيناء .
وتلقوا امدادات جديدة من الجيوش العربية ، وبدأوا فى وضع الذمسات
الاحرة فى خطة الحرب . وفى الجنوب يستطيع المصريون اغلاق ايلات
بالاشتراك مع القوات الاردنية ، وفى الشمال تستطيع القوات السورية
مع القوات العراقية الاستيلاء على الجليل الاعلى والسيطرة عليه .

وفى يوم ٢٦ مايو (أيار) ، من خلال حديثه مع وفود العمال
المرب ، أثنى عبد الناصر على الاتحاد السوفيتى وهدد بتدمير اسرائيل .
وقال ان مصر سمحت لقوات الطوارىء الدولية بالبقاء على أرضها حتى
تستكمل مصر بناء قواتها المسلحة ، وعندما تم لها ذلك ذهبت الى شرم
الشيخ . وقد سنحت الفرصة لذلك عندما هددت اسرائيل سوريا .

وأعلن الرئيس المصرى أن الجيوش السورى والمصرى الآن جيش
واحد ، وأنه يأمل أن ننضم بقية الدول العربية التى تحيط باسرائيل
فى جبهة عسكرية واحدة .

وفى يوم ٣٠ مايو (أيار) أعلنت الاردن انضمامها الى الحلف
العسكرى المصرى والسورى . وكانت علاقة الملك حسين سيئة مع عبد
الناصر ، ومع ذلك سافر الملك حسين الى القاهرة بدون أن يتلقى اخطاراً
بالترحيب باستقباله . وبعد ساعات قليلة من وصوله وقع اتفاقية
دفاع مشترك مع مصر وسوريا .

ومع انضمام الملك حسين فإنه لم يبق الا معنى واحد ، هو الحرب .
وكان حسين يخشى أن تهاجم الجيوش العربية اسرائيل وتحزز النصر
ويصبح موقفه سيئاً اذا وقف مكتوف الايدي .

وعند عودته الى عمان من القاهرة أدلى بحديث لمراسل جريده
الحياة البيروتية قال فيه أن توفيقه على اتفاقية الدفاع المشترك في
القاهرة عمل تاريخي وانها ربيعة تحمل معنى الارادة القوية نحو العمل .
وأعرب الملك حسين عن أمله في أن تشترك الدول العربية شرقاً وغرباً
في محور العار وتحرير فلسطين . وتم تعيين الجنرال عبد المنعم رياض
قائداً للجبهة الشرقية والقوات الاردنية .

واستحكمت الحلقة حول اسرائيل يوم ٤ يونيو (حزيران) بموقع
العراق للمعاهدة الثلاثية لتصبح رباعية . ووصلت الى الاردن طائرات
حربية مصرية وكتيبتان مصريتان وبدأت القوات العراقية تحركها نحو
الاردن وعلى رأسها لواء ميكانيكي وكتيبة مدرعات .

ومع انضمام حسين لانفاقية الدفاع المشترك ، ووسع الجيش
الاردني تحت القيادة المصرية ، لم يعد في وسع اسرائيل أن تبقى بدون
عمل ايجابي وتترك نفسها معرضة لهجوم من الشمال والشرق والجنوب .
ولم يعد السؤال في اسرائيل موضوع اغلاق مضائق تيران أو اذا كانت
هناك حرب أم لا ، وانما أصبح السؤال هل ننتظر الهجوم العربي أو
نبدأ نحن بالضربة الاولى ؟ .

وعندما بدأت القوات المصرية تحركها في سيناء ، وبعد أربعة أيام
من هذا التحرك ، بدأت اسرائيل في تعبئة قواتها الاحتياطية . وكان
ذلك مدعاة لانتشار القلق بين الناس علاوة على حدوث شلل في الوضع
الاقتصادي في اسرائيل . وعندما تابع عبد الناصر تحركاته العسكرية
نفرار اغلاق مضائق تيران في ٢٢ مايو (أيار) لم يعد في وسع اسرائيل
تحمل هذا الاعتداء . وكان الرأي العام الاسرائيلي يطالب القادة بسان
يتخذوا موقفا صارما من هذا الامر . ولما لم يحدث ذلك ساد الشعور
بأن ليفي اشكول رئيس الوزراء غير قادر على اتخاذ قراره . وبدأ الرأي
العام يشك في قدرة الحكومة على مباشرة مثل هذه الامور . وكان الحزب
الحاكم (الماباي) منذ انشقاق حزب رافي قد فقد الكثير من الشخصيات
من بينهم بن جوريون وغيره من ذوي الخبرة في شئون الدفاع مثل
يعقوب دوري ، أول رئيس للاركان ، وشيمون بيريز الذي شغل منصب

نائب وزير الدفاع ، وأنا الذى عملت رئيسا للاركان لمدة خمس سنوات متصلة ، وزفى تسور الذى عمل أيضا لفترة رئيسا للاركان •

قبل بداية حرب الايام الستة بأسبوعين لطالما سميت بـ (المنعزل)، وكنت بالفعل أعيش هذه الحالة بل اننى لم أكن أنافش أصــدقائى العسكريين والسياسيين فى أى من الامور التى تمر بالبلاد • ولم أسـعر من قبل أننى قريب من الناس مثلما كنت هذه الايام فى مشاكلهم التى يواجهونها • فعلى السطح كانت المشكلة تبدو سياسية عسكرية ، لكننى كنت أعلم أنها المشكلة التاريخية لليهود • وكنت أعلم أيضا أن الحرب لا بد منها ، وأن الجهود الدبلوماسية لن تؤدى الى شىء ، وأنه اذا نشبت الحرب فسوف اشترك فيها ولو حتى كجندى عادى ، وان كنت آمل أن اتولى منصبا قياديا •

ومن وجهة النظر العامة ، كانت أمامى فرصتان للعمل : الاولى أن أحمل مسئوليتى كعضو فى الكنيسة ، أشارك فى أعمال اللجان الوزارية التى لا أشعر نحوها بأى اهتمام ، أو حضور اجتماعات لجنتى الشؤون الخارجية والامن التى كانت تستغرقها النصائح والخطب الطويلة من جانب بعض أعضائها الجهلاء أو أن أشارك مع بن جوريون وشيمون بيريز فى مناقشاتهم ، وان كنت أؤمن بأن هذه المناقشات عقيمة الجدوى نظرا لابتعاد حزب رافى عن أى نفوذ فى الحكومة •

أما الخيار الاخر فهو الاشتراك فى القتال ولو كأتى جندى عادى • وفى يوم ٢٠ مايو (أيار) اتصلت بالكولونيل اسرائيل ليور مساعد رئيس الوزراء وطلبت الاذن بزيارة الوحدات فى الجنوب للاطلاع على استعداداتهم وامكانياتهم القتالية وطاقاتهم وخططهم لمواجهة المصريين • وقد اتصل بى الجنرال أهارون ياربف قائد المخابرات بعد عدة ساعات وسألنى عما اذا كنت أرغب فى الانتظار لمدة أسبوعين خاصة وأن الرجال مشغولون فى هذه الايام • ولكننى قلت له أننى لا أقوم برحلة سياحية وانما أريد أن أغرز أسناني فيما يحدث على الخطوط الامامية • وتقرر البدء فى رحلتى يوم ٢٣ مايو (أيار) على أن أرتدى الملابس الرسمية وصرفت لى سيارة ، على أن يصحبنى المقدم ياربف • وبعد يومين ، وفى ليلة تحركى حضر الى منزلى الجنرال اسحاق رابين رئيس الاركان (رئيس الوزراء فيما بعد) وسألنى عن تقديرى للموقف • فقلت له أن عميد الناصر سيخلق الممرات (وهذا ما فعله بعد ٤٨ ساعة) وذلك فيجب على اسرائيل القيام بعمل عسكري وأن هذا التحرك الحالى لا يكون باحتلال.

شرم الشيخ ، وإنما يجب أن يتجه الى جر الاعداء الى المعركة في المكان المناسب لنا ، ثم بعد ذلك تتحول الحملة جنوبا نحو المضائق . وقال رابين أن تلك هي نفس وجهة نظره ، ويرى أن المكان المناسب للبداية هو غزة على أساس أن المصريين سيدفعون قواهم الى هناك ، وفلت ان ذلك لا يبدو مناسباً لي نظرا لوجود معسكرات لاجئين فلسطينيين بكثرة هناك بالإضافة الى كونها منطقة سكانية أكثر منها عسكرية واننى أفضل أن يكون الصدام الاول مع هدف عسكري . وأضاف رابين أن من المناسب لنا لا بد أن نبدأ بضربة جوية اجهازية قوية . وقلت له اننى أشك فى أنه سيحصل على تصديق على هذه الخطة مع الظروف والقيادة السياسية القائمة .

وفد كان الارهاق والتعب واضحين على رابين ، وكان عصيبا يدخلن بكثرة غير عادية . وشكا لى من أنه بدلا من أن يتفـرع لمهامه العسكرية فإنه يستدعى كل يوم لحضور المشاورات الحكومية . وأن الخط السياسى والعسكرى لاشكول غير واضح . وأبلغنى أنه قابل بن جوربون فى اليوم السابق واستمع منه الى وجهة نظره التى تطابق وجهة نظرى . وكنت حريصا على أن أعرف انطباعه عن المقابلة فقال لى أنه رجل واضح ، يجيب بنعم ولا ، وما يمكن عمله وما يجب تجنبه وكان انطباعى الشخصى عن رابين هذه الليلة أنه يعانى من التمزق .

وفى صباح يوم ٢٣ مايو تحركت مع مرافقى المقدم بارليف نحو الجنوب ، وفى الطريق استوقفنى واحد من رجال الشرطة العسكرية وأبلغنى بضرورة عودتى الى تل أبيب لاجتماع عاجل مع رئيس الوزراء . وعندما عدت تبين أن الاجتماع سيتم بين اللجنة الوزارية للدفاع مع زعماء المعارضة فى الكنيست . فى جانب الحكومة كان هناك اشكول وأبا ايمن واسرائيل جاليل وأرانى وزير التعليم وشـابـيرو وزير الداخلية . ومن المعارضة ثان هناك مناحم بيجين وشـمـعون بيريز وأنا وآخرون . وكان هناك أيضا رابين وعيزر وايزمان رئيس العمليات ، وجولدا مائير التى كانت سكرتيرة حزب الماباى فى ذلك الوقت .

وافتح رئيس الوزراء الحديث قائلا أن الولايات المتحدة طلبت منه الانتظار ٤٨ ساعة قبل ارسال مظاهرة بحرية اسرائيلية تحاول اختراق المضائق بعد اعلان عبد الناصر اغلاقها . واقترح أبا ايمن أن نطلب من الولايات المتحدة ارسال مدعة أمريكية لتصاحب هذه المظاهرة ، وذلك لتؤكد من موقفها . وقيل لنا أن الولايات المتحدة أبلغت اسرائيل بأنها

إذا كانت تريد مشاركتها في المسئولية ، فيجب أن يأخذ رأيها قبل أي خطوة . وكانت وجهة نظري التي عرضتها أنه لا بأس من انتظار ٤٨ ساعة ، لنرى إذا كانت الولايات المتحدة ستشارك معنا في فتح المضائق بالقوة . وإن كنت أعتقد أنها لن تفعل ذلك ولذا إذا انتهت المهلة فاني أرى أن نقوم بالهجوم المفاجيء على الجيش المصري بغرض تعطيله وأن لا ننسى أن نضع في اعتبارنا أن الاردن والدول العربية الاخرى قد تهاجمنا ، ولذا فيجب ألا نمكن الاردن من الاستيلاء على جبل المكبر . ولا يجب أن ننسى أيضا احتمال تحرك العرب الاسرائيليين اذا وجدوا أنفسهم في موقع يسمح لهم بذلك .

وأضفت قائلا اننا لم نسمع شيئا عن الخطة العسكرية ، وأنني أتصور أنه لا يجب أن تحدث لنا أي نكسة في الضربة الاولى ، ولذا فاني أتصور أنه يجب القضاء على مئات الدبابات في مدة لا تزيد عن ثلاثة أيام . وكان آيبان - رغم توتره - هو الوحيد الذي فهم الموقف كما شرحته ، أما اشكول فقد بقي متمسكا باقتراح المدمرة الامريكية ، في حين أن ذلك كان يعنى أنه بدون وجود الحماية الامريكية فلن يمكننا اختبار امكانية الملاحة الاسرائيلية ولا ضمانها .

ويبدو أن أشكول لم يفهم كلامي عن الخطة السياسية العسكرية الشاملة ، إذ قال أن الجيش الاسرائيلي أعد خططا لكل الجبهات من حيث العمليات .

وفي نهاية الاجتماع وافق الجميع على مهلة الـ ٤٨ ساعة ، ولم يوافقوا على طلب مساعدة البحرية الامريكية . ووافقوا أيضا على اعلان التعبئة الشاملة . وبعد انتهاء الاجتماع اقترح شمعون بيريز أن نتصل ببن جوريون ، ولكن رفضت لان موقف بن جوريون قد يجعله يطلب منا عدم التعاون مع رئيس الوزراء وهذا ما لا يمكن أن أقبله في هذه الظروف . وقلت لبيريز أنه يجب أن نستمر في حضور مثل هذه الاجتماعات ولكن كممثلين للمعارضة ، وأن لا نشترك في حكومة اشكول إذا ما طلب منا ذلك . أما خلع اشكول فأمره يجب أن يترك الى حزبه،

المباي

الانتظار الطويل الثاني



واخيرا وصلت قيادة الجبهة الجنوبية بعد ظهر يوم ٢٣ مايو (ايار)
بعد تسعة ايام من بدء تحرك القوات المصرية . وكان الجنرال شيايك
« يشعياهو جافيتش » موجود في القيادة العامة في تل أبيب وعلمت
من رئيس أركانه كل شيء عن مواقع القوات المصرية والاسرائيلية ، وأن
هناك ثلاثة تشكيلات مدرعة في القيادة الجنوبية بقيسنادة الجنرالات
اسرائيل تال وافراهم يوفى وأريك شنارون . ووجدت أن خطة
العمليات لم تكن محددة المعالم بصفة نهائية ، ووجدتها معقدة وبنقصها
استغلال أهم ميزة لنا وهي المرونة ، بحيث يمكن تغيير الخطة أثناء
المعارك لدفع المصريين الى تغيير خططهم واجداث « الإرتباك » في صفوفهم
ولكنني احتفظت بهذه الملاحظات لنفسي .

وانتقلت من قيادة الجبهة الجنوبية الى تشكيل الجنرال تال
وذهبت بالطائرة الى اللواء السابع . وقابلني قائده الكولنل شموئيل
تجوين وقد سعدت بهذه الجولة لاني وجدت القائد واثقا من نفسه
وقدرته ، ورجاله به ، وهو على استعداد لدخول معركة فورية حتى
بدون مساعدات مدفعية أو غطاء جوي . وعدت الى فندق الصحراء
في بير سبع لقضاء ليلتي . وفي العاشرة والنصف قابلت الجنرال
شيايك جافيتش ، فأبلغني نتائج اجتماعه مع رئاسة الأركان ، حيث
قررت التعبئة العامة ، وتم تحديد ساعة الصفر القتال بعد ٧٢ ساعة

من اغلاق عبد الناصر للمضائق ، وقد صدرت الاوامر بضرب المطارات المصرية واحتلال قطاع غزة .

ولم ابدل مجهودا لاختفاء خيبة املى . وكان الى جوار شايبك قادة الوحدات . وكنت قد حضرت لاسمع فقط ، ولكننى تكلمت بعد ان قال أنه يجب ان نناقش كل احتمالات العمليات وقال أنه تحدث مع رئيس الاركان وسمح له بمناقشة هذه الخطط معى . وشرح شايبك صعوبة اقتحام النقط المصرية القوية ، وهو يرى ان احتلال قطاع غزة يمكن ان يكون ورقه في ايدينا نساوم بها في مقابل حرية الملاحة في المضائق ، وان القوات المصرية التى ستسارع الى غزة لن تستطيع عمل اى شئ تحت ظروف تمسكتنا بالقطاع والسيطرة عليه .

وقلت ان هذه الخطة لا توافقنى لاسباب عسكرية وسياسية ، اولها ان قطاع غزة محمل بالمشاكل وسوف تجد اسرائيل نفسها مغرورة مع ربع مليون لاجئ فلسطينى ، وفي نفس الوقت فان مصر لا تعتبر القطاع ورقة رابحة بالنسبة لها . اما السبب الاهم فهو سبب عسكري لان الغرض من الحرب هو الصدام المسلح مع عبد الناصر ، ولم يكن غرض عبد الناصر اطلاقا هو اغلاق المضائق بقدر رغبته في اثباته ان اسرائيل عاجزة عن مواجهة العرب . وان الواجب علينا ان نثبت عكس ذلك . وهذا يتأتى عن طريقين ، اما ان نحتل شرم الشيخ ... فاذا كان ذلك صعبا بالنسبة لنا في الوقت الحاضر ، فللايد لنا ان نواجه المصريين في معارك واسعة النطاق ، نحطم فيها القوة العسكرية المصرية . واحتلال قطاع غزة لن يصل بنا الى تلك النتيجة خاصة وان عبد الناصر لن يدفع بقواته لانقاذ غزة وقلت اننى لذلك ارى انه لا خيار امامنا سوى ان ندخل مباشرة الى قلب تلك القوة العسكرية ونواجهها .

واستمرت مناقشاتنا حول خطط العمليات حتى منتصف الليل . ولمست لدى الرجال تشككا حول جدوى التضحيات التى سنقدمها فى مثل هذه العمليات وأصبح واضحا لى ان الحكومة قد قر عزمها على الاكتفاء باحتلال غزة ، وان اشكول لن يوافق على ما هو اكثر من ذلك . وابلغونى أن رابين سوف يقوم بزيارة للمنطقة الجنوبية ، لكننى عدت صباح ٢٤ مايو (آيار) أنه لن يقوم بهذه الجولة نظرا لملازمته فراش المرض مصابا بتسمم من النيكوتين .

وفى اليوم التالى زرت تشكيل اريك شسارون ولعلت عيناه عندما وصف لى خطته فى اقتحام المواقع الدفاعية فى القسيمة وام شيهان وام كتف واخبرنى ان احدا لم يوافقه على تلك الخطة ، وان كل ما ابلغوه به هو احتلال قطاع غزة . وبعد ذلك اتجهت الى التشكيلات الفرعية التى يرأسها الكولونيل يكوئيل آدم - قائد لواء من المشاة - وكانت تربطنى به صلة قديمة من خلال هوايتنا فى اكتشاف الآثار . . . وقد قدم لى خلال هذه الزيارة بعض الآثار الجديدة التى عثر عليها فى .

منطقة على الحدود بين النقب وسيناء ، والننى تعود الى القرن الثانى قبل الميلاد ، والتي اشتهرت بها مصر الفرعونية ، لكنها كانت نادرة فى اسرائيل القديمة .

وعند الظهر عدت الى القيادة الجنوبية ووجدت اجتماعا للقادة فى مجموعة اوامر ، اذ ان ساعات الانتظار الطويلة قد انتهت واقترب يوم القتال الذى تحدد له اليوم التالى ٢٥ مايو (ايار) وستبدأ العملية بضربة جوية على المطارات المصرية . وباقتراب ساعة الصفر ، كنت حريصا على أن انضم للواء السابع .

وعلى الغداء كان واضحا أنه ليس هناك اية تأكيدات من الحكومة بأعطاء النور الأخضر للجيش للبدء فى العملية وما زال رابين مريضا . وتحسنت أوامر المعركة ، صحيح ان احتل قطاع غزة بقى امرا لا بد منه الا أن اللواء السابع سيتقدم فى سيناء لاحتلال العريش ، ثم يتقدم غربا نحو القنطرة وطلبت سترة عمليات بدون رتب ، وحذاء ومسدسا ، وقررت أن أعمل فى اللواء السابع كجندي وفى الساعة الخامسة بعد الظهر علمت أن ساعة الصفر قد تأجلت لمدة أربع وعشرين ساعة ، فعدت مرة أخرى الى بير سبع وقررت أن أسير فى شوارعها متحاشيا أن يرانى أحدهم وكانت غلطة اذ عرفنى الكثير من الجالسين على المقاهى وأخذوا ينادوننى باسمى .

وكان الراى العام فى اسرائيل يطالب من خلال الصحافة بتغيير الحكومة والاستعانة بوزراء ممن لهم خبرة ، ويعلمون كيف يقودون اسرائيل فى الطريق السليم . وبدأ الهمس يردد حول عدم الثقة بالحكومة وأن شخصية بن جوريون هى التى تستطيع أن تجعل اسرائيل تقف على قدميها . ولكن حكومة أشكول استمرت واستمر هو رئيسا للوزراء ووزيرا للدفاع . وفى اليوم التالى انضمت الى دورية ضمن لواء يهودا راشيف ، وزرت عدة مستعمرات على الحدود فى قطاع غزة ، وشاهدت جميع نقاط قوات الطوارئ وقد تم اخلاؤها بينما وقف الجنود المصريون على بعد عدة ياردات من الحدود وكانت القوات المصرية منتشرة عبر خطوطها القديمة ، وكانت القرى على الحدود تعمل كالمعتاد فى جمع المحاصيل فقد كان الوقت أوان الحصاد .

وتوجهت الى تل أبيب حيث التقيت بعيزر وايزمان ، وطلبت منه ادراجى ضمن التعبئة ثم توجهت الى مائير آميت رئيس فرع الخدمات الخاصة ، واستمعت منه الى وجهة نظره وتقديره للموقف . وأبلغنى عن اتصالاتنا مع واشنطن ، وأخبرنى أن كل الدول العربية تستعد لشن الهجوم قريبا جدا . وأن هذه الصورة قد نقلت الى واشنطن مع سؤالها : هل الولايات المتحدة مستعدة الآن لأن تسارع للدفاع عن اسرائيل . وكنت قد علمت من وايزمان أن الهجوم سيبدأ غدا - ٢٦ - على المصريين . . . وسألنى مائير عما اذا كنت أقبل فيما لو عرض على

منصب مسئول الآن ، وقلت اننى افيل ، وكتب مذكرة لاشكول طلبت منه ان يوصلها له فى الصباح ، قلت فيها :

« عزيزى . أشكول لقد طلبت من وايزمان ان يستدعيني رسميا حتى يكون عملي العسكري فى أى وحدة عسكرية منطفيا وملثما . وادأ رأيت أنت ورئيس الاركان أن وجودى أثناء الحرب ، من خلال عمل فعال ، سيكون مفيدا ، فاننى افيل على الفور ، اما اذا لم نروا ذلك ، فستاستمر فى اتصالى بالوحدات حيث استطيع ان أنقل لكم وجهة نظرى فى نفوية الجيش وفيما يمكن أن يؤديه ، موثى ديان - ١٩٦٧/٥/٢٥ .

تم ذهبت لمقابلة أبنتى يائيل التى استدعيتها من ايننا ، تماما مثلما فعلت عشيه معركة سيناء ، لانى اعلم ان أى شخص يهودى يكون فى الخارج بينما بلاده تحارب ، يشعر بشعور مخيف .

وبعد ان صحبت يائيل الى العشاء ، تركت بل ابني فى الساعه الحادية عشرة مساء منجها الى الجنوب لانضم الى اللواء السابع . كان مفررا ان نبدأ عملياته بعد غده ساعات . وفى السيداه العامه وجدت الجميع فى الفياده مستغرقين فى النوم ، وقال لى الضابط النرويجى ان ساعه السفر قد تحدد لها التاسعة صباحا ، ولذا فقد ذهب الجميع الى النوم لآخذ قسط من الراحة قبل العمليات واكتشفت مره اخرى ان العمليات البرية قد تأجلت الى ما بعد الصربه الجوية ولم أكن ادرى كيف سنبدا العمليات قبل اجتماع ايبان بالرئيس جونسون فى اليوم التالي ، اذ لم يكن امامنا سوى طريقين : اما ان نمضى بدون اخطار جونسون او ننتظر رد جونسون . وفى النهاية تأجلت ساعه السفر مره اخرى .

وبنت قلقا من أمرين الاول ان المحادثات مع جونسون لن تثن حول حربه اسرائيل فى الملاحه فى مضائق تيران ، وانمسا حول السماوات الامريجية فى حانه هنجوم العرب على اسرائيل . والامر الثانى هو اسراج أشكول بانضمام « جحل ورافى كحزبين رئيسيين فى المعارضة . الى اللجنة الوزارية للدفاع . وكانت اللجنة قد تشكلت من سبعة أعضاء ، ومعنى اقتراح رئيس الوزراء أن تتم اضافة أعضاء جدد اليها فى حين ان الحرب تحتاج الى وزارة صغيرة لا يزيد أعضاؤها عن الاربعة .

وكننت أؤمن بأن أهم ما يواجهنا الآن هو أن نلاقى الجيش المصرى ونهرمه ، وأن المصير سوف يسوء لو أن اسرائيل وقعت فريسة خوفها التاريخى ، ومضينا نطرق أبواب القسوى الكبرى نطلب منها المساعدة وانقاذنا .. وكننت أعتقد اعتقادا جازما بان فى امكاننا تحطيم المصريين . اما الاتصال بالدول الاخرى والامم المتحدة ، وتقديم الموقف الراهن لهم لكى نبين لهم أن الحق فى جانبنا ، ونشرح لهم خطورة اغلاق مصر القنطرة السويس ، بعد أن يتأكدوا من أن الحق معنا ويقومون فى النهاية بتقديم اقتراحاتهم لسوية الموقف .. ذلك كله كان فى تقديرى سداجة وغباء ..

جل يستوى في ذلك أن نبلغهم أنه ازاء خطورة أعمال عبد الناصر ، فإنه لا بد لنا من أن نضرب مصر فوراً .

وقضيت صباح يوم ٢٦ في زيارة اللوآئين التابعين لآبراهام يوفى ، وبمراجعة خطط المآرك معه اكتشفت أن هناك شعوراً بعدم الرضا بين القآده وقيادة الجيش مع اقترآب العمليات وتسلمت رسالة من أشكرل يطلب فيها أن يرآنى وطرت إلى بير سبع وأنا أتسآل هل نهآجم في اليوم آلتآلى ؟ كنت أعتقد أنه الوقت المناسب ..

وفى السآبعة والنصف مساء قابلت رئيس الوزراء فى فندق دان فى تل آبيب ، وقال لى أنه يريد أن يشغل لجسه ورآيه بدفاع والتسآرن الخارجىة تشمل خمسة وزراء منهم هو وآيبآن وآيجال آلون وآتذن من آلوزراء الآخرين يمثلون الأحزاب الآخرى المشتركة فى الائتلاف الحكومى وعضوان من المعارضة فى الكنيسة هما منآحم بيجن من ججال وأنا من رافى . وآخبرته أننى لن أشترك فى هذه اللجنة . وقلت له أنه إذا سألنى - من ناحية أخرى - هو أو رئيس الأركان أو أى مسؤل رآبى ، بعد أن أتم نعبئنى حسب طلبى ، فأننى سأقوله لهم على الفور . ولم أقترح أن مستشآرا لوزآرة الدفاع أو ما شآبه ذلك ، وأنما طلبت عملاً فى مهام عسكرية ثم طلب منى أن أخبره عن انطبآآتى عن زيارتى للجنوب .. وفى النهاية وعدنى بأنه سيجيب على طلبى الخاص بأستدعآنى للخدمة خلال ٢٤ ساعة ، وبعد لك قابلت مآثر وشرحت له رآبى فى خطة العمليات ، وآقتراحآتى الخاصة بالتغيير ، وهى كآآلى :

ما دام سببنا المآشر للحرب هو كسر آغلاق مصر للمضآيق ، فلا بد أن توجه حملتنا إلى تحقيق هدفنا الرئيسى وهو آعاده فآح المضآيق وذلك بأن نهآجم كل القوات المصرية فى سسينآء مع مهآجمة المطآرات والمدرعآت وكل التشكيلآت التى توجد بين مصر وآسرائيل .

يجب أن يكون هدف المعركة هو مآوجهة وتدمير القوات المسلحة المصرية وآعآوضت فكرة آحتلال أراض جديدة ومساومة مصر عليها فى مقآبل آعآدة فآح المضآيق ، وكذلك عآرضت آحتلال قطاع غزة المملوء بالمشآكل .

وكنآ أيضاً ضد فكرة الوصول إلى قناة السويس التى قد تفجرت مشكلة دولية ومن الواضح أن فكره آغلاق القناة ومعاوضة فآحها بفتح المضآيق ، سوف تضر ضدنا كل المنتفعين بالقناة أما إذا نهآجنا فى تدمير القوات المصرية فممكننا التقدّم لآحتلال المضآيق .. وآقتنع مآثر برآبى وأن لم يوافق على بعض المقترحات ، إذ كان من محبذى التوجه مآشرة إلى قناة السويس ، وطلب منى السّمآح له بنقلها لرئيس الوزراء ، وأن يطلب منه أن يسمّعها منى شخصىآ .

وقد كررت ملاحظاتي لعيزر وايزمان رئيس العمال ، عندما حضر لرؤيتي صباح اليوم التالي ٢٧ مايو « أيار » وقال لي ان مفترحاتي قد تكون قابلة للتنفيذ من وجهة نظر القوات الحرية والبلغني أنه يواجه مشكلتين عاجلتين ، الاولى هي رئيس الاركان . واخبرني أن اسحاق رابين قد ابلغه منذ عدة أيام بأنه يشعر بضرورة استقالته والثانية هي توقيت الهجوم ، وهو يرى أننا ان لم نهاجم حالا ، فسنكون قد تأخرنا كثيرا ، لان مصر قد تبدأ بالضربة الاولى . وقلت له انني غير متأكد من نوايا المصريين ، وطلب الاطلاع على تقارير المخابرات حتى بمكنني تكون رأيي بصدها .

وفي الساعة الثامنة بعد الظهر احضر لي نائب مدير المخابرات التقارير التي طلبتها ، وعلمت منها ان للمصريين في سيناء ٩٠٠ دبابة و ٢٠٠ طائرة حربية و ٨٠ ألف مقاتل . وهناك أيضا معلومات ان مصر تعد المزيد من الطائرات للقيام مع القوات البرية بالهجوم الجوي . أو الرد علينا في حالة بداية الهجوم من ناحيتنا . وعرض علي أيضا معلومات عن نتائج المحادثات مع الرئيس جونسون الذي قال « أولا اعدونا الوقت الكافي ، وسنقوم بفتح المضائق وضمان حرية الملاحة في المضائق . وثانيا اذا قمتم بأى عمل منفردين فستظلوا منفردين . واذا لم تبدأوا الهجوم وهاجم المصريين فسنساعدكم » .

ومن ناحية أخرى فقد وردتنا معلومات بأن الامريكيين يحاولون التقرب من مصر ، وان جونسون على استعداد لدعوة عبد الناصر الى واشنطن واعطائه منحا وقروضا . وقد اخبر السفير الامريكي في القاهرة عبد الناصر ان الولايات المتحدة ليست مع اسرائيل . ومن ناحية أخرى ، فان المعلومات تقول ان السفير قد طلب رسميا من مصر فتح المضائق ، واعادة قوات الطوارئ الدولية ، وسحب القوات المسلحة المصرية من الحدود . وكانت التعليمات التي اعطتها الحكومة لايبان ان يصور لامريكا عمل المصريين بأنه استعداد لحرب شاملة ضد اسرائيل ، وعدم التركيز على اغلاق المضائق على انه المسألة الرئيسية . ولم يشعر الامريكيون - من جانبهم - أن هذا التصور حقيقى وارسلوا لنا قائمة لا نهاية لها بأسئلة لتوضيح الامور .

وفي يوم ٢٨ مايو « أيار » وجه اشكول حديثا كانت كل الامة تترقبه وجلس كل فرد من أفراد الامة بأذان مشدودة يستمع لجهاز الراديو وهو يتوقع شرحا لكل الامور . ولكن كل ما سمعه الراى العام من رئيس الوزراء كان عدة عبارات متقطعة متلعثمة من رجل غير متأكد من نفسه . واصيب الراى العام بصدمة اذ شعر الجميع بالاسى ، وانعكس ذلك على الصحافة اذ ظهرت افتتاحيات تحمل اقتراحات بأن يتولى بن جوريون رئاسة الوزارة ، ويعودتى كوزير للدفاع ، وان يتخلى اشكول عن هذه المناصب .

وفى المساء توجهت الى الجنوب . وكان مقررا أن يعود ايبان من مهمته الدبلوماسية هذا المساء ، على ان يعقد اجتماع مجلس وزراء . فاذا كان هناك قرار بالحرب تم التحرك قبل الفجر ولكن اليوم التالى ٢٩ مايو « ايار » مر بدون أى عمل . وهكذا امضيت اليوم فى زيارة بعض الوحدات والمستعمرات .

وتوقفت فى مستعمرة نحال عوز ، ومررت على النقاط الدفاعية ، ثم توجهت الى مستعمرة اخرى هى ميفالسيم . وعندما علم المزارعون اننى هناك أسرعوا الى حجرة السكرتارية وامطرونى بشكاوهم واستلثهم ووجدتني مضطرا للدفاع عن موقف الحكومة فى تأجيل العمل العسكرى حتى يتضح الموقف السياسى مع الدول الاخرى بأى شئ وقد سعدت بقاء هؤلاء المزارعين ومعظمهم من امريكا اللاتينية ، حيث كانت صراحتهم وصدقتهم تميزانهم عن غيرهم من (السابرا) أو من الوافدين من البلاد الانجلوساكسونيه .

وفى اليوم التالى ٣٠ مايو « ايار » طرت الى ايلات وقابلت قائد القطاع وتناولت الغداء مع قائد البحرية . وخلال عودتنا تحدث مراقبى معى عما أسماه التفاف الراى العام حولى ، ورفض صاحب المطعم فى ايلات ان يتقاضى ثمن الغداء . وفى كل مكان كان الناس يصرون على عودتى للحكومة لتولى مسئولية الدفاع . وكانت الصحف خلال تلك الايام تناقش مسألة عودتى الى تولى مسئولية الدفاع . وظهرت احدى الصحف فى هذا اليوم ، وفيها اعلان فى الصفحة الاولى يدعو الى تغيير هذه الحكومة بحكومة وحدة قومية اخرى قبل فوات الاوان . وقد وقع هذا الاعلان مجموعة من الرجال والنساء الذين نظموا انفسهم عام ١٩٦٥ ، لهزيمة بن جوريون وتأييد أشكول .

وكان ذلك بمثابة ضربة قوية للحكومة ، اذ اتسع نطاق الدعوة الى تشكيل وزارة قومية ، وبنهاها وزير الداخلية شاپيرو الذى يرأس الحزب القومى الدينى ، ودعا الى تولى بن جوريون رئاسة الوزارة ، وحتى منحهم بيجن ، المعارض الفعلى لبن جوريون ، طالب أشكول بأن يترك رئاسة الوزارة لبن جوريون وأن يعمل معه تحت رئاسته . وكان شمعون بيريز ، سكرتير عام حزب رافى ، ببذل نشاطا واسعا وصل الى حد اقتراح أن يوافق حزب رافى على الانضمام مرة اخرى الى الماباى اذا كان ذلك شرطا لتعيينى وزيرا للدفاع .

وفى يوم ٣٠ مايو « ايار » ، عندما طار الملك حسين الى القاهرة ووقع اتفاقية الدفاع المشترك مع مصر ، وأصبح الموقف سببا بعد أن أصبحنا نواجه ثلاث جبهات ، أصبح واضحا أننا قد تأخرنا للغاية . وفى الرابعة بعد الظهر استدعانى أشكول وعرض على منصب نائب رئيس

الوزراء بينما يتولى ايجال آلون وزاره الدفاع . ورفضت بولى اى منصب
استشارى كهذا واقترحت تعيينى قائدا للجبهة الجنوبيه تحت رئاسة
رايين .

وبعد عودتى الى المنزل اسدعيت مره اخرى . وذهب الى مكتب
رئيس الوزراء فوجدت معه رايين الذى طل يسألنى ما الذى اريده
بالضبط ؟ فاخبرته اننى اريد ان اتولى قياده الجبهة الجنوبيه المواجهه
للمصريين ، ولكنه عاد ليسألنى هل اريد ان احل محله رئيسا للارثان ؟
فنفيت ذلك ، وابلغته باننى لم انصل برئيس الوزراء وانما هو الذى
اتصل بى ، واننى اخبرت رئيس الوزراء اننى لا ارفع فى اى منصب
استشارى بل اننى ارفع فى محاربة المصريين ، وأن وظيفة قائد الجبهة
الجنوبية هى الوظيفة التى افضلها عن اى وظيفة اخرى .

وفى صباح اليوم التالى اول يوبيو « حزيران » توجهت الى القيادة
الوسطى للتفتيش على منطقه القدس ، واصلت برايين وسالته عما اذا
كان قد قرر تعيينى قائدا للمنطقة للجنوبيه ام لا ، فقال لى انه سيبحث
الموضوع مع رئيس الوزراء ، فاذا ما نقرر شىء ما يتطلب عودتى . فانه
سيصل بى خلال جولى التفتيشيه . وان لم يصل بى فعلى الاتصال
به . بعد عودتى . وأخبرنى أنه لم يتحدث بعد (لشاييك جافيس)
الجبهة الجنوبيه ، فطلبت منه أن يبلغه اذا تحدث معه برغبى فى لقائه
ملى كنانى لى ، أو كرئيس لاركن القيادة . وبعد ظهر نفس اليوم ، وفى
الاجتماع سكرتارية حزب الماباى ، وضع ان الاعلى برى عودتى وريرا
للدفاع . تم طلب ايجال آلون سحب ترشيحه وزيراً للدفاع . وبينما
كان هذا الاجتماع منعقدا ، جرت مظاهرة نسائية امام مقر الحزب تطالب
بنشكيل حكومه قوميه وتعيين موسى ديان وزيرا للدفاع .

وفى الساعة الرابعة بعد الظهر طلب منى مكتب رئيس الوزراء ان
احضر فورا ، وأخبرنى اشكول انه سيرفع على الحكومة توصيه بتعيينى
وزيرا للدفاع . وفى المساء اجتمعت سكرتارية حزب الماباى ثانية ، وقدم
رئيس الوزراء تقريرا عن المشاورات التى اجرتها لجنة وزارية محدوده مع
حزبى جحال ورافى لتوسيع نطاق الوزارة الائتلافية . وفى الساعة السابعة
مساء طلبى اشكول تليفونيا ، وابلغنى أن مجلس الوزراء قد اجتمع
الآن ووافق على تعيينى وزيرا للدفاع . وكما قلت اونستون تشرشل
الابن فى حديث صحفى نشر فى اليوم التالى ، فان دخول ٨٠ الف جندي
مصرى الى سيناء كان السبب فى عودتى مره اخرى الى الوزارة .

١٩٠ القرار

وبعد فرار مجلس الوزراء مساء يوم أول يونيو بضم وزراء جدد انعقد المجلس الجديد . وأفتتح الاجتماع أشكول بأن أعلن أن الحكومة الجديدة ستكون حكومة وحدة قومية ، ورحب بالوزراء الجدد . ثم رد مناحم بيجن بكلمة قصيرة تضمنت بعض الفقرات من التوراه ، وكان أشكول يردد بعده - بروح مرحة - « آمين ، آمين » . ثم قدم رئيس الأركان تقريراً عن قوات الإعداء ومناطق انتشارها ، وأبدى ملاحظة مؤداها أننا لو هاجمنا منذ خمسة أيام لكانت كل المميزات في صالحنا . ثم قدم أيبان تقريرا عن الجهود الدبلوماسية . وبعد ذلك بدأت مناقشة الموقف ، واستمر الاجتماع حتى منتصف الليل ، وكان لا بد للوزراء الجدد أن يتفهموا الحقائق قبل ابداء أية مقترحات . وكان على أن أجمع داويدا مع رئيس الأركان لمعرفة الصورة العسكرية كاملة . وقد تقرر أن تجتمع اللجنة الوزارية للدفاع اجتماعا عاجلا في صباح اليوم التالي في القيادة العامة ، على أن يحضر الاجتماع كل الضباط الكبار في رئاسة الأركان .

وبدأت عملي في اليوم التالي ٢ يونيو « حزيران » باجتماع مع زفي تسور ، أحد رؤساء الأركان السابقين ، وطلبت منه العمل معي باعتباره الشخص الثاني بعدى ، ويمكنه أن يسمى نفسه مستشارا أو مساعدا كما يحلو له . وقد وافق وأصبح لقبه مساعد وزير الدفاع وطلبت منه

أن يعمل كل الترتيبات لاحاطة بن جوريون باستمرار بكل التطورات ، كما قررت الاستفادة من خبرة شمعون بيريز ، وطلبت من تسور أن يكلفه بمهمة ذات مستوى عال في الوزارة . وابلغت تسور أن مسؤولياته في الوزارة تقتصر على الجانب المدني ، ولن يكون له ضلع بالعمل العسكري الذي أعامل فيه أنا مع رئيس الأركان مباشرة . وبعد ذلك مباشرة قابلت رابين تم تقابلت مع لجنة الدفاع وضباط رئاسة الأركان . وطلبت منهم أن ينكلموا عما يدور في ذهنهم . وقد فعلوا ذلك بدون تردد . . . واتضح أن التوقيت وخطة العمليات لم يعرضا بالطريقة السليمة . وفكرت في ضرورة التركيز على ثلاث نقاط رئيسية أولاها أننا اذا كنا سنحارب ، فكلما انتظرنا كلما زاد الامر سوءا ، لان المصريين يعززون مواقعهم ، والنقطة الثانية هي مدة استمرار المعركة ، فالوقت سوف يكون محدودا اذ سنتعرض لتدخل مجلس الامن ولضغط القوى الكبرى . لايقاف القتال وسيتحول انتصارنا الى فشل اذ تم ذلك في منتصف الحملة قبل تدمير الجيش المصري في سيناء . والنقطة الثالثة ان الحملة يجب أن تسير في مرحلتين ، الاولى احتلال شمال سيناء والثانية احتلال شرم الشيخ ، فاذا انتهت المرحلة الاولى بالانتصار ننقل الى الثانية .

وفي الساعة الحادية عشرة والنصف ، حضرت اجتماعا محدودا في مكتب رئيس الوزراء ، ضم أشكول وايبان ويغال آلون ورابين . وكان هذا هو أهم اجتماع حضرته حتى الآن . وطلب رئيس الوزراء توضيح وجهة نظرنا استعدادا لاجتماع لجنة الدفاع مساء يوم السبت في القدس وطلب مني أن أبدأ الحديث . وقلت أننا يجب أن نبدأ هجوما عسكريا بلا أدنى تأخير ، فاذا اتخذ مجلس الوزراء قرار الحرب في اجتماعه القادم مساء يوم الاحد ٤ يونيو « حزيران » ، فيجب أن نبدأ صباح اليوم التالي . ويكون الهدف من هجومنا هو تحطيم القوات المصرية في وسط سيناء ، دون أي هدف جغرافي ، فلا يجب أن ندخل قطاع غزة داخل نطاق خطتنا الا اذا تهددنا دخول القوات العراقية ، وسوف تستمر المعركة ما بين ثلاثة وخمسة أيام .

وتكلم بعدى ايغال آلون . ويجب ان اقول انني اصبت بخيبة امل وكان قد مضى وقت طويل منذ ان اشتركنا سسويا في نقاش سياسي عسكري . وقد وافق ايغال على كل ما قلته بصفة عامة ، ولكنه قال انه يجب أن نحاول الوصول الى قناة السويس لنشكل تهديدا للملاحة فيها ، وحتى يتضح أننا نستطيع اغلاق قناة السويس اذا فكر المصريون مرة أخرى في اغلاق المضائق . وقال انه يجب احتلال قطاع غزة والتخطيط لنقل اللاجئين الفلسطينيين الى مصر وقد اعترضت على الاقتراحين ، وقلت أن تهديدنا لقناة السويس سيكون خطأ فادحا ، لانه سيؤثر على اهتمامات القوى الكبرى وسيجعلها تنقلب ضدنا ، كما انه سيجعل الكثيرين من أصدقائنا يتخذون موقفا معاديا لنا . ولذا فإنه يجب علينا

أن لا تقترب كثيرا من القناة ، والا نهدد بأغلاقها ، أما بالنسبة لاقتراح نقل اللاجئين الفلسطينيين لمصر ، فان تنفيذه ليس بهذه البساطة ، كما ان هذه العملية ستبدو بربرية وغير انسانية . كذلك فائنا يجب أن نؤكد مسئولية الامم المتحدة عن اللاجئين ، اذلو فصلت غزة عن مصر فان معونات الامم المتحدة وهيئة الاغاثة ستصل الى اللاجئين عن طريق اسرائيل ، وربما لا توافق الامم المتحدة على ذلك .

وكان واضحا من كلام ايبان انه غير متحمس للعمل العسكرى ، أما أشكول فقد كان واضحا أنه فى صف العمل العسكرى . وتم الاتفاق على أن يستمر التشاور فى اجتماع الليلة القادمة بالقدس . وتناولت طعام الغداء مع الجنرال يجال يادين ، أحد رؤساء الاركان السابقين ، الذى يعمل الآن استادا للأثار فى الجامعة العبرية . وكان أشكول طلب منه أن يقترح أسس التعاون بين رئيس الوزراء ووزير الدفاع ، وأن ينسق العلاقة بينهما ، ومسئولية كل منها . وكانت هذه المرة الثالثة منذ قيام دولة اسرائيل التى تنفصل فيها وزارة الدفاع عن رئاسة الوزراء . الاولى فى الفترة ما بين ١٩٥٣ ، ١٩٥٥ عند تقاعد بن جوريون ، وكان موسى شاريت رئيسا للوزارة وبنحاس لافون وزيرا للدفاع ، والثانية عام ١٩٥٥ عندما عاد بن جوريون وزيرا للدفاع ، تحت رئاسة موسى شاريت وهذه هى المرة الثالثة ، ولهذا لم يكن معروفا - بل ولم تكن قد توقشت - اية سلطات منفصلة بين رئيس الوزراء ووزير الدفاع . وفى هذه المرة فان فصل هذه السلطات كان مطلوبا لامين ؟ أن السلطات المنفصلة بدأت بالفعل فى عشية الحرب ، علاوة على أن العلاقة بينى وبين أشكول لم تكن - كالعلاقة المفروض أنها كانت جيدة - بين شاريت وبن جوريون أو بين شاريت ولافون . وكان يادين قد أعد مذكرة حول هذه العلاقة قبلتها مع تعديلات طفيفة . وكانت أهم نقاط هذه المذكرة أن وزير الدفاع لا يعمل على القيام بهجوم ضد أى دولة دون موافقة رئيس الوزراء ، وأن وزير الدفاع لا ينفذ أى دولة بالقنابل الا اذا بدأت هذه الدولة بضرب اسرائيل .

وفى المساء تم اعداد الخطة النهائية للعمليات فى سيناء ، بعد ادخال عدة مراجعات عليها ، ووافقت عليها . وكانت تضم أربعة محاور اثنان فى رفح جنوب قطاع غزة واثنان فى وسط سيناء . ولم يكن هناك أى تقدم نحو غزة أو وصول لقناة السويس ، مع عدم التقدم نحو مضائق تيران . واستمر اجتماعنا حتى الحادية عشرة مساء . وبعد ذلك توجهت الى منزل شمعون بيريز ، حيث اجتمع بن جوريون وآخرون لشرب نخب نعبنى .

وقضيت اليوم التالى - السبت - ٣ يونيو (حزيران) أنظم العمل الوزارة من خلال اجتماعاتى مع الضباط الكبار فى رئاسة الاركان . ثم

عقدت مؤتمرا صحفيا للمراسلين الاجانب والمحليين ، ثم اجسريت مشاورات مع رئيس الوزراء للاستعداد لاجتماع مجلس الوزراء في اليوم التالي . وفي المؤتمر الصحفي تلوت ملخصا عن الحالة ، ثم استمعت الى الاسئلة واجبت عليها ، ودارت كلها حول ما اذا كنت اظن ان الازمة ستقرر في مجلس الامن او في ميدان القتال ، وحاولت ان انقل انطبعا باننا نأمل في ان تحل الازمة من خلال الجهود الدبلوماسية .

وفي المساء توجهت الى القدس ، حيث حضرت اجتماعا مع رئيس الوزراء ويجل آلون ويجال يالدين ومائير اميت وسفيرا في واشنطن . وكان مائير قد عاد من رحلة سريعة الى واشنطن ، وقدم تقريراً عن محادثاته مع ماكنمارا وزير الدفاع وآخرين . وكان - رايه الخاص ان الولايات المتحدة ان تفعل شيئاً لفتح المضائق وانها ايضا لن تفعل شيئاً اذا دخلنا الحرب وهناك احتمال ان تساعدنا الولايات المتحدة في المجال السياسي في مجلس الامن والجمعية العامة للأمم المتحدة . وهكذا اصبح واضحا للجميع ، بما فيهم اشكول انه لا مفر من الحرب ، وبأسرع وقت ممكن . وطلبت من اشكول ان يدعو لجنة الدفاع الوزارية للاجتماع وأصدر قرار حاسم ورسمي في الموضوع .

وأجتمعت لجنة الدفاع في القدس في الساعة الثامنة والنصف من صباح اليوم التالي ٤ يونيو (حزيران) . وبدأ ايبان بتقرير عن الجهود الدبلوماسية ، وكان آخر ما عرضه مذكرة من الرئيس جونسون لرئيس الوزراء تقول ان الولايات المتحدة تأمل في الحصول على توقيع كل الدول التي اتصلت بها عن اعلان بحرية الملاحة في المضائق ، فيما عدا فرنسا . فقد رفض ديجول التوقيع ، علما بان فرنسا وقعت على الوثيقة الادسلية لحرية الملاحة في الممرات البحرية عام ١٩٥٧ وانسافت المذكرة ان الولايات المتحدة تعمل من اجل انشاء قوة بحرية لاقرار حرية الملاحة البحرية في المضائق ، وهي تأمل أن تنضم الى هذه المظاهرة ست دول تشمل بريطانيا وهولندا وأستراليا وواحدة من دول أمريكا اللاتينية . وكان مقررا لهذه المظاهرة يوم ١١ يونيو « حزيران » ، حيث تتحرك سفينة اسم اثلثة بصحبة القوة البحرية نحو المضائق ، فاذا فتح المصريون النار ، ترد السفن الحربية عليهم بأطلاق النار .

علاوة على ذلك فإن الولايات المتحدة تركز على « من يطلق الرسالة الاولى » ، اذ ستحدد موقفها على هذا الاساس . وترى الولايات المتحدة ان العمل العسكري ليس واردا الان ، بالرغم من قرار عبد الناصر بحجب قوات الطوارئ الدولية وأغلاق المضائق اللذين لا تعنبرهما الولايات المتحدة من أعمال الحرب ضد اسرائيل . وقبل ذلك بيومين كان السفير الاسرائيلي في موسكو قد استدعى لمقابلة وزير الخارجية جروميكو ، الذي سلمه مذكرة رسمية لنقلها الى الحكومة الاسرائيلية ، في خاتمتها فقرة تقول « ان الحكومة السوفيتية تكرر وتوضح انها ستبدل كل وسعها

لمنع نشوب الحرب . وجهودها الآن تتجه نحو هذا الهدف . لكنه اذا
أخذت حكومه اسرائيل على عاتقها مسئولية نشوب الحرب فأنها ستدفع
ثمنا غالبا . »

وفي فرنسا قامت مظاهرات يوم ٢ يونيو « حزيران » لتأييد
اسرائيل ، ولكنها لم تؤثر على موقف دييجول . وقد اجتمع مجلس
الوزراء الفرنسي وقرر ان فرنسا حريصة على عدم التدخل في الشرق
الاطلسي ، أو اخاذ صف أحد الجانبين ، ولكل الجانب الذي يبدأ
اطلاق النار سيفقد تأييد فرنسا . وأن مشاكل المنطقة كالأجئين
الفلسطينيين وحقوق الشعب الفلسطيني وسددها ار بين دول المنطقة
يجب ان تبحت كلها كمشكلة واحدة في اجتماع يضم الاربعة الكبار فرنسا
وبريطانيا والولايات المتحدة وروسيا . وفي اليوم التالي ٣ يونيو أعلن
ان فرنسا قد قررت بصفة قاطعة تأجيل شحن الاسلحة الى اسرائيل
وفي مقابلة لسفيرنا مع دييجول قرر دييجول ان وضع فرنسا بالنسبة
لاسرائيل عام ١٩٦٧ يختلف عن عام ١٩٥٦ . وقد جددت فرنسا
علاقتها مع العرب وهي حريصة على تنمية هذه العلاقات وقال دييجول
ان فرنسا أوقفت شحنات الاسلحة لاسرائيل لمنعها من الدخول في حرب
اما بريطانيا ، فنقوم بتنسيق علاقاتها مع أمريكا ، وقد رحب هارولد
ويلسون رئيس وزراء بريطانيا ، الذي كان يزور الولايات المتحدة في
هذا الوقت ، بالاشترال في الاعلان الذي يقترحه الرئيس جونسون حول
حرية الملاحة ، وايضا في الاشتراك في المظاهرة الحربية .

وبعد هذا التقرير الذي قدمه ايبان ، عرض يارليف رئيس
المخابرات الخطوط الرئيسية واهداف الحركه العربيه . فمصر تعتبر
أن الاشتباك العسكري معنا أمر لا يمكن تجنبه ، ولذا فقد عملت على
تقوية فوائدها في سيناء وهناك لواء مدرع رئيسي على وشك دخول
سيناء ، وهناك كتبة عراقية في طريقها الى قطاع غزة ، وقد وعدت
ليبيا والسودان بإرسال قوات الى مصر ، ولكن هذه القوات لم تصل
سيناء بعد . وكانت هناك عدة مؤشرات تشير الى أن مصر على وشك
القيام بهجوم ، ففي نفس اليوم أصدر الفريق مرتضى قائد القوات
المصرية في سيناء أمرا بومبا يقول فيه : « أن أنظر العالم تتجه اليك في
حربك المجده ضد اسرائيل التي تمثل الاعتداء الاستعماري على أرض
أحداك . ان حربك هي لاسترداد حقوق أمك المبهمة واستعادة أرض
فلسطين بفضل الله والحق وبقوة سلاحك ووحدة إيمانك » .

وكان عبد الناصر يعمل من جانبه على ضمان دخول سوريا
والاردن في الحرب وتم انشاء قيادة فرعية تحت قيادة الفريق المرمي
عبد المنعم رياض ، الذي أمر كل القوات الاردنية بالانتشار على كل
حدود اسرائيل وقد وعدت العراق بإرسال أربعة لواءات مشاة وقوة
مدرعة فورا الى الاردن . وفيما يشبه المظاهرة ، اتت الاردن صفقة
الطائرات التي تعاقبت عليها مع الولايات المتحدة الأمريكية .

وعندما انتهى ياريف من عرض تقريره ، اضاف ابيان انه يرى من
- خلال اتصالاته فى الولايات المتحدة بدين راسك وروبرت ماكسمالرا ، ان
الولايات المتحدة ترى أنه بالرغم من ان مصر تقوم بالاعداد لاعداد الحرب
ضد اسرائيل ، فان الهجوم الفورى غير مرفوع . وبالنسبة لطلبائنا من
الاسلحة الامريكية فان وزاره الدفاع ترى انه حتى فى حالة الموافقه على
هذه الاسلحة فان وفنا طويلا سبضع الى ان يصل الاسلحة لاسرائيل .

وعندما انتهى ايبان وياريف سالى اشكول عن راسى . وكنت قد
سلمته ورقه بنضمن افراحا بالقرار الذى اتوقع ان ننخذه . فقلت ،
ان هناك تفجيرين رئيسيين حدثا فى الايام القليلة الماضيه . همما محاولة
مصر لفتح جبهة جديدة فى الاردن . والثانى هو استعدادات مصر
لهجوم فورى . وأن هناك وحدتى كوماندوز قد أرسلتهما مصر الى الاردن
مند يومين . وقد لا تثن المصريون هجومهم صباح الغد ، لكنهم
حريصون على أن يقوموا بالضربة الاولى اذا عرفوا أن ذلك هو هدفنا
أيضا . وادا حدث هذا فسنفقد كل مزايا المفاجأة .

وسيكون هناك عاملان حاسمين لو فقدنا عامل المفاجأة ،
فسوف نفقد القدرة على الضربة الجوية الحاسمة ، وبقواتنا المحدودة ،
فاننا لن نستطيع تحقيق النصر ، وعندما أخبرنا رئيس المخابرات أن
مصر جلبت طائرات جديدة من العراق هزنا رؤوسنا وقلنا وماذا بعد ؟
ان كل هذه الاضافات تزيد من الصعاب التى تواجهها ويجب أن انبه
الى أن كل يوم يمر يزيد من الصعوبات أمامنا . فالتحرك مثلا الى رفح
وغزة ، الذى كان معدا له منذ أسبوع ، قد أصبح الآن أكثر تعقيدا بعد أنه
أصبح مملوءا بالدبابات والرجال والاسلحة ، الامر سبكلنا الكثير من
رجالنا أن أى واحد يشجع على انتظار أسبوع آخر حتى نؤمن بالموقف
الأساسى ، سوف يشعر بالندم على كل يوم يمر . والآن يجب علينا
أن نتخذ قرارنا هل نبدأ بالضربة الاولى أم لا .؟ اننا ان اخذنا العدو
بالمفاجأة ، فسنضرب له على الاقل مائة طائرة ونمنعها من العمل ، ذلك
بالنسبة لنا يمثل قدرا من الامدادات كنا قد نتلقاها خلال ستة شهور .
ومن يبدأ بالضربة الاولى والطلقة الاولى ، من وجهة نظرى ، سوف يخبه
ميزان القوى .

كذلك فاننا اذا بدأنا بضربة جوية ، فان انتصارنا سيتأكد ، لانه
خلال هذه الضربة ستتحرك قواتنا المدرعة فى قلب سيناء وتهاجم
المواقع المصرية وتفرض عليهم الحرب وفقا لخطينا نحن ، ويمكن بقوة
صغيرة الصمود على الجبهات الاخرى وسوف يكون الموقف بالغ الخطورة
اذا تركنا العدو يبدأ بالضربة الاولى ، ويجب أن نتخذ قرارا بالسوء
بالضربة الاولى .

وانثناء حديث رئيس الوزراء - بمسدى - وصلت رسالة من الرئيس الامريكى جونسون بدأت بالعبارة التقليدية التى استخدمها كل الرؤساء الامريكيين الاربعة منذ قيام دولة اسرائيل * وهى « أننا نحترم اراضى اسرائيل واستقلالها كما نحترم سيادة كل الدول فى المنطقة على اراضبها . ويؤكد الرئيس محاولة ايجاد حل حاسم لحرية الملاحة فى المضائق بالاشتراك مع الدول البحرية الكبرى ، وأن الولايات المتحدة لن تعمل بمفردها . وقال ان الولايات المتحدة تدرس اقتراح بريطانيا بالتواجد الدولى فى مياه المضائق ووصف أشكول رسالة جونسون بأنها مخيبة للآمال ، وقال أن موقفنا خطر . وأنه يجب أن نفعل ما يجب فعله وكأنه لا يريد أن ينطق كلمه « حرب » . وختم حديثه باقتراح اصدار امر الى الجبىس باختيار الوقت والمكان والاسلوب الملائمين ، وكان ذلك ، بأسلوب رئيس الوزراء يعنى البته فى الهجوم على حسب ما يتراءى للجيش .

وعقد اجتماع اللجنة الوزارية للدفاع على فترتين ، توسطهما اجتماع مجلس الوزراء . وحضر جميع الوزراء ، وطرح رئيس الوزراء اقتراحين للتصويت . أحدهما مى والآخر من ممثل حزب مباام الجناح اليسارى لحزب العمل وكان اقتراحى أن تتخذ الحكومة عملا عسكريا لتحرير نفسها من القبضة الخائقة التى بدأت نهددنا ، ولمنع الهجوم الوشيك عليها بواسطة قوات القادة العربية المشتركة . وعلى الحكومة أن بمنح السلطات لرئيس الوزراء ووزير الدفاع للموافقة على التوفيت لرئيس أركان حرب جيش الدفاع الاسرائلى .

وكان اقتراح وزراء الماباى أن تعود الحكومة - من أجل كسر الحصار القوى للعدو - الى اسحرك الذى نفرزى ٢٧ مايو « أبار » ، وهو تأجيل أى عمل عسكري ، وإتاحة الفرصة لجهود الرئيس جونسون ، وإرسال اسطول دولى بكسر اغلاق المضائق ، بينما نوضح لكل القوى أننا وحدودنا فى خطر ، وطلب المزيد من الامدادات لنؤمن أمننا وسلامتنا ، وحصل اقتراح المابام على صوتين فقط هما صوتا وزيرى الحرب ، أما باقى الوزراء فقد صوتوا الى جانب اقتراحى ، والذى أصبح الآن فرارا للحكومة . وطلبت رابين لليفونيا وأبلغته أن خطة العمليات بما فيها ساعة الصفر ٧٤٥ صباح اليوم التالى ، قد تمت الموافقة عليها .

وعدت الى نل أيبب ، حيث اجتمعت مع رئيس الاركان ونائبه رئيس العمليات لمراجعة خطة العمليات فى الجنوب ثم طرت الى الشمال للاجتماع مع فائد الجبهة الشمالية دايد اليعازار ، واستمعت الى تقريره عن الموقف ومقترحانه . وكنت أرى عدم تنشيط الجبهة السورية ولذا فلا داعى لآى عمل أو لاحتلال ثلاث مستعمرات كما كان يرغب ، بل

اننى ارى ان تقوى دفاعنا وان نتوسع فى حقول الالغام . اما المنطقية الوحيدة التى نستطيع التحرك منها فهى منطقة الحمة ، ثم نتقدم غربا بمحاذاة نهر اليرموك لنؤكد مشاركتنا فى مياه النهر وفقا لمشروع جونسون (٥٣ - ١٩٥٥) الذى رفضت سوريا فى آخر لحظة بباييد من مصر التوقيع على اتفاقيته التى كانت تخول لنا المشاركة فى مياه النهر مع سوريا والاردن .

وتقرر عقد اجتماع لمجلس الوزراء فى العاشرة صباحا وتم تجهيز حجرة لى فى القيادة العامة لانام فيها فلذا لم تحدث أى تطورات غير متوقعة ، فان الحرب ستبدأ فى الساعة ٧:٤٥ صباح اليوم التالى . ولم يحدث أى شىء يذكر خلال الليل ، وقرب الفجر كانت كل قواتنا مستعدة للتحرك . واتصلت براحيل وطلبت منها تناول الافطار معى . ولم يكن قد بعى على الحرب سوى ساعة ، وكنت أرغب فى رؤيتها ولو لبضع دقائق . وفى مطعم صغير على بعد عدة ياردات من القيادة تناولنا افطرننا ، دون أن أبلغها شىئا عما سيحدث بعد قليل . وعدت الى مكتبى الساعة السابعة والنصف . . وكانت هذه هى المرة الثالثة التى أعين فيها فى مركز رئيسى فى أمور الدولة . الاولى ، عندما عينت رئيسا للاركان ، والثانية عندما عينت وزيرا للزراعة ولكن الشعور هذه المرة كان مختلفا ففى هذه المرة كان كل اهتمامى منصبا على الحرب واصبحت الآن ممسكا بمفاتيح الدولة أى حارسها ، وكانت تسيطر على كل حواسى حالة الحرب .

وفى هذه الحالة يتغير كل شىء فى الانسان ، واعترف اننى شعرت بالرضى والفخر لاننى اخترت لاتولى هذه المسؤولية ، فى اكثر لحظات الامة حرجا ، واننى قد حببت بمظاهرت الناس سرياء فى الجيش أو من الراى العام . وكنت على ثقة من اننى أعرف ما الذى سوف أعمله ، وما لا أعمله ، بالنسبة ليعمل العسكرى وسيبقى أثناء الحرب . ومع ذلك فقد كنت أرى جيدا تحذيرات بن جورىون من هذه الحرب ، وآراء ديچول ، وملاحظات دين راسك .

وفى هذه المرة كنت اتصرف تحت مسئوليتى المباشرة ، فلم يكن أشكول فوقى مثل بن جورىون فى حملة سيناء وبالرغم من أن بن جورىون كان قريبا من معر فيادى ، فانى لم أحاول استشارته ، لأنه أصبح يمثل العالم القديم بالنسبة لى . فهو ما زال يقدر ديچول ويحترمه ، وما زال يبالغ فى قوة عبد الناصر ، وما زال غير واثق من قدرة جيش الدفاع الاسرائيلى . وبدأت المعجلات تدور فى الحرب التى أخوضها بىحدى . .

٢٠ الانفجار

يوم القتال ٥ يونيو « حزيران » ساعة الصفر ٧ر٥ صباحا .

في تمام الساعة والنصف ، وفي مقر قيادة القوات الجوية ، كان الشعور مرهقا ولم تبعد أى عين عن مائدة الحرب ، ولا غفلت أذن عن جهاز الراديو الخاص بالعمليات وعندما وصلت طائراتنا الى أهدافها وكان واضحا أن أمرها لم يكتشف ، تسارعت ضربات قلبى .. لقد نجحت البداية وبدأت الطائرات في قذف أهدافها . وتلقت القيادة الجنوبية أمر القتال « ناحشوميم : تحرك . حظا سعيدا » .

وتحركت أيضا مدرعاتنا .

وفي غضون ساعة ، بدأت تقارير الطيارين ترد إلينا : مئات من طائرات العدو دمرت على الأرض ومواقع الصواريخ إما دمرت أو أصبحت غير صالحة للاستعمال . ونادرا ما كانت تصاب لنسأ طائرة واحدة وهكذا سحقنا قوة العدو الجوية ، وما زالت دبابتنا لم تشترك مع مدرعات العدو . أن الحرب لم تبدأ الا من لحظات ولكنها بداية مشجعة للغاية ، وقد أصبحت مصر بلا طيران ، ولم يكفل ذلك أبعد الخطر عن مناطقنا السكانية فحسب ، بل أضاف ميزة ضخمة لقواتنا البرية التي أصبح بوسعها أن تعمل بمساعدة الطيران بينما تعمل القوات المصرية بلا غطاء جوى .

وفد تم هجونا على قواعد الطيران المصرية على موجتين اولاهما بين الساعة ٧:١٤ و ٨:٣٥ صباحا . وقد هوجمت خلالها ١١ قاعدة جوية ، ودمرت ١٨٩ طائرة على الارض و ٨ في الجو خلال معسارك جوية ، واصبح ٦ مطارات غير صالحة للاستعمال ، ٤ في سيناء واننان في فايد وكبريت غرب قناة السويس . وكذلك اصبح ١٦ محطة رادار غير صالحة للعمل . . وفي الموجة الثانية هاجمت ١٦٤ طائرة اسرائيلية ١٤ قاعدة جوية ودمرت ١٠٧ طائرات للعدو . وكانت حساننا ١١ طيارا منهم ٦ قتل (خمسة في الموجة الاولى وواحد في الموجة الثانية) و ٢ أسير و ٣ جرحى . وعادت ٦ طائرات سائلة رعم ضريها ، وسم اصلاحها . وقد فقد المصريون في هذا الصباح ثلاثة ارباع طيرانهم « ٣٠٤ طائرات من ٤١٩ » . وقد نفذت حطة العمليات في الموجة الاولى تماما كما وضعت ، وكان تخطيطا سليما في ان الضباط المصريين الكبار يكونون في هذا الوقت في طريقهم من منازلهم الى مقر القيادة . كذلك فقد ساعد الطيران المنخفض على عدم اكشاف الطائرات بالرادار الى ان وصلت الى اهدافها .

وفد اصدر موردخاي هود قائد الطيران الاوامر الى قياده الاجنحة بعد ظهر يوم ٤ يونيو « حزيران » الذين ابلغوها الى قياده الاسراب في الثامنة من مساء نفس اليوم . وفي صباح اليوم التالي تم ابفـاظ الطيارين في الساعة ٣:٤٥ صباحا وبدا العمل بقصف بير جفجافة ، وبعدها بدقة قام التشكيل التالي بضرب قاعدة ابو سور غرب القناة ، ثم قامت التشكيلات التالية بضرب قاعدة بني سويف وغرب الفاهرة (تعرض لـ ٢٢ طلعة) . وتعتبر تلك الثلاثة اكبر القواعد كانت تفضى باحتلال مدينة العريش خلال يوم او اثنين ، وسنكون في حاجة الى المطار . وكانت اكثر المطارات تعرضا للخسائر هي ابو سور « فتعرض لـ ٢٧ طلعة » وفايد « وتعرض لـ ٢٤ طلعة » وغرب القاهرة « تعرض لـ ٢٢ طلعة » . وتعتبر تلك الثلاثة اكبر القواعد الجوية للاعداء ، اذ نحتوى على اكبر عدد من الطائرات وبسبب خطأ في الملاحه وصل أحد تشكيلاتنا الى مطار القاهرة الدولي ، ولما وجدته خاليا من الطائرات الحربية ، لم يمس المطار .

وفي الساعة ٩:٣٤ صباحا خرجت الموجة الثانية . وقد هاجمت هذه الموجة ١٤ قاعدة من بينها ٦ لم تكن قد هوجمت من قبل . وقد ضمت الموجة الثانية ١٦٤ طلعة ١١٥ طلعة تهاجم المطارات ، و ١٣ طلعة تهاجم محطات الرادار ، والباقي للقيام بدوريات تغطية وحماية للآخرين . وقد هوجمت في هذه الموجة مطارات بعيدة مثل المنصورة وبلييس وحلوان والمليز والغردقة والاقصر . وكان مطار ابو سور هو الذى تعرض للموجتين حيث دمرت فيه ١٦ طائرة بعد ٥٢ طلعة . وعندما بدأت الموجة الثانية كان المصريون على اقصى درجة من الانتباه ، تعرضت طائراتنا في كثير من القواعد لمقاومة أرضية عنيفة .

«رئيسا كان هجومنا دائرا على الجبهة المصرية» . بدأت الطائرات السورية والعراقية والاردنية في مهاجمة اسرائيل . وكان السوريون أول من هاجم ، فقد هجمت ١٢ طائرة من طراز ميج ١٧ على اسرائيل . فقد هجمت اثنتان على مستعمرة داجانيا ، وعلى نقطة قوية في بيت يارج ، وعلى سد على نهر الاردن . وقد أسقطت إحدى هذه الطائرات وأخطأت طائرة أخرى - خطأ - مستعمرة عين هاميقراتز ، على أنها مستودعات البترول في حيفا . وهاجمت القبة مستعمرات كفار هاحوربتس .

وكانت الطائرات الاردنية هي التالية في الهجوم . اذ أفلعت الطائرات الهنتر عند الظهر وهاجمت ناتانيا ومطار سبركين وهناك دمروا طائرة نقل . وبعد ساعة هاجم ثلاث طائرات هنتر عراقية مستعمرة ناحلال . موطنى . مصورة أنها تفد مطار رامات دافيد ، وما أن وصلت التفارير الخاصة بالهجوم السوري والاردنى ، حتى أمرموردخاى هود قواته بضرب سوريا والاردن ، بأسرع ما يمكن وفي خلال دقائق تم تحويل نمانيه تشكيلات في الجو لتتوجه لضرب القواعد الجوية في سوريا والاردن .

«في الساعة النانية عشرة والرابع بعد الظهر ، انطلقت موجة نالنة لضرب القواعد الجوية في الاردن ، ضربت قاعدتى المرق وعمان في ٥٢ طلعة دمرت كل الطائرات الاثنى وعشرين التى نملكها الاردن ، وكذلك ممرات المطارات . وفقدت سوريا ٥٠٪ من قواتها الجوية ، اذ تم تدمير ٥٣ من بين ١١٢ طائرة ، في ٨٢ طلعة على المطارات في دمر ودمشق ومارجالبال وت ٤ . وفقدت العراق عشر طائرات فى قاعدة ه ٣ . وكانت خسائرنا عشر طائرات ومن الطيارين ٥ قتلى ، وجريحان ، وأسر اثنان . وكان اليوم بالنسبة لرجالنا طويلا مرهقا ، لكنه تميز بروعة التخطيط وجراة العمليات .»

وكانت خطوتنا الاولى مع مصر ، لكننا كنا نواجه الآن مشكلة هامة لابد من الاجابة عليها فورا مع سوريا والاردن واضعين فى اعتبارنا اتهام العالم لنا حتما بلاننا أصحاب الطلقة الاولى .

وقد حاولت خلال هذا النشاط الجوى المشر ان أبقي لاطول وقت فى قيادة الطيران ، وكانت أمامنا لوحة العمليات الزجاجية ، نتابع عليها النشاط من خلال الاشارات التى نطلقها من الطيارين . وكان السكوت مطبقا فى غرفة العمليات ، ليتبحوا لموردخاى هود فرصة متابعة اللوقوف والتفكير ثم اصدار اوامره الحاسمة . وكنت أشاهد سير المعركة على وجهه الرجال قلما ان يتسموا اذا ما ضرب هدف . أو يفكرون بعمق اننا أصيب طائرة لنا .

كانت تربطنى بموردخاى هود صلة قوبة فهو أحد أبناء مسندهم
داجانيا مثلى ، وعندما ولد كنت قد انتقلت مع عائلتى الى ناحلال ،
لكن الصلة ظلت قوية ، فقد كان خاله أحد مؤسسى ناحلال ، وكان
أبوه هو مرشدى فى دورية قمت بها فى سوريا عام ١٩٤١ . والآن .
وأنا أرقب لهفة موردخاى على طياربه ، تذكرت صورته والده وهو ينظر
عودتى فلما من تلك الدوريات .

وكنت قد التقيت فى الصباح فى مطار تل أبيب مع أعضاء لجنة
الشئون الخارجية والامن فى الكنيسة الذين كان مرموسا أن يتوجهوا
الى الجبهة الشمالية فى زيارة تم ترنيبها منذ اسبوع ، ولم أشأ أن
أؤجلها حرصا على السرية ، وقد سألونى بمجرد وصولى عن اطلاق
البلقة الاولى ، فقرأت عليهم بيان المتحدث العسكرى الذى أذيع فى
الصباح وجاء فيه « حذب اسبانه عنيف صباح اليوم بين القسوات
الجوية المصرية والمدركات المتقدمة نحو حدودنا » بين قواتنا التى تقدمت
لايقفها » . ولم أجب على سؤالهم الخاص بالبلقة الاولى ، لكننى بينت
لهم أهمية قيامنا بالمبادرة ، وعندئذ لم يعودوا فى حاجة الى أن يخمنوا
من أطلق البلقة الاولى .

وفى نفس الوقت أعلن راديو القاهرة أنه أسقط . طائيرة
اسرائيلية ، وكان هذا البان - بالطبع - غير صحيح ، لكنى أمرت
بعدم الإشارة الى انتصاراتنا على الأقل فى اليوم الاول .

ولم يكن العالم الخارجى فقط هو الذى يحتاج لايضاح ، بل أن
شعبنا وجنودنا ايضا كانوا فى حاجة لايضاح . وتحدث رئيس الوزراء
الى الشعب ، وتحدثت أنا الى الجنود فى اذاعة الجيش وقلت لهم « ان
الفريق مرتجى القائد المصرى قد أذاع على جنوده أن لعالم كله ينتظر
منهم استعادة ارض فلسطين السليبة » وقلت ايضا « يا جنود اسرائيل
نحن لا نهذف الى الغزو ، وانما نريد الدفاع عن اراضينا التى تحاول
مصر الاعتداء عليها ، والدفاع عن مياهانا التى اغلقتها مصر فى وجوهنا .
وقد طلبت مصر المساعدة من سوريا والاردن والعراق وعبأت قواتهم
نحت قيادتها . وطلبت ايضا امدادات وصلت اليها وحدات من الكويت
الى الجزائر . انهم أكثر منا عددا ، ولكننا سنتغلب عليهم ، فنحن أمة
صغيرة لكنها قوية ، تحب السلام ، ومستعدة للقتال دفاعا عن حياتنا
وعن بلادنا . بقواتنا فى الجو والارض والبحر ، ان آمالنا وأمتنا أمانة
بين ايديكم . »

ودخلت سوريا والاردن المعركة فى الساعة ١١:٤٥ صباحا ، اذ
فتح الاردنيون نيران مدفعيتهم على الحى اليهودى فى القدس ، على طول
خط ايقاف اطلاق النار . وبعد نصف ساعة بدأت سوريا بهجوم جوى
قصفت فيه مدينتى طبرية ومجيدو . وآثار الهجوم الاردنى ثلاثة

أسئلة الاول يتعلق بالقدس التي كان يتمركز فيها لواء من احتياطي :
ما هو العمل الذي يجب اخذاه ومتى ؟ . السؤال الثاني أننا اضطررنا
الى تعبئة كل قواتنا في الجبهة المصرية لتحقيق نصر محقق وسريع ، فمن
أين اذن نستطيع أن نأتي بالجنود الى الجبهة الشرقية ؟ وكان السؤال
الثالث كيف نحمل المدنيين من نيران الاردنيين ، فالجبهة الاردنية ليست
كالمصرية بل هي ملتصقة بتجمعاتنا السكانية . وكانت المشكلة التي أثارها
دخول سوريا المعركة ، هي هل نرد بحرب شاملة ام بعمليات محدودة في
فدسف وهجوم جوي . وكانت وجهة نظري أنه يكفينا جبهتين ، ويجب
أن نتجنب فتح جبهة ثالثة . علاوة على أنه ليس هناك أهداف حيوية
لنا في سوريا كشرم الشيخ أو القدس والضفة الغربية التي تعتبر جزءا
من لحم وعظام بل وروح اسرائيل .

وبعد عدة مشاورات في حجرة العمليات مع رئيس الأركان
وضباطه أصدرت الأوامر التالية :

□ تبدأ قواتنا الجوية العمل ضد أي دولة تهاجمنا طائراتها .

□ في القدس ترد قواتنا على نيران الإغناء ولكنها لا تقصف
المدينة القديمة .

□ تعد القوات لعمل حاسم في الأردن سواء في القدس بواسطة
اللواء العاشر أو في الشمال بواسطة قوات القيادة الشمالية .

7 وفي الساعة النانية عشرة والنصف كانت هناك مشاورات مع
رئيس الوزراء وافق فيها على رأيي بأن يحتل اللواء العاشر جبل المكبر
وأن تتعامل القوات الجوية مع الأهداف الحيوية في الأردن وسوريا ،
وأن تحتل قوات القيادة الشمالية منطقة جنين لإبعاد قاعدتنا الجنوبية
في رامات دافيد عن مرمى المدفعية الأردنية .

وسألني رئيس الأركان هل يمكن خلال عملية جنين احتلال
« ياعباد » التي تقع على بعد أميال إلى الغرب من جنين ، فوافقت
ولقريه « ياعباد » خلفية تاريخية ، فهناك بيع يوسف منذ ٣٥٠٠ سنة
إلى تجار مدين ، وهناك أيضا أيام الانتداب باعت امرأة عربية عز الدين
القسام ورفاقه الذين كانوا مختبئين في كهف للقوات البريطانية . ويضم
الكتاب المقدس نهاية سعيدة لحلم يوسف ، كما أن القسام وعصابته
أعدموا ، إذا فالي العصر الحديث .

الحرب

خلال السنوات العشر التي أعقبت حمله سيناء عام ١٩٥٦ قام المصريون بنقل قوات كبيرة الى سيناء ، وبناء اسنحكامات قوية لخدمة غرضي الهجوم والدفاع . وكانت منطقة النقب الاسرائيلية المجاورة للحدود ، مكاناً ملائماً للمصريين للاعداد اما لغزو اسرائيل أو للتصدي لاي هجوم اسرائيلي على سيناء . كما تمت اقامة مراكز قوية في الداخل في أعماق سيناء ، لتغذية الجبهة الشمالية بالامدادات ، ولتأمين خطوط دفاعية خلفية اذا ما سقطت الخطوط الامامية .

وكانت أقوى الاستحكامات الشرقية ، تلك التي تتحكم في الطرق الموصلة الى اسرائيل والتي يمكن استخدامها في الغزو المصري ، والتي تقف في نفس الوقت عقبة اضافية أمام أى محاولة اسرائيلية لعبور سيناء ، وكانت الطريق الوحيدة التي يمكن استخدامها في سيناء لعبور السيارات العسكرية الثقيلة هي تلك الطرق التي تقع في شمال شبه الجزيرة ، لانها متسعة ومسطحة . ويختلف الامر تماماً في المنفذ الجنوبي الجبلي الذي يحده خليج السويس من الغرب وخليج العقبة من الشرق وعند قمة المثلث تقع شرم الشيخ . ولا يمكن الوصول اليها الا عن الطريق الساحلي الممتد من خليج السويس . ولذا كانت عملية

اخراق الطريق الساحلى لخليج العفبة ، النى قام بها اللواء التاسع عام ١٩٥٦ ، مفاجئة ضخمة للمصريين •

ومع ذلك فان الطرق الرئيسية فى شمال سيناء كانت عبارة عن طريقين • الشمالى والاوسط وطريق جنوبى فرعى • وكانت هذه الطرق متصلة بطرق أخرى فرعية وممرات الى الطريق الساحلى الشمالى الذى يتجه الى القنطرة على ضفة قناة السويس • وقام المصريون بإنشاء ممر الى رفح فى الركن الشمالى الشرقى من سيناء ، يقع فى طرف غزة الجنوبى • ويمكن لهذا الطريق أيضا أن يكون نقطة انطلاق للقوات المصرية على الساحل الجنوبى لاسرائيل • وفى عام ١٩٤٨ استخدم المصريون رفح وقطاع غزة كنقطة للهجوم على دولة اسرائيل الجديدة •

وأنشأ المصريون عدة ممرات للدفع عن حامية أبو عجيلة وام كنف وبذلك كان فى استطاعة المصريين استخدام أبو عجيلة كقاعده هجوم على اسرائيل وتهديد بير سبع • وكذلك أنشأوا ممرات الى القسيمة ، والكونتلا ، توصل الى الطريق الجنوبى الرئيسى حى بور نوفيق • كما أن طرق القسيمة والكونتلا تخدم الهجوم المصرى على ايلات •

وكانت استحکامات خط الدفاع المصرى على الجبهة تصل الى عمق ٢٠ ميلا مزودة بالمدفعية والمدافع المضادة للدبابات ، كما أن بها دسما للدبابات ومواقع للمراقبة • والحراسة ، والآن ، وفى العملية التى أسميت فيما بعد بحرب الايام الستة ، لم تكن هناك فقط تلك الاستحکامات القوية ، بل أيضا تلك التشكيلات الضخمة من المدرعات والمشاة التى دخلت الى سيناء خلال الاسابيع الثلاثة الماضية •

كانت خطة اسرائيل الهجومية تقضى بأن يبدأ الهجوم على رفح النى تمثل أقوى الاستحکامات فى القطاع الشمالى ، وأبو عجيلة التى تمثل أقوى الاستحکامات فى القطاع الاوسط ، وأن يبدأ الهجوم من اتجاه غير متوقع ومن طرق غير متوقعة ثم تتقدم من خلال النفرات ، وقد نتسابق نحو فناة السويس ، ونحتل أو نعرل قواعد العدو التى فى طريقنا ، ونشتبك مع مدرعات العدو ، ونوقع قوات العدو فى سيناء فى فتح أثناء محاولتها الفرار ، ونؤمن الطريق البرى الى شرم الشيخ • وقام بالهجوم على المصريين فى سيناء ثلاثة تشكيلات بقيادة الجنرالات اسرائيل طال واريك شارون وافراهام يوفى تحت قيادة قائد الجبهة الجنوبية يشعياهو جافيس •

وفى أثناء فدام الطائرات بضربتها الجوية صباح يوم الاثنين ٥ يونيو (حزيران) تم سحب البوم من سماء مصرية الى رفح . يقدمه لواء ساميل المدرع ، وفتح الطريق الساحلى الشمالى واحيل قيادة التشكيل المصرى الى أن وصل الى مشارف العريش مع حلول الظلام . وقد استغرق احتلال رفح يوما كاملا من القتال . ولقى هذا التشكيل مساعدة من الجنوب بواسطة لواء المظلات بقيادة رافول ايتان . وكان هناك بعض قتال عفيف فى ذلك اليوم . الطريق الغربى قرب العريش وسقطت العربش فى اليوم التالى ، وكذلك مطارها الذى بدأت قواتنا الجوية فى استخدامه فورا وانطلقت وحدة استطلاع ووحدة مظلات فى سيارات نصف مجنزرة متجهة غربا نحو قناة السويس . وفى هذه الاثناء انجحت الوحدات المدرعة للهجوم على العدو فى قلب سيناء والالتحام مع قواتنا التى تقدمت فى القطاع الاوسط .

وقاد الهجوم على القطاع الاوسط اريك شارون فى عملية معقدة راعى فيها التنسيق والتنسيق بين المدرعات والمشاة وقوات المظلات . وقد بدأ شارون هجومه على أم كنف ليسيتر على مفترق الطرق الى أبو عجيلة . ونزلت قوات المظلات خلف خطوط الاعداء ودمرت مواقع المدفعية التى كانت تنصف قوات شارون المتقدمة نحو أم كنف . وتقدم لواء مشاة تحت وابل من النيران وهاجم الاستحكامات وطهرها فى اشتباك رجل لرجل . واشتبك اللواء المدرع مع الدبابات فى أم كنف ، بينما تقدمت كتيبة مدرعة غربا ثم قامت بحركة النفاف دائرية لاحتحام أبو عجيلة . وقبل أن تنتهى المعركة انضم لواء مدرع من قوات بوفى للاشتراك فى هذه المعركة فى تنسيق كامل مع شارون . بتحريك اللواء المدرع على خطوط شارون وضغط على الناحية الغربية وفى نفس الوقت وصل لواء آخر من قوات بوفى ، وتحركت دباباته فى القطاع الشمالى والاوسط . واستغرق اختراق هذا المحور يومين . ولم يكن الهجوم على هذا المحور مفاجأة للمصريين ، بل كانوا مستعدين للدفاع بكل أسلحتهم . لكن المصريين هزموا بسبب المفاجأة التى ظهرت من قدراتنا القتالية الهائلة فى مجالين ، أولهما تصميمنا - مهما كانت الخسائر - على التقدم واحتلال الاهداف رغم كل الصعوبات . وثانيهما أن المصريين كانت تنقصهم الخبرة التى لا بد منها للاحترفين ، مثل التعاون بين مختلف الأسلحة والتقدم السريع فى الخطط لمواجهة تصرفات الموقف ، والمهارة القتالية التى بدت من خلال عمل تشكيلاتنا الثلاثة .

وفى نهاية اليوم التالى بدأ المصريون فى المواقع المتقدمة فى الانسحاب بعد أن تلقوا أمرا بذلك من القاهرة . وعندما علمنا أن العدو أخذ بخلى

دوانه من شرم الشيخ ، صممنا بسرعة على تقديم موعد نفضنا الى شرم
الشيخ . وقررت اسقاط وحدة مظلات فورا دون انتظار وصول هواننا
البرية اليها . وفي الساعة الواحدة بعد ظهر يوم ٧ يونيه (حزيران)
وصلت طائرات الهليكوبتر محملة بجنود المظلات الى شرم الشيخ .
فوجدت زورفى طوربيد اسرائيليين فى الميناء . وكانت قوة بحرية بقيادة
الكولونيل بوتزر قد وصلت فى الحاديه عشرة والنصف صباحا ووجدت
شرم الشيخ خالية . وبعد ثلاثة ارباع الساعة رفع العلم الاسرائيلى على
سطح المسسى الى أنشأتها قوات الطوارئ الدولية قبل مغادرتها
بناء على أمر عبد الناصر . ووقع أول فوج من الاسرى المصريين فى المنطقة
فى أمدى القوات البحرية الاسرائيلية ، وكانوا ٣٣ من قوات الكوماندور
بحلولون جزيرة تبارا . وقد قبض عليهم بكامل أسلحتهم عندما كانوا
يحاولون الهرب الى مصر فى قاربى صيد . وهكذا نم ، بالحظ وبدون
دراما ، رفع العلم الاسرائيلى مرة أخرى على شرم الشيخ . وانتهى اغلاق
المضائق . ونحقق أهم أهداف حملتنا .

وفى مساء نفس اليوم ٧ يونيو (حزيران) علمنا ان مجلس الامن
سيجتمع صباح اليوم التالى وهناك احتمال - تحت ضغط الانجاد
السوفيتى بأن يصدر قرارا فوريا بايقاف اطلاق النار . وتمت مشاورات
سريعة ، أصدر رئيس الاركان بعدها أوامر فورية فى العاشرة مساء ،
لنسكبدن بالتقدم فورا نحو القناة ونحو رأس سدر فى خليج السويس
وكانت على قوات طال أن تمنع القوات المصرية المنسحبة من عبور قناة
السويس وتأمين اتصال خط القتال مع قواتنا فى شرم الشيخ .

وتقدمت احدى وحدات طال ، الى مسافة عشرة أميال من فناء
السويس وتبع ذلك اسقاط لواء مظلات . وبعد معركة عنيفة مع
الكوماندوز المصريين ، وصلت فواننا الى قناة السويس وقامت باحتلال
العنطرة شرق ، تم تقدمت جنوبا مع أول ضوء . وفى الساعة والنصف
سباحا يوم ٩ يونيو (حزيران) وصلت الى مفترق طريق الاسماعيلية
عند كوبرى الفردان . وبوصولنا الى كوبرى الفردان نم اغلاق المجر
الرئيسى للقوات المصرية المنسحبة .

وفى نفس الوقت قام لواء من فواب يوفى بعمله الذهاب باحيطه
الجنوب الغربى وقطع طريق الانسحاب على المصريين من معر متلا ، الذى
سدته بالسيارات المحترقة التى هوجمت بالطائرات . وعندما وصلت
فواننا كانت ماثات الدبابات والسيارات المدرعة الخفيفة ، وسيارات النقل
التابعة للعدو متجهة فى قوافل نحو معر متلا للهرب . واختارت احدى

وحداتنا (٩ دبابات) طريقاً محصراً لقطع الطريق الى الممر أمام القوات المنسحبة . ونم تدعيم هذه الوحدة بعشرة دبابات اضافية فى صباح اليوم التالى . وأحالت الطائرات الممر الى مقبرة للمعدات المصرية المنسحبة .

وقام قوات يوفى باحتلال ممرى متلا والجدى ، ونقدمت الى العناية بعد أن خاضت معركة عنيفة ضد دبابات مصرية أحسن انتشارها بهدف إتاحة الفرصة للقوات المنسحبة للمرور . تم توجه أحد ألويه يوفى بعد ذلك جنوباً على الساحل الشرقى لقناة السويس وقامت قوات اريك شارون - بعد معارك الاختراق التى تمت بالاتجاه جنوباً وجنوب غرب لنحطيم القوات المدرعة للعدو أثناء انسحابها . وبعد أن نصب كمياً ضخماً لدبابات العدو فى نخل ، اتجه الى متلا .

وكان قطاع غزة قد هوجم فى اليوم الاول ، رغم أفنى كنت أعارض هذا الهجوم ، لان تصورى أن القطاع سيسقط ويستسلم بدون معركة اذا تم احتلال رفح والعريش . ولكن المدفعية فى غزة بدأت تقصف مستعمرات الحدود ، مما اضطر قائد الجبهة الجنوبية الى طلب اصدار الاوامر باحتلال القطاع فوراً . واستغرق القتال أكثر من يومين لاحتلاله . وقد كان من الممكن سحب معركة غزة .

واستكمل عملياته الاستيلاء على سيناء مساء يوم ١٠ يونية (حزيران)، بالاستيلاء على أبو زينة ، وهى قرية صيد صغيرة على الساحل الشرقى للقطاع . وتحركت قوات من رأس سدر الى الجنوب وتحركت قوات المظلات من سرم النسيخ الى الشمال ، حيث آحتلت فى طريقها الطور ومنطقة آبار البترول الغنية فى أبو رديس . وتأخرت عملية النجاة القوات المتجهة الى أبو زينة جنوباً وشمالاً ٤٤ ساعة وعندما وصل إليها كنت غاضباً ولكنى وجدت أبو زينة مسترخية فهنا ومنذ ٣٥٠٠ سنة رست المراكب لتأخذ الرخام والفيروز لبناء قصور فراعنة مصر .

وبعد معارك دموية استمرت أربعة أيام ، وبعد الفشل والصدمه التى وجهها عبد الناصر وجنوده ورفاقه السياسيين والعسكريين . قبل عبد الناصر وقف اطلاق النار يوم الخميس ٨ يونيو (حزيران) . وقد فشل فادته العسكريين فى فهم رد فعل اسرائيل ازاء اغلاق المضائق البحرية ، رغم أن المؤشرات كانت واضحة أمامهم ، وخاصة بعد تشكيل حكومة الوحدة القومية فى اسرائيل ، اذ بات واضحاً أن اسرائيل تنوى كسر اغلاق المضائق ، ولا بد أن يبدأ ذلك بمعركة فى قلب سيناء . ومع

ذلك فقد أقنع المصريون أنفسهم بأن إسرائيل لن نجزو على القيام بأى عمل . وقد سمع عبد الناصر بأذنيه أن الحرب بدأت وسمع انفجارات فى مطار غرب القاهرة أما فائد الجسس عبد الحكيم عامر فقد رأى بهجته قيام الحرب عندما شاهد أعمدة الدخان ترفح من مطار أبو صوير وقد فنسل عبد الناصر وقادته فى تطويق خطة العمليات الاسرائيلية بعد بداية المعارك ، وفشلوا أيضا فى تقدير سير المعارك على الوجه الصحيح ، الا عندما أصبح الوقت متأخرا لعمل مضاد . وأخبرا فانهم فئساراً فى الرد السريع على ضربتنا الجوية الاولى ، وكان تأثير الصدمة نفسيا أكثر منه قتاليا فى بداية الحرب ، لان اسرائيل سيطرت على السماء وألم تقصف المدن المصرية وكن فى وسع القوات المدرعة المصرية فى الجبهة أن تخوض معارك حتى بدون غطاء جوى .

وفى الساعة ٩٣٥ مساء يوم ٨ يونيو أخطر يوثانت سكرتير عام الامم المتحدة مجلس الامن أن منسل مصر قد أبلغه بموافقة مصر غير المشروطة على ايقاف اطلاق النار . وكان ذلك يعنى موقفا عكسيا كاملا من جانب مصر . فقبل ذلك بسبعة دقائق ، كان المندوب السوفيتى فى مجلس الامن قد قدم مشروعا بانسحاب كامل لاسرائيل حتى حدود عام ١٩٤٩ . وقبل ذلك بأربع وعشرين ساعة كان عبد الناصر قد أبلغ رؤساء الجزائر والعراق وسوريا والملك حسين ، أن مصر لن توقف القتال ما دام هناك جندى اسرائيلى واحد على تراب مصر . وقد قال عبد الناصر ذلك بعد أن أصدر مجلس الامن قرارا بايقاف اطلاق النار اعتبارا من العاشرة مساء يوم ٧ يونيو (حزيران) . ولم يكن عبد الناصر يطلق شعارات فراغة ، بل كان - يريده - ويعتقد أن فى امكانه عمل ذلك . وفى نفس المساء أصدرت القيادة العامة المصرية أمرا بالقيام بهجوم مضاد وحاولت احدى الوحدات المصرية ذلك فعلا . وعلم عبد الناصر بحقيقة الموقف ليلة ٨ يونيو (حزيران) عندما سمع أن القنطرة شرق قد سقطت ، وأنه ليس هناك أمل فى اقامة خط دفاعى . وعندئذ أرسل تعليمات لممثل مصر فى الامم المتحدة بقبول وقف اطلاق النار .

وكانت قواتنا قد أصبحت بالفعل على قناة السويس عندما قبلت مصر وقف اطلاق النار . وبدأت أفكر فى انشاء خط يعد عن القناة بمسافة ١٢ر٥ ميلا ، بحيث يسمح لمصر بالحفظ على الحياة الطبيعية فى منطقة القناة ، وبعد مشاورات عاجلة مع رئيس الوزراء ورئيس الاركان وجدنا أن مصر ، بالرغم ، من قبولها وقف اطلاق النار ، فان القوات المتبقية ، يمكنها أن تستمر فى محاولة دفع قواتنا الى الوراء ، وأن الولايات المتحدة على وشك تقديم اقتراح لمجلس الامن بأن تسحب

كل من مصر واسرائيل قوائها لمسافة ستة أميال من القناة • وعلى ذلك
تقرر الغاء الامر القديم ، على أن ينفذ بعد أن تنتهى الحرب •

وبعد أن بدأت ضربتنا الجوية على مصر يوم ٥ يونيو (حزيران)
أرسلنا رسالة الى الملك حسين ، عن طريق قائد هيئة مراقبة الهدنة
الجنرال النرويجي أود بول ، وأخبرناه فى هذه الرسالة أنه اذا ظل بعيدا
عن القتال الدائر فلن يصيبه أى اذى • وأرسل حسين رده الساعة
الحادية عشرة حيب قال اننا ما دمنا قد هاجمنا مصر فاننا سنتلقى الاجابة
الاردنية من الجو • وبعد ذلك بقليل بدأت القوات الاردنية فى مهاجمة
اسرائيل • ثم اتبعته بقصف عنيف على الحى اليهودى بالقدس وعدة
مراكز اسرائيلية أخرى وأيضاً على مطارنا الدولى فى الد • وفى الساعة
١٢٥٥ بعد الظهر تلقينا رسالة من الحرسال أود بول نقول أن مبنى قيادته
خارج القدس ، والذي يقع بين الخطوط الاسرائيلية والاردنية ، قد
احتله الاردنيون •

ولم يعد أمامنا الآن الا أن نشتبك مع الاردن على نطاق واسع رغم
أننا لم تكن نود أن نستدعى قوات من سيناء • وبدأ الطيران الاسرائيلى
مهمته وفى خلال ساعات ، كان الطيران الاردنى كله قد انتهى • وتلقى
الجنرال عوزى ناركيس قائد الجبهة الوسطى ، الامر بأن يسترد مبنى
هيئة الامم المتحدة ، وأن يمضى لاحتلال قرية عربية تقع بين بيت لحم
والخليل ، وبعد ذلك اقتحمت وحدات من القوات الشمالية الحدود
الشمالية ودخلت سماليا ، واحتلت عدة مواقع أردنية متقدمة • وكان
لا بد علينا أن نستمر فى المعركة على هذه الجبهة بكل قوتنا • وكانت
اهم نقطة جغرافيا وسياسيا بالنسبة لنا هى القدس ، التى قسمت منذ
عام ١٩٤٨ الى نصفين ، فأصبحت المدينة القديمة تحت سيطرة العرب •
وكان هناك لواء احتياطى بقيادة الكولونيل يورى بن آرى على مسافة
عشرة أميال غرب القدس ، كما كان هناك لواء مظلات احتياطى بقيادة
الكولنيل موتا جور يستعد للاقلاع لعملية فى سيناء ، فتلقى أمرا
بالتوجه الى القدس •

وبيشما كانت هذه الوحدات تتحرك كنت انا أيضا فى طريقى الى
القدس لاداء واجب دستورى اذ كان تعيينى ، وزيرا للدفاع منذ أربعة
أيام يتطلب موافقة الكنيست • عندما وصلت الى الكنيست كانت الاجزاء
اليهودية من القدس تتعرض لقصف أردنى وكان الجميع فى المخبة ،
فعدت الى القيادة ، وفى مساء نفس اليوم أبلغت أن الكنيست قد وافق
على التعيينات الوزارية الجديدة ،، ويمكننى أداء القسم فى أى وقت بعد

الحرب وكان ممثلو الحزب الشيوعي الاربعة هم الوحيدون الذين عارضوا تعييني . وقال أحدهم ، وهو عربي (توفيق طوبى) أن ذلك معناه أن أربعة يؤيدون السلام ويدينون الحرب .

وابان اجتماع الكنيست ، كان لواء بن آرى يخترق المواقع الاردنية على التل الواقع غربى القدس ، واسنمر فى تقدمه طوال الليل مشتبكاً فى معارك عنيفة ليصل الى القدس من الشمال بالقرب من جبل المكبر الذى يطل على كل المدينة القديمة ظهر اليوم التالى ٦ يونيو (حزيران) . وهناك التقى مع كتيبة المظلات التى قاتلت قتالا عنيفا لفتح طريق الى جبل المكبر وتعرضت لخسائر كبيرة . وبدأت قوات موتا جور عملياتها فى الساعة ٢٣٠ صباح يوم ٦ يونيو (حزيران) بدون أية عمليات اسنطلاع نظراً لتغير المهمة التى كلفت بها . وكان أول عمل لها أن تفتح طريقاً الى جبل المكبر وجبل الزيتون . ولكى يتم ذلك كان لا بد من اقتحام منطقة متقدمة نحتلها مدرسه البوليس الاردنيه . وحلال الافتحام تكبدت قواتنا خسائر كبيرة الى أن احتلت هذا المركز . واستمر اندفاع القوات نحو التل الذى يقع خلفه ، حيث دمرت كل المواقع فى طريقها . وكانت الدماء تراق بغزارة فى كل خطوة تتقدمها القوات . وتم احتلال آخر نقطة للعدو فى الساعة ١٥ صباح يوم ٦ يونيو (حزيران) . وكانت معركة التل من أعنف المعارك خلال الاشتباك مع القوات الاردنية ، اشترك فيها خيرة رجال جيش الدفاع الاسرائيل . وقد كلفتنا هذه المعارك ثمناً عالياً للوصول الى الاهداف اذ قتل ٢١ وجرح أكثر من نصف الضباط والقوات التى اشتركت فيها .

وعندما وصلت الى جبل المكبر بعد ذلك ، أخبرنى ناركبس أن قوات المظلات ستقوم بعد الظهر باحتلال مبنى أوجستا فيكتوريا الذى يقع بين جبل المكبر وجبل الزيتون ، حتى يمكن عزل القدس من الشرق . غير أن الخسائر الكبيرة التى تعرضنا لها حتمت ارجاء العملية لليوم التالى ، وباحتلالنا مبنى أوجستا فيكتوريا صباح يوم الاربعاء ٧ يونيو (حزيران) ، وسيطرتنا على الطريق الرئيسى الى أريحا ، كانت عملية حصار القدس قد تمت . ومن نقطة المراقبة أمام فندق انتركونتيننتال فى جبل الزيتون ، أصدر موتا أوامره لقادة الكنايب بالتقدم الى بوابة الاسود ودخول المدينة القديمة . فدخلوا من البوابة ثم استداروا غرباً من ناحية جبل المعبد ثم اتجهوا الى الحائط الغربى . وفى نفس الوقت كان لواء القدس بقيادة اليزر آفتياى يستعد لدخول المدينة من الجنوب ، وبعد ساعة ونصف كان قد استولى على كل المواقع العربية وطهر المنطقة

الواقعة عند جبل صهيون من حقول الألغام . وبعد ذلك مباشرة دخلت
القدس المحررة واتجهت الى الحائط الغربي .

وقام لواء يورى بن آرى المدرع باحتلال الرملة وأريحا التي تركزت
فيها قوات ضخمة من الدبابات وسيارات النقل ، تنتظر دورها في
الانسحاب لعبور نهر الاردن ، تم عبرت بعض الوحدات النهر الى الضفة
الشرقية ، ونتيجة لذلك سلمنا رسالة عاجلة من السفير الامريكى . فقد
كان الملك حسين قد اتصل بالسفير الامريكى فى عمان وأخبره أن القوات
الاسرائيلية عبرت نهر الاردن مسجحة الى عمان والسلط . وعلى الفور
أمرت بأن تعود القوات الاسرائيلية الى الضفة الغربية وأن تقوم بنسف
الجسور دليلا على نيتنا فى عزل أنفسنا عن الضفة الشرقية . وهكذا
وصلنا الى الحد الشرقى من حدود القتال . وكانت مدينة أريحا أو
مدينة النخيل كما تقول عنها التوراة هى أقدم مدينة فى العالم ، وهنا
حرت أحداث التاريخ اليهودى القديم ، وما زال أحد آبار المياه يحمل
اسم يهوديا قديما .

ودارت معركة أخرى بالدبابات بعد ظهر نفس اليوم الاربعاء ٧
يونيو (حزيران) ، وهى معركة احتلال نابلس قرب موقع مدينة سكيم
فى التوراة وواجه ملازم بأربعة دبابات طابورا من دبابات باتون القوية
دمر سبعا منها علاوة على بعض المعدات الأخرى .

وقبيل ظهر يوم الخميس أبلغت القيادة الوسطى القيادة العامة أن
لواء القدس قد أتجه جنوبا والتحم مع قوات القيادة الجنوبية ، واستولوا
على بيت لحم والخليل وتوجهت الى القدس وصحبت معى ناركيس ، حيث
هبرنا الحدود القديمة بين القدس وبيت لحم ومن هناك حتى الخليل
اختفى كل أثر للحرب ، وفيما عدا السيارات العسكرية فقد كانت الحياة
نمضى كالمعتاد . والحقول عامرة بالكروم والزيتون والتين .

ثم عرضا على منطقة عصيون التي دمر العرب المستعمرات الاربعة
التي كانت موجودة فيها حتى عام ١٩٤٨ . وسرحت خواطرى مع الرواد
الأوائل الذين بنوا هذه المستعمرات ، وقلت لنفسى أنه لا بد من إعادة
إنشاء هذه المستعمرات . وذلك بالفعل ما حدث بعد عدة أشهر اذ عاد
أولاد هؤلاء الرواد لبيتونها من جديد ويجعلوا منها مقرا دائما لحياة
أطفالهم وأحفادهم .

وبعد ذلك ذهبنا الى الخليل حيث زورنا المسجد الابراهيمى ودخلنا
الى مقبرة (مكفلا) التي دفن فيها أنبياء اليهود كابراهيم واسحق ويعقوب

وزوجاتهم واهتزت مشاعري عندما أحسست بأن اليهود سوف يعودون الى زيادة هذه الاماكن المقدسة بعد أن حرموا منها طويلا وقررت أن أسمح لليهود والمسلمين بزيارة هذا المكان والصلاة فيه .

وفي خلال هذه الجولة أعطيت قائد القوات الجنوبية توجيهاتي بإنشاء مستعمرات دائمة في منطقة جبل الخليل ومنطقة القدس ، وبعد ذلك تستكمل الحلقة في الشمال بإنشاء المستعمرات والمعسكرات في جنين ونابلس ورام الله لنتمكن من السيطرة على نهر الاردن بأقل قوات ممكنة

وحتى هذه اللحظة كانت كل من اسرائيل والاردن قد أعلنتا استعدادهما لايقاف القتال ، في حين رفضت مصر وسوريا الانصياع لقرار مجلس الامن . وطلبنا عقد اجتماع مع ممثلي لبنان اذ بدأ الوقت مناسباً لاجراء محادثات من أجل عقد اتفاقية سلام بيننا أو التوصل الى اتفاقية أخرى قد تكون مفيدة ، ولكنهم رفضوا الاتصال بنا قائلين انه على الصعيد الرسمي فان لبنان ما زالت في حالة حرب مع اسرائيل .

وكان لخروج الاردن السريع من الحملة اثران هامان . اولهما عسكري ، هو أنه أصبح بمقدورنا نقل قواتنا من الجبهة الاردنية الى الجبهة السورية . وثانيهما سياسى ، وهو أن الفلسطينيين لم يشتركوا في هذه الحرب ، ولم يتعرضوا لاية خسائر ، وكان ذلك كفيلاً بالمساعدة على وضع أسس جديدة لعلاقتنا مع الفلسطينيين الموجودين في الضفة الغربية .

وفي اليوم الاول من الحرب كانت مصر قد طلبت من سوريا أن تبدأ هجوماً شاملاً علينا ، ولكن الرد السوري كان مجرد عدة عمليات تافهة كقصف بعض القرى . وعندما قامت قواتنا بضرب القواعد الجوية السورية وحطمت ٥٣ طائرة سورية ، أصدرت الحكومة قراراً هاماً كان له تأثيره البالغ على الحرب . وكان القرار بالغاء (عملية عبد الناصر) وبأن تبدأ (عملية جهاد) . وفي ضوء الخطة الجديدة قام السوريون يوم ٦ يونيو (حزيران) بهجومين فاشلين في القطاع الشمالى على بعض المستعمرات والمواقع العسكرية .

وفي الساعة ١١ر٣٠ صباح الجمعة ٩ يونيو (حزيران) ، بعد أن خرجت الاردن ومصر من المعركة ، قامت قواتنا بالهجوم على سوريا وبدأت بالمواقع الامامية ، وبعدها بيوم ونصف سرى مفعول وقف إطلاق النار . واستمرت عملية الاختراق سبع ساعات ، ولكنها كانت ساعات

عنيفة وأثناء الليل لم يبق الا موقع واحد سوري ظل يحارب ، وبعد اختراقنا للنقط الامامية اهتز النظام العسكري السوري بأكمله . وفي ظهر نفس اليوم عندما اكتشف القادة السوريون أن مرافقات الجولان أصبحت مهددة ، زادوا من نشاطهم في محورين : الاول من أجل الوصول الى ايقات اطلاق النار ، والثاني على الصعيد العسكري حيث قاموا بالانسحاب من الجولان القوية لعمل خطة دفاعية لحماية دمشق .

وبحلولت معركة الجولان لتصبح معركة من مرحله واحده هي عملية الاخراى فقط ، وتم ذلك بعد عدة معارك عنيفة تعرضنا فيها لخسائر كبيرة ، وقد بدأت العملية بلواء البرت المدرع ولواء الجولان بقيادة يونا بينما قام اللواء المدرع ولواء المشاة باختراق الحدود وعبورها وعندما بدأت عملية الجولان ارتكبت كتيبة المقدمة خطأ فادحا قبلدا من أن تهاجم راعورة ثم تتجه الى كالا ، اتجهت مباشرة الى كالا التي تغطيها حقول الالغام والمدافع المضادة للمدركات . واكتشف قائد المقدمة خطاه فقرر أن يهاجم من وضعه الخاطيء من الجنوب بدلا من الشمال . وكانت معركة رهيبه تعرضت خلالها قواتنا للقصف ولحقول الالغام والمدافع المضادة للدبابات وارتفعت الخسائر بمعدل عال ، وجرح قائد الكتيبة وقتل نائبه بعد عشر دقائق ، وتولى القيادة ضابط صغير . ولم يبق معه سوى دبابتين وقتل ١٣ رجلا وجرح ٣٣ ، وعندئذ تدخلت القوات الجوية لتدفع الدبابات السوفيتية الى الانسحاب ، وانتهت عملية احتلالا كالا في الساعة ٦ر٣٠ مساء وسرعان ما سقطت زاعورة بعد قتال عنيد .

وفامت كتيبة مشاة ميكانيكية باحتلال الموقع الثالث على الجولان وهو تل فخر . وكانت تساند الكتيبة جماعة دبابات وبينما كانوا في طريقهم الى هدفهم ، وقعوا تحت نيران المواقع السورية المتمركزة فوفهم ، وأصيب ٦ سيارات نصف مجنزرة ، وتحطمت أربع دبابات ، وسدت الطريق . وبعد عدة دقائق نسفت السيارة نصف المجنزرة التي تحمل المورتار . وانقسمت المجموعة - على الاقدام - الى جماعتين في كل منهما ١٣ فردا ، ولكنهم لم ينجحوا اذ لم يبق منهم على قيد الحياة الا فردان . ولم يتسن احتلال تل فخر الا بعد وصول امدادات ومعدات قادها نائب لواء الجولان .

وفي صباح اليوم التالي ، السبت ١٠ يونيو (حزيران) ، وجدت قواتنا كل المواقع السورية خالية بعد أن اخلاها العدو أثناء الليل ، تاركين خلفهم مدافع مضادة للدبابات ومدافع أوتوماتيكية خفيفة وثقيلة . وقد تسببت هزيمة اليوم السابق وقصف الطائرات الاسرائيلية في تحطيم

روحهم المعنوية ، كذلك فقد ساهم في تحطيم معنوياتهم ما أداعه راديو دمشق من اننا احتلنا مدينة القنيطرة . وقد أذاعت الحكومة السورية هذا الاعلان في الساعة الثامنة والنصف صباحا لتدفع مجلس الامن الى اصدار قرار بإيقاف اطلاق النار والحقيقة أنه - حتى تلك اللحظة - لم يكن هناك جندي اسرائيلي واحد في مرمى النظر من مدينة القنيطرة . وما أن سمع الجنود السوريون هذا الاعلان حتى هجروا مواقعهم وأخلدوا الى الفرار وعندما دخلنا القنيطرة ، ظهرا ، كآخر هدف في غزو الجولان وجدناها خالية . وكان خط إيقاف النار يمتد ما بين مسعدة شرقاً ماراً بالقنيطرة . ثم رافد غرباً . وكان هذا هو الخط الذي حددته لكي تقف عنده قواتنا في الجبهة السورية . لم تكن هناك قناة السويس أو نهر الاردن ، ولذا كان لا بد أن تقام حدود بيننا وبين السوريين تعكس وضع ما عسكرياً وموقفاً سياسياً . وكان هذا الخط من الناحية الجغرافية ممتازاً في الدفاع ، اذ كان يبعد ١٥ ميلاً من نهر الاردن . الامر الذي يعني أن مستعمراتنا في شمال الجليل ستكون بعيدة عن مرمى نيران المدفعية السورية وكان على السوريين أن يروا أن موقفنا الحال خطير وليس فقط بسبب اننا احتلنا جزءاً من أراضيهم ، وانما لاننا الآن فوق مرتفعات الجولان ونبعد عن دمشق مسافة ٤٠ ميلاً فقط . ولا يوجد أي عائق يمكن أن يوقف تقدمنا نحوها . عندما يحلو لنا .

وقد حدث ذلك بالفعل اذ تخيل السوريون اننا في طريقنا لاحتلال دمشق ، واتصلوا بالسوفييت ، الذين اتصلوا بدورهم بالرئيس الأمريكي . محذرين من أنه ما لم يوقف التقدم الاسرائيلي فانهم سيتدخلون لمساعدة السوريين واتصل دين راسك بأبا أيان وبسفيرانا في واشنطن وأخبرهما اننا اذا لم نتمثل بقرار مجلس الامن بإيقاف اطلاق النار ، فان موقفنا سيكون سيئاً . وأخبرناهم بدورنا اننا لا نهتم باحتلال دمشق ، وانما نحن نريد فقط أن نبعد مستعمراتنا على الحدود الشمالية عن مرمى نيران المدفعية السورية ، ولهذا فنحن مسعدون لقبول وقف اطلاق النار المتبادل ، ولم أعرف ما الذي قاله الامريكيون للروس على لساننا ، لكن سفيرانا في موسكو تسلم مذكرة شديدة اللهجة تتضمن تهديدات وإبلاغاً بأن الاتحاد السوفيتي قطع علاقاته الدبلوماسية معنا .

وفي نفس الوقت كانت هناك أحداث تجري في مصر . ففي الساعة الرابعة بعد الظهر يوم ٩ يونيو (حزيران) أعلن راديو القاهرة أن الرئيس عبد الناصر قد قبل استقالة قادة الجيش والطيران والبحرية . وبعد ذلك بساعتين . أي في حوالي السادسة والنصف مساءً ، أعلن انه

هو نفسه قد استقال • وفى الساعة ١١ر١٠ من صباح اليوم التالى أعلن
الراديو أن الاستقالة قد سحبت •

وبعد أربعة أيام ، فى يوم ١٣ يونيو (حزيران) قدمت لزملائى
فى مجلس الوزراء تقريراً عن الحرب ، وكان معى رئيس الاركان ، وقلت
لهم اننى سأحدث بصراحة • وقلت أنه فى فترة ما قبل الحرب وقعت
الحكومة والجيش فى ثلاثة أخطاء الاول اننا عالجنا موضوع رد الفعل
بالنسبة لعملياتنا ضد سوريا ببساطة ، وكنا نعتقد أن مصر غارقة فى
حربها فى اليمن ولن تهب لمساعدة سوريا • وتمسكنا بتحذير عبد
الناصر لسوريا بعدم الحرب مع اسرائيل من أجل عمليات بسيطة مثل
القصف البسيط • وكان هذا أيضاً تقديرنا بالنسبة لرد الفعل على عملية
الاردن ، وكان تقديرنا أن مصر لن تقدم مساعدة فورية للاردن وستظل
سمح بمرور سفننا فى مضائق تيران •

وكان الخطأ الثانى فى التقدير عندما نظرنا الى وصول القوات
المسلحة المصرية الى سيناء على اعتبار أنها مجرد استعراض • أو مظاهرة
عسكرية • وقد أخطأنا التقدير لأن تحرك الجيش المصرى فى سيناء لم
يكن بتلك البساطة ، وكان خطأنا الثالث عندما تصورنا أن عبد الناصر
لا يستطيع أن يأمر بانسحاب قوات الطوارئ الدولية من شرم الشيخ •
ونصورنا أنه لن يستطيع أن يفعل ذلك بمثل هذه السهولة • وكان
درساً قاسياً لنا ، اذ وضع لنا مدى السهولة التى يمكن بها التخلص من
هذه الاداة الدولية المسماة بقوات طوارئ الامم المتحدة •

ومضيت أقول أن سياستنا السابقة قبل المعركة كانت خاطئة
أيضاً بسبب فشل اسرائيل فى الرد الفورى على اغلاق المضائق • ولذا فقد
ظهرت قضية من الذى يطلق النار أولاً ، وأخذت هذه القضية قيمة
كبيرة • وفى الحقيقة ففى تصورى أن المصريين هم الذين أطلقوا الطلقة
الاولى ، لان اغلاقهم المضائق يعد عملاً من أعمال الحرب يعطينا الحق
الشرعى فى عمل عسكري مضاد • يضاف الى ذلك أن الولايات المتحدة
لم تكن مستعدة لتعقيد علاقاتها مع مصر من أجل ضمان حرية الملاحة
فى المضائق لنا • حتى اذا كانت مشكلة المضائق قد حلت ، فسوف تبقى
القوة العسكرية المصرية التى دخلت سيناء مشكلة على حدودنا •

ومع أن المصريين أغلقوا المضائق فأطلقوا بذلك الطلقة الاولى ، فإن
الطلقة الاولى كانت من جانبنا نحن وكانت طلقة ناجحة ، وفى اليوم الاول
دمرنا ٧٠٪ من طائرات الدول العربية • والجدير بالذكر أن قضية من

بإطلاق المظلة الأولى يجب أن تنسحب أيضا على الاردن وسوريا، فهما اللذين بدأنا بإطلاقه الأولى بالقصف الجوى والمدفعى فى اليوم الاول من القتال .

وكان الوضع الوحيد المعقد هو وضع سوريا . فالاعمال التى قام بها سوريا خلال اسبوع لم تكن تستحق أن نشن عليها حربا شاملة . وكان مجلس الوزراء قد وافق على أن يكون الجبهة السورية هى آخر جبهة نتعامل معها . وكنت أنا شخصا أعارض بشدة أى عمل واسع ضد سوريا ، فكل ما كنا نريده ، هو تأمين مستعمراتنا من القصف أما الحرب الشاملة واحتلال مرتفعات الجولان فلم تكن فى نخطيطنا ، ولكن الظروف تغيرت . . . ففى منتصف تلك الليلة ، كنت فى القيادة العامة ، عندما علمت أن مصر قبلت وقف إطلاق النار ، وفى الساعة صباحا أعلنت سوريا أنها هى الأخرى قد قبلت وقف إطلاق النار . وجاء تقرير من المخابرات يفيد أن القنيطرة خالية . وازاء كل هذه المعلومات والتقارير فقد غيرت رأيي ، وأمرت فى الساعة السابعة صباحا بالهجوم على سوريا .

وكان ضباط رئاسة الأركان فى صف الهجوم ، لديهم خطة معدة ولكنها محدودة، المدى لا تتضمن احتلال مرتفعات الجولان . ولكنها على أية حال كانت تصلح لفتح المحور . وتم توسيع الخطة النهائية لتهدف الى دفع السوريين الى وراء ١٢٥ ميلا لتأمين بعد مستعمراتنا عن مرمى المدفعية ومعنى ذلك احتلال القنيطرة ورافد .

وها قد أنهينا حرب الايام الستة وقد وصلت خطوطنا الى أقصاها على كل الجبهات .

وأخيرا قلت لزملائي الوزراء اننى قد طلبت من رئيس الأركان أن يعد تقريرا عن الوضع فى المستقبل ، والوقت الذى ستستغرقه الدول العربية فى إعادة بناء جيوشها . ونظرا لخسائر العرب ولأنهم لن يستطيعوا إعادة بناء جيوشهم فى وقت قصير ، فانهم سيركزون جهودهم الآن فى التحرك السياسى الدولى والاحتمال الثانى الاتحاد السوفيتى وامكانيات اشتراكه فى الحرب ضدنا .

وأعتقد أن ذلك الاجتماع كان مفيدا ، لكننى لم أكن سعيدا عندما غادرته ، كنت أحس ببرودة الجو تجاهى وخاصة من قبل رئيس الوزراء ووزراء المabay . وكنت أعرف أن ذلك على الدوام كان شعورهم بالنسبة لى ، وانهم لم ينسوا اننى عينت وزيرا للدفاع رغما عنهم ، وانهم سوف يتصيدون لى الاخطاء فى كل ما أفعله .

الحيثور المفتوحة

(١٩٦٧ - ١٩٧٣)

في هذا الباب وعن غير قصد فضح موسى ديان قومه
وأبان عن نواياهم المدونانية ، وأقبحم الدين كدبر
لارتكابهم أبشع الجرائم بحقهم يمكن اليهود المساكين
والمضطهدين أبدا من نادرة شعائرهم الدينية ، في محاولة
لتغطية وجه الخيانة البشع بقنصاع من الشرعة ،
وبعدوى نصحيح أوضاع قديمة وتنفيذ ما جاءت به النوراه
.. وهو بالطبع يكذب ويعرف جيدا أنه كاذب .

٢٢ العصر الجديد

بانتهاء القتال ، أصدرت أوامري بنزع كل العلامات التي كانت تحدد خط تقسيم القدس . وعادت القدس الشرقية والغربية مرة أخرى لتصبحا مدينة واحدة . كما أصدرت الاوامر بإزالة كل الاسوار والاسلاك الشائكة وتطهير حقول الالغام . وكنت أريد أن تصبح وحدة القدس كاملة وبأسرع ما يمكن وأن يتقارب المجتمعان العربى واليهودى .

وما أن أصدرت هذه الاوامر حتى ارتفعت أصوات المعارضة من بعض الرسميين الذين حاولوا اتهامى بالتسرع . وكان هناك رجاء عاجل من وزارة الداخلية ومن تيدى كولىك عمدة القدس اليهودية ، والذي أصبح مجلسه البلدى الآن مسئولاً عن معالجة شئون القدس العربية أيضاً . وقد طلب منى كولىك أن أؤجل هذه الاوامر قليلاً ، ولكن قرارى بقى كما هو ، ان العلامات يجب أن تمحى ، الآن . وقد وافقت على عقد اجتماع معهم قبل تنفيذ أوامرى ، وطلب منى العمدة وممثل وزارة الداخلية وقف تنفيذ قرارى ، لان اليهود الذين سيحاولون المرور فى حواري المدينة سوف يذبحون على أيدي العرب ، وسينتقم اليهود من أى عربى يعثر عليه فى المدينة الجديدة .

وبعد أن اسمعت اليهم قلت أنتي لا أجد سببا لتغيير الاوامر .
ومن خلال قراءتي للحالة النفسية للعرب واليهود ، فانني لا أوقع أية
أحداث ، وأن حرية الحركة بين الجزئين ستؤدي الى مزيد من التقارب بين
العرب واليهود دون نقاط تفتيش أو تصاريح خاصة . وعلينا أن ننحرك
على الفور في ضوء الواقع ، ونتعامل فيما بعد مع أية مشاكل قد تحدث .

ونفذت الاوامر وعادت القدس مدينة واحدة ، ولم يحدث قتل أو
صدام أو اضطرابات أو أى شيء . . وكان العرب ينزاحون في ميدان
صهيون في قلب المدينة الجديدة ، واليهود يملأون المحال في أسواق
المدينة القديمة . وكانت المشكلة أمام البوليس هي تنظيم المرور .

وكان على الحكومة بعد ذلك أن تحل مشكلة الاماكن المقدسة لليهود
والمسلمين والمسيحيين . واقترحت أن ترفع كل القيود والحواجز التي
فرضها الاردنيون ، وأن تسمح لكل المسلمين والمسيحيين سواء من
الضفة الغربية أو قطاع غزة أو مواطنين اسرائيليين بزيارة وممارسته
عبادتهم في فبة الصخرة والمسجد الاقصى وكنيسة القيامة .

وقد ظل العرب لسنوات طويلة مضت يمنعون اليهود عن زيارة
أقدس أماكنهم المقدسة وهي الحائط الغربي (حائط المبكى) ومقبرة
الانبياء في الخليل . والآن ، وقد أصبح كل شيء تحت سيطرتنا ، فقد
أخذت على عاتقي مسئولية مخاطر الامن التي قد تترتب على هذه السياسة .

وكانت الاماكن المقدسة اليهودية التي أثارت المشاكل هي جبل
المعبد في المدينة القديمة ، وكان جزءا من معبد الملك سليمان بناه في
القرن العاشر قبل الميلاد ، وأعيد بناؤه في القرن السادس ثم دمره
الرومان مرة أخرى سنة ٧٠ ق.م . والمكان الثاني هو مقبرة الانبياء في
الخليل . وعندما حدث الفتح الاسلامي في القرن السابع الميلادي ، بنى
المسلمون مسجدين فوق جبل المعبد هما مسجد القبة (الصخرة)
والمسجد الاقصى . وهكذا أصبحت هناك أماكن مقدسة للمسلمين
واليهود .

وبدا لي ضروريا أن نزيل القيود المصطنعة التي فرضها المسلمون
وسلطات الاندباب حول زيارة اليهود للاماكن المقدسة ، دون أن نؤذي
شعور المسلمين . ويجب من ناحية أخرى أن نتأكد أن هذه المسألة
الحساسة لن تخلق جوا يلهب العواطف ويتسبب في حدوث مظالمات
ويثير موقفا دوليا ضدنا وخاصة من الدول الاسلامية . وفي يوم السبت

نابلى للحرب زرت المسجد الاقصى مارا بالحائط الغربى الذى حرمانا من زيارته لمدة ١٩ عاما ووجدت جماهير غفيرة من اليهود تتعبد عند السور ومررت من بوابة المغربى حيث وصلت الى منطقة المسجد الاقصى ووجدت مجموعة من المسئولين المسلمين يكسو وجوههم مزيج من الحزن لانتصارنا والخوف مما قد أفعله • وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد السايح رئيس قضاة المسلمين ومعه مفتى القدس والوصى على جبل المسجد •

وبعد دخولى المسجد ، طلبت من الضباط الاسرائيليين الذين كانوا يصاحبوننى أن يخلعوا أحذيتهم ويتركوا أسلحتهم • وطلبت من المسلمين أن يتكلموا عن المستقبل ، لكنهم رفضوا فى بادىء الامر • ولكنى عندما جلست على السجادة بالطريقة الاسلامية ، فعلوا متلى ثم بدأ الحديث • كانت المياه والكهرباء قد انقطعت عنهم نتيجة لمعركة القدس فوعدهم بأنه سيتم اصلاح هذا الامر خلال ٤٨ ساعة • ودخلت مباشرة فى الموضوع الرئيسى وقلت أن الحرب قد أنتهت الآن ويجب أن تعود الحياة الطبيعية الى مجراها • وطلبت منهم أن يقيموا الشعائر الدينية فى المسجد يوم الجمعة القادم وقلت لهم أننى لا أرغب أن أفعل مثلاً كان الاردنيون يفعلون ، من حيث فرض الرقابة على خطبة الجمعة قبل اذاعتها • وأضفت أننى آمل أن لا يستخدم المسلمون هذه الحربة فى خطب قد تعكر صفو الامن • وأنه اذا حدث ذلك فأننا بالطبع سوف نتخذ الاجراء الملائم •

وقلت لهم أن القوات الاسرائيلية ستبتعد عن منطقة المسجد ، وأن السلطات الاسرائيلية هى المسئولة عن الامن ، ولكننا لن نتدخل فى شئون المسلمين الخاصة بمقدساتهم • وكان هؤلاء الناس يعلمون أننى أهرت عندما احتلنا مسجد الصخرة بأنزال العلم الاسرائيلى من فوق المئذنة • وأضفت أن الامر الجديد هو السماح للزوار اليهود بدخول الحرم الشريف بدون إذن أو دفع رسوم • وهذا المكان كما يعلم أولئك الناس هو معبد الجبل الذى كان فيه المعبد فى الازمنة القديمة ، ولم يكن معقولا ألا يسمح لليهود بدخول هذا المكان المقدس والقدس كلها تحت سيطرتنا •

ولم يرتح مضيفى للملاحظة ، لكنه لم تكن لهم القدرة على تغيير قرارى ••

وانفجرت مشكلة حادة يوم ١٦ أغسطس (آب) يوم ذكرى تحطيم المعبد • فقد قرر الحاخام شلوجلوجورين رئيس حاخامات الجيش هو

يربض رجال الدين أن يؤدوا الصلاة هذا اليوم فى مكان معبد الجبل ،
أى فى الحرم الشريف . واحضروا معهم الدوراه وساره وبوها . وقد
عنمت بذلك عندما فشل الماجور دافيد فارحى ضابط الانصال مع العرب
فى منع الحاخام والذين معه من الصلاة . وبحتت الحكومة المسألة ، ولم
يجرؤ أى وزير على أن يتخذ موقفا يحسب عليه فيما بعد فى أنه منع
اليهود من الصلاة فى أماكنهم المقدسة ، وانما تقرر بناء (السياسه
الحالية على ما هى عليه) ، أى منع اليهود من الصلاة هناك . وكان رأى
أنه ما دامت الامور فى يدنا فلنتخذ موقفا مثاليا فى التسامح ، لم نسهده
النظم التى تعاقبت عبر القرون ، وهو أن نترك العرب يمارسون شعائرهم
فى جبل المعبد الذى توجد فيه الآن مقدسات اسلامية . وان كان فى
الاساس جبلا مقدسا لدى اليهود .

أما فيما يتعلق بمقبرة الانبياء فى الخليل ، فقد اخنلت المرتبيات
فيها عن القدس ، فلم يكن هناك تقسيم للسلطة والحقوق وانما الهدف
هو التعايش بين اليهود والمسلمين . ويمثل هذا الكهف اقدم المداين
اليهودية فقد دفن فيه ابراهيم وابنه اسحاق وحفيده يعقوب وكذلك
زوجاتهم ساره وربىكا وليا وراشيل وزوجهم يعقوب المفضل . وكان
المسلمون أيضا يحترمون ابراهيم ، لانه كان صديقهم ابا اسماعيل .
ولذا فان الكهف كان يمثل أيضا بالنسبة لهم شيئا ذا صبة .

وخلال أربعمئة عام حكم فيها العثمانيون ، وثلاثين سنة من
الانتداب البريطانى ظل المسلمون يمنعون اليهود من دخول الكهف الى
المبنى المقام فيه ، والذى كان قد تحول الى كنيسة ثم الى مسجد . وكان
يسمح لليهود بصعود سبع درجات فقط من السلم الامامى . وما من
الآن فى موقف يسمح لنا بإزالة هذا العار ، لكننى كنت أيضا لا اريد
تعريض مشاعر المسلمين للاذى ، الذى عرضونا لمثله لعدة قرون . وكان
كل ما اريده هو أن يسمح لليهود بالزيارة دون أن يزعجوا المسلمين فى
صلواتهم .

وكان مفتاح الحل فى تقسيم المكان جغرافيا بسهولة ، لان الكهف
يقع فى الجانب الغربى بينما تقع ساحة المسجد فى الجانب الشرقى ،
أما الصعوبة فكانت فى وضع جدول مواقيت الزيارة والصلاة لا يتعارض
مع مواعيد المسلمين . فالصلاة عند المسلمين خمس مرات يوميا ، أما فى
شهر رمضان فالمسجد ماهرول طول اليوم . أما بالنسبة لليهود فصلواتهم
ثلاثة مرات يوميا عدا أيام السبت والاعياد وأيام الصيام حيث تطول
فترة الصلاة . . . وكنت من انصار أن يقصر الكهف على الزيارة والحج

والصلوات غير الرسمية ، أما ان بدأت الصلاة تمارس فيه فلن أسنطخ منعها بعد ذلك ، واثناء البحث عن حل ، أقترح أحدهم أن ندخل من باب آخر - كان موجودا من قديم - أسفل الجامع يقودنا الى الكهف مباشرة . ولكن البحث عن هذا الباب لم يسفر عن نتيجة . ويهمنى هنا أن أشير الى أن النظر الى داخل الكهف ممكن من خلال فتحة فى أرضية المسجد .

وفد وجدت أنا المخرج لهذه المشكلة فى اجتماعى مع ممثلى المسلمين يوم أول أغسطس (آب) فى الخليل . وكانت الخليل منذ سقطت نحت أيدينا منذ ستة أسابيع تموج بالحجاج اليهود كل يوم لزيارة الاماكن المقدسة . وكنت قبل اجتماعى بالشخصيات الاسلامية ، قد اجتمعت باللجنة الوزارية للاماكن المقدسة وطرحت اقتراحاتى وتمت الموافقه عليها . وكانت المشكلة التى بفتت معلقه هى هل نطلب من اليهود أن يخلعوا أحذيتهم قبل دخول المسجد ؟ وأستغرق ذلك منا مناقشات عديدة، ثم تركت الحكومة المسألة لقرارى . وكنت أرى ألا يخلع اليهود أحذيتهم وأن يتجنبوا منطقة صلاة المسلمين .

وحضر الاجتماع معى بعض الضباط ورفائيل ليفى المستشار فى الشئون العربية ، وهو نفسه من أبناء الخليل ويحيد لغتهم . ويعرف كل تقاليدهم ، ويعرف معظمهم . وكان ممثلو المسلمين برئاسة عملة الخليل والمفتى وأمام المسجد . وبعد مناقشة وصلنا الى الاتفاق التالى .

● رفع حظر التجول حتى يستطيع المسلمون الصلاة فى الساعة الثالثة صباحا .

● يسمح لغير المسلمين بدخول المعبد فى الاوقات ما بين ٧:٣٠ صباحا الى ١١ صباحا وبين ١٢:٢٠ ظهرا والخامسة مساء .

● يسمح للمؤذن بدعوة المسلمين للصلاة خمس مرات يوميا .

● بين الساعة ١٢:٣٠ بعد الظهر ٥ مساء يسمح للمسلمين بالصلاة، على أن يدخلوا من باب منفصل .

● الزوار غير المسلمين ، لابد أن يرتدوا ملابس متحشمة ، ولا يسمح بالتدخين وبيع الشموع أو المشروبات الروحية .

ووقع الاتفاقية عن المسلمين رئيس المجلس الاسلامى ، وعن اليهود أنا ورفائيل ليفى . ولم تكن هذه هذه الاتفاقية هى الاجابة الحاسمة

على كل المشاكل لكنها كانت طريقا للوصول الى اضافات أخرى بعد ذلك
مثلا حدث عندما تزايد عدد الزوار والمصلين في الفترة ما بين رأس
السنة اليهودي (ويوم الغفران) يوم كيبور • وحللتنا المشكلة عن طريق
استخدام (الساحة الغربية للمسجد في الصلاة) • وقد قضيت وقتا
طويلا في حل مشكلة الاماكن المقدسة في الخليل وفي القدس بصفة
خاصة • فقد كنت أعتبر أن حل هذه المشكلة يخلق جسرا يتم من خلاله
وضع أسس التقارب بين العرب واليهود في القدس الموحدة •

وسرعان ما اندمج المجتمعان العربي واليهودي في القدس ، ففي
المحلات التجارية ، وفي كل الاعمال ، وفي وسائل المواصلات كنت أرى
العرب واليهود سويا • وبالنسبة للتعليم ، كان أطفال العرب ينضمون
الى مدارسهم الخاصة ليتعلموا لغتهم وتاريخهم وعقيدتهم وكنت أرى
ضرورة أن يحترم كل طرف آمال ومطامح الطرف الآخر •

وكان من أهم ما قممت به في الاسبوع التالي للحرب زيارة القرى
العربية في الضفة الغربية والاجتماع بالعمد • وقد تم رفع حظر التجول
الذي كان مفروضا أثناء الحرب ، وعادت الحياة الى طبيعتها ، ولم يبق
من آثار الحرب سوى دبابة محترقة هنا أو سيارة مدمرة هناك • وكان
ما أصطلح على تسميته بالضفة الغربية ، ويعرف في كتبنا المقدسة باسم
يهوديا وسامرا ، وكان هذا الجزء يمثل لي ذكريات طفولتي عندما كنت
لبي ناحل في الثلاثينيات وهي ما زالت مستعمرة فقيرة وكنا ننتهز الفترة
بين الحصاد والبذر أنا وزملائي للقيام برحلات في أنحاء البلاد سيرا على
الاقدام •

وكان من أسباب انجذابي الى هذه المنطقة أنها قد ذكرت كثيرا في
التوراة ، ففيها مثلا سيلوه حيث تجمعت قبائل الاسرائيليين قبل نزول
التوراة ، وتيكوه مسقط رأس النبي عاموسي ، وبيت ايل حيث تجمع
أبراهام مع يعقوب ، وحيث أعد شاول قواته لمحاربة الفلسطينيين •
ورغم أن الآثار قد اندثرت ، فإن أسماء هذه الاماكن بقيت لنا كما هي لم
تتغير • بل أن السنين والمعارك والامم التي تعاقبت لم تستطع أن تغير
مصدر هذه الاسماء •

وها أنا الآن أمر على القرى التي يسكنها العرب في يهوديا وسامرا •
وكانت علاقتي على الدوام جيدة مع العرب ، وبرغم المعارك والحروب
فأنتي لم أكن أضمر لهم أي عداة شخصية • صحيح أن هذه العلاقات

كانت نخطمها الحرب ، لكنها كانت تعود مرة أخرى الى طبيعتها بعد أن
نضع الحرب أوزارها .

وكانت هناك ثلاثة أقاليم قد أصابها دمار كبير خلال الحرب ،
أولها أقاليم اللاطرون ، الذى دار فيه قتال عنيف عندما هاجم الاردنيون
اسرائيل بالمدفعية منه وكذلك منطقة قليقلية التى تعرض ثلث مبانيها
للتسف والتدمير بالديناميت . وأخبرنى الحاج حسين على ، عمدة
فليقلية ، أن هناك ٨٠٠ مسكن لم تعد صالحة للسكنى ، وأن عدد السكان
الذين تركوا المدينة وصل الى ١٢ ألف شخص ، يقيم بعضهم مع أقاربه
الآن فى مدينة نابلس والبعض الآخر يعيش فى بيارات الزيتون .
وذهبت لزيارتهم فى البيارات فالتفوا حولنا وأمطرونى بالاسئلة وطلبوا
فقط أن نعودوا الى منازلهم وأن نمدحهم بمعدات ميكانيكية لازالة آثار
التدمير .

وقد منحتهم الاذن بالعودة فورا ووعدت بمساعدتهم فى تحقيق كل
طالباتهم . ولكن لم أرد على ما لم يقولوه ، وان كان قد بقى معلقا به
الرؤوس ، وهو ماذا نريد منهم ؟ وكنت أعلم جيدا أنه اذا تحققت آمالهم
وانتصر العرب فانهم ما كانوا سيكنفون بتدمير منازلنا وقرانا ومدننا .
بل كانوا سيدبحوننا . وكانوا هم أيضا يعلمون ذلك ، ولذا كانوا يقبلون
تدمير منازلهم نتيجة لهزيمتهم . ولم يكن باستطاعتى أن أثول لهم أننى
كوزير للدفاع أعتذر عما فعله الجنود من تدمير لمنازلهم ، لكننى وعدتهم
بمساعدة الحكومة لهم . وفى المنطقة الثالثة فى القرى الواقعة
غرب الخليل ووعدت الاهالى بأن الحكومة ستمدهم بالاسمنت والحديد
لاصلاح منازلهم ، ولم يكونوا بحاجة الى الاحجار لان المنطقة كانت مدنة
بها .

٢٣ التعايش !!

كان من أول الاعمال التي تمت بها بعد الحرب ، عندما نوليت ادارة الاراضي المحتلة ، أن أصدرت أوامري بأن تكون لاي عربي سواء من سكان الضفة الغربية او من لاجئي غزة ، حرية الحركة في كل مكان وبدون إذن . وكان صدى هذه الاوامر ممتازا عند العرب ، فما يكونوا يتوقعون ذلك من ادارة الاحتلال . وان كان كثير من الاسرائيليين قد أبدوا عدم ارتياحهم ، وكانت حجتهم أن السماح للارهابيين بحرية الحركة سيعرض الامن الاسرائيلي للخطر .

ودفعني لاصدار هذه الاوامر ما حدث خلال الايام الاولى للدولة عندما أمرت بضرورة حصول العرب على تصاريح للتنقل داخل البلاد ونذكرت صور الطوابير الطويلة للحصول على تصاريح ونقط المراجعة والتفتيش والمراجعة الطويلة للوثائق ، حيث أدى كل ذلك الى تعميق الشعور العدائي لدى العرب . ولم أكن مستعدا لسلوك نفس الطريق . وقد وقع حادث شاهدهته بنفسى جعلنى أسرع في اتخاذ هذه الخطوة حينما استوقف الجنود في احدى نقاط التفتيش سيارة تحمل سمكا في طريقها الى الخليل . وقد عبأ الصيادون السمك في صناديق وصفوها

بعناية فائقة بين قطع الثلج وغطوها بالحشائش • ونتيجة للتفويض
نبتت كل هذا الجهد على الأرض • وقررت أن أتجنب تكرار هذا المنظر
مرة أخرى وحتى ولو كان على حساب مخاطر الأمن •

ولا شك أن أهم تطور قدمناه في علاقاتنا مع العرب هو سياسة
الجسور المفتوحة ، وهو تشجيع حرية حركة الناس والبضائع عبر نهر
الأردن • وكان العبور من جسر النبي يصل إلى القدس وبيت لحم
والخليل وغزة ، أما جسر داميا فيخدم نابلس • وجنين • وكان الهدف
من هذه السياسة عدم عزل العرب عن اخوانهم في العالم العربي •
وقد سمحت هذه السياسة لابناء العرب أن يلتحقوا بالجامعات
المصرية والسورية واللبنانية ، وسمحت لنوابهم بدخول البرلمان في
عمان ، ولمنليهم أن يعقدوا لقاءات علنية مع زعماء الدول العربية وممثلي
منظمات التخريب الفلسطينية ، كما سمحت بتبادل الزيارات مع عائلاتهم
من شمال أفريقيا حتى السعودية •

وكنيت أرى أن سياسة الجسور المفتوحة يمكن لها أن تؤدي في
المستقبل إلى اتصال مع الدول العربية • صحيح أن هذه الدول لا تسمح
لأي اسرائيلي بزيارتها ، ولكننا نستطيع السماح لمواطنيها بزيارتنا • ولم
أكن أعتقد أنهم عندما يشاهدون اسرائيل للمرة الأولى سيجبونا ويعجبون
بنا ، ولكنهم سيكتشفون إمكانية التعايش معنا كمجتمع مفتوح يعتبر كل
الناس سواء • ونحن أيضا أمة مفتوحة متقدمة ، صحيح أننا لم نصل إلى
المستوى التكنولوجي للولايات المتحدة ، لكنهم سيجدون أن مستوانا
جدير بالاهتمام في مجالات مثل الزراعة والصناعة والدواء والصحة العامة
وغيرها • • وعندما علمت بعد الحرب أن عملية عبور التجارة عبر نهر
الأردن مستمرة ، رحبت بذلك وأمرت كل القوات بالانسحاب من القرى
العربية وأن ينقلوا مواقعهم على التلال ، لأن وظيفتهم هي حماية الأمن
الاسرائيلي وليس ادارة الحياة في القرى العربية •

وفي يوم ٢ أغسطس (آب) قمت وبصحبتى قائد الجبهة الشمالية
ناركيس بزيارة منطقة العبور عند جسر داميا ، التي أسماها جودنا
(سوق الخضار) ، حيث تعبرها السيارات محملة بالخضروات والبضائع
المختلفة • فسيارات النقل الثقيلة والخفيفة ، حتى العربات الخفيفة ،
تندفق على النهر • وكان معدل العبور يوميا لا يقل عن مائة سيارة محملة
بالخضروات والفاكهة وزيت الزيتون والبضائع الأخرى مثل منتجات
البلاستيك من بيت لحم وأحجار البناء من الرملة • وخلال الزيارة تجمع
حول الناس وطلبوا مني وثيقة أعلن فيها السماح للذين خرجوا بالعودة •

وكان هناك حوالي ٢٠٠ ألف شخص قد هربوا اثناب الحرب نصفهم من اللاجئين والنصف الآخر من سكان الضفة الغربية . وقد وافق مجلس الوزراء على عودتهم فى جلسة تالية ، وأعلن أن كل من يريد العودة سيحصل له بذلك حتى يوم ١٠ أغسطس (آب) ، ولكن القليلين هم الذين عادوا .

وعندما اقترب الشتاء ، ولتسهيل مهمة قوافل النقل ، أرسلت حمدى كنعان عمدة نابلس الى عمان ليقدّم اقتراحا بإعادة بناء الجسور . وقبلت عمان على أن تقوم هى بعملية البناء . ولم أعترض وتم بناء جسرين فى نفس أماكن جسر اللنبي وجسر داميا .

وكان استمرار سياسة الجسور المفتوحة مرهونا بموافقة الطرفين وبالنسبة لاسرائيل فنحن لم نكن نرغب فيها فحسب ، بل نحن الذين بدأناها ، أما بالنسبة للاردن فقد كان قبولهم قبولاً للامر الواقع . وكانت الضفة الغربية خلال الحكم الاردنى فى التسعة عشر عاما الماضية قد نزعت لمحاولات كثيرة لتضييق علاقاتها مع الضفة الشرقية ، غير أن عمد المدن كانوا يذهبون للملك حسين وللحكومة الاردنية ويرجونهم فك هذه القيود . وكانت هناك عائلات كبيرة يقيم أفرادها فى مختلف مدن الضفة ، ولم يكن من الممكن الفصل بينهم ، مثل عائلات طوقان والمصرى والجرى .

وعلى العموم فإن العلاقة بين العرب فى الاراضى المحتلة وبين الادارة العسكرية ، كانت طبيعية . وكذلك كانت بينهم وبين اليهود . ومن ناحية أخرى فقد ارتفع مستوى معيشة العرب ، واتسعت فرص العمل أمامهم ، وانفتحت سوق العمل اليهودى أمامهم كأعمال الميكانيكا والبناء ووظائف الفنادق . وارتفعت أسعار منتجاتهم الزراعية التى كانت دائما موضع طلب فى اسرائيل .

أما فى مخيمات اللاجئين فى قطاع غزة ، فقد حدثت تغييرات اقتصادية هورية . إذ أن اللاجئين الذين ظلوا طوال التسعة عشر عاما الماضية يقضون وقتهم خارج خيامهم فى لعب الطاولة ، بدأوا الآن يجدون عملاً يكسبون منه أموالا كثيرة ، بينما استمروا يحصلون على قوتهم والخدمات الصحية والتعليمية المجانية من هيئة الاغاثة التابعة للأمم المتحدة . وأصبحوا قادرين على تغيير مستوى وطريقة معيشتهم والحصول على ملابس جديدة وأثاث ومعدات للمطابخ ، وهجر الكثير منهم مخيمات اللاجئين الى المساكن الجديدة التى بدأ بناؤها وظهرت هوائيات (ايربالات)

التليفزيون على كثير من الاسطح ، كما كان لدى الكثير منهم ثلاثيات (برادات) كهربائية . وتم التوصل الى صينة مؤداها أن العملا يقدمون أى مساعدة للأعمال التخريبية ضدنا ، وأن أولئك الذين يعارضون احتلالنا لهم الحرية فى التعبير السياسى والنقد من خلال القول أو الكتابة على أن لا يسمح بأى عمل خارج على القانون .

وبشكل عام ، فإن الخطوط الرئيسية لهذه الصيغة جرى اتباعها والالتزام بها فيما عدا بعض أعمال التخريب والعنف التى كان يقوم بها متسللون من الاردن وسوريا ولبنان . وكان هؤلاء يجدون مخايب لهم فى بيوت أقربائهم وفى قراهم السابقة . وكان لا بد لنا من موقف حازم . فكنا بعد أن نجلى السكان ، ننسف المنازل التى نعرف أنها وفرت الحماية للمخربين أو التى كنا نعتز فيها على أسلحة ومتفجرات . وأثبت هذا الأسلوب فعاليتها وجدواه . أما الأسلوب الآخر فهو نفى الزعمات التى تشجع الأعمال التخريبية أو تعرض عليها . وكان أول من نفى من العمدة روحى الخطيب عمدة القدس السابق وتلاه قاض سابق ثم عمدة البيرة . وأثبت أسلوب النفى فعاليتها ، وإن كان قد أثار غضبا شعبيا .

وكان شهر سبتمبر (أيلول) وأكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٧ هما أصعب الشهور فى الضفة الغربية ، حيث قادت نابلس عملية اضراب كانت تهدف من ورائها أن يشمل الاضراب الضفة الغربية كلها .

وبدأ الاضراب بإغلاق المدارس والاسواق والمتاجر . وبدأت المرحلة الثانية فى ١٩ سبتمبر (أيلول) بداية دورة الامم المتحدة . واستمر الاضراب عدة أسابيع أغلقت فيها المحلات وتوقفت كل وسائل المواصلات . وأخيرا اكتشفوا أن الضفة الغربية لم تشتركهم الاضراب ، بل أن سائقى جنيزه عملوا بدلا منهم فى حمل المنتجات الخاصة بالتصدير ونقلها . وأخيرا اكتشف القادة أن هذا الاضراب لم يحقق أى نتيجة وفى أول نوفمبر (تشرين الثانى) عادت الحياة الى طبيعتها . وقد تسبب اضراب نابلس ومظاهرات رام الله وأعمال العنف فى غزة فى خلق التوتر بين قادة العرب والحكومة العسكرية . وبالرغم من قيام بعض المخربين بإطلاق الذر على زملائهم العرب أثناء توجيههم للعمل فى المصانع الاسرائيلية ، فإن العلاقات بين العرب والحكومة كانت تسير بخطوات واسعة نحو التقدم . ولم تؤد هذه الاحداث الى نشوب صدامات بين العرب واليهود ، حتى عندما نسف المخربون دارا للسنيما فى تل أبيب نسفوا سيارة فى السوق فى القدس ، فإن اليهود أثارهم مشاهدة منظر القتل والجرحى ولم ينتقموا من العرب الموجودين فى وسطهم . وقد أدت

سياسة الجسور المفتوحة في النهاية الى اقتناع الطرفين بإمكانية التعايش
سويا .

وكانت حلقة الصلة بين المواطنين العرب وبين السلطات الاسرائيلية
هي العمدة . وكان أكبر ثلاثتهم محمد علي الجعبري عمدة الخليل ، وهو
أقواهم لانه كان يتجاهل كل ما يأتي من عمان ويقرر كل شيء على أساس
فهمه هو للحقائق والاتنان الآخران هما حمدي كنعان عمدة نابلس ،
الذي لم يكن مستندا أى قوة لان النفوذ كله كان في يد عائلتي المصري
وطوقان . والثالث هو رشاد الشوا عمدة غزة ، وكان تائها بين السلطة
الاسرائيلية وبين خوفه من المخربين الذين كان يقابل زعماءهم خلال
رحلاته الى بيروت . وأتذكر أنه في آخر يوم صيام للمسلمين في رمضان
١٩٧١ طلبني الجنرال بونديك حاكم غزة العسكري تليفونيا ، وأخبرني
أن رشاد الشوا أبلغه الآن أن زباد الحسيني قائد المخربين في القطاع قد
انتحر في منزله وأنه يرغب في مقابلي . وطلبت من المحافظ أن يرسله
بمفرده .

عندما وصل بعد ساعة كان ممتعنا ، وكانت الاسباب توجب ذلك .
وكان رشاد الشوا قد سبني أن طلب مني أن أساعد زباد الحسيني
ومجموعته على الهرب الى لبنان لانهم فسلوا في عملهم في القطاع ولكنني
رفضت ذلك ، وقلت أنهم لابد أن يقدموا للمحاكمة . ولما علم زباد
الحسيني أن كل الطرق سدت في وجهه ، انتحر بعد أن ترك خطابين .
أحدهما (لضيغه) العمدة يشكره على أنه ساعده باخفائه في منزله ،
والثاني وصيئة تتضمن أسماء الخونة المتعاونين مع اليهود ، ومنهم رشاد
الشوا نفسه باعتباره عميلا صهيونيا . وكانت مشكلة رشاد عويصة ،
ولذا عرضتها على جولدا مايير وموشى سابيرو وزير العدل الذي قال لي
أنه تحت ظل الحكم العسكري ، فالامر متروك للحاكم العسكري ، فاما
أن يرسل الشوا . . للمحاكمة بتهمة التعاون مع المخربين أو يكتفى
بانذاره وبقائه عمدة . وتركت جولدا القرار لي .

وقد قررت أن يظل الشوا في عمله . وكان ذلك من أجل أن يفهم
قادة العرب أننا ندرك مشاكلهم ونقدرها ولم تكن قواتنا العسكرية في
حاجة الى مساعدة من جانب القادة العرب ضد التخريب ، لكننا من
موضع القوة نتجاهل موقف رشاد الشوا . وقد أكدنا على عائلة زباد
الحسيني أن يدفن بدون مراسم ولا مظاهرات ولا خطب على القبر ،
ونفذوا كل ذلك . وقد اتخذت هذا الاجراء عن عمد لاني كنت أفكر في
المستقبل ، وفي وجوب ازالة كل حقول الألغام من طريقنا لقرار الهدوء
والحياة الطبيعية في الاراضي المحتلة .

وفى علاقتى الشخصية مع العرب كنت قريباً جداً من بدو جنوب غزة . وقد أصبح لهم الآن أرضهم الدائمة بدلاً من التجوال فى الصحراء . وساعدهم ذلك على زراعتها بحيث أصبحت جزيرة خضراء فى وسط رمال الصحراء . وأصبحت هذه المزارع الآن تنتج البرتقال الشموطى دى النكهة الخاصة ، وتنتج الخضروات كالخيار والطماطم والباذنجان والفلفل فى الصيف ، أما فى الشتاء تنتج الكرنب والقرنبيط . وقد تولى خبراء زراعيون من اسرائيل تعليم هؤلاء البدو كل ما يتعلق بالزراعة . واستبدلوا التقاوى المحلية بنوعية ممتازة ، وأصبحت سوق التصدير ترحب باننتاجهم من الشمام والبطيخ والفراولة التى أصبحت شهيرة فى زيورخ ولندن .

وكان هناك بدويان أحب أن أزورهما دائماً هما الحاج محمد أبو سليم وحامد . وكان الحاج محمد رئيس قبيلة كبيرة فى دير البلح فى قطاع غزة وكانت كلمته بمثابة قانون لافراد القبيلة . وننوسط الفيلا الفخمة التى يسكنها غابة من النخيل تمتد فى لون أخضر جميل الى أن تتصل بزرقة البحر الابيض . وكان الحاج أبو سليم بدوياً فى كل شئ ، لكنه كان يدرك الى أين يتجه العالم ، ولذا فقد أرسل ابنه فرحان ليدرس الطب فى ألمانيا . بل قام بعمل غير مألوف للبدو اذ سمح لبنساته أن يدرسن فى الخارج . وعندما قابلته لأول مرة كان مريضاً جداً . فعندما أنسحبنا من سيناء بعد سنة ١٩٥٦ قبض المصريون على كل من استبه فى أنهم على علاقة معنا ، وكان من بينهم الحاج أبو سليم بالرغم أننا لم نكن قد اتصلنا به فى ذلك الوقت . وقضى فى السجن سنوات طويلة الى أن احتلنا قطاع غزة عام ١٩٦٧ وقد حاولنا علاجه بقدر الامكان وفى عام ١٩٧٠ مات فى مستشفى تل هاشومير فى اسرائيل .

أما الشخص الآخر الذى كنت أفضله فهو حامد . ولم يكن يملك فيلا او غنيا ، بل كان يقيم فى خيمة من جلود الماعز ويعمل قصاص أنز . ولكننى فى كلا المكانين ، وعند كلا الرجلين ، كنت أشعر بالراحة ويكرم الضيافة والادب . وكنت أتمنى أن أتعلم من حامد مهارته الفائقة فى متابعة الأنار على الرمال . وكان حامد قد عثر على كمية من الأنار موجودة تحت أرض مزرعه نرى يدعى أبو ملاك . فائناء حفر الأرض لاعدادها للزراعة التقطت عيناً حامد الماهرتين آنارا قادت الى تابوت أحد ضباط الفرعون رمسيس الثانى الذى دفن فى هذا المكان فى القرن الثالث عشر ق.م . وبجانبه كالعادة متعلقاته الشخصية وقلائده وأساوره الذهبية .

وكان كل اتصالاتى بقيادة العرب هى عملى الاساسى خلال الحكم العسكري . وكان على رأس هؤلاء القادة محمد على الجعبرى عمدة

الخليل . اذ عقدت عدة اجتماعات تحدثنا فيها كثيراً بصراحة . ولكنى كنت أعرف أن هذا غير كاف لتحقيق الهدف الذى أرمى اليه . صحيح . كل هذه الاتصالات قد تساعد على حل المشاكل ، ولكنهم كانوا دائماً يسيطرون على كوزير الدفاع وعلى أئى الاجنبى الذى هزمهم والحاكم الجديد الذى حول بلادهم المستقلة الى جزء من اسرائيل . وعلى أية حال فأننى أعتقد أن المحادثات وجهها لوجه مع بعض الكتاب والمفكرين العرب سيجعلنا أكثر قرباً من بعضنا البعض . قد نضل على اختلاف فى وجهات نظرنا ، ولكننا على الأقل سنفهم بعضنا .

وسمعت عن شاعرة فى نابلس تدعى فدوى طوقان . وطلبت أن أراها . وقبلت زيارتى فى منزلى وحضرت هى وخالها الدكتور قدرى طوقان ومحافظ نابلس حمدي كنعان يوم ١٢ أكتوبر (١) سنه ١٩٦٨ . وكان معى دافيد فرحى ودافيد زكريا المنخصصان فى الشؤون العربية . وكانت فدوى أقل الموجودين كلاماً ، لكنها كانت أكثرهم صراحة . كان خالها يتحدث باسمها أحياناً ، وكان كنعان يتحدث عندما تفتح موضوعات سياسية . وقال خالها أنه أغلق على نفسه باب داره منذ بداية الاحتلال لان قلبه لا يسمح لعينيه بأن ينظرا الى أرضه وتجدها محتلة . وكان يصبر على أن نظرة العرب لاسرائيل قد تغيرت الآن ، وانه اذا انسحبنا من الاراضى التى احتلناها وسمحنا للاجئين العرب منذ عام ١٩٤٨ بالعودة ، فان العرب سيعترفون باسرائيل ونعيش فى سلام سوياً .

وكانت فدوى مهتمة بالمنزل وبالأثار الموجودة فى الحديث ، وسألت ابنتى يائيل عدة أسئلة عن طفولتها وعن ناحل حيت ولدت . وأعتقد أنها كشاعرة تستطيع التعبير بالكتابة أكثر من الكلام وخاصة مع الاغراب ، أما شعرها القوى الدموى فيخرج من روحها مباشرة وكان هذه الروح تصرخ ولكن دون أن تسمع . وفى نهاية الزيارة قلت للدكتور قدرى أنه اذا كان يرى فرصاً للسلام فليته يذهب الى عبد الناصر ويرى مدى استعداده للدخول معنا فى مباحثات حول هذا الموضوع . وسكت الدكتور قدرى ، ولكن فدوى قالت له (قدرى اذهب الى جمال) وحاول الدكتور قدرى تجنب الموضوع وضحك قائلاً من جمال ؟ ولكن فدوى أصرت وقالت قدرى اذهب الى جمال وأطلب منه أن يبدأ محادثات مع اسرائيل حول السلام - قدرى اذهب الى جمال) وكانت نغمة صوتها مزيجاً من الرجاء . والامر وبدا للحظة أن الدموع ستنفجر من عينيها .

وبعد شهرين تقابلت مع فدوى فى فندق الملك داوود بالقدس . وكانت قد زارت مصر . وأخبرتني أنها قابلت عبد الناصر وأنه أخبرها

أن دين رأسك سيجعه على عمل ترتيبات مع إسرائيل مقابل الانسحاب الكامل من سيناء • ولكن عبد الناصر رفض لأن الاتفاق لا يشمل الضفة الغربية • وقالت أنها أخبرته عن مقابلتها لي ولكنه لامها ووبخها • وقالت أن الشخص الوحيد الذي قابلها في مصر وشجعها على الاستمرار في الاتصال بي كان محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام السابق وصديق عبد الناصر الحميم • وقد عادت دون أي أنباء ايجابية ، لا في مصر فقط بل في الاردن أيضا • اذا فالطريق الى السلام مسدود • كذلك فان مسح - كما قلت - تعارض أي اتفاق ، وقالت لي أنها تعتقد أن كل الناس في الضفة الغربية يريدون السلام والحل السلمي للمشكلة الفلسطينية ولكن قادتهم جبناء حتى خالها فدوى أيضا يخشى تعريض نفسه ومركزه السياسي للخطر •

وقلت لها أنني قد تحدثت قريبا مع أحد أعضاء منظمه فتح كان فدوى سلم نفسه لقواتنا واقترحت الافراج عنه على أن يذهب الى أبو عمار ، أي ياسر عرفات ، ويخبره أنني أريد أن أقابله ، ولكن الاسير رفض وفضل السجن • وقالت فدوى (أنا امرأة ولكني لست جبانة ، أنا أرغب في السلام ، وعبد الناصر لا يريد السلام معكم ، ولكني عندما أذهب الى بيروت سأقابل أبو عمار واقترح عليه أن يقابلك ، ويجب أن نعمل من أجل السلام) •

وبلا جدال فلان فدوى امرأة شجاعة ولست أعرف اذا ما كانت فدوى قالت أبو عمار أو لم تقابله ، اذ لم أسمع عنها ثانية بعد ذلك •

٢٤ حارب بين الأتار

فى الوقت الذى وجدنا فيه أننا نستطيع العيش فى وئام مع العرب داخل حدودنا ، بدأت عمليات التخريب من الدول المجاورة ، وأخذت عمليات تسلل المخربين تتزايد خلال السنوات الثلاث التالية لحرب الأيام الستة - وكانت معظم هذه العمليات تأتى من الاردن ، رغم أن الملك حسين فضل اختيار الطريق السياسى ولم يرفع كفيه سعار (ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة) • وقد ارتبطت الاردن بالمواطنين بالضفة الغربية ونشأت مصالح بينهما يمكن لى حرب أن تدمرها •

وبالرغم من هذا فإن معظم عمليات العنف كانت تأتى من قطاع الاردن ، بسبب تنظيمات المخربين • ومع أنهم أعلنوا بعد الحرب بعشرة أيام أنهم نقلوا قيادتهم من الاردن الى الارض المحتلة ، فإن ياسر عرفات بعد أن أمضى وقتاً قصيراً فى الضفة الغربية لتنظيم العمل داخل الارض المحتلة ، فشل فغادرها الى الاردن فى سبتمبر (أيلول) ، وتبعه بقية القادة المحليين للمخربين فى قطاع غزة والضفة الغربية • وتوزع المخربون ما بين الاردن ولبنان • وأنطلق المخربون عبر الحدود مع الاردن ليضعوا الألغام فى الطرق الرئيسية ، وقصفوا المستعمرات القريبة من الحدود فى منطقة شيعان • وبالرغم من أن الجيش الاردنى لم يقم بأى عمل ضد

إسرائيل ، فان وحدانه على الحدود كانت تساعد المخربين فى عبور نهر الاردن ، وتغطى أنسحابهم بإطلاق النيران .

وأنهت ثلاث سنوات مستمرة من عمل المخربين ورد الفعل الاسرائيلى فى خريف ١٩٧٠ فى سبتمبر (ايلول) الاسود . ويتضح من الاحصائيات عن تلك السنوات أن ٥٨٤٠ عملية قام بها المخربون من الحدود الاردنية ، وأن خسائرها فى هذه العمليات بلغت ١٤١ قتيلا و ٨٠٠ جريح ، وتعرضت مستعمرة كفار روبين على الحدود الاردنية للعصف ٥٨ مرة ومستعمرة بيت شيعان ٤٠ مرة . وقد بدأت أول عملية للمخربين بعد ٩ أيام من ايقاف إطلاق النار فى ١٩ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، حيب انفجرت عبوة ناسفة قرب مستعمرة حيشر فى وادى نهر الاردن . وبعد ستة أسابيع أطلقت النار من كمين نصبه المخربون على جرار زراعى فى الطريق بين مستعمرتى معاز حاييم وكفار روبين . وفى أول أكتوبر (تشرين الاول) أطلق كمين آخر للمخربين النار على أحد أعضاء مستعمرة هاماديا فقتلوه ونسفوا أحد مباني المستعمرة .

ونوجهت فى ٢ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٧ الى زماخ لحضور اجتماع مع ممثلى كل المستعمرات والمدن فى وادى الاردن . تم قمت بعد ذلك بجولة تفتيشية على الحدود . وشكا ممثلو المستعمرات من تعرضهم لعمليات التخريب ونقص الاسلحة لديهم . وكانوا محقين فى شكواهم ، لان عمليات التخريب حولت مستعمرات وادى الاردن الى خط أمانى ، وكان لابد علينا أن نعد أنفسنا فى هذا القطاع لاسلوب جديد للواجهة .

وعدت بعد أسبوعين الى المنطقة ومعى لواء مدرع ، وقررت أن تنمركز الدبابات والمدفعية فى هذه المنطقة للرد الفورى على أى عملية . وقد رفضت بحزم أن يكون رد فعلنا على أى عملية ، أن نطلق النار على المزارعين الذين يعملون فى حقولهم داخل الضفة الشرقية . وأنا إذا فعلنا ذلك لهربوا على الفور ، ونحن لا نريد منهم الهرب ، بل يجب ان نتبع سياسة تشجع المزارعين على العمل فى مزارعهم القريبة من الحدود كما نفعل نحن .

ودخلت فى المناقشة بعد عدة أسابيع عندما زرت مستعمري -ماز حاييم وكفار روبين ، وكانا قد تعرضتا للقصف منذ قليل . وقال لى سكان المستعمرتين أننا لو أجبرنا المزارعين على ترك مزارعهم فى الضفة الشرقية ، لفكر المخربون مرتين قبل أن يقوموا بأى عملية قصف . . . وقلت لهم أن هذه العمليات موجودة من قبل ومع ذلك فانها لم توفى

العمل التخريبي ، وأن قصف الفلاحين لن يجعل الوضع على الحدود هادئاً . وقلت أن نشاط المخربين يتزايد لأن الملك حسين فشل في وقف نشاطهم ، ولذا فإن الخطة الصحيحة هي أن نهاجم وحدات الجيش الاردني التي تتعاون مع المخربين .

وعدت الى مستعمرات معاز حاييم وكفار روبين وجيشر ليلة ١٥ نبرابر (شباط) ١٩٦٨ عندما تعرضت للقصف وتحطمت بعض مبانيها . أما كفار روبين فقد تعرض مكان مبيت الاطفال لضربة مباشرة وكان الاطفال لحسن الحظ في المخبأ ، وبينما كنت في جيشر تجدد القصف مرة أخرى ثقيلاً ، وعلى الفور أمرت رئيس الاركان بأن يستخدم القوات الجوية والمدفعية . في ضربة قوية ضد مواقع المدفعية الاردنية وكل المواقع العسكرية على الحدود . وكانت تلك هي المرة الاولى التي تشترك فيها قواتنا الجوية في عملية منذ الحرب .

وفي ١٨ مارس (آذار) ١٩٦٨ كانت احدى سيارات الاتوبيس تحمل أطفالاً من مدرسة هرزيليا في تل أبيب في رحلة الى النقب ، ومرت السيارة فوق لغم في منطقة بير أورش على مسافة ٢٥ ميلاً شمالي ايلات . وقد قتل طفلان وجرح ٢٧ طفلاً . وللرد على هذا العمل وغيره قام الجيش الاسرائيلي بعمليتين هجوميتين على قواعد المخربين داخل الضفة الشرقية للنهر ، الاولى في الكرامة شرقي النهر ، والثانية في زافي جنوب البحر الميت .

وتحولت معركة الكرامة الى غير ما توقعنا ، إذ أن قواتنا - وخاصة المدرعة منها - لم تلتزم بالبقاء في الكرامة بل ارتقت الجبال ، وهناك اشتبكت مع الدبابات الاردنية . واستمرت المعركة طوال اليوم حتى حلول الظلام . وكانت خسائرنا فيها ٢٩ قتيلاً ، وما يزيد عن ٩٠ جريحاً ، وتركنا في ميدان المعركة أربع دبابات محطمة وأربع سيارات مدرعة . أما خسائر الاردنيين والمخربين الفلسطينيين فقد كانت ٢٣٢ قتيلاً و ٣٠ دبابة وأستسلم ١٣٢ مخرباً ، أخذوا أسرى . ولم تتمكن قوات المظليين من النزول في الوقت المناسب على التلال المحيطة بالكرامة ، بسبب الضباب واستطاع المخربون الهرب ، ومن بينهم ياسر عرفات الذي هرب مع مجموعة من رجاله الى عمان بسيارة .

ولم أستطع مراقبة عملية الكرامة عن كثب لأنني كنت في المستشفى لاعلاج من أصابات حدثت لي في اليوم السابق نتيجة حادث . فبينما كنت أقوم بفحص بعض الحفريات في منطقة أزور قرب تل أبيب ، إذ بي

عجد نفسى 'نحت الرمال والأحجار نتيجة أنهار نرايى . وكانت تلك هى المرة الثانية التى ظننت فيها أن حياتى أنتهت . وكانت المرة الأولى أثناء الحادث الذى وقع لى فى سوريا عام ١٩٤١ . وفقدت فيه عينى . وكنت قد أشتركت يوم ١٩ مارس (آذار) فى القيادة العامة فى وضع خطة الكرامة التى كان المفروض أن تنفذ بعد ٣٦ ساعة وانتهزت الفرصة لأذهب الى أزور للقيام ببعض الحفريات ووقع لى الحادث .

وكان يشاركنى فى الحفريات صديقى منذ الصغر أرييه روبرج . ولدى أصيب مثلى بمرض الآثار ، وأصبح يمرور الوقت خيرا بكل الآثار الموجودة فى أزور . وكان يصل بى عندما يجد شيئا يظن أنه يمينى . وكانت أزور مدينة معروفة فى القرن الثامن قبل الميلاد ، بنى فيها الاشوريون مدينتهم بعد ألفى سنة . وقد عثرت أنا شخصيا فى آخر حفرياتى على بعض الآثار التى يرجع تاريخها الى خمسة آلاف عام . وأخبرنى أرييه هذا المساء أن بعض البلدوزرات ستعمل فى الصباح ، وقد تعسر على شئ جديد . وعندما صعدت على تل من الرمال ، معد للنقل شأهت بعض الآثار تظهر من بين الرمال ، وعرفت بالفحص أنها بعض أجزاء من الاوعية التى كانت تستخدم فى العصر البرونزى (٣١٥٠ - ٢٢٠٠ ق م) . وكانوا فى هذا العصر لا يستخدمون هذا النوع من الاوعية التى كانت تصنع باليد .

وفمت بالحفر بيدي بحثا عن الكهف فوجدته وبدا لي بنصفى فى الحفرة التى حفرتها ، فوجدت نفسى فى كهف كان يقطنه أناس منذ آلاف من خمسة آلاف عام . ولم أعثر على شئ . وفجأة انهارت الرمال موسى ، وأيقنت أن نهايتى حلت فلم أكن قادرا على التنفس أو الحركة . وكان أرييه خلفى ولم يصب ، فاستنجد بالناس ، فأسرع نسفقتان بالمكان ورشة ، وأستطاعا اخراجى بعد أن حفرا حولى . وكنت قد شعرت بأن الموت يدنو منى ، ولكننى عندما أحسست بالهواء الرطب ووجدت نفسى ممددا على الأرض ، شعرت بأفنى قد بعثت من جديد .

ونقلت بسرعة الى مستشفى تل هاشمور ، خارج تل أبيب ، واعيا ولكننى لا أستطيع الكلام . وبعد الفحص قرر الأطباء أننى قد أصبت فى عامودى الفقرى وانقطع أحد الاحبال الصوتية . وتم وضعى داخل شبيص من الجبس وأتوا لى بطبيب أخصائى فى العنجرة . وكان أول سؤال لى عندما شعرت بالتحسن هو متى أستطيع الخروج . ولم يكن ذلك مستطاعا قبل ٢٥ يوما أى فى يوم ١٤ ابريل . وقد خرجت فعلا فى ذلك اليوم وتوجهت الى مكتبى . وتذكرت أثناء وجودى بالمستشفى ذلك

المنوف المسماة ، عندما فقدت عيني وطننت أنني لن أقابل بعدها .
ولكنني في هذه المرة قررت أن أعود الى عملي مباشرة بعد الخروج وكان
سيئا لم يحدث .

وظل جسمي لعدة شهور ملفوفا بالبلاستر ، لكي تعود عظام الظهر
الى مكانها الصحيح ، ولكنني كنت قادرا ، بمساعدة كرسى خاص ، على
الحركة والعمل . وتم تدريبى على الحديث مسنملا حبلا صوتيا واحدا
لكى أعوض الجبل الذى انقطع . ومازلت حتى الآن أشعر بالارهاق كلما
تحدثت لفترة طويلة . وكنت قد طلبت من رئيس الاركان أن يحل
مجلي ، كما لو كنت غائبا ، وأن يتلقى التعليمات من رئيس الوزراء ،
وقد أخبرت رئيس الوزراء بذلك عندما حضر لزيارتي .

وكان من بين الزوار عمد وجهاء مدن الضفة الغربية ، وقد تأثرت
جدا بزيارة محافظ فليقلية الذى أحضر معه بعض البرتقال الطازج .
وكانت العلاقة بينى وبينه قد نمت منذ أن شاهدته في المرة الاولى
ووعده باعادة بناء المدينة ، وشاركنا سويا في هذا الامر ولم تعد علاقة
عمدة تحت الاحتلال بوزير دفاع ، بل أصبحت علاقة أصدقاء يشتركون
في عمل واحد هو رعاية الناس وكانت راحيل تأتي لزيارتي بعد أطفاء
الانوار وانصراف كل الزوار . وكنت أؤكد لها دائما أنني سأسترد
لياقتي . غير أن هذا التأكيد كانت تنفيه الاربطة التى تلف وجهي
والجبس حول جسمي .

وكان أبني أودى (ايجود) أكثر الناس حرقة لانه صحبني من
المستشفى الى المنزل ، وشعر بضعفى عندما نزلت من السيارة وأستندت
عليه كالكسيح أو المشلول . وعندما حضر بن جوريون لرؤيتي صدم هو
الآخر ، وخاصة ازاء اللون الازرق الذى يكسو جسدى . ولم أستطع
ابدا أن أصرف ذهني عن الالم والعذاب اللذين أحس بهما في ظهري .
وأنذرني الطبيب بأنني ان لم أتوقف عن تعاطي الحبوب المهدئة فأنني
سأدمنها وسألته متى تظن أنني يجب أن أتوقف عنها . أجاب : بأسرع
ما يمكن ، فجمعت كل ما لدى من مهدئات وسلمته له . وعندما شعرت
بقدرتي على الحركة توجهت الى أزور لبحث عن الآثار التى كنت أريدها ،
وشاهدتني امرأة فصاحت قائلة لصديقها أنظر موسى ديان يبحث عن
نفسه مرة أخرى تحت الارض .

واستمرت عمليات التخريب والاصطدامات عبر الحدود وتسببت
في جعل الحياة غير محتملة لسكان الوادي شرق نهر الاردن ، وخاصة

بعد أن دمرت حقولهم ومنازلهم وأخيرا اضطروا الى الرحيل وترك أرضهم وهكذا أصبح العرب الابرياء ضحايا مباشرين للارهاب العربى . أما فى الضفة الغربية ، فقد كان المزارعون اليهود يعملون فى حقولهم ومستعمراتهم ، وكيفوا أمورهم مع حالة الحرب فبنوا المخابى والطرق الداخلية وقاموا بالحراسة المشددة ووضعوا أنوارا كاشفة وأسوارا حول المستعمرات . ولم يهجر السكان قرية واحدة ولم يخلوا هتكترا واحدا من الارض .

وذات يوم أثناء زيارتى لبيت شيعان لمراجعة خطة الامن مع ممثل المنطقة ، وضعت المبادئ الاربعة الرئيسية تحكم هجومنا المضاد للمخربين الذين يتسللون من الاردن :

● أن مخربى فصح لا يستطيعون الاحتماء بإيقاف النار من ناحيتنا ، فهذا جزء من مسئولية الاردن واذا استمروا فى عملياتهم سنشن الحرب عليهم .

● تحركنا لن يأخذ شكل العقاب ، بل سيأخذ حملة عسكرية كاملة بكل معانيها .

وخلال اطار العمل هذا - وكان ذلك هو الهدف الرئيسى من الاجتماع - فنتحول كل قرانا على الحدود الى وحدات مقاتلة نستطيع الدفاع عن نفسها ، ويعتبر جزءا من نظام الامن ، مع اسنمرارها فى العمل العادى .

وأثناء الحديث قال أحد أعضاء المستعمرة أنه لن يكون هناك محصول فى احدى المناطق التى تتعرض للقصف المستمر . فقلت له أن العمل يجب أن يسمر ، وأن يكون هناك محصول فى كل المناطق .

وقلت له أيضا : أننى سوف أطلب متطوعين للحضور والاشراك فى زراعة الارض وحمايتها ، وتم ذلك بالفعل .

ثم قررت أن أنضم الى عملية كمين على الحدود مع كتيبة المظلات التى يقودها دان سامرو . وكانت هذه الكتيبة هى خليفة الكتيبة ٨٩ التى أنشأتها منذ عشرين عاما . ولبست خوذة وأمسكت بمدفع رشاش عوزى وقلت لهم اننى جئت لاشاهد عملياتهم وقدرات الرجال الجدد الذين انضموا الى الجيش بعد حرب الايام الستة . وبدأنا العملية

ووصلنا الى طرف منطقة الكمين بعد أن قطعنا المسافة من المعسكر سيرا على الاقدام وانتشرنا فى مجموعات صغيرة . وانضمت أنا وماتى مساعدى ، لمجموعة من أربعة رجال بقيادة عريف ورقدت فى حفرة ، وكان مسنوى نظرى على حافة الحفرة . وفى لحظات حل الظلام . وبعد ربع ساعة سمعنا أصوات أقدام تقترب منا وبعد دقائق ميزنا شباح أربعة أشخاص ، وعندما أصبحوا على مسافة ٥٠ ياردة فتحت مجموعتنا النيران ، ثم انطلقوا الى الوادى الذى اختفوا فيه ، فى ممر يصل نهر الاردن بجبال الضفة الغربية . وعثرنا على جثث ثلاثة شباح وهرب الباقون . ولم يحدث شئ يذكر بقية الليلة ، وعند الفجر شكرت الرجال وعدت الى القدس .

وخلال عام ١٩٦٨ وبداية عام ١٩٦٩ استمر العمل التخريبى وكان علينا أن نقوى دفاعنا على الحدود وأساليب هجومنا المضاد ، ومع دعم خط الدفاع على الحدود بنقط قوية ، وخاصة عند الممرات التى يستخدمها المخربون فى عبور نهر الاردن الى الضفة الغربية . وعندما كانت تحدث عمليات تسلسل من تلك الممرات ، كانت المطاردة تبدأ فوراً على الاقدام وبالهلوكوبتر . دفعنا ثمننا غالياً من أجل تأمين سلامة البلاد . وتم اختبار مجموعة لقيادة عمليات الهجوم المضاد والمطاردة من بين أحسن ضباطنا فكانوا أول من يتعرض للنيران . وفى إحدى العمليات قتل اثنان من ضباطنا الكولونيل أريك ريجيف قائد لواء المظلات فى القطاع ، وكابتن جاد مانيلا ضابط عملياته وكنت أقدر ريجيف كواحد من خيرة ضباط الجيش الاسرائيلى ، وعندما زرت أرملته ذكرتني بالمناقشة التى دارت بينى وبينه بعد فتح القدس ، كما رواها لها ، اذ قال أنه يرجو الغاء قرارى الخاص بنزع علامات الحدود فى القدس لتوحيد الجزئين ، ولكننى قلت له (أيها الشاب ليس مهماً ما قلته ، ولكن المهم أن لديك الشجاعة لقوله) .

وخلال العشرين سنة منذ انشاء دولة اسرائيل ، لم تتوقف الحرب فترة : حرب الاستقلال - عمليات الرد - حملة سيناء - حوادث الحدود - حرب الايام الستة - والآن الحملة ضد المخربين ، حرباً بعد حرب ، ومعركة بعد معركة . ولكننا كنا دائماً قادرين على الصمود من أجل تحقيق أهدافنا ، بفضل رجال مثل ريجيف .

وأنتهى الهجوم التخريبى الذى استمر ثلاثة أعوام ضد اسرائيل من الحدود الاردنية . فبفضل الاعمال التى كانت تقوم بها اسرائيل ضدّهم ، وبفضل سلوك المخربين داخل الاردن ، اضطر الملك حسين

لاتخاذ موقفه من المخربين . وفى فبراير (شباط) ١٩٧٠ أصدرت الحكومة الاردنية اجراءات لتفيع حركتهم داخل الاردن . ولكن القرار انتهى قبل أن يبدأ تنفيذه بضغط من مصر والعراق اللتين كانتا تؤيدان حرية الحركة لهم حتى يستطيعوا القيام بعمليات التخريب . وفى ٢٦ يوليو (تموز) قبل الملك حسين مشروع روجرز الخاص بالسلام . وحاول المخربون نفس هذا القرار بتكثيف عملياتهم داخل اسرائيل من الحدود الاردنية ، واضعين فى حسابهم ما سيترتب عليها من أضرار للاردن . وأصبحت حكومة الملك حسين فى وضغ تحتّم فيه عليها أن تحدد الجهة التى تحكم البلاد .

وبدأ الصدام وشيكاً بين الملك حسين وبين ياسر عرفات وجورج حبش ، زعيمى الارهابيين . وجاء الانفجار فى سبتمبر (ايلول) .

سبتمبر أيلول الأسود

٢٥

في أوائل سبتمبر « أيلول » ١٩٧٠ حاول الإرهابيون اغتيال الملك حسين ، وتبع ذلك صدام من الجيش الاردنى . وفي ٦ سبتمبر «أيلول» قاموا بخطف ٤ طائرات مدنية من أوروبا ، وفشلت محاولة لخطف طائرة اسرائيلية ، حيث استطاع طاقمها التغلب على الارهابيين بجرح أحد المختطفين ، والقبض على زميلته ليلى خالد وتسليمها للبوليس الانجليزى ونجح الارهابيون فى الاستيلاء على الطائرات الثلاث الأخرى وتبضع شركة بان أمريكان والخطوط الجوية العالمية وسويس إير . . وأجبرت طائرة البان أمريكان الجامبو على الهبوط فى مطار القاهرة حيث نسفها الارهابيون بعد اخلائها من الركاب . وأجبرت الطائرتان الاخرتان على الهبوط فى الاردن فى منطقة قريبة من الزرقا واحتفظ بالركاب كرهائن داخل الطائرات •

وأعلنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسئوليتها عن الحادث ثم أعلنت بعد ذلك عن عدة طلبات من حكومات سويسرا والمانيا الغربية وبريطانيا والولايات المتحدة واسرائيل ، وذلك حتى يمكن اطلاق سراح الركاب وهددت بأنه مالم تجب تلك الطلبات ، أو اذا حاول الجيش الاردنى التدخل للسيطرة على الطائرات ، فإنهم سينسفونها بركابها وحى يؤكدوا نهم نهم وضعوا شحنات الديناميت حول الطائرتين ، وطلب الارهابيون من سويسرا الافراج عن ثلاثة من زملائهم حكم عليهم

بالسجن ١٢ عاما بعد هجومهم على إحدى طائرات العال في مطار زيورخ - في فبراير « شباط » ١٩٦٩ . وطلبوا من ألمانيا الغربية الافراج عن ثلاثة آخرين كانوا قد هاجموا ركاب طائرة العال في مطار ميونخ . وطلبوا من بريطانيا الافراج عن ليلي خالد ، ومن الولايات المتحدة الافراج عن سرحان بتساره سرحان المتهم بقتل روبرت كيندى . وطلبوا من اسرائيل الافراج عن قائمة طويلة من المسجونين . وفي اليوم الثالث أضيفت طائرة جديدة الى الطائرتين المحتجزتين في الزرقا ، وكانت طائرة الخطوط الجوية البريطانية التي خطفت أثناء رحلتها من البحرين الى لندن . وقال منحدث باسم الجبهة الشعبية أن هذا العمل تم من أجل الاسراع بالافراج عن للى خالد .

وكانت حكومات سويسرا وألمانيا الغربية وبريطانيا قد قررت الاسنجابة لمطالب الارهابيين ، غير أنهم بعد مقابلة مع روجرز وزير الخارجية الامريكى ، فرروا عدم القيام بتصرف منفرد وأعلنوا أنهم لن يستجيبوا لمطالب الارهابيين قبل الافراج عن ركاب الطائرات بما فيهم الاسرائيليون واليهود .

واجتمع مجلس الامن في جلسة عاجلة وطلب الارهابيين بالاجماع بالافراج عن الركاب وأطقم الطائرات ، وحاول قائد الجسس الاردنى اقناع الارهابيين بالافراج عن النساء والاطفال والشيوخ ومواطنى الهند وباكستان ولكنهم اشترطوا ابقاء الاطفال والنساء اليهود وحاولت حكومه العراق ايضا اقناعهم بالافراج عن الركاب والطائرات دون جدوى وبعد ستة أيام طلب الارهابيون من الركاب مناداة الطائرات تم نسفوها يوم ١٢ سبتمبر « ايلول » في الساعة الثالثة بعد الظهر . وسمح لـ ٢٨٠ راكبا وأطقم الطائرات بالذهاب الى عمان . ولكن الارهابيين احتفظوا بأربعين راكبا « كأسرى حرب » ونقلوهم الى احد معسكرات اللاجئين . وأفرج عنهم بعد ذلك عندما احتلت إحدى وحدات الجيش الاردنى المعسكر .

باحضار الطائرات المختطفة الى الاردن ، وتحدى السلطات الاردنية ، وصلت المسألة بين الارهابيين والجيش الاردنى الى صدام مباشر ، وانفجر القتال في منطقة عمان . ورغم الهدنة المتكررة التى أعلنها الطرفان ، فقد استمرت المعارك . وفامت بعض وحدات الجيش بالهجوم على قواعد الارهابيين على الحدود السورية ، رغم أن ذلك كان ضد أوامر رئيس الاركان الاردنى . وتزايدت الاصطدامات لتصبح معارك عنيفة تغطى كل أنحاء المملكة . ونسكا الارهابيون من أن الدبابات الاردنية هاجمت قواعدهم في شمال وادى الاردن وطلب زعمائهم الملك حسين بغير الوزارة ورئيس الوزراء زيد الرفاعى الذى كان مشهورا بمعاداته للفلسطينيين .

وفي محاولة من الملك حسين لانتقاذ عرشه ومملكته ، اقال الحكومة المدنية وشكل وزارة طوارئ عسكرية من اثنى عشر جنرالا برئاسة

محمد داود الذي كان أسيرا في حرب ٦٧ م أفرج عنه .. تم انفجرت الحرب الاهلية ، وفي عمان وضواحيها قتل الارهابيون الذين لم يستطيعوا الهرب وتم القبض على الآخرين وأرسلت الحكومات العربية رجاء عاجلا للملك حسين لابقاف هذه العمليات ضد الارهابيين ولتكنة تمسك بموقفه بحزم ، ودفع السوريون ببعض فوائهم لمساعدة الارهابيين ، عبرت الحدود في ١٨ سبتمبر « أيلول » واحتلت نقطة للبوليس وفي اليوم التالي دخلت وحدات اضافية من الدبابات السورية ، ومعها أيضا وحدات عرافة وبدأت تقدمها نحو العاصمة عمان ، طلب الملك حسين المساعدة من الولايات المتحدة ، فوافقت واشنطن ووضع العرفة الجوية الثانية والنمانيين على أهبة الاستعداد وأرسلت في الوقت نفسه نفسه انذارا الى سوريا . وتحركت وحدة اسرائيلية مدرعة نحو الحدود الشمالية الماخمة لمنطقة المعركة . واكتشف السوريون هذا التحرك ، وكان ذلك مقصودا .

وهاجم الجيش الاردني قوات الغزو السوري وأحدث بها خسائر فادحة . مما اضطرها الى الانسحاب الى سوريا . وسافر رئيس الاركان المصري الى الاردن ، وعرض على حسين وعرفات طلبا من حكام مصر ولبنيا والسودان لايفاف اطلاق النار . وعندما بدا واضحا لحسين انه اصبح صاحب البد العليا ، قبل دعوه عبد الناصر وطار الى القاهرة يوم ٢٧ سبتمبر ، وقابل ياسر عرفات ونوصل معه الى اتفاق ، على الاقل على الورق وفي اليوم التالي ٢٨ سبتمبر (أيلول) توفي عبد الناصر على أثر أزمة قلبية .

ولم تنوقف الاصطدامات بين الارهابيين والجيش الاردني . ففي بداية يناير « كانون الثاني » ١٩٧١ ، اقتحمت بعض وحدات الجيش مخيم اللاجئين الفلسطينيين بالقرب من عمان وطردت الارهابيين وطاردتهم وفي نفس الوقت ظهرت وحدات أخرى قواعد الارهابيين في جرش والسلط . وفي ٦ ابريل (نيسان) وجه الملك حسين تحذيرا الى قادة الارهابيين مطالبا اياهم فيه بتسليم أسلحتهم . وبعد يومين بدأ الجيش في مطارده الارهابيين والبحث عنهم حول جرش وعجلون مدعما بوحدات الدبابات والمدفعية . وبعد معركة دامت ثلاثة ايام لم يبق ارهابي واحد في الاردن ، وهرب أولئك الذين لم يقتلوا ولم يؤسروا ، ومنهم مجموعة تقدر بحوالي مائة شخص عبروا الى اسرائيل وسلموا انفسهم بأسلحتهم .

وهكذا انتهى الصراع بين الملك حسين والارهابيين ، وانتهى نشاطهم في الاردن ، وتوقف بالنسبة لنا . ولكن الارهابيين استمروا يعدون العدة لاغتتيال رئيس الوزراء الجديد وصفي التل ، الذي اغتيل في القاهرة بمساعدة المصريين . وكان وصفي التل قد وصل الى القاهرة لحضور اجتماعات مجلس الدفاع العربي في ٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧١ . وقتل في اليوم التالي عند مدخل فندق

شيراتون الذي يقيم فيه وقبض على القتلة ، الذين أفرج عنهم بعد قليل .

وبتصفية منظمات الارهابيين داخل الاردن ، بدأت الحياة تعود الى طبيعتها . وعاد السكان الهاربون من وادي الاردن الى ارضهم ثانية . وساعدتهم الحكومة الاردنية في اعادة بناء مساكنهم ، كما احضرت لهم معدات لرفع المياه من نهر اليرموك . وكان لخروج المخربين من الاردن اثره الضخم على المزارعين عندنا ، الذين استعادوا حياتهم الطبيعية في الحقول وخاصة في وادي الاردن وبيت شيعان وتحسنت العلاقات بين اسرائيل والاردن ، وكان ممكناً أن تضع كل انجازات التفاهيش التي تحققت منذ حرب الايام الستة لو لم تقع أحداث سبتمبر (أيلول) الاسود .

واستمر النشاط الارهابي بقدر طفيف . فبدأت منظمات الارهابيين العمل من مخيمات اللاجئين في لبنان التي أصبحت تعرف باسم أرض فتح ، ولكنهم كانوا يلقون عوناً ضئيلاً للغاية من العرب المقيمين في الاراضي المحتلة . وكان نظام العقاب والثواب قد وصل الى نتائج جيدة ، فمن يمتنع عن التعاون مع الارهابيين ، يحق له التمتع بالميزات المتاحة والتي لم يسبق أن تمتعوا بها تحت أي حكم سابق ، أما القلة التي كانت تشترك مع الارهابيين في عملياتهم ، فكانوا يقتلون أو يقبض عليهم .

وكانت الاردن هي الدولة الوحيدة ، من بين الدول التي خاضت ضدنا حرب الايام الستة ، التي ترى انه يمكن حل المشاكل بينها وبين اسرائيل بطرق هادئة فيما يتعلق بالامور اليومية المادية ، ولكن ليس فيما يتعلق بقضية السلام الدائم . فقد أصرت الاردن على عودة كل الاراضي التي فقدتها خلال حرب الايام الستة . كما كانت على استعداد لعقد اتفاقية خاصة بالقدس واعتبارها مدينة مفتوحة يسمح فيها بحرية التنقل مع عودة الجزء الشرقي اليها .

ووافقت الاردن على نزع سلاح الضفة الغربية ، مع عدم أحداث تغييرات رئيسية في الحدود . أما بالنسبة للمستعمرات التي أنشئت بالضفة الغربية ووادي الاردن بعد حرب الايام الستة فقد طلبت الاردن اخلاءها ، وقد كانت هذه الاتصالات مفيدة لكل من اسرائيل والاردن ، لذا عرفنا مواقف كل منهما ، وأدى هذا الى تجنب الكثير من سوء التفاهم الذي قد يظهر في المواقف الحساسة مثلما حدث في حرب يوم كيور الاخيرة ، اذ اننا لم نفاجأ عندما ارسل الاردنيون بعض وحداتهم لمساعدة السوريين .

والرجل الذي يقود الاردن الآن هو الملك حسين مثل جده عبد الله ، لديه الكثير من الشجاعة . فهو يستطيع أن يتحرك وسط الجماهير ، أو

أن يزور وحدات الجيش بدون حراسة وبدون خوف على حياته • ولا شك أنه يعرف تأثيره المحدود في العالم العربي ، وإن ما يريد أن يتبعه من انجاهات قد يكون غير مقبول لدى الرأي في العالم العربي • غير أنه عندما يتحدث عن نسوية المشكلة ينجاهل حقيقة أنه أنكر حق اليهود في العبادة عند حائط المبكى لمدة عشرين عاماً ، وأنه انضم سنة ١٩٦٧ الى عبد الناصر في حربه ضدنا رغم أنه لم يطلب منه ذلك ، ورغم أن رئيس الوزراء أشكول حذره من ذلك ، فهو لا يستطيع أن ينجاهل أن بعض وحدات جيشه اشتركت مع المخربين في عملياتهم ضد إسرائيل •

ولكن حسين - رغم هذه الحقائق - ما زال يعتقد أن إسرائيل يمكن أن تعود الى حدود ما قبل ١٩٦٧ ، وأن تفتح فصلاً جديداً في علاقاتها مع الاردن • وقد أعلن أن المواقف التي اتخذها ضد إسرائيل في السابق هي « أخطاء » لن تتكرر ، وأن العالم العربي سيسلك سلوكاً مختلفاً مع إسرائيل يتميز بالمحبة والوئام اذا عادت اسرائيل لحدودها القديمة ، وأن المنطقة سيسودها السلام والاستقرار • ولكنه أنكر حقوق اسرائيل ، وأدعى أنها فشلت في استيعاب حقيقة أن عصراً جديداً قد يظهر في الشرق الاوسط ، وأنها ستنفق فرصتها التاريخية برفضها الانسحاب الى حدود ١٩٤٨ • ولا أعرف ما اذا كان الوزراء الذين يحيطون به كرئيس وزرائه زيد الرفاعي ينظرون للامور بنفس المنظار الوردى • ولعل حسين يعتقد اعتقاداً مخلصاً فيما أعانه •

٢٦ وزير الدفاع أثناء العمل

لم تكن هناك حجرة خاصة لوزير الدفاع في الوزارة ، لان سلفي
اشكول كان يمارس عمله كوزير للدفاع من مكتبه في رئاسة الوزارة .
وأخذت مكتب موشى كاشتي ، مدير عام الوزارة ، وكانت غرفة
منسعة فقامت بتقسيمها الى حجرتين احدهما لي والآخرى
للإجتماعات وغيرت الديكور فاستبدلت البار بمكتبة ، وأصبحت
أقدم لزوارى الشاي والفاكهة . واستبدلت الصور المعلقة فوق
مكتبي بصور لاربعة أماكن تمثل تاريخ اسرائيل القديم منها صورة
خاصة للقدس التقطت من الجو .

ومع ان العمل في وزارة الدفاع كان بعيدا عن الروتين ، فقد كانت
هناك مواعيد محددة ، مثل اجتماع مجلس الوزراء صباح كل أحد
 واجتماع رئاسة الاركان يوم الاثنين ، وهناك جزء من يوم الخميس
 للنقاش في حزب العمل ، وفي يوم الجمعة أقابل رئيس الاركان وكبار
 الضباط في الوزارة . أما بقية الايام فأقوم فيها بالتفتيش على
 وحدات الجيش ، وإدارة الاراضى المحتلة حيث أتحدث مع المواطنين
 العرب ، علاوة على حضوري جلسات الكنيست للإجابة على الاسئلة
 الخاصة بأمور الدفاع ، ومع مفاوضات رئيس الوزراء في حالة الضرورة
 .. وكنت أذهب الى مكتبي في الساعة ٧.٣٠ صباحا وأغادره في
 وقت متأخر في المساء .. ولم آخذ أجازة قط . وقد عودت نفسى على

النوم « أو على الأقل الاغفاء في سيارة أو هليكوبتر في خلال رحلاتي، المنصلة ، وكتب دائما احتفظ ببطانية ووسادة » .

وكان الباب بين مكتبي وغرفة السكرتارية مفتوحا دائما . وكان في اسنطاعة زفي سور مساعدى ، أو رئيس أركانى ، أو مدير عام الوراى ، الدخول مباشرة الى حجرتى لإيضاح نقطة خاصة بقرار أو احضار معلومات سريعة وعاجلة . وأعترف أننى قليل الصبر ، أهتم بالاحاديث القصيره . وفي جولاتى للوحدات لم أكن أقدر على اجراء حوار مرح مع الجنود ، وانما كنت أدير حوارا عبر ساعات معهم عن أحوالهم وأرائهم وأفكارهم . وكان هذا السلوك يشجع الرجال دائما على الحرية والصراحة فى الحديث . وكانت زيارتى لوحدات الجيش بدون احتفالات رسمية وبدون تحية من حرس الشرف وعندما أصدرت أوامرى بإلغاء هذاالاسلوب ، قيل لى أن ذلك خطر على النظام فى الجيش، ولا بد من تحية حرس الشرف للقادة الكبار فى الجيش ، وعلى أى حال فقد طبقت هذا الامر على نفسى فقط . ورغم أننى لم أكن حريصا على أن تكون ملابسي مكوبة ، فاننى كنت أهتم دائما بالذقن حلقة والحذاء لامعا . وقد تعلمت نلميع الحذاء اثناء عملى فى الشرطة الانجليزية منذ ٤٠ عاما . واعتقد أن اهتمامى بتلميع الحذاء يعود الى رغبتى فى أن اخلو لنفسى عده دقائق .. وهو أمر صعب فى مركزى .

وتنقسم وزاره الدفاع الى ثلاثة أفرع ، خدمات الجيش ، والمعدات ، وإداره الاراضى المختلفه . ورئيس الاركان هو القمة فى هذا التقسيم ، وتعيينه الحكومة . **بناء على توصية وزير الدفاع** . ولم يحدث أى خلاف من قبل لان وزارة الدفاع كانت دائما مقترنة برئاسة الوزارة . وعندما أصبحت وزيرا للدفاع بات واضحا لى أننى لن استطيع اقتراح اسم شخص لا يقبله رئيس الوزراء ومعظم الوزراء . ولذا فانه عندما أنتهت مدة حابم بارليف ، اضطرت لقبول قرار رئيس الوزراء **بالرغم من أننى كنت قد اقترحت اسما آخر** . وبالنسبة لقطاع امدادات الجيش والتنظيم . فقد كنت أصعب القرارات وأترك تنفيذها لتسور ، الذى انجز أعماله بكفاءة بعد أن منحه كل الساطات اللازمة فيما عدا المسئولية البرلمانية .

وخلال فترة السبعينات الست من ١٩٦٧ الى ١٩٧٣ قررنا تغيير نظام تسليح الجيش بعد الحظر الفعلى على توريد السلاح الينا من الدول الغربية كالتسائرات ومختلف الاسلحة . وقد بذلنا جهود ضخمة لانتاء صناعة الاسلحة . وحتى عام ١٩٧٣ كانت كل الاسلحة القيمة الجديدة قد وضعت فى خدمة القتال . وشمل التصنيع المحلى للسلاح الطائرة الهجومية « كافر » ، والمدافع المتوسطة ، والبنادق بعبد المدى ، وصواريخ شافير جو / جو ، وصواريخ جو / أرض ، وصواريخ الزوارق رشيف ، وصواريخ جبريل بحر/ بحر ، بالاضافة الى أنماط كثيرة من أجهزة التحكم والسيطرة . ولم أكن أعتقد أن اسرائيل تستطيع الاستغناء عن استيراد

السلح ، لكنها على الأقل قادرة على افتتاح بعض الاسلحة وبوفر احتياجانها منها . وكانت الاحتياجات لنفقات التسليح وتصنيعه تتطلب ميزانية ضخمة للدفاع . وارتفعت الميزانية تدريجيا الى أن وصلت ضعف ما كانت عليه ١٩٦٧ . وقد ريدت النسبة المخصصة في الميزانية للطيران والمدروعات على حساب المشاة . ففي ميزانية ٧٣ - ٧٤ ، التي ووفق عليها قبل حرب يوم كيبور ، كانت النسبة المخصصة للطيران ٥٠٪ وللمدروعات ٣٠٪ . وتم اتفاق الكثير في بناء الطرق والاستحكامات الامامية في الجولان وسيناء ووادي الاردن . واذا كان خط بارليف وخط الدفاع الثاني قد فشلا في الصمود في حرب يوم كيبور ، فان ذلك يرجع الى اسلوب الرجال وليس الى قوة الخط نفسه . ولعل الخطأ الذي حدث في هذه الحرب يرجع الى النظام الذي كان يجب أن يحكم تلك الاستحكامات مع قواعدنا المتقدمة في سيناء ، وان تبقى متمسكين بهذه التحصينات ما دامت قادرة على اداء وظيفتها ، فاذا تغيرت الاحوال اخلبناها .

ولم يكن عمل وزارة الدفاع فقط هو الذي يستغرق وقتي ، بل كان هناك أيضا العمل السياسي . ففي ١٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٧ قرر حزب رافي أن نتحالف وندخل في وحدة مع حزب الماباي وحزب احدث هاعفودا ، لنشكل حزب العمل ، وقد ووفق على القرار بالاغلبية ، رغم معارضة بن جوريون وهجومه على نظام الماباي الفاسد . وكنت أعنفد أنه حتى لو بقي حزب رافي مستقلا فان بن جوريون لابد وان يعتزل العمل السياسي . وبعد ستة أسابيع انضم تسعة من الاعضاء العشرة في حزب رافي الى حزب العمل ، وبقي بن جوريون - العضو العاشر - وحيدا في الكنيست .

وكان بن جوريون صاحب تأثير ضخم بسبب قوة شخصيته ، وكان الناس دائما يشعرون بأن القرارات التي يتخذها نابعة منهم . ومن هنا كانت قوة بن جوريون ، اذ أن ما يفعله أو يقرره كان يلقي قبول الشعب فوراً لانهم كانوا ينقون فيه .

وتذكرت منذ سنوات تلك الخطبة التي عدد فيها الاشخاص الستة الذين يعتبرهم أكبر من ساهم في تنفيذ الفكرة الصهيونية ومبادئها . وكان الاعتراف أنه سيذكر هرتزل ووايزمان ، ولكنه بدلا من ذلك ذكر قائمة من ثلاثة من اليهود الفرنسيين وثلاثة من اليهود الاسرائيلين . وكان الثلاثة الفرنسيون هم أدولف كريمبيه الذي ألفى الرقيق في المستعمرات الفرنسية وخلص يهود الجزائر من عبوديتهم وأنقذ أيضا يهود دمشق من عمليات العنف التي كانت تمارس ضدهم خلال الفترة الدموية في دمشق عام ١٨٤٠ . والثاني هو شارلز نيتر الذي أنشأ أول مدرسة زراعية يهودية في فلسطين عام ١٨٧٠ ، والثالث آدموند دي روتشيلد الذي رصد الاستثمارات لانتشاء أول

حسبتمرة زراعية في فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . أما اثنتاثة الآخرون من يهود فلسطين . فهم جوشوا ستامبر وهو من أصل مجرى ، ودافيد مائير جوتمان وموسى سولومون من مواليد القدس ، وقد انشأوا في عام ١٨٧٨ أول قرية يهودية في فلسطين وهي بتاح تيكفا .

ولا شك أن بن جوريون كان شبيها بهؤلاء الستة ، فهو ممن قروا الفكرة بالعمل على تحقيقها ، ولا أظن أن هرتزل أو وايزمان يتساويان مع بن جوريون ، فقد كان هو قادراً على ربط بين الرؤيا وبين وضعها موضع التنفيذ .

وكان بن جوريون يصر دائماً على أن يتولى مسئولية الدفاع ، وكان يردد دائماً أننا نستطيع أن نهزم العرب مرة مرة دون أن نحل مشاكلنا ، ولكنهم لو هزمونا مرة واحدة لكان في ذلك نهايتنا . وكانت فكرتا الامن والدفاع تسيطران على كل تفكيره ، ولذا احتفظ دائماً بوزارة الدفاع ايماناً منه بأهمية اصدار الأمر النهائي بشأنها . وكان يمجت الخطب والكلمات ، مؤمناً بأن الله فقط هو الذى يخلق بكلمة .

وقابلت بن جوريون لآخر مرة في فندق الملك داوود بالقدس ، ودخل معى فى مناقشة حول أمور الدفاع وقال لى أن ما يهمنى الآن فى مجال الدفاع أن نحصل على أحسن المهاجرين نوعية لا عدداً ، وخاصة المهاجرين من الدول الغربية . ورغم بعده عن الميدان ، فقد كان حديثه حول أهم أمور الدفاع — بالرجال — لا بالسلاح . . كان يتحدث بطريقة بن جوريون التى تتميز ببعده النظر .

وفى يوم ٢٦ فبراير (شباط) ١٩٦٩ مات ليفى أشكول ، ورشح حزب العمل جولدا مائير خلفاً له ، ووافق الكنيست . بناء على طلبها ، بقيت وزيراً للدفاع . وقد سبق لى أن عملت مع جولدا مائير عندما كنت وزيراً للزراعة وهى وزيرة للخارجية ، اذ كنا نتعاون فى مسألة الخبراء الذين يذهبون لأفريقيا وآسيا وبرامج المعونة الخارجية . وقد امتنعت عن التصويت عند ترشيحها ، لاننى لم أكن أعتقد أنها ستضيف آفاقاً جديدة لزعامة الحزب ، غير أن ذلك لم يؤثر فى علاقاتنا . وكنا نهتم بالحاضر والمستقبل ، وكانت مناقشاتنا تنتهى دائماً بقرار واضح . والمهم أنها لم تكن محاطة بسكرتارية صحفية تقوم لها بدعاية صحفية ، وكان لها أصدقاءها المقربون ، الذين لم أكن بينهم . ولكن المهم أنه لم تكن بيننا أية حواجز عندما تصل الامور إلى ميدان اختصاصى وهو الدفاع .

٢٧ حرب الاستنزاف

بعد انتهاء حرب الايام الستة ب ستة أشهر ، بدأ واضحا أن السلام بعيد المنال . وبالرغم من أن الولايات المتحدة أبلغت الرئيس عبد الناصر أنها ستعمل على انسحاب إسرائيل الى الحدود الدولية في إطار معاهدة سلام مع مصر وسوريا ، فقد ظل متمسكا بموقفه المتشدد ضد إسرائيل .

وبمجرد أن أفاف من هزيمته العسكرية بدأ في إعادة بناء القوات المسلحة وفي توحيد العرب من أجل نضال سياسي ضد إسرائيل . وفي ٢٩ اغسطس (آب) ١٩٦٧ عقد مؤتمر للقمة في الخرطوم ، حضره قادة إحدى عشرة دولة عربية هي مصر والعراق والاردن ولبنان والسعودية والكويت وليبيا والسودان وتونس والمغرب والجزائر ، ولم تحضر سوريا ، ومثل ياسر عرفات منظمة التحرير الفلسطينية .

وبناء على اقتراح الرئيس المصري ، اصدار المؤتمر النقاط الأربع الرئيسية التي تبنى عليها الدول العربية سياستها وهي : لا سلام مع إسرائيل ، ولا اعتراف بها ، ولا مفاوضات معها ، ولا تفريط في حقوق الشعب الفلسطيني ..

وكذلك قررت دول البترول رصد مساعدات مالية لمصر تعويضا عن اغلاق قناة السويس ، فوعدت السعودية بـ ١٢٠ مليون دولار.

سنويا ، والكوبت بـ ١٣٢ مليون دولار ، وليبيا بـ ٧٢ مليون دولار . وقد زادت أيضا المساعدات العسكرية التي يقدمها الاتحاد السوفيتي من معدات وخبراء لاعادة بناء الجيشين المصري والسوري . . . وفي يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، وبعد انتهاء حرب الايام الستة بـ عدة ايام ، وصلت الى مصر بعثة عسكرية على مستوى عال تضم ٩١ من كبار الضباط برئاسة المارشال زخاروف رئيس هيئة اركان الحرب ، للنحري عما حدث . وفي النهاية بلغ زخاروف عبد الناصر أنه لو كل دبابة من الدبابات المتمركزة في سيناء أطلقت عشر دانات فقط ، لكسب العرب الحرب . والحقيقة التي قالها ان معظم الدبابات لم تطلق طلقة واحدة ، وأضاف أن الروس « سيعلمون المصريون كيف نقاتلون » . .

وبعد اسبوع من انتهاء الحرب بدأ الروس في ارسال امدادات الى مصر ، بحرا وجوا ، وفي خلال ١٨ شهرا لم يكتف الروس بتعويض مصر عما فقدته في الحرب بل جعلوا الجيش المصري أقوى مما كان عليه عشية الحرب . وقام الاتحاد السوفيتي بنفس العمل مع سوريا . وفي اغسطس (آب) ١٩٦٧ دعا وزير الدفاع السوفيتي وزير الدفاع السوري الجنرال حافظ الاسد لزيارة موسكو . وأبأخ السوفييت الاسد بأنهم لن يزودا سوريا بالاسلحة الا اذا كانت الوحدات السورية تحت سيطرة الخبراء السوفييت . واجاب الاسد ان سوريا ستنفذ ذلك . وطار آلاف الخبراء والمستشارين السوفييت الى سوريا لتدريب وإدارة الجيش السوري ، تماما كما يفعل زملاؤهم في مصر .

وفي ٢١ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٧ ، أي بعد أربعة اشهر من انتهاء حرب الايام الستة ، وقع أول حادث خطير . اذ اصاب صاروخ روسي اطلقه زورق طوربيد من طراز كومانر السفينة الاسرائيلية ابلاط على مسافة ١٣٥ ميل من بورسعيد خارج المياه الإقليمية المصرية . وقد انطلق صاروخان أصاب أولهما ماكينات السفينة وأوقفها ، وتسبب الثاني في غرقها . وكانت خسائرنا ٧ قتيل . . ورددنا على الفور بقصف مصفاة البترول على ساحل مدينة السويس وأشعلنا الحرائق الضخمة في المستودعات . ورد علينا المصريون وتبادلنا نيران المدفعية على طول الجبهة . وتم اخلاء مدن السويس والاسماعيلية والقنطرة من السكان .

وطرت الى منطقة القناة وكانت النيران ما زالت مشتعلة وشاهدتها من نقطة في خطوطنا الامامية . وبينما كنت هناك ، وصلت انباء بان المصريين جددوا القصف في قطاع آخر . وكان معي قائد الجبهة الجنوبية فطلبت منه أن يبقى الاشتباكات محلية . وبعد تلك الاشتباكات ظلت الجبهة شبه هادئة لمدة عام . وخلال هذه الفترة قام المصريون تحت اشراف الخبراء السوفييت بتنظيم أنفسهم ،

وأقاموا عدة نقاط متقدمة حصينة في الضفة الغربية من الفساة . وفي
ابريل (نيسان) ١٩٦٨ قال عبد الناصر لسعيه اننا « وصلنا الآن
الى مرحلة الصمود » وبعد خمسة أشهر أعلن وزير الدفاع المصري أن
مرحلة الصمود قد انتهت ، وأن الجيش المصري بدأ مرحلة أخرى
هي « الردع النشط » ، أخذت شكل القصف المدفعي وأطلاق نيران
الأسلحة الخفيفة على الجبهة الاسرائيلية الامامية . ووقعت لدينا
بعض الخسائر ، ولكن المصريين لم يعلنوا عن شن هجوم شامل
للاستعادة الاراضى التى احتلناها .

وازدادت الحوادث عنفا فى سبتمبر (أيلول) عندما فتح المصريون
نيرانهم فى القطاع الشمالى على قواتنا وقتلوا عشرة من رجالنا
وأصابوا ١٨ . وبعد أسبوعين قام المصريون بضرب كل النقاط المتقدمة
بالمدفعية على طول الجبهة لمدة تسع ساعات متصلة ، وكانت خسائرنا
كبيرة إذ قتل ١٥ وجرح ٣٤ ونحس ستار الظلام أرسل المصريون
قوات الكوماندوز الذين حاولوا دخول أحد مواقعنا القوية ، واشتبكوا
مع إحدى دورياتنا ثم انسحبوا بعد أن استمر القتال الى ما قبل
الفجر بقليل . . وطرت فى اليوم التالى الى الجنوب فى منطقة
الاستحكامات « الكوبرا » حيث سقطت معظم دانات المصريين . وكانت
المنطقة تبدو وكأن أعصارا مر بها . وقد سقطت دانة ١٦٠ مم على
سطح أحد الاستحكامات وانفجرت بداخله فأصابت الجنود العشرة
الذين كانوا بالداخل ، ودمرت كل المنشآت التى على سطح الارض ،
ولكن بدون خسائر .

أما الاشتباكات بين دوريتنا والخمسة عشر فردا من الكوماندوز
المصريين ، فقد وقع على مسافة ميل ونصف جنوب هذه الاستحكامات
.. وقد دمرت سيارة نصف مجنزرة فى هذا الاشتباك . ونزلت من
سيارة القيادة وتبعت على قدمي المعمر الذى سلكته قوة الكوماندوز .
وشاهدت على الطريق جديا مصريا مات من ابرجروحه . وأقتربت
الى حافة القناة زحفا ، ونظرت الى الجانب الآخر ، فوجدته هادئا ،
ولم يحاول أحد أن يطلق علينا النار . وفى عودتنا شاهدهنا دبابتين
اسرائيليتين محروفتين بعد ان أسطدما ببعضهما وكنت قد شاهدت
بالمنظار الكبير مدينة السويس وقد دمر النصف الامامى من المنازل .

وكانت مشكلتى العاجلة الآن هي تقوية مواقع خطوطنا الامامية
وأصلاح الطرق ، وخاصة طريق متلا ، وهذا يعنى أننى احتاج ،
وبسرعة ، الى خمسة ملايين دولار . ولم أكن قد علقته على خطة قدمت
لى تقضى بتلقيم خط القناة كما حدث فى القطاع الاردنى . لكننى
كنت مقتنعا بأن سياستى لابد وأن تجعل العرب يشعرون بأن اتفاقية
سلام معنا ، أو على الأقل ترتيبات لوقف إطلاق النار ، هي اجدى
لهم من الاستمرار فى الحرب التى قد تكلفهم الكثير . وأزاء هذا الموقف
قررنا أن نقوم بضربات مضادة . وقام طيراننا بنسف عدة جسور

على النيل ، كما قامت فرقة مطارات بتدمير محطة كهرباء نجع حمادى . وكانت خطتنا مفاجئة للمصريين والسوفييت الذين اكتشفوا ضعف حماية العمق المصرى . وبدأت مشاورات عاجلة فى القاهرة . تقرر بعدها تنظيم حراسات مدنية وعسكرية على الاهداف المماثلة . على النيل .

وخلال الاربعة شهور التالية ، كانت الجبهة على الفناء عادته . وتم تنظيم الجيش وتقوية الجبهة الامامية . وكان رئيس الاركان هو حاييم بارليف الذى عين فى ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٧ خلفا لاسحاق رابين الذى أصبح سفيرا لاسرائيل فى واشنطن . ودارت مشاورات ومناقشات فى رئاسة الاركان حول امرين : هل نعد خطا الامامى الى الورا لىكون بعيدا عن مرمى المدفعية . وبخفى بدوريات مستمرة على قناة السويس للسيطرة عليها . او نضم خط الاستحكامات قوى من قلاع صغيرة ، نحكم الشاطئ . ويكون بين كل مربع الاحد من وحدات متنقلة من الدبابات . تلبيها فى العمق وحدات دبابات تتدخل بسرعة من الخلف لنجده ومساعدته أى موقع يتعرض للهجوم . وكان الامر الاخير هو اقتراح بارليف الذى تبين انه ونمت الموافقة عليه .

وقد تم بناء خط قوى على طول الفناء يضم قلاعا معبر مريدة بدبابات خلف السور الحجري الممتد حول النقاط . وفام المهندسون بإنشاء طرق تربط هذه النقاط على طول الخط . واقام سبار رابين ضخيم على الماء لتغطية هذه الاستحكامات حتى لا يستطيع المصريون رؤية أى شىء داخلها وخصص لكل نقطة ١٥ رجلا . عملهم الرئيسى المراقبة والعمل كعبون وآذان فى القطاع ، ليستدعوا عند الحاجة المدفعية والدبابات والطيران .

وقبل أن ينتهى بناء هذا الخط بقليل استأنف المصريون « حرب الاستنزاف » . وبينما كنا نحن نعمل تحت ستار الظلام ، استأنف القتال والقصف طوال الليل مرة بعد أخرى . وفى فترة اربعة اشهر تكبدنا ٢٩ قنبلا و ١٢٠ جريحا . وحصلت على موافقة اللجنة الوزارية للدفاع على اصدار أوامرى للطيران بمهاجمة القواعد الامامية ومواقع المدفعية وبطاريات صواريخ سام ٢ فى القطاع الشمالى من القناة . وبعد اربعة ايام هاجم طيراننا على مدى خمس ساعات وقذف كل الاهداف العسكرية من القنطرة حتى بور سعيد . ودارت معركة جوية اسقطت فيها خمس طائرات العدو وسقطت طائرتان من جانبنا . وفى نهاية يوليو (تموز) دارت معركة جوية أخرى اسقطت خلالها ١٢ طائرة مصرية ، تم على أثرها فصل قائد الطيران المصرى .

وبعد ذلك بوقت قصير حدث نفس الشىء مع رئيس الاركان المصرى وفائد البحرية ، بعد أن قامت قواتنا بعبور خليج السويس وتدمير منطقة مراقبة ومعسكر ومحطة رادار وبعض السيارات

المدرعه على الطريق . ولم يعلم عبد الناصر بالعملية الا بعد حدوثها ، وبعد عودته فواتنا الى موافعها . وطلب رئيس الاركان تليفونيا ، الذى لم يكن يعلم شيئا ، والذى طمانه بعد ذلك أنها محاولة اسرائيلية مدبرة وأن الاسرائيليين تكبدوا خسائر فادحة . ولم يكن عبد الناصر قد عرف شيئا عن زورقى الطوربيد اللذين تم أغراقهما فى الليلة السابقة وعن المائة جندى مصرى اللذين قتلوا . وعندما عرف الحقيقة كاملة بعد ذلك صدم لنجاح عمليتنا من جهة ، ولأن فادته كانوا لا يعلمون شيئا عنها ، أو اذا كانوا يعلمون فقد اخفوا المعلومات الحقيقية عنه .

وحتى نضغط على المصريين لنجبرهم على تنفيذ وقف اطلاق النار ، بعد اقترحت على اللجنة الوزارية للدفاع ان تسن هجوما جويا على القواعد العسكرية فى أعماق مصر ، وقد تم فصص حوالى ٢٠ هدفا خلال الاشهر من يناير (كانون الثانى) حتى مارس (آذار) عام ١٩٧٠ . وقد اكتشف عبد الناصر أن جيشه عاجز عن منع تلك العمليات الجوية . لكنه فى نفس الوقت لم يكن مستعدا لعلان إيقاف اطلاق النار والدخول فى مباحثات سلام مع اسرائيل . وفى أول يناير (كانون الثانى) طار عبد الناصر الى موسكو وطلب من القيادة السوفيتية أن يرسلوا له بعض القوات السوفيتية ، ووافق الاتحاد السوفيتى . ومع بداية عام ١٩٧٠ بدأت تصل وحدات الصواريخ الروسية مع رجالها .

وفى أول أبريل (نيسان) وصلت ثلاث فرق من الطيران بأطقمها . وكلف الطيارون السوفيت بحماية سماء الاسكندرية والقاهرة وأسوان . وتولى السوفيت قيادة بطاريات صواريخ سام ٣ ونظام الدفاع الجوى كله فى مصر . وفى يوليو حدث ما لا بد منه اذ هاجمت ٨ طائرات ميغ ٢١ سوفيتية دوربة جوية لنا . وقد اسقطنا خمس طائرات سوفيتية وعادت كل طائرتنا سالمة الى قواعدنا . وقد سقط الطيارون الخمسة فى الجانب المصرى واستغرق البحث عنهم يوما كاملا وأخيرا عثر عليهم : اثنان منهم قتل ، واثنان جرحى ، وواحد سقط لم يصب بشئ . وقال طيارونا بعد عودتهم أن الطيارين السوفيت يحاربون وفق ما تعلموه فقط وتنقصهم الخبرة والمرونة .

ومد هنتا طيارنا وشكرتهم ، وقلت لهم ان هذا الاشتباك سيؤثر كثيرا على الصعيد السياسى ، فقد كانت الولايات المتحدة تخشى نشوب حرب واستراك السوفيت فيها . وكنا نحن أيضا نؤيد ذلك واضمنت قائلا أننا على أية حال لسنا نشتيكوسلوفاكيا ولسنا جيل « الماسادا » الذين ظلوا يدافعون عن مواقعهم ضد الرومان ثم انتحروا ، بل ان جيلنا سيقاتل ويحيا . ولكننا فى نفس الوقت ، بعد تبادل التعليقات المرححة ، كنا ندرك مدى خطورة الموقف : فلم يعد السؤال هو أى الطيارين أحسن ، وانما كيف نقوم بعملياتنا وتجنبنا الاشتباك مع الروس وقررنا عدم إصدار بيان بما حدث ، ولم يشر لا المصريون

ولا الروس الى ما حدث وفي نفس اليوم - ٣٠ يوليو (تموز) - وصل الى القاهرة فائد الطيران السوفيتي ، وقائد الدفاع الجوي السوفييتي . فقد أصبحت سماء مصر - بالنسبة للروس - جزءا من سمائهم .

ونذكرت ما قاله تولستوى مره ، أن الكتاب الذي لا يستحق أن يقرأ مرتين لا يستحق أن يقرأ مرة واحدة . وكان خطاب تشرشل للرئيس الأمريكى ايزنهاور بعد حملته سبئاء يستحق أن يقرأ مرتين ، إذ كان يصل مباشرة بما يحدث الآن . فقد كان تشرشل يخشى أن يؤدي الضغط الأمريكى على بريطانيا وفرنسا الى تسلسل النفوذ السوفييتى الى المنطقة والسيطرة عليها . وجاء فى هذه الرسالة : « لم يعد لى شيء أفعله فى هذا العالم ، ولم أكن أملك الرغبة ولا القوة لدفع نفسى فى الحقل السياسى الحالى . ولكننى فعلت ذلك لأننى أعتقد أن التحالف الانجليزى الأمريكى أكثر أهمية اليوم من أى وقت مضى وقد أشركنا سويا فى دفع هذا التحالف الى الموضع الذى ظل قائما فيه حتى الآن » وبدو لى أن هناك سوء تفاهم على جانبى الاطلنطى . وإذا سمحنا له بالنفاق فان السماء ستظلم وسركب الاتحاد السوفيتى العاصفة . ولنترك للتاريخ أن يحكم على الخطأ والصواب الذى حدث خلال السنوات الماضية . وما يجب أن نواجهه الآن هو تلك الاحداث وما خلفته من اوضاع فى الشرق الاوسط ، فالانحداد السوفييتى يتحرك الآن فى اتجاه خطر ، ومما لا شك فيه أن أى نصر لعبد الناصر سيكون نصرا لهم .

« فلنقرر سويا ما سيجب عمله لمنعهم من الوصول الى اهدافهم . وإذا لم نتخذ عملا منسقا سريعا فسترى كل منطقة الشرق الاوسط وشمال أفريقيا تحت النفوذ السوفييتى ، وتصبح أوروبا الغربية تحت رحمة الروس . اننا ان فنلندا فى تحمل مسئوليتنا بايجابية وبدون خوف ، لكننا غير جديرين بالقيادة التى نتولاها الآن . وقد كتبت لك هذا الخطاب لأننى أعرف جيدا أين تتجه عواطفك الآن ، ولأنك الشخص الوحيد الذى يستطيع الآن أن يمارس نفوذا على الاحداث سواء فى الامم المتحدة أو فى العالم الحر . وهذه مسئولية ثقيلة وليس هناك من يؤمن بقدرتك على تحملها ، ورغبتك فى العمل ، أكثر من صديقك العجوز » .

« ونستون تشرشل »

وعندما أعدت قراءة هذا الخطاب وجدت أن مخاوف تشرشل حينذاك أصبحت الآن أكثر خطورة عما كانت عليه فى الفترة التى كتبه فيها .

وأخيرا ، وبعد ثلاث سنوات من القتال المستمر ، وافقت مصر على وقف اطلاق النار ابتداء من ٨ أغسطس « آب » ١٩٧٠ ، بناء على مبادرة

من ويليام روجرز قبلها بشهر ونصف ، وكان منطقيا أن نفترض أن مبادرة روجرز جاءت نتيجة طلب من عبد الناصر ، الذي كان قد وعد شعبه والعالم أن « ما أخذ بالقوه لا يسند بغير العود » . وقد حاولت مصر من خلال معركة فاشلة أن تهزم إسرائيل وتجبرها على الانسحاب ، وكان آخرها حرب الاستنزاف . ولكن الحرب لم توصل مصر إلا إلى حطيم مسودعات البترول ، وأصبحت مدن القناة مدن أشباح ، وعرضت القواعد العسكرية في عمق مصر للقصف الجوي وقد طرد عبد الناصر القادة العسكريين والمدنيين . بالإضافة إلى أنه خيب آمال حلفائه العرب ، الأردن وسوريا ، باعتماده الكلي على الاتحاد السوفيتي . وقد جعلته كل هذه الحقائق ينجح مرة أخرى للولايات المتحدة .

وفي أوائل ديسمبر « كانون الثاني » سافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمقابلة الرئيس نيكسون ، والدكتور كيسنجر مستشاره للأمن القومي . وروجرز وزير الخارجية ، وملفين ليرد وزير الدفاع . وكانت أهم ثلاث مسائل ناقشناها هي التدخل الروسي في الحرب ، وتجديد شحنات السلاح لإسرائيل ، ونجدد المباحثات مع مبعوث الأمم المتحدة يارنج . وقد حثوني على العودة للمباحثات مع يارنج . وكانوا مهتمين بما أسموه « سببته الحرب المصرية - نسبة إلى السوفيت » . ولاحظت أن الاتجاه الواضح لديهم هو أنه إذا زاد التدخل السوفيتي فإن الأمريكيين لا يجب أن يظهرأى ضعف . وكنا في نفس الوضع فقد كان لا بد لنا أن نواجه الاعتداء السوفيتي بعنف . وعند هذه النقطة اتفقتنا جميعا . ولم بوجه لنا أى نقد لاسقاط الطائرات السوفيتية .

وعندما ناقشنا المسائل الدولية ، وخاصة نوايا السوفييت وسلوكهم في الشرق الأوسط ، ركز نيكسون على مسؤولية بلاده ، كقوة عظمى ، تجاه اصدقائها ، وأنها لن ننحلي عنهم . واستطعت أن أحصل على موقف الولايات المتحدة بصراحة وبتلخص في « لو أنهم جاءوا ، فلن نقف بعيدا » ، وقد تولى ترتيب مقابلتي مع نيكسون ، روبرت أندرسون وزير الخزانة في عهد ايزنهاور . وكنت أعرفه معرفة ونيقة منذ زيارته السرية لإسرائيل مبعوثا من ايزنهاور للوساطة بين بن جوريون وعبد الناصر . وكانت علاقته جيدة بمعظم القادة العرب . وكان صريحا إلى درجة قد تضايقتني أحيانا . وحتى في هذه المناسبة فإن ما قاله لي قد سبب لي بعض الضيق ، إذ كان رأيه أن ننسحب إلى حدود ما قبل حرب الأيام الستة والا فإن موقفنا سييسوء .

وفي حديثي مع الرئيس نيكسون كان أهم موضوع بيننا هو احتياجات الأمن . ولقد حدث موقف غريب عندما شكوت له من أن الولايات المتحدة قد وعدت مصر بإيقاف مد إسرائيل بالأسلحة خلال فترة المباحثات مع روجرز حول السلام . وقال نيكسون أنه لم يسمع عن ذلك الوعد . فأخبرته عن المؤتمر الصحفي الذي عقده في واشنطن منذ عدة

أيام وأعلن ذلك فيه محمود رياض وزير الخارجية المصري . وأتجه الرئيس إلى ملفين وسأله عن حقيقة الامر فأكد له ذلك .

ولم تكن المحادثات حول أمدادات الطائرات مدعاة للسرور ، وأنتهت بشعوري بأن الولايات المتحدة لن تجد أمداداتنا بالطائرات ، واننا لن نستأنف محادثاتنا مع يارنج . لكنني كنت مخطئا ، فبعد أن غادرت واشنطن إلى نيويورك تلقيت مكالمة تليفونية من جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية أخبرني فيها أن الولايات المتحدة قررت الاستجابة إلى طلبى ومدنا بالطائرات وعندما عدت إلى إسرائيل وجدت أن السفير الأمريكى فى إسرائيل قد قابل جولدا مائير وأخبرها بأن الولايات المتحدة ستجدد أمدادها لإسرائيل بالأسلحة . وهكذا أصبح الطريق مفتوحا لاستئناف المباحثات مع يارنج .

وبعد مباحثات طويلة استطاع يارنج فى ٨ فبراير « شباط » أن يضع أمام مصر وإسرائيل وثيقة ، طلب منها قبولها أولا والتوقيع عليها ، تتضمن أن مصر تتعهد بعقد اتفاقية سلام وأن إسرائيل تتعهد بالانسحاب إلى الحدود الدولية . ورفضت مصر وإسرائيل توقيع الوثيقة التى قدمها يارنج . ولكن مصر أبدت استعدادها لإعلان انتهاء الحرب تماما دون التوقيع على اتفاقية سلام ، على أن تحل إسرائيل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، مع الانسحاب الكامل من كل الاقاليم المصرية وقطاع غزة وبقيّة الاراضى العربية المحتلة ، إلى حدود ما قبل الحرب . وأجابت إسرائيل أنها من ناحيتها مستعدة للدخول مع مصر فى مباحثات سلام بدون شروط مسبقة . مع تأكيد موقفها المعلن أنها تنسحب إلى حدود ٤ يونيو « حزيران » . وكان موقف كل من البلدين يوحى بأنه ليست هناك نقاط التقاء ، واستمر يارنج بعض الوقت ، ثم انتهت مهمته ، ولم يعين السكرتير العام للأمم المتحدة وسبطا آخر مكانه .

وكان أهم حدث فى حياتى الخاصة . هو زواجى من راحيل فى ٢٦ يونيو (حزيران) ١٩٧٣ بعد معرفة استمرت فراية ١٨ عاما . وكان هذا هو الزواج الثانى لكل منا . وكنت قد طلقت روث بناء على طلبها عام ١٩٧١ بعد أن نصدعت حياتنا أثر زواج دام ٣٥ عاما أنجبنا خلاله ثلاثة أولاد ولم يخلق ذلك أى تعقيدات أو صعوبات إذ كان أولادنا قد تزوجوا ولم تكن هناك أى مشاكل مادية . بل انها رفضت عرضى بأن تبقى فى منزلنا مؤكدة أنها تريد بناء حياتها من جديد .

وتزوجت راحيل بعد ذلك بعام ونصف ، وكانت قد طلقت من زوجها عام ١٩٥٨ . وكنت قد قابلت راحيل - بالصدفة - على الطائرة عندما كنت رئيسنا للاركان ، خلال عودتى من أوروبا بناء على استدعاء رئيس الوزراء . ولا أدري إذا كان هذا ما يسمونه الحب من أول نظرة ، ولكنى أعرف راحيل هى الإنسانية التى أرغب فى أن أقضى معها بقية حياتى .

حرب يوم الغفران "يوم كيبيور" (١٩٧٣)

في السادس من أكتوبر كانت المفاجأة التي أذهلت
العدو .. واستعادت الأمة العربية شرفها السليب ..
لقد تم تصحيح الأوضاع القلوية .

وباعتراف «ديان» بالهزيمة بحطمت الاسطورة
جيتس إسرائيل الذي لا يقهر ، وبتفصيل أكثر يعترف
«ديان» بأن هول المفاجأة أفندهم صوابهم وأوقعهم في
حرج لم يالفوه ، ولأول مرة أحس «ديان» وأحست
إسرائيل بحجمها الحقيقي الذي ضخته دعايتهم
«الكاذبة» ، لقد صدقوا هذه الأكاذيب من كثرة ماردوها .

لقد استطاعت الجيوش العربية أن توقف إسرائيل
من أحلامها الوردية ، وأن تضع أمامها الحقيقة المرة
التي غابت عنهم طويلا .

٢٨ المفاجأة

في الساعة الرابعة من صباح السبت يوم ٦ أكتوبر « نشرين الاول » ١٩٧٣ ، أفقت من نومي على رنين التليفون الاحمر بجوار فراشي . ولم يكن هذا أمرا غير عادي ، اذ لا نمر ليلة بدون رنين هذا التليفون مرة أو مرات . ولكن المكالمات في هذا اليوم كانت غير عادية ، فقد وصلت معلومات حالا بأن مصر وسوريا تعدان لهجوم قبل غروب شمس نفس اليوم وبعد ان تأكدت أن نفس المعلومات قد ابليت لرئيسة الوزراء جولدا مائير ، اتصلت برئيس الاركان ليقابلني في مكتبي في الساعة السادسة صباحا .

وكان امامنا عمل كثير خلال هاتين الساعتين ، قبل اللقاء . وطلبت من مساعدي أن يبلغ كل القادة للحضور الى مكتبي .

تم ركبت سبارتي الى مكتبي ، وسط جو هاديء للغاية ، فالسما من ناحية الشرق يختلط فيها اللونان الاحمر والذهبي والنسمة الباردة تهب من الغرب والشرارح خالية ليس فيها أحد ، كان اليوم هو يوم الغفران « يوم كيبور » وهو أقدس ايام السنة اليهودية .

ولم تكن هذه المعلومات نتيجة تقرير عن نشاط القوات العربية في الميدان ، ولكنها كانت رسالة من المخابرات حول قرار العرب بالحرب . وكنا قد تلقينا مثل هذه التحليلات من قبل ، ولكن الهجوم المتوقع لم

يكن يقع . وكانت الدلائل تشير حينذاك الى ان الرئيس أنور السادات قد غير رأيه في آخر لحظة عندما اكتشف أننا عرفنا بالامر ، وفقد بذلك عنصر المفاجأة فيلغى الهجوم أو يؤجله على الأقل . ومن ناحية اخرى كانت هناك تقارير للمخابرات عن عملية اجلاء الاسر السوفيتية من كل من مصر وسوريا . ومن كل ذلك كان علينا أن نتصرف على أساس افتراض أن مصر وسوريا ستشنان الحرب بالفعل .

وكان واجبا ان يصدر القرار الرئيسى فى اجتماع مع رئيس الوزراء . . . وقد تقرر عقد هذا الاجتماع فى الثامنة صباحا . وبحث مع ضباط الاركان فى الخطوات الواجب اتخاذها . وكان أمامنا أربعة موضوعات رئيسية : تعبئة الاحتياطى وتدعيم الجبهات ، واعداد ضربة جوية رادعة وقائية ، واجلاء الاطفال والنساء من مستعمراتنا فى هضبة الجولان ، واصدار تحذير الى كل من سوريا ومصر . وبحثنا اوجه الانذار ، وأن يكون دعوة للبلدين لصرف النظر عن المعركة ، وأن تعرف الولايات المتحدة من البادئ باشعالها فنضمن مساعدتها لنا .

وخلال المشاورات الاولى ابلغت رئيس الاركان مرافقتى على التعبئة الفورية للاحتياطى بأوسع قدر يراه ، لكننى كنت مصمما على بحث موضوع الضربة الجوية الرادعة مع رئيسة الوزراء وكان من بين تقاليد الجيش الاسرائيلى أن يطلب رئيس الاركان اتخاذ الاجراءات العسكرية الواسعة ، وذلك ما أثبتته لجنة (أجزانات) التى أجرت التحقيق حول الحرب ، وكانت الضربة الجوية التى اقترحها رئيس الاركان ، عقب مداولاته مع قائد القوات الجوية ، موجهة الى سوريا فقط ، وفى القواعد الجوية فى عمق سوريا نفسها . ولم تكن هناك أى امكانية أن تتم هذه الضربة قبل الثانية عشرة ظهرا . ولو أن هذه الضربة تمت لما استطاعت أن تغير مجرى الحرب . وقد عارضت فكرة الضربة الجوية وتعبئة المزيد من قوات الاحتياط . وكنت أخشى أن تفسد هذه الامور ما كنا نأمل فيه من عون شامل من الولايات المتحدة .

وخلال المناقشة مع رئيسة الوزراء ، تحددت كل الامور ، وتفرد - فى ضوء قرارها - تعبئة ما بين مائة ألف ومائة وعشرين الفا بالإضافة الى الجيش ، واجلاء الاطفال والنساء من الجولان ، وصرف النظر عن الضربة الجوية ، وانذار سوريا ومصر عن طريق الولايات المتحدة . وقد نقلت رغبتنا هذه الى الولايات المتحدة من خلال سفيرنا فى واشنطن ومن خلال مقابلة رئيسة الوزراء للسفير الأمريكى فى تل أبيب . وكانت وجهة نظرها أنه اذا اشتعلت الحرب واقتنعت الولايات المتحدة بأنفسنا لسبب السبب فيها ، فإنها ستمدنا بكل الدعم اللازم .

وتم اتخاذ القرارات ، وكنت راضيا عنها ، والمهم الآن الا يضيع الوقت . فاذا كان العرب جادين فعلا ، فيجب أن تكون قراراتنا صائبة وملائمة الآن فى الهجوم فقد كان علينا أولا ان نتأكد من اننا وضعنا كل

دبابة وكل جندي في الجبهة في الوضع المناسب . ولم تكن قد بدانا من الصفر ، والقوات الجوية بأكملها معبئة ، وكان لدينا على الجبهة السورية ١٨٠ دبابة و ١١ بطارية مدفعية و ٥١ ألف جندي ، وعلى الجبهة المصرية ٢٧٥ دبابة و ١٢ بطارية مدفعية صاروخية و ٨٥٠٠ جندي . ونم وضع الجيش في أقصى حالات التأهب ، وأعلنت حالة الطوارئ في الجيش وأعدت خططان للهجوم والدفاع سبق التدريب عليهما . صحيح أن الانذار جاء متأخرا ، لكن الوقت لم يكن قد فات .

وفي الساعة الحادية عشرة ، توجهت الى حجرة العمليات في كرم وامام الخرائط كان كل شيء هادئا ، لكنني لاحظت أن الضباط يدخلون أكثر من المعتاد ، أو هكذا تخيلت . وقبل أن أصل ، كان هناك اجتماع قد عقده القادة مع رئيس الأركان بحث فيه كل التفاصيل التي سناقش خلال هذا الاجتماع . وكانت الخطة التي تتوقعها من المصريين هي أن يحاولوا عبور القناة في مناطق معينة على طول المجرى المائي ، في زوارق مطاطية ، وأن يلحقوا بها قوات الصاعقة المحمولة بالهليكوبتر لإقامة رءوس جسور . وفي نفس الوقت تجري محاولة احتلال حقول البترول في أبو رديس والاستيلاء على شرم الشيخ التي نحكم مدخل خليج العقبة .

ولم أكن فلما على أبو رديس وشرم الشيخ فقد علمت أنه قبل غروب الشمس ستكون في أبو رديس ١٣ دبابة وفي شرم الشيخ ٤٠ دبابة ، وكان في تصوري أن المصريين يمكن أن يقوموا في تلك المنطقتين بعمليات تخريب فقط ، ولن يقوموا أو يفكروا في احتلالهما . وكانت عملية عبور القناة تثير العديد من التعقيدات ، فلن تستطيع طائراتنا العمل بسددها نظرا لحلول الظلام ولفاعلة قواعد الصواريخ سام ٦ المنتشرة بالقرب من القناة الجانب المصري . وهكذا كان يمكن للقوات البرية أن تقوم بعمل حاسم ليلا ضد عملية عبور القناة ، في حين أن قواتنا الجوية لن تستطيع العمل قبل الصباح .

وعلى الجبهة السورية كان الافتراض أن القوات السورية ستحاول دفع قوات من خلال قصف مركز بالمدفعية الثقيلة تقتحم بعده الدبابا . العوائق لتمهيد الطرق أمام المشاة وكل ذلك أيضا لن تتم مواجهته قبل الصباح ، ولهذا وضعنا خطتنا بالنسبة لسوريا على أساس أن نظام صواريخ الدفاع السوري الكثيف ، والظلام ، وسوء الأحوال الجوية ، نحزم علينا أن نبدأ ضربتنا الجوية في الصباح بهدف تحطيم القوات السورية وشل فعاليتها وإخراجها من المعركة .

وكانت عمليات التعبئة تسير بسرعة ، وخلال فترة المشاورات كان قد تم استدعاء عشرات الآلاف من الجنود وتمت تعبئتهم ولكن وصولهم الى الجبهة كان يحتاج الى ٢٤ ساعة أخرى ، فعلى الجبهة الشمالية ، كان يمكن إرسال بضعة مئات من الدبابات مساء يوم الأحد ٧ أكتوبر

« تشرين الاول » ، اما بالنسبة للجنوب ، فقد كان يمكن ارسال بضع مئات من الدبابات أيضا يوم الاحد وبضع مئات أخرى مساء الاثنين .

ولم يكن ذلك هو كل ما يحويه الجراب ، لكن تلك كانت هي تفديراتنا العامة للموقف . . اما الأمر المؤكد فهو ان هذه الليلة سوف يكون أقصى اللبالي . وكنتم آمل أن يناخر العدو أيضا في حشد كافة قواته ليعطى لقواتنا فرصة الوصول الى المواقع وتدعيمها . كما كنتم آمل أن تسبب نشاطنا على الجبهة في احداث فوضى وتأخير في صفوف العدو .

ومضينا في مناقشة الاسنعدادات الخاصة بالدفاع المدني واجلاء الاطفال والنساء من الجولان . تم ناقشنا خطة هجومنا وكانت الخطة تعتمد على تحطيم قوة الاعداء العسكرية وعدم احتلال أى جزء من الارض . وحتى لو اضطررنا لاحتلال بعض الاجزاء ، فاننا لاسباب سياسية لن نبقى فيها طويلا ورغم شعورنا بالثقة ، فقد كان القلق يملأ قلوبنا . فنحن غير معندين على أن نخوض حربا لا تكون المباداة فيها لنا ، كذلك فان الوضع بأكمله مناقض لطبيعة الجيش الاسرائيلي الذى يعتمد على تعبئة الاحتياطى واحضار الجنود من وراء مكاتبهم ومن حقولهم ونقلهم الى الميدان .

وتوجهت عقب ذلك الاجتماع لاجتماع مجلس الوزراء فى بل ابيب الذى عقد على عجل ، وقد وافقت الحكومة على ما اتخذ من قرارات فى اجتماعى الصباحى مع رئيسة الوزراء وأخطر المجلس أيضا بأن الولايات المتحدة قد اتصلت بكل من مصر مباشرة وسوريا عن طريق الروس وابلغتهما بما نقلته اليها اسرائيل وطلبت منهما توضيحات . وقد طلبت الولايات المتحدة من اسرائيل عدم القيام بأى هجوم على مصر وسوريا لانها علمت اننا سوف نهجم خلال ست ساعات . ولم تتلق امريكا ردا ، اما الروس فقد كان لديهم ابلاغ بنوايا مصر وسوريا ، ومع ذلك قاموا بدور ملاك السلام دون أن يهتز لهم جفن .

وفى الساعة الثانية وخمس دقائق استدعيت على عجل الى غرفة العمليات . لقد بدأت مصر وسوريا التحرك وقد قامت الطائرات السورية بعبور مجالنا الجوى ، وقامت القوات المصرية بعبور القناة . كما تعرضت بعض قواعدنا العسكرية فى غرب سيناء وشرم الشيخ للقصف . لقد بدأت الحرب .

٢٩ عشية الحرب

لقد جاء الهجوم المصرى السورى مفاجأة لنا ، لكنه لم يكن أمرا غير متوقع . لقد جاء يوم كيبور (الغفران) وقوات اسرائيل غير معبأة ولا موزعة كما يجب ، لكن ذلك لا يعنى انها لم تكن مستعدة لمواجهة الهجوم العربى . وأنا شخصا ، لم أكن أتوقع أن يقبل المصريون تخندقنا على طول قناة السويس ، ولا أن يرضى السوريون باحتلالنا لمرتفعات الجولان وكنت أشعر أن وجودنا هناك معناه تجديد الحرب أن أجلا أو عاجلا . ولم يكن هذا هو نفس شعورى حيال غزة ويهودنا وسامرا .

وكنت أرى ان المفتاح لمنع قيام حرب هو عقد اتفاق - ولو جزئى - مع مصر ، اذ لم يكن ذلك كفيلا بتخفيف دوافع مصر للقتال فقط ، بل انه كان قمينا بأن يجعل سوريا تردد في قرار الحرب لعلها أنها ستحارب بمفردها . وقد اقترحت بمجرد ايقاف حرب الاستنزاف فى عام ١٩٧٠ أن انسحب قليلا من قناة السويس حتى نعطي الفرصة لمصر لاعادة الحياة الطبيعية الى مدن القنصاى واستئناف الملاحة ، وكان اعتقادى أن ذلك سيضعف رغبتهم فى القتال مرة أخرى . ولكننا لم نصل الى أى اتفاق جزئى ، وبدا واضحا ان دوافع مصر وسورية لاستئناف الاعمال الحربية قد بقيت كما هى وأصبح السؤال هو متى يحدث ذلك .

وبوفعت الإجابة على هذا السؤال على طبيعة وسياسة القيادة المصرية وعلى لاقه الجيش المصرى ، بالإضافة الى الانحداد السوفيتى الذى اسمر ، برغم تذبذب العلاقات ، بدرب فوات مصر وسوريا وبرودها بالعساد بشكل واسع وخاصة خلال عام ١٩٧٣ . وتم تزويد البلدين ببطاريات الصواريخ سام ٦ ، وصواريخ فروج ارض - ارض ، والدبابات (ت ٦٢) وصواريخ ساجر المضادة للدبابات .

وكانت « سنة الحسم » ١٩٧١ ، التى أعلنها السادات قد مرت دون اية احداث . لكنه بدا منذ منتصف ١٩٧٣ ان مصر وسوريا عازمتان على الحرب . وقد وضعنا خططا تعضى بان نحمل القوات السورية مرفعات الجولان وان تعبر القوات المصرية القناة ، ثم نتجه شرقا لنحتل ممرات ملا والجدي ، ثم جنوبا للاستيلاء على ابي رديس وشرم الشيخ وفى اجتماع فى رئاسة الاركان يوم ٢١ مايو « ابار » ١٩٧٣ طلبت من رئيس الاركان اعداد القوات المسلحة لمواجهة هجوم مصرى وسورى شامل .

وبالفعل تم اعداد الخطة وعرضت على وعلى رئيسة الوزراء . ودعت الخطة الى الاسراع فى الحصول على الاسلحة والدبابات والمدركات بشكل خاص ، وقدرت التكاليف بـ ١٧ مليون دولار . وتم كذلك ارسال تفاصيل الخطط الى فيادتى الجبهتين الشمالية والجنوبية متضمنة التعزيزات وتعبئة القوات وتوزيعها . وعند ظهر يوم كيبور كانت تواتنا فى الجبهة الجنوبية موزعة طبقا لهذه الخطة ، اما بالنسبة للجبهة الشمالية فقد كان الموقف أقوى منها .

وكنا قد وضعنا ١٧٧ دبابة فى الجبهة الشمالية ، و ٣٠٠ دبابة فى الجبهة الجنوبية مهمتها أن نحتوى الهجوم على الجبهتين فى حالة وقوعه بمساعدة السلاح الجوى ، لحين وصول بقية الامدادات . وكانت الخطط قد وضعت على أساس أن الانذار المبكر يجب أن يصلنا قبل ٢٤ ساعة ، حتى تتمكن من تعبئة قوات الاحتياط وارسالها الى الجبهات وقت اندلاع الحرب . وبجيب على ان اضيف هنا ان قوات العدو شنت هجومها بكفاءة أكبر مما وضعناه لها فى حسابنا عند وضع هذه الخطط .

وكانت القوات التى تم ارسالها للجبهة بسرعة ، هى ذلك الجزء من القوات الذى تم تعبئته خلال الخمسة عشر يوما السابقة . بعد ملاحظة النشاط العسكرى المتزايد . ومع ذلك فإن كلا من المخابرات الامريكية ومخابراتنا نوصلنا الى أن مصر وسوريا لا تعدان للحرب ، وفسرنا التحركات العسكرية الواسعة على الجبهة المصرية على انها « مناورات للجيش » وليست استعدادات لفزو . ومع ذلك فلم تكن مرناحين ، وخاصة فيما يتعلق بالجبهة السورية .

وكانت قد وقع معركة جزية ضخمة يوم ١٣ سبتمبر « ايلول » حينما كانت طائرتان فانسوم وأربع طائرات ميراج فى مهمة تصويب

استطلاعية فوق الاراضى السورية ، فتعرضت لها ثمانى طائرات مييج وكانت النتيجة اننا دمرنا الطائرات المييج ، وفقدنا طائرة ميراج هبط فائدها فى البحر على بعد ثلاثة أميال من الشاطئ وأرسلنا له طائرة هليكوبتر لانقاذاه ، تحت حماية بعض الطائرات لكن أحد الزوارق السورية السريعة كان قد سارع لمحاولة التقاطه تحت حماية أربع طائرات مييج اخرى . ووقع معركة جديدة سقطت فيها الطائرات المييج وهبط أحد قادتها فى البحر ، وتمكنت الطائرة الهليكوبتر من انتشاله هو والطيار الاسرائيلى . وفى الماضى كان السوريون ، فى حالات أقل خطورة من هذه الحالة ، يقومون برد فعل مضاد ، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً هذه المرة ومرت أيام بدون أى رد فعل مما دفع التسك الى نفسى بأن هناك تحركا كبيرا يتم تدبيره . وتأكدت شكوكى فى اجتماع عقد يوم ٢٤ سبتمبر « ايلول » فى رئاسة الاركان حبيب أبلغنى قائد الجبهة الشمالية اعتقاده القوى بأننا قد نقع ضحية هجوم مفاجئ فى الجولان .

وبات واضحا لى أن هذا الامر يمثل بالفعل احتمالا خطيرا . ولم تكن الاحوال فى الجبهة المصرية مثاليه ، لكنها على الجبهة السورية كانت فى غير صالحنا ، ففي الوقت الذى دعمت فيه القوات العربية نفسها على كل الجبهات ، كنا نحن على الجانب الآخر نواجهها بقوات صغيرة . ولتسبب لم نكن نستطيع تعبئة قواتنا لفترات طويلة ، والا أضر ذلك بالدولة . وذلك فى حد ذاته يمثل واحدا من أوجه مشكلتنا الرئيسة ، فنحن دولة صغيرة يقل تعدادها عن الثلاثة ملايين من اليهود نحيط بهم عشرات الملايين من العرب .

ولو اننا أخذنا بهجوم على الجبهة المصرية بل واضطررنا للراجع الى الخط الثانى ، فان ذلك لم يكن ليتسبب لنا كارنه ، فالامر لا يعدو كونه انسحابا الى خط آخر فى صحراء واسعة اما بالنسبة للجبهة الشمالية ، فالوضع مختلف ، فان أى انسحاب هناك قد يؤدى الى الحاق ضرر بليغ بمستعمراتنا فى الجولان . وقد نقل الجبهة الى مناطقنا السكنية فى الجليل الاعلى والحولة ووادي الاردن . ولم يكن هناك فاصل طبوغرافى على الجانب السورى فقط بل ايضا على الجانب الاسرائيلى فى هضبة ولم يكن فيها - على العكس من قناة السويس فى الجبهة الجنوبية - أية عوائق طبوغرافية ، أو موانع . هذا بالإضافة الى شبكة الصواريخ المضادة للطائرات التى بلغت حدا من الكثافة والتعقيد الى درجة انها كانت تغطى كل الجانب الاسرائيلى فى مرتفعات الجولان .

وقد أخبرت ضباط رئاسة الاركان بقلقى هذا فى اجتماع يوم ٢٤ سبتمبر (ايلول) وقلت لهم اذا كان السوريون يدبرون لهجوم شامل ، فان الامر خطير ، ولا بد أن يحسبوا حسابه من الآن . ذلك أن السورير لو استطاعوا تحطيم خطوطنا فى الجولان لانزلوا بنا هزيمة متكررة ، ولم

يكن ممكنا أن نترك الامور على ما هي عليه ونذهب للاحتفال برأس السنة التي يمي على حلولها ثلاثة أيام (تحل قبل يوم كيبور بعشرة ايام) . وبعد ذلك بثلاثة ايام عقدت اجتماعا حضره رئيس الاركان « دافيد البعازر » ، وكبار ضباطه ، وفائد الجبهة الشمالية ، وابلغني رئيس الاركان انه قد نقرر زباده عدد الدبابات على الجبهة الى مائة بدلا من سبعين دبابة ، وكذلك المدفعية وبقبة الوحدات . أما القنرات الجوية فقد وضعت في حالة الانذار الفصوى ولم تكن مهمة القنرات الجوية كما حدث في حرب الانام الستة حين كانت سوريا لا تملك صاروخا واحدا ، أما الان فلديها ١٥ بطارية صواريخ سام ٦ و ١٠ بطاريات سام ٢ و ٣ على خط الجبهة فقط . وفررت القمام برحلة للجبهة الشمالية لنفقد الاحوال والنحدث الى سكان المستعمرات هناك ، ولو ان رئيس الاركان أعرب عن رأيه في أن مثل هذه الزيارة قد تسبب القلق لسكان المستعمرات . وقد تمت الزيارة ليلا والنقيت بمصلى المستعمرات ولاننا كنا في ليلة رأس السنة فقد ابلغتهم اننى جئت حاملا اليهم الهدايا بهذه المناسبة ، ولكن ذلك لم ينطل على أحد . وقررنا عقب هذه الزيارة تدعيم هذه الجبهة أكثر مما هو فائهم . وبالفعل صدرت الاوامر برفع درجة الاستعداد فيها وتعزيزها بحيث تصبح ١١١ دبابة و ٣٠ بطارية مدفعية وانسحبت نفس الاوامر على الجبهة الجنوبية فاصبح عدد دباباتها ٣٠٠ دبابة .

وفي اليوم التالى ٢ اكتوبر « تشرين الاول » ناقضت الموقف مع رئيس الاركان ، فابلغنى انه راجع مرة اخرى مع المخابرات دلائل النشاط العسكرى المتزايد على الجبهة الجنوبية وبأكد له بشكل قاطع انها مجرد تدريبات اما بالنسبة لسوريا فقد كانت المظاهر لا تدل على شىء لكن تقارير المخابرات كانت تشير الى ان هناك اعدادا لشيء ما . ولذلك طلبت من رئيس الاركان اعداد تقرير مفصل عن تظهور توزيع القوات السورية ، وما يرد حوله من معلومات . وكذلك قررت ان الامر عاجل جدا ، وبنبغى أن يناقش على مستوى الحكومة .

وكانت رئيسة الوزراء في زيارة رسمية للنمسا ، ولكنها كانت على وشك العودة . واتصلت باسرائيل جاليلى وزير الدولة ، وطلبت منه تحديد موعد عاجل مع جولدا مائير بمجرد عودتها . واخبرته باننى غير راض عن الموقف في مرتفعات الجولان وبهمنى ان اشترك معها في المسئولية . واننى سأصطحب معى فى الاجتماع رئيس المخابرات ورئيس الاركان وقائد القوات الجوية . وان التقارير التى تلقيناها تفيد بأن السوريين لديهم ٦٥٠ دبابة فى الخط الاول ، وخط صواريخ يغطى مواقعنا ، ويمكنها ضرب طائراتنا وهى ما زالت فى سماننا . وادبها ابدا . ٥٠٠ وحده مدرعات .

وفي اليوم التالى ٣ اكتوبر « تشرين الاول » عقد الاجتماع مع رئيسة الوزراء ، وشرحت الوضع على الجبهتين السورية والمصرية

وبينت ان هناك تعزيزات وامدادات جديدة فيهما . وشرح رئيس الاركان وقائد السلاح الجوى ونائب مدير المخابرات الوضع على كل من الجبهتين . وقال رجل المخابرات انه يعتقد ان ما يجرى على الجبهة المصرية هو مجرد مناورات سنوية وأوضح رئيس الاركان كميات التعزيزات التى زودت بها الجبهة الشمالية وكان كل ما توصل اليه الاجتماع فى مكتب رئيسة الوزراء أن كواهلنا المتقلبة بالمسئولية ازدادت اعباؤها دون أن يؤدى ذلك الى تحسين الموقف .

وفى اليوم التالى ٤ أكتوبر (تشرين الاول) اجتمعت مرة أخرى مع رئيس الاركان وقائد الجبهة الشمالية ونائبه ومدير المخابرات ، وانهيناه الى أننا اذا تلقينا الانذار قبل ٢٤ ساعة من الحرب فسوف يكون الموقف مختلفا . والتقيت بعد الظهر مع مدير مصلحة المياه وسألته عن امكانيات حفر قنوات رى لاغراق الجبهة السورية لاعاقبة أى هجوم ، فأجبنى بأن ذلك ممكن . وفى المساء تلقينا تقارير تؤكد احتمال قيام سوريا ومصر بالهجوم ، وكانت أهم هذه المعلومات أن الروس أصدروا تعليماتهم لعائلات المستشارين الروس بمغادرة سوريا .

وفى الاجتماع الاسبوعى لرئاسة الاركان يوم الجمعة ٥ أكتوبر « تشرين الاول » أصدرنا قرارا برفع حالة الطوارئ القصوى ، فى الجيش والطيران ، وأصدرت تعليماتى للقادة بأن يقضوا يوم كيبور فى منازلهم . وفى الساعة العاشرة الا ربعا اجتمعت برئيسة الوزراء ، وعرضنا عليها تطورات الامور . وعقد اجتماع عاجل لمجلس الوزراء ضم الوزراء الموجودين فى تل أبيب اذ كان بقية الوزراء قد سافروا الى بيوتهم فى كل أنحاء البلاد وشرحنا تطورات الامور للمجلس ، وأكد رئيس المخابرات ايلى زاعيرا أن الهجوم ليس واردا ، وذلك ما وافق عليه رئيس الاركان دافيد اليعازر . وكان تقييم الولايات المتحدة للموقف أنه لا مصر ولا سوريا تفكران فى هجوم قريب . ولكننى قلت من وجهة نظرى ان كلا من مصر وسوريا فى وضع يمكنهما من القيام بهجوم خلال ساعات . ولذا طلبنا من المجلس أن يخول رئيسة الوزراء سلطة استدعاء الاحتياطى اذا طلبنا منها ذلك خلال اليوم التالى (يوم كيبور) ووافقت وأخبرتنا ماثير أنها ستقضى يوم كيبور فى تل أبيب حتى يمكنها دعوة مجلس الوزراء الى اجتماع كامل لا الى اجتماع مصغر كالأذى كان منعقدا بوجود خمسة وزراء فقط .

ومع أننا لم تكن غافلين عن احتمال نشوب الحرب ، فان حرب يوم كيبور اشتعلت فى اليوم الوحيد الذى لم تكن نتوقعها فيه . وجاءت فى يوم الغفران ، وهو اليوم الوحيد الذى يقضيه كل اليهود فى كل أنحاء العالم فى الصوم والعبادة . وفى اسرائيل كان العمل متوقفا والشوارع خالية لا سيارة فيها ولا مشاة . ان هذا اليوم هو يوم جاد لدى الشعب اليهودى وازدادت حديثه بنشوب الحرب فيه .

٣٠ الغزو

كان اليوم الاول للقتال ، يوم كيبور نفسه ، يوما شافا علينا .
فقد خسرنا كثيرا من الرجال ، وفقدنا اراضى ومواقع غالية القيمة .
وبالرغم من ذلك ، فان تقرير رئيس الاركان الذى قدمه فى العاشرة مساء
الى الحكومة كان ينسم بالتفاؤل . وكان واضحا أن كلا من مصر وسوريا
حققتا فى الهجوم ميزتين على أقصى جانب من الاهمية : الاولى هى المبادرة
فى بدء القتال ، والثانية هى النفوق الهائل فى القوى . وكان السبب
وراء تفاؤل رئيس الاركان راجعا الى ادراك أن هاتين الميزتين لن تبقىسا
فى يد العدو طويلا ، وذلك بمجرد أن تصل قوات الاحتياط الاسرائيلية
الى الجبهات فيما بين ٢٤ الى ٤٨ ساعة ، لتستعيد ميزان القوى وتمكننا
من استرداد عنصر المبادرة .

وقد بدأت المعركة ، فى نفس الوقت ، على كلا الجبهتين فى الساعة
الثانية ظهرا . فبدأ كلا الجيشين بقصف ارضى وجوى لمعسكرات
ومنشآت الجيش الاسرائيل . وفى الجنوب تابع المصريون القصف مباشرة
بعبور القناة على طولها . فأقاموا الجسور واستخدموا الزوارق
المطاطية ، بل أن بعضهم عبر القناة سباحة . وفى الشمال ، وتحت سنار
قصف مدفعى ثقيل ، بدأت القوات المدرعة السورية هجومها .

وحتى منتصف الليل كان المصريون قد نقلوا الى الضفة الشرقية للقناة ٣٠٠ دبابة من مجموع ٢٢٠٠ دبابة نقلوها الى هناك ، وكان لديهم ١٨٤٨ مدفع ميدان تغطي المنطقة كلها . وخصصوا لكل ميل من الارض ٥٠ مدفعاً مضاداً للدروع . وكان مجموع ما لدينا على هذه الجبهة ٢٧٦ دبابة و ٤٨ مدفع ميدان . وفي الجولان ، كان لدينا ١٧٧ دبابة و ٤٤ مدفع ميدان تواجهها ٥٠٠ دبابة سورية في أول موجة هجوم ، ووصل مجموع دباباتهم في هذه الجبهة ١٧٠٠ دبابة و ١٣٠٠ بطارية مدافع .

وقد بدأ العدو هجومه بقوة من المشاة تصل نسبتها الى ١٠ الى ١ مقارنة مع رجالنا . وبلغ عدد قوات المصريين مائة ألف رجل ضد ٨٥٠٠ من رجالنا ، في حين كان لنا على الجبهة الشمالية خمسة آلاف رجل يواجهون ٤٥ ألف سوري ألهم في الموضوع ، أن مشاة العدو - على عكس ما كانوا عليه سابقاً - كانوا مزودين بأعداد هائلة من الاسلحة المضادة للدروع ، ويحملون الصاروخ السوفيتي استريلا الذي يستخدمه الفرد ضد الطائرات . وقد عانينا أيضاً من نقص عددي في الطيران إذ كان لدى مصر ٦٠٠ طائرة ولدى سوريا ٣٥٠ طائرة .

وبرغم هذا التفاوت الرهيب في المدرعات والمدفعية والمشاة والطائرات فان تفديرات القيادتين الشمالية والجنوبية في الليل أنهما قد استطاعتا احتواء الهجوم وتقدم العدو . وقال رئيس الأركان اليعازر في تقريره أن هجمات السوريين في الشمال قد تم إيقافها ولم تحقق أي نجاح ، وأكد أن الاتصال ما زال مستمرا مع مواقعنا الحصينة في جبل النسخ برغم أن تقارير سابقة كانت قد أشارت الى انقطاع هذه الاتصالات واستيلاء السوريين عليها . أما في الجبهة الجنوبية ، وفقا لـ أ.م. رئيس الأركان ، فقد عبر المصريون القناة من عدة نقاط واستولوا على أحد مواقعنا الحصينة وأسروا ثمانية من رجالنا ، لكنه يرى أن الموقف فادح للاحتواء هناك .

وبات واضحاً أن الموقف على الجبهة الجنوبية ليس مرضياً كما يبدو الحال بالنسبة للجولان . فقد نجح المصريون في عبور عائق القناة ، لكن السوريين لم يخترقوا خطوطنا بعد . علاوة على ذلك فان التعزيزات سوف تصل الى الجولان في أثناء الليل الامر الذي يجعل فيها المئات من الدبابات عند ظهر اليوم التالي ٧ أكتوبر (ت ١) . أما الجبهة الجنوبية فقد يستطيع الجنرال ابراهيم دان الوصول اليها ظهر اليوم التالي بعدة عشرات فقط من الدبابات . أما التعزيزات القوية فلن تصل هذه الجمعة الا بعد يومين ، أي في صباح يوم ٨ أكتوبر (ت ١) ، ومنهني ذلك أن إمامنا ٣٠ ساعة صعبة .

وطبقا لهذه الظروف قمنا بتغيير الخطة التي كانت تقضى بنهاية طائراتنا بضرب الصواريخ السورية ، لنقوم في صباح اليوم التالي بضرب الجبهة المصرية لمساعدة العيـادة الجنوبية . وأحسست بالقلق يملاي . اذ لم أكن أسأرك رئيس الاركان وفائد القيادة الجنوبية معاؤليهما . أهد حقق المصريون مكاسب هائلة وتعرضنا لضربة موجعة . فقد عبر المصريون القناة وأقاموا جسورا نقلوا عليها المدرعات والمشاة ، ولم تكن نبت فتسلنا فقط في منعهم ، بل اننا لم ناسب لهم الا خسائر طفيفة في الافراد والمعدات .

وبالاضافة الى القلق الذي كان يساورني حول الموقف العسكري ، فقد كان هناك سؤال يسيطر على كل تفكيري . ما الذي حدث ؟ وهل أخطأنا في تخطيطنا أم التنفيذ ؟ ما الذي حدث لثلاثة من العناصر الاساسية في عملنا وهي : المدرعات ، والقوات الجوية ، والموانع الحصينة على القناة ، والتي كانت كفيـلة باعاقة العدو من العبور واصابنه بحسائر بالغة ؟

وأصبح العبور الآن حقيقة واقعة ، ولم تعد مواقعنا الحصينة سوى فخاخا للوجودين فيها ان لم نستطع رد المصريين الى الضفة الغربية ، وذلك ما لم أكن أشترك مع رئيس الاركان وقائد الجبهة الجنوبية في افتراض امكانية حدوثه . وعقد اجتماع للوزارة في العاشرة من مساء أول يوم للاطلاع على مجريات الحوادث ، وكان على رئيس الاركان أن يقدم هذا التقرير دون حاجة مني الى أن أتحدث . لكنني طلبت الحديث لكي أطلع الوزراء على الموقف بكل قسوته وتقييمي لما قد مررئيس الاركان .

وقلت أننا نواجه ثلاثة عوامل بالغة الصعوبة . أولها حجم قوات العدو المجهزة بأسلحة تراكمت عبر السنوات الست الماضية . فالجيش المصري والسوري ليسا هما الجيشان اللذان عرفناهما عام ١٩٦٧ ، بل هي قوات جيدة تم تجهيزها واملؤها بتصميم والاصرار . وثانيهما هو سلاح الصواريخ ، بعد تدعيمه بالصواريخ سام ٦ وما لم تستطع قواتنا الجوية قهر هذا السلاح فلن يمكنها تقديم يد العون لدبابتنا وتدمير مدرعات العدو .

أما العامل الثالث فهو حاجتنا الى المحافظة على الجبهات مع وجود قوات قليلة فيها الى أن يتم استدعاء قوات الاحتياطى ووصولها الى الجبهات .

وقلت ان المعركة الحرجة هي في منطقة القناة ، فسوف يواجه طيراننا في صباح اليوم التالي تحديات خطيرة تتمثل في سلاح الطيران المصرى وسلاح الصواريخ ، وسوف نحتاج الى قدر كبير من الجهد في هذا اليوم . أما في اليومين الثالث والرابع (٨ و ٩ أكتوبر تشرين ا) فستكون مدرعاتنا قد وصلت بالكامل الى هذه الجبهة وسوف تكون احتمالات تحقيق النجاح جيدة .

ولذا بدا لي أنه يجب علينا أن ننسحب الى الخط الثاني ، لنجارب المصريين في مسافة ١٢ ميلا من القناة . أما في الجبهة الشمالية فقد كانت توقعاتي أننا سنوقف الهجوم السورى . وقلت لهم ان العزاء الوحيد هو أن المعركة في الجبهة الجنوبية مثلا تجرى في صحراء سبضاء بعيدا عن أرض اسرائيل التاريخية ومدنها المأهولة بالسكان .

وقد أبدت ملاحظاتي وبينت رأيي ، لكننى لم أكن أشعر بالراحة . ولا الوزراء الحاضرون أيضا . كنت قلقا ومرهقا ، وشعرت بفجوة بينى وبين زملائى فى الوزارة . فلم يعجبهم ما ذكرته عن نجاح المصريين ولا عن انسحابنا الى الخط الثانى . كانوا يريدون من الجيش أن يرد المصريين عبر القناة قورا . وهكذا لم نكن نستخدم فى حديثنا موجة واحدة . كانت تسيطر عليهم روح التفاؤل التى أبدأها رئيس الاركان ، والتى التقت مع الامنيات الطيبة التى كانت تسود أفكارهم . وعند منتصف الليل تم ابلاغ ممثلنا فى الولايات المتحدة لاطارها بأننا فى غصون أباد سوف نظرد المصريين من الضفة الشرقية ، وأن الموقف برغم النجاح المرحلى للاعداء يدعو للرضى .

وأذاعت الاذاعة المصرية ، ووكالة تاس السوفيتية ، الاحداث التى وقعت فى اليوم الاول علي اعتبار اننا نحن الذين بدأنا الحرب . فأذاع راديو القاهرة أن السلاح الجوى الاسرائيلى هاجم فى الساعة الواحدة والنصف ميناء الزعفرانة المصرى على خليج السويس وأن (القوات المصرية ترد العدو) . وأذاعت تاس وراديو دمشق نقلا عن المتحدث العسكرى السورى أن اسرائيل هاجمت مواقع سورية متقدمة وأن القتال مستمر .

وكان بيان الولايات المتحدة مدعاة لقلق أكثر ، اذ علق منحدث باسم البيت الابيض على اندلاع المعارك بقوله : (أن الرئيس نيكسون يتابع الموقف عن كنب منذ الساعات الاولى من الصباح) • وكان الصباح دى الولايات المتحدة يوافق بعد الظهر فى الشرق الاوسط • وقد صدر البيان بعد ثلاث ساعات من الهجوم المصرى السورى دون أدنى اشارة الى أن العرب هم الذين بدأوا الحرب • وعندما أبلغ ممثلنا الولايات المتحدة أن العرب هم الذين بدأوا الحرب ، قيل له أن العرب يدعون اننا نحن الذين بدأناها •

٣١ جبهات القتال

بدأ السوريون هجومهم في مرتفعات الجولان الساعة السابعة السابعة بعد الظهر يوم ٦ أكتوبر في نفس الوقت الذي بدأ فيه المصريون في سيناء وهاجموا بقوات ضخمة على طول الجبهة بأكملها ، مركزين على نقطتين شمال وجنوب القنيطرة ، وصددهم صمودنا وبقائنا الدموي الذي فاده اللواء السابع المدرع بقيادة الكولونيل افيجدور في شمال القنيطرة . ولوا باراك المدرع بقيادة الكولونيل بن شوهام في جنوب القنيطرة . وقبل أن تصلهم الامدادات ، المقرر وصولها ، في صباح اليوم التالي ، نحتم على اللواءين أن يصدوا قوات الغزو ، ونجحا بالفعل في ايهـمـات الغزو في هذا اليوم المرير . ولكن السوريين استطاعوا اختراق القطاع الجنوبي خلال الليل ، وأصبح الموقف خطيرا للغاية . ولقد كنا نتوقع دائما أن أى هجوم سوري يحدث سيأتى من الشمال . ولذا زودت وارب افيجدور في الشمال بدبابات كافية ، أما الآن فقد نحتم على القطاع الجنوبي بدباباته القليلة أن يصد الغزو السورى .

وبخلاف ما حدث على قناة السويس ، فان المهاجمين واجهتهم نيران شديدة وقد تم مد كل المواقع ، فيما عدا جبل الشيخ ، بامدادات جديدة.

لأنم نربب مدلعيناً بحيث نغطى المواقع الامامية ٠٠ وقد تقدم السوريون ب ٥٠٠ دبابة وأضافوا لها فى الليل ٣٠٠ دبابة أخرى ، فى مواجهه ١٧٧ دبابة فى قيادتنا الشمالية وكان كل ما وصل الى القيادة الشمالية من الاحتياطى هو ١٢ دبابة ٠

وفى الليلة الاولى ، وقبل اختراق السوريين للقطاع الجنوبى ، تركت اجتماع مجلس الوزراء وذهبت الى القيادة العامة الخاصة بالطوارئ ٠ فوجدتها كحليه التحل ٠ ولكن بدون عمل ٠ كان العمل ، من الناحية الفنية ، يسير سيرا حسنا ومنظما ٠ فهم يلقون التقارير من جبهات القتال ويضعون العلامات على الخرائط ٠ اما من ناحية السيطرة والقيادة والتفكير الهادى المتوازن ، فان الموقف لم يكن مرضيا بالمره داخل حجرة العمليات ، فان الوقت لم يكن مرض ٠

كانت بطورات الحرب فى أيدي قادة الجبهات ، وكان همهم ان يدافعوا عن خطوطهم ويمنعوا أى اختراق للعدو الى ان يصلهم الامدادات ربي مثل هذه الاحوال ، فان القيادة العامة لا يكون فى وسعها ان تعمل الكثير ، وكانوا بين الحينة والاخرى يتصلون بالمواقع ويتخذون القرارات اللازمة بعد التشاور مع قادة هذه المواقع ٠

وذهبت الى غرفه عمليات الطيران حيث ابلغنى القائد عن خططه لليوم التالى ، وهى ان يهاجم اهدافا فى الجبهة الجنوبية فى صباح اليوم التالى وخاصة قواعد الصواريخ والمطارات حتى نتاح له الحرية فى القيام بعمليات بعد ذلك على ضفتى القناة ضد القوات المصرية ٠ وكان رئيس الاركان يرى أنه لا مانع أيضا من ضرب المعابر قبل إسكات بطاريات انصواريخ وقلت لهم ان لدى وجهة نظر أخرى فقد كان أمام المصريين ليلتان ويوم لادخال قوات مدرعة هائلة الى سيناء ، ولذا فقد كتب ارن ان نبدأ بمنع هذه القوات من التقدم حتى لو خسرنا طائرات ، اذ ان الطائرات لو قُتلت فى تدمير قواعد الصواريخ ، فسيعنى ذلك أننا فقدنا كل شيء ، فستصبح حركة طيراننا محدودة ونكون قد سمحنا لقوات ضخمة من الدبابات بالعبور ودخول سيناء ٠

وكانت لوزير الدفاع سلطات سياسية ، ومن هنا فأن القرار العسكرى يكون فى يد رئيس الاركان وقائد الطيران ، وهكذا بقى قرار ضرب الطيران لقواعد الصواريخ ساريا وكان الوقت حينذاك النانيسه صباحا أى بعد ١٢ ساعة من بدء الحرب ، فعدت الى مكتبى للراحة ، وأيقظونى بعد ساعتين ، لان الموقف فى الشمال أصبح خطيرا ، فقد

أُخْرِقَت القوات السورية خطوطنا في الحسنية جنوبي القنيطرة بثمانية أميال ، وبدأت تتقدم نحو الطرق التي تربط مرتفعات الحولان ببجر الجليل . وكانت الدبابات الاحتياطية التي أرسلت على عجل قد وصلت الى سفوح المرتفعات لاجل إغلاق الطريق . وأصدر الجبرال أسـمـحـاي يوفى أوامره باجلاء كل السكان والمدنيين في المستعمرات ، وبم إجلاء النساء والأطفال في يوم الغفران .

وغادرت مكتبي على الفور منجها بالطائره الى الجبهة الشمالية . وكنت أسمع صوت الانفجارات ، ونحن نظير فوق نل أبيب ، فلم يكن عمق مرتفعات الجولان يبعد أكثر من ١٥ ميلا . وإذا ما وصل السوريون الى نهر الاردن ، فيصبح من الصعب ردهم ، خاصة وهم يستخدمون مثل هذه الكميات من الاسلحة والقوة البشرية واننا نقاتل المصريين على الجبهة الاخرى . ولذا كان لا بد من إيقاف اختراق السوريين ولو اضطررنا لاستغلال كل القوات المتاحة لدينا . ووصلت الى مقر قيادة المنطقة الشمالية قبل السادسة صباحا بقليل . وأبلغني القائد أن كل دفاعاتنا في القطاع الجنوبي قد انهارت ، وأن السوريين قد تغلبوا على لواء باراك وحركوا الى القطاع الجنوبي . وعم الآن في منتصف الطريق الى نهر الاردن . أما قواسا المدرعة التي نمت نعبتها فلن نستطيع مواجهه العدو قبل منتصف النهار .

واكتسب أن الطيران هو العوزة التي تستطيع الآن إيقاف تقدم العدو ، وأنه لا يجب إضاعه دفيعة واحدة وأحبرني قائد القطاع أن دباباتنا مشتبكة مع العدو في معركة ، وأن الطائرات قد نصف بعض دباباتنا . وقلت له أن يصدر أوامر لأطعم الدبابات اما ينركوا دباباتهم أو يغلّقوا الابراج . وكان على طائراننا أن يهاجم قوات العدو المدرعة دون أن تحاول - حسب المعاد - إسكات قواعد الصواريخ أولا . وطلبت الجنرال بنى بيليد قائد الطيران على التليغون وطلبت اليه أن يرسل طائراته فورا في عملية مسنمة ضد الدبابات السورية التي اخترق الخطوط ، فذلك هو التصرف الوحيد الذي يمكن من إيقافهم الى أن يصل امدادات أخرى من المدرعات بعد الظهر . وكان موردخاي هور قائد الطيران السابق ، والذي يعمل الآن كضابط اتصال في القيادة الشمالية يقف بجانبى . وقال لى : قل له أن يرسل التشكيلات واحدا بعد الآخر من أربع طائرات في حركة مسنمة حتى نشل فاعلية المدرع السوريه ، ونصبح أطعم الدبابات غير قادرة ، على رفع رؤوسها . وكانت تلك هي المرة الاولى التي أتحدث فيها مع قائد الطيران في مثل هذه الامور وبهذا الاسلوب ، لانه يتلقى أوامره عادة من رئيس الاركان ، كان الطلب

أكثر من أمر ، ولذا كان الرد إيجابيا : وبالرغم من كثافة نظام الدفاع الصاروخي الجوي السوري ، فإن الطائرات ظلت تهاجم المدرعات السورية بدون توقف ، الأمر الذي أحدث تأثيرا ضخما على الموقف .

وحلال صباح يوم ٧ أكتوبر (نسر إلى الأول) بدأت القيادة الشمالية بدعم لواءاتها التي نعتت حلال الفصال ، وتكلف بعض الضباط الكبار بالسيراف على فصاعها ، فوضع مستولية القطاع الجنوبي على عابى الجنرال دان لائر ، والقطاع الشمالى على الجنرال رافويل ايمان . وكان هناك تشكيل ثالث سيصل الجولان فى المساء وعند الساعة الواحدة صهرا ، ظهرت فجأة الدبابات السورية حول معسكر نافع على مسافة ١٠ أميال فقط من جسر يصل الى الاردن ويوصلهم ايضا الى بن مسنعمرانند فى الجليل الشمالى . وحاض الكولونيل بن سوهايم معركة حنيعة لايفرف بدمهم الى أن وصله امدادات فويه ، ثم قتل خلال هذه المعركة هو وبانيه . وما أن حل المساء حتى كان السوريون ينهضون وابتعدوا خطر الازمة النارية التي واجهتها خلال الاربع والعشرين ساعة . وكانت عمليات الطيران سببا فى الفصاء على حطوره التقدم السوري . أما فى المعركة النارية فقد كانت هناك مجموعة من الدبابات متجهة من قواعدهم فى الجليل فى مجموعات صغيرة الى الجبهة ، وعندما شاهدت التقدم السوري نحو نهر الاردن فقلت الطريق وحولته الى عنق زجاجة ، ثم بجحوا فى دفعهم الى الوراء .

وفى اليوم الثالث للقتال حدثت الازمة الثالثة مع اللواء السابع فى القطاع الشمالى والذي ظل يقاتل ثلاثة أيام وليال بلا توقف وضعفت معامته بعد عدة هجمات قوية طوال تلك الايام وما هو الآن يواجه أقوى هجوم عليه بعد أن أصيبت معظم دباباته ونفذت تقريرا ذخيرة بفيضة الدبابات . وانصل الكولونيل أفيجدور بقائد اللواء الجنرال رافويل ايتان ، وأبلغه أنه لم يعد بمقدوره إيقاف تقدم العدو أكثر من ذلك . ولكن ، فى نفس اللحظة ، أفاد الكولونيل يوسى بأن وحدته استطاعت احتلال مفرق الطرق عند نقطة تدعى بوستر شمال غرب القنيطرة ، وأن الدبابات السورية بدأت فى الانسحاب .

وعلى الفور اتصل ايتان بأفيجدور وأبلغه بهذه الاششارة ، وطلب اليه الصمود لعدة دقائق فقط ، وبالفعل صمد اللواء السابع وبدأت دبابات المقدمة السورية فى الانسحاب .

وعندما توجهت الى القيادة الشمالية مساء يوم ٩ أكتوبر (تشرين الاول) وجدت أن الحالة قد تغيرت رغم القتال العنيف والخسائر

الفادحة ، وخاصة بين الضباط . وكان الجميع يشعرون بأن الهجوم السوري قد انكسر . وكانت قوات العدو قد خسرت حوالي ٩٠٠ دبابة . وقد دهشت عندما علمت أن يوسى قد اشترك في المعركة ، لأننى كنت قد سألت عنه منذ يومين وعلمت أنه خارج اسرائيل يهضى شهر العسل فى الهيملايا . وعلمت أنه عرف بنشوب الحرب وهو فى نيبال فبادر بالعودة الى اسرائيل عن طريق أنينا ، حيث التحق بالقيادة الشمالية وفاد ١١ دبابة الى نل بوستر . استطاع أن يحتله رغم أنه واجه ٦٠ دبابة سورية . وحرصت على رؤيته لكنه كان قد أصيب إصابة بالغة فى معركة أخرى فى تل شمس ، ولم أراه الا فى مستشفى حيفا بعد ذلك بثلاثة أيام .

وقامت قواتنا بعد ذلك بسد الاختراق السوري ودفعوا العدو خلف خطوطنا الى داخل سوريا ، ووصلوا الى تل شمس على طريق دمنشق . وهناك واجه يوسى خطوطا دفاعية قوية وهجمات مكثفة من الطيران السوري ورغم أن ثمانى دبابات فقط هى التى بقيت لدى يوسى ، فقد حاول بها احتلال تل شمس فى اختراق سريع ، لكنه سرعان ما اكتشف خطاه ، اذ وجد المنشاة السوريين فى مواجهته ، وأسفرت المعركة عن فقد الدبابات وعن فقد لساقه اليسرى ولم ينقذه الا زفيكا قائد دبابته الذى نجا باعجوبة .

وفى نهاية الاسبوع الاول من الحرب على الجبهة الشمالية ، كان السوريون فى موقف الدفاع ، وارتدت الحملة الى اراضيهم شرقى الخطوط التى اخترقوها منذ ستة أيام .

وبعد كانت قواتنا - كما رأينا - على الجبهة السورية متمركزة ومستعدة لمقابلة السوريين عندما نشبت حرب يوم كيبور أما على قناة السويس ، فقد كان الوضع مختلفا تماما . وكان أول من قاسى من عنف المعركة على هذه الجبهة ، هو خط استحکاماتنا الاول الذى كان على فناء السويس مباشرة ، ويضم ١٦ من الاستحكامات القوية ، والذى عرف باسم خط بارليف . وكانت المعارك قوية وعنيفة ، وعندما هاجم المصريون هذه الاهداف . وقد حاربت كل نقطة من نقاطنا معركتها مستقلة ، وكأنها جزيرة منعزلة ، ولكنها قاتلت بعنف وبسالة لانها كانت معركة حياة أو موت ، معركة استسلام أو حرية .

وكانت هذه الاستحكامات عبارة عن نقط أمامية صغيرة ، تضم كل نقطة بين ٢٠ و ٣٠ جنديا ، تمتد على حافة مياه القناة ، وتبعد كل منها عن الأخرى خمسة أميال . وقد تعرضت كلها الى قصف شديد ومركز عندما بدأ المصريون هجومهم . وقد تبع هذا القصف هجوم شاسع بالدبابات والمشاة . وفيما عدا الموقع الذى كان يدعى بودابست ويتميز بوضع طوبوغرافى خاص ، فقد سقطت كل النقاط ، بعضها تم إخلاؤه ، والبعض الآخر اقتحمه المصريون .

ولم يحدث هذا فى الحال ، فعلى الرغم من أن المصريين عبروا القناة مع أول دابة تم إطلاقها فلم تسقط أى نقطة خلال الأربع والعشرين ساعة الأولى ، ولا حتى تلك التى نجح المصريون فى التسلل إليها عند بدء المعركة . ومن ناحية أخرى ، لم تنجح أى نقطة فى إيقاف تقدم المصريين فى قطاعها . ونجحت بعض النقاط فى اغراق زوارق المصريين أثناء العبور ، قام بعضها بتوجيه المدفعية والطيران الى الضرب الفعال للجسور وتجمعات القوات وتسببت فى أحداث خسائر فادحة لها لكن ذلك كله لم يؤثر فى حركة نقل مدرعات المصريين ومشاتهم الى الضفة الشرقية وعندما كان يخفق المصريون فى احتلال أى نقطة ، فانهم كانوا يمرون عليها ويواصلون تقدمهم ، فيما عدا نقطة بودابست التى رغم أنها تعرضت لهجوم عنيف ، فقد ردت المصريين وأجبرتهم على العودة الى بور سعيد .

وانعزلت بقية النقاط عن قواتنا . وقاتلت قواتها بشجع جماعى وتصميم . وفى معظم هذه النقاط قتل كثير من الضباط وتلقت بعض النقاط الأوامر بالجلء أو الاستسلام ، ولكنها رفضت ذلك ولكنهم فى النهاية حوصروا بواسطة الأعداء وانقطعت اتصالاتهم بكل القوات ، ولم يعد لهم القدرة على التمسك بنقاطهم . وكانت آخر نقطة تسقط ويؤخذ رجالها أسرى ، هى ماسريك التى تحكم المدخل الجنوبى لقناة السويس . وكان بعض تلك النقاط قد تلقت الإنذار بالهجوم المصرى قبل حدوده بوقت قصير ، وتلقاه بعضها ساعة وقوع الهجوم . ولكن ذلك على أية حال لا يعنى أنه لو كانت هذه النقاط قد تلقت الإنذار قبل بدء القتال بوقت كاف فلم يكن بإمكانها أن تغير فى الأمر شيئا ، لأنها لم تكن مستعدة لمواجهة مثل هذا الهجوم الضخم المكثف . وكان أقوى ما فى هذه الاستحكامات هو الجزء الذى يقع تحت الأرض ويضم حجرة العمليات ومضامع الجنود . أما مراكز إطلاق النار وخنادق المواصلات ، فكان من الضرورى أن تكون على سطح الأرض . وسقطت هذه المواقع

المكشوفة عندما تعرضت لقصف المدفعية المصرية ثم لنيران الدبابات التي حاصرتها ، وقتل رجالها أو أجبروا على مغادرتها .

وعلاوة على ذلك ، فلم يكن الأعداد الفنية والتنظيمي لهذه الجبهة ، متفندا ، ففحصنا الدبابات التي كانت يجب أن تتمركز بين النفقات الحصينة لربطها ببعضها وتقديم العون لها ، كانت على بعد ٦ أميال المتلف . وعندما حاولت هذه الدبابات التقدم للامام وجدت المصريين قد سبقوها الى هناك ، وتعرضت لنيران عنيفة من ضفتي القناة . وتم تدمير معظم هذه الدبابات وسبل فاعليتها . وفي داخل الاستحكامات ، كانت حالة السلم قد أدت الى أن أصبحت معظم المعدات غير معدة للعمل مثل أجهزة الإشارة والاسلحة ، فقد كانت جميعها في مستوى أقل من المستوى المقبول ؛ كما أن حالة الرجال أنفسهم لم تكن مهيأة للحرب . وفوق كل هذا فان هذه الاستحكامات لم يختر لها الرجال جيدا ولم تلق امدادات وتعزيزات تمكنها من الحفاظ على أصعب خطوط الجبهة ، أكده تقدمها وهو خط القناة ، وكانت معظم قواها من جنود الاحتياطى القدامى الذين مر عليهم عامان دون أن يتلقوا أى تدريب .

ولا يمكننى الحكم بأى مقياس على مدى مساهمة هذه الاستحكامات في إعاقه التقدم المصري ، الى الامام . وعلا ، أنه حال فان المصريين لم يتقدموا خلال اليومين الاولين أكثر من بضعة أميال وكان هذا الوقت كافيا لكي نعيء كل الاحتياطى ، وتصل الامدادات الى ميدان القتال . وكما يحدث دائما في كل معاركنا فقد كانت خسائرنا الفادحة في الضباط وقادة المواقع ونوابهم .

وبالرغم من أن الهجوم بدأ بصدمة القصف المدفعى العنيف ، وفي الوقت الذى كانت القوارب فيه تعبر القناة فقد أصبح مفهوما أن الحرب العادية قد بدأت . غير أن الضغط الرئسي عسكريا ونفسيا جاء عندما تدفق آلاف الجنود ومعهم الدبابات ، واقتحموا الاستحكامات وأخذت قوا حقول الألغام والبوابات . وتصدى المدافعون للمهاجمين وعندما كانت مواقع إطلاق النار تسقط أو تخل ، كان رجالنا ينتقلون الى مواقع أخرى ، وهم مستمرين في قتال الاعداء . وبمرور الساعات أصبح واضحا للجنود أن موقفهم يزداد صعوبة ، وأن احتمال وصول امدادات لهم أصبح سريدا ، فقد سدت الطرق أمام وصول الدبابات المهمة واحتقت الدبابات التي حاولت ذلك ، وبدأ الرجال بطلبون باخراجهم مما هم فيه .

كانت هناك تقديرات خاطئة على كل المستويات بدءاً من قادة الاستحكامات الى قادة الالوية الى رئيس الاركان ، بل وحتى على مستوى الحكومة . فقد كان الجميع يعلقون الآمال على أن نستطيع إعادة المصريين الى الضفة الغربية أو على الأقل أن نخترق صفوفهم وننتصل بالاستحكامات ، ولقد كانت هناك ، فى الليلة الاولى للحرب ، احتمالات بأن ننقذ كل الرجال على خط الاستحكامات ، لكن قيادة الجبهة الجنوبية فضلت ألا تفعل ذلك لأنها تصورت أن الايام القادمة فى الحرب أن تكون أصعب من اليوم الاول . وقد حاولت بعض وحدات الدبابات انقاذ نقاط الاستحكامات ولكننا فقدنا الكثير من أطقم الدبابات فى هذه المحاولات . وفى حالات أخرى حاول رجالنا اختراق صفوف الإعداء وهم يدخلون مواقعهم ، ونجح بعضهم ولكن معظمهم فشل فى ذلك . وقد صمد موقع واحد حتى النهاية ، بينما استسلمت المواقع الأخرى بعد أن يشتدت من وصول التعزيزات ونفذت ذخيرتها وقتل رجالها .

كان خط بارليف قد اكتسب شهرة ملحوظة ، ولذا فإن اقتحامه اعتبر بمثابة نصر كبير للمصريين رد لهم كبرياءهم . لكن النقط القوية التى يتكون منها هذا الخط ، لم يكن متوقعا منها أن توفر قوة لهم تزود بها ، ولا أن تؤدى وظائف لم تنشأ من أجلها أصلاً . فلم يكن مطلقاً با منها ولا مخططاً لها أن تمنح - بمفردها مستقلة ومعتمدة على عدد أفرادها وقوة نيرانها - قوات كبيرة العدد من عبور القناة . وكانت نسبة المصريين الذين عبروا الى المدافعين ٢٠٠ الى واحد . ولم يكن متوقعا لها أن تصمد ساعات طويلة فيما لو حوصرت وقطعت عنها خطوطها ، لأنها لم تكن تشكّل نظاماً عسكرياً مستقلاً . لقد كان خط بارليف والثقة فى الحصينة جزءاً لا يتجزأ من التنظيم العسكرى الشامل فى سيناء ، وكان مخططاً لها أن تنفذ واجباتها فيما لو كانت القوات الأخرى كالمدرعات والمشاة موجودة معها أو بالقرب منها . وهكذا ، فإن نجاح خط بارليف لم يكن يعتمد على النقاط الحصينة وقدرتها على الصمود ، بل على حسن توزيع الوحدات المدرعة حسب الخطة وضمان الطرق المؤدية الى هذه النقاط من الخلف . وطالما لم يتم تأمين هذه الشروط فقد كان واحداً اخلاء هذه النقاط وسحب رجالها للخلف والقيام بهجوم مضاد من الخلف بواسطة المدرعات والمشاة .

وفى الساعات الأربع والعشرين الاولى من نشوب الحرب ، أصبحنا لا نملك سوى قوة ضئيلة من المدرعات على الجبهة المصرية . وما أن انهاز خط الدفاع الاول حتى تدفق المصريون على سيناء بقوات ضخمة وبقوة هائلة من الاسلحة . وقاتل لواء دبابات الجنرال ألبرت ماندرل

بمسالة لايقاف تقدم المصريين • ولم يكن هذا اللواء منتشرا وفق خطة الطوارئ فى موقعه عندما بدأت الحرب ، ولذا فانه ، ما أن تقدم نحو القتال حتى تعرض لنيران عنيفة من الدبابات المصرية بالصفة الشرقية • ودارت معركة عنيفة ووحشية طوال بعد ظهر هذا اليوم ، وازداد الموقف سوءا أثناء الليل • وعند الفجر ، وصلت موجات جديدة من المدرعات والمشاة المصريين • وكانت قواتنا قد تكبدت خسائر فادحة فى الرجال والمدرعات خلال هذه المعركة المستمرة ولم يبق سوى عدد قليل من دباباتنا قادرا على الاستمرار فى القتال وقد نجحوا فى وقف قوة اندفاع تقدم المصريين ، لكنهم فشلوا فى اعادتهم مرة أخرى عبر القناة •

وفى اليوم التالى بدأت امدادات الاحتياطى فى تشكيلات الجنرالين ابراهام آدان واريك شارون فى الوصول • وفى الصباح وقتل وصول هذه الامدادات طرت الى القيادة المتقدمة فى الجبهة الجنوبية ، حيث شرت كمية كبيرة من القهوة مع قائد الجبهة الجنرال شمويل حوئيل وضابطه ، ولكنها لم تفلح فى تنشيط حواسي أثناء مراجعة الموقف فى الجبهة وعندما طرت من الجبهة عائدا الى تل أبيب تذكرت اننى لم امر بلحظة قلوت تشابه هذه اللحظات فى حياتى من قبل • وقد كان الامر اسما لو اننى كنت أتعرض للخطر شخصا ، أما هذه المرة فالشعور مختلف ، أن اسرائيل هى التى تتعرض للخطر ، وسيتكهن الثنائى خطرة اذا لم نقدر الموقف نفهمة فى هذا الوقت ، واذا لم نستجيب لاحتياجات الحرب الحديثة •

وبعد أن أخبرت دافيد اليعازر رئيس الاركان بما انتويت أن أقوله لجولدا مائير ، طلبت حضوره لعرض وجهات نظره على رئيسة الوزراء • وحضر الاجتماع أيضا اثنان من الوزراء وكانت النقاط الرئيسية التى اقترحتها هى أن نخلي خط القناة وأن ننسحب الى خط جديد ، نتمسك به مهما كان الثمن وكانت مشكلتنا الرئيسية هى التفوق العربى فى الافراد والسلاح • وكان العرب يحاربون بتصميم وبأسلحة روسية ممتازة من بينها الأربى جيه المضادة للدبابات وصواريخ ساجر وبمساعدة الروس وبعض الدول العربية الاخرى مثل ليبيا فان العرب قادرون على الاستمرار فى الحرب مهما كانت خسائره ، أما نحن فقد كنا نخشى أن نفقد قوتنا قبل أن تصل الينا الامدادات السريعة • واقترحت أن نطلب دبابات وطائرات من الولايات المتحدة ومن بعض الدول الأوروبية وقد صدمت رئيسة الوزراء والوزراء الآخرون ، خاصة عندما قلت اننى لا أظن أن فى مقدورنا فى الوقت الحاضر أن نلقى بالمصرين مرة أخرى الى الضفة الغربية ، والسبب فى ذلك أن رئيس الاركان قد أبلغ مجلس

الوزراء فى اجتماع صباح نفس اليوم ، ولم أحضره ، إن ذلك فى مقدورنا • وبدا واضحا من أسئلته واستجواباته بعد هذه الملاحظات القاسية ، ان الضعف ليس ناتجا عن الموقف العسكرى الحالى ، وإنما من شخصيتى أنا • واننى قد فقدت الثقة وأن تقديرى للموقف ليس صحيحا واننى متشائم للغاية •

ووافق رئيس الاركان على وجهة نظرى بالنسبة للموقف ، وأبدى استعداداه لاقامة خط دفاع ثان ، ولكنه كان يرغب فى القيام بهجوم مضاد فى هذا المساء يستخدم فيه تشكيلات شارون وبرن وسألنى على مسمع من الجميع عما اذا كانت لديه سلطة اتخاذ القرار . فأجبتة بالايجاب ولكننى تشككت فى أن التشكيلين فى وضع الاستعداد لمثل هذا الهجوم وأبلغته أنه يمكنه أيضا أن بعد العدة للهجوم على المصريين فى الضفة الشرقية • وعندئذ فقط تنفس الوزراء الصعداء ، فما كان يدور بخلدكم أبدا اننا لا نستطيع القاء المصريين حيب كانوا منذ ٣٩ ساعة •

وخيل لى أن جذور الاختلاف بينى وبين نقبة الوزراء تكمن فى أنهم لم يكونوا مستعدين مثل لمواجهة الحقائق واقعا وعلى سبل المثال فانهم اعتقدوا عندما علموا أن طرائنا قد قذف الجسور ، أن القوات المصرية قد انعزلت • وحاولت افهامهم أن هذه الجسور هى عوامات وليسست جسورا دائمة وبمكة اصلاحها أثناء الليل • وبالنسبة لطرائنا فقد كنا متفوقين فى الاشتباكات الحوية ، ولهذا فان المصريين تحاشوا ارسال طائراتهم فى الجو فوق ميدان القتال ، وكانوا يستخدمون بطائرات صواريخهم المضادة للطائرات • وقد أسقطنا فى اليوم الاول ٤٠ طائرة عربية وفقدنا نحن ٣٥ طائرة بسبب الصواريخ • وكانت هذه هى الحقيقة المؤلمة •

وكانت مؤشرات الحقيقة تقول انه اذا استمرت خسائرننا فى القتال على هذا المعدل ، فاننا سنجد أنفسنا فى منتصف الحملة بدون قوات فعالة ، بينما العرب بأسلحتهم الضخمة وترساناتهم يستطعون الاستمرار • وكانت مصر وسوريا تعداد ٨٠ مليون نسمة ، بينما نحن مجرد ثلاثة ملايين • وكان تعداد قواتهم المسلحة مليون فرد ، تمدهم روسيا بالسلاح كلما احتاجوا • • ويستطيعون أيضا أن يحصلوا على مساعدات مالية من مصادر مختلفة • وكان العرب يشاركون فى المعركة بإرسال تشكيلاتهم العسكرية أما نحن فقد طالبنا الولايات المتحدة بصقة عاجلة بامدادنا بالطائرات والدبابات ، ولكن من يعرف ما اذا كنا سنحصل عليها ومتى ؟ ونحن فى النهاية اذا لم نحارب معركتنا ، فلن

بحارب لنا أحد . كان هذا هو تقديرى للموقف الذى دفعنى لمطالبة
بإخلاء خط القناة والانسقال الى خط الدفاع الثانى . وسافر رئيس
الاركان الى سيناء وطلبنى تليفونيا من هناك ليخبرنى أنهم قرروا القيام
بهجوم مضاد صباح الاثنين ٨ أكتوبر ، وعاد فى منتصف الليل حيب
وجهنا الى حجرة العمليات لنسمع التفاصيل فى اجتماع مجموعة
العمليات . ومع أننا كنا بعيدين عن أرض المعركة الا أن غرفة العمليات
كانت تسيطر عليها روح المعركة المقبلة .

وكانت الروح المعنوية لرئيس الاركان عالية ، وكان يقول للضباط
انه اذا نفذ الهجوم المضاد جيدا فى اليوم التالى فانه سيكون نقطه تحول
فى الحرب . وكان المصريون قد نقلوا الجيش الثانى الى القطاع الشمالى
والجيش الثالث الى القطاع الجنوبى ، وكنا قد أرسلنا بضع مئات من
الدبابات لتدعيم القطاع الجنوبى حيث ستأخذ دورها فى المعركة .
وسيكون اليوم التالى يوم صدام المدرعات ، وفعلا حدث الصدام فى اليوم
التالى بين المدرعات ، وكانت المعركة عنيفة للغاية ، وحارب رجالنا
مسلحة ، ولكن اليوم فى مجموعته كان فاشلا . وكان السر فى فشل
الهجوم المضاد ، ان ما دار لم يكن فى حقيقته هجوما مضادا . اذ كان
هناك عدم وضوح رؤية على أعلى مستوى فيما يتعلق بخطة القتال ، وكان
قائد الجبهة الجنوبية يجهل ما يدور فى ميدان القتال طوال اليوم . ولم
تكن هناك ورقة مكنوبة عن المتساورات التى أجراها رئيس الاركان مع
قائد الجبهة الجنوبية ومع شارون وبرن قائدى التشكيلين الفرعيين .
لانت الخطة تقضى بأن يقوم تشكيل برن بالهجوم على الجيش الثانى
المصرى فى القطاع الشمالى شمال القنطرة بعدها ينجح جنوبا فى انجاء
البحيرات المرة ، بينما يقف تشكيل اريك والبرت فى الخلف مستعدين
لتقديم الدعم لتشكيل برن . وبعد نجاح هجوم برن يقوم تشكيل اريك
بالهجوم على الجيش الثالث فى القطاع الجنوبى ويقوم برن والبرت
باحتواء الاعداء . ولم تتضمن الخطة عبور القناة كهدف لهذا اليوم . ولكن
رئيس الاركان قال انه قد تكون هناك امكانية ، بعد تحطيم رؤوس
الجسور ، أن تعبر قواتنا مستخدمة الجسور المصرية . وتقرر أن تجرى
المعركة على بعد ميل ونصف ميل من خط المياه لتجنب الصواريخ المضادة
للدبابات المنتشرة على شاطئ القناة .

واتضح أن اريك شارون عندما التقى مع رئيس الاركان قبل عودته
لتل أبيب ، كان قد اقترح عليه أن تقوم القوات مباشرة باخترق خط
الاستحكامات وانقاذ الرجال ، وأن خطوتنا العاجلة يجب أن تستهدف
ابجاد موطئ قدم لنا على القناة ، وعبورها ، وبذلك نربك الاعداء . وسرح

أريك اقتراحه لجونين والبرت وبرن بعد أن سافر رئيس الأركان ، ونتيجة لذلك فهم برن أن هناك فرصة إضافية بأن يهجم أريك على الاستحكامات عند الفجر ، بينما يقف برن مستعداً لدعمه . وفهم أريك نفس الشيء . وفى الساعة ٦١٥ صباح يوم الاثنين ٨ أكتوبر (تشرين الأول) أخطر قائد الجبهة الجنوبية أريك أن عليه ألا يهاجم فى اتجاه الاستحكامات بل يهاجم فى القطاع الجنوبي وفى مكان ليس بعيداً عن خليج السويس وإذا كان ذلك ممكناً فليحتل حسراً مصرية ويعبر عليه ، وكان عليه أن يهاجم عند الظهر معتمداً على تقدم برن . وقبل ذلك بقليل كان جونين قد أخذ موافقة رئيس الأركان على أن يقوم برن بالهجوم فى الساعة الثامنة صباحاً لفتح طريق لعبور لواء على أحد الجسور المصرية فى منتصف القناة .

وقد بدأت قوات برن تحركها وفق الخطة من الشمال للجنوب بمحاذاة القناة ، ولكن بعيداً عن مرمى صواريخ المشاة . وفى التاسعة صباحاً شعر قائد الجبهة الجنوبية أن كل شيء يسير على ما يرام على حسب الخطة المرسومة ووافق جونين على اقتراح برن بأن يتوجه غرباً لانقاذ أحد استحكاماتنا التى كانت تتعرض لضغط شديد . وكانت هذه النقطة قريبة جداً من أحد الجسور المصرية . وما أن تحولت هذه الوحدات غرباً حتى تعرضت لنيران صواريخ المشاة المتخندقين وصواريخ الأربى جيه المضادة للدبابات . وسار كل شيء على طريق خاطئ ولكن قائد الجبهة الجنوبية كان بعيداً عن كل ذلك ، واعتقاداً منه بأن تشكيل برن فى وضع جيد حصل على موافقة رئيس الأركان على أن يبدأ أريك هجومه ليصل الى أهدافه قبل حلول الظلام . وبدأ تشكيل أريك يتحرك . واتضح أخيراً أن تحريك قوات أريك قبل أن يتقرر مصير هجوم برن ، كان هو العامل الفاصل فى فشل الهجوم المضاد فى هذا اليوم وعلم قائد الجبهة الجنوبية بعد الظهر أن المصريين يعدون هجوماً مضاداً على طول الجبهة . وفى الساعة ٢١٥ بعد الظهر طلب قائد الجبهة من أريك أن يعود الى الشمال مرة أخرى وبالفعل استدار عائداً الا أنه تحتم عليه الآن أن يقاتل خلال الطريق فى المنطقة التى كانت خالية أثناء توجهه الى الجنوب . وانتهى اليوم بتقهقر خطوطنا الى الوراء لمسافات أكثر مما كانت عليه فى الصباح .

وفى هذه الليلة ، وبعد اجتماع طارئ لمجلس الوزراء ، طرت الى الجبهة الجنوبية لحضور اجتماع طلبت عقده ، ضم رئيس الأركان وقائد الجبهة الجنوبية والضباط الكبار وقادة التشكيلات أريك وبرن والبرت وبدأ الاجتماع وأنا أشعر فعلاً بما تقوله التوراة عن (الغضب حتى

على الموت) فبعد كل ما حدث خلال هذه الايام الثلاثة ، وبعد فشلنا في اخلاء المواقع وانقاذ الرجال ، وبعد أن دفعنا بالامدادات الى الجبهة الجنوبية ، بعد كل هذا الذى فعلناه . . ضاع كل شيء هباء ولم نحقق شيئا . ووجدت اريك وبرن وقد استبد بهما الارهاق الشديد بعد أن انتهت الايام الماضية ، والتي كان مفروضا أن تنتقل فيها من الدفاع الى الهجوم ، الى مجرد اليأس والخسائر والتراجع .

وكان اريك يدرك جيدا ما يدور الآن في جبهة القتال ، ولذا فقد جاء بالحل الصحيح وهو عبور القناة وتحطيم قواعد الصواريخ المصرية ، والوصول الى مؤخرة الجيشين الثانى والثالث . ولكنه حذر من الاعتماد على المعجزات ، فأننا لن نستطيع احتلال أى جسر مصرى سليم ، ولذا فنحن فى حاجة الى جسور وقوارب خاصة بنا . ولم تكن تلك قد وصلت بعد الى حافة القناة . وعرض رئيس الاركان خطة اليوم التالى وهى أن يعد اريك الترتيبات لعبور القناة ، بينما تأخذ التشكيلات الاخرى وضع الدفاع ، وأن يمنح المقاتلون الفرصة للراحة والنوم واعادة تنظيم أنفسهم .

وعقدت اجتماعا مع رئيس الاركان بعد عودتنا من الجبهة الجنوبية . وكانت المشكلة الاولى التى اثرتها هى قيادة الجبهة الجنوبية ، وكان تقديرى أن المعركة المصرية على سيناء اكبر من طاقة جونين ، ولذا لا بد من تعيين قائد جديد للجبهة المصرية ، ورشحت اثنين هما اريك شارون وحاييم بارليف أحد رؤساء الاركان السابقين ووزير التجارة والصناعة حاليا . ثم دخلت الى الموضوع الرئيسى وهو الصورة العامة للحرب . فنحن فى موقف نواجه فيه صعوبات كبيرة . ولكن دولا قوية كثيرة مثل بريطانيا وفرنسا وروسيا وجدت نفسها فى نفس الموقف خلال الحرب . وفى هذه اللحظة يجب علينا أن نقرر كل شيء وأن نقرر الخطوات السليمة التى يجب على الامة والجيش أن يتخذها . وستكون صدمة قوية لشعبنا اذا قلنا لهم اننا حتى الان لم نستطع أن نلقى بالمصريين مرة أخرى عبر القناة وأن خطوط استحكاماتنا على طول خط بارليف قد سقطت . ولكن لا مفر من الحقيقة . ويجب أن نقول الصدق لشعبنا حتى يعرف الموقف على حقيقته . ونحن بحاجة الى الرجال ولا بد أن نعى بعض الكبار الذين لم نكن نستدعيهم فيما قبل ، وندرس امكانية استدعاء من هم فى سن السابعة عشرة للتدريب . وأيضا فنحن فى حاجة عاجلة الى السلاح ويجب أن نحاول ذلك مع الولايات المتحدة .

وبالنسبة للجبهة الجنوبية ، فانه يجب علينا أن نوجه أعدادا اكبر من الرجال للحرب وأن نعيد تنظيم أنفسنا قبل أى محاولة لدفع

المصريين للانسحاب ، أما فى الجولان ، فيجب أن تصدر أمرا للسيادة الشمالية يقول (لا انسحاب) ، ويجب أن نحارب الى آخر رجل وألا نتراجع بوصة واحدة ولننقذ كل دباباتنا فى الشمال ، ولكن يجب أيضا فى المقابل أن نمحو القوات السورية ويجب أن نعطي للجبهة الشمالية كل الدعم الجوى اللازم . واذا أنهينا القتال على هذه الجبهة فيمكننا أن نحول كل قواتنا هناك للجبهة المصرية . وقلت لرئيس الأركان أنه بالنسبة لكل هذه المسائل ، فلا بد من موافقة رئيسة الوزراء .

وبعد ثلاث ساعات فى الساعة ٧ر٢٠ صباحا قابلتها ، وكانت حولدا كما هى دائما - برغم الإرهاق الواضح - نشطة متيقظة تواجه كل الأمور بشجاعة وأخبرتها بأوامرى للجبهة الشمالية واننا لن ننسحب مهما كان الثمن وأن ذلك يعنى أننا سنتكبد خسائر فادحة . ووافقت جولدا على أوامرى وقلت لها أنه لا يمكن السكوت على إطلاق سوريا لصواريخ فروج أرض/ أرض على مستعمراتنا المدنية لمدة ثلاثة أيام وطلبت الموافقة على قصف مواقع عسكرية فى دمشق من الجو ، ووافقت . كما وافقت أيضا على تعيين بارليف قائدا للجبهة الجنوبية . وأثرت موضوع طلب السلاح من أمريكيا ، وطرحت جولدا عدة اقتراحات منها أن تسافر لمباحثات سرية فى واشنطن مع الرئيس الأمريكى . وكانت تثق فى أهمية المباحثات المباشرة مع الرئيس لشرح موقفنا وإبلاغه عن الأسلحة السوفيتية المتطورة فى أيدي العرب وتفوقهم العددي الرهيب ، وماذا يحدث فى الجبهات ولم يكن السلاح فقط هو ما نريده بل يجب أن يعرف الرئيس نيكسون ما الذى حدث فى هذه الحرب ولماذا وقد أيدت رحلتها الى واشنطن ، وفعلا لم تكن نحتاج للسلاح فقط من الولايات المتحدة بل أن تتفهم الوضع وأن نحصل على تأييدها ودعمها لنا ، ولم يكن هناك شخص غير جولدا يستطيع أن يفعل ذلك .

٣٢ جرد المخازن

وفي يوم ١٠ أكتوبر (تشرين الاول) ، اليوم الخامس للفتال ،
راولنى القلق لأول مرة حول قدرة قواتنا الآن على إيقاف الاختراق
العربي لأراضينا ، وفي سيناء والجولان تكبد العدو خسائر فادحة في
المعدات والرجال ، ونراجع الى الخلف . وقد تمركزت قواتنا في
مواقع فوة ، وتعلموا كيف يتجنبون الصواريخ المضادة للدبابات ، أما
الجيش العربي فأنها بعد أن نفذت خطط عبور القناة واقتحام
الجولان ، لم تعد قادرة على القيام بالخطوة التالية ، التي كانت تتطلب
تخطيطا تحت ظروف غير متوقعة . وكنا قد وصلنا الى المرحلة التي
تمكننا من الاقتحام والسيطرة ، ولم تصبح مشكلتنا ماذا نفعل : وإنما
أصبحت بأى القوات نفعل ذلك .

أصبح القرار النهائي الآن في يد رئيس الأركان وقادة الجبهات ، فإذا
قالوا أنه لا توجد قوات كافية لهذه العملية ، أو أنها ستفشل ، فإنه
يؤخذ برأيهم . وفي دولة ديموقراطية مثل دولتنا فإن القوات المسلحة
تكون تحت السلطة الكاملة للحكومة المدنية من خلال وزير الدفاع لكن
هذه السلطة محدده في إطار اتخاذ القرارات السياسية ولا تمتد الى
القرارات الخاصة بالعمليات . فللحكومة مثلا - من خلال وزير الدفاع -
أن تأمر الجيش بعبور أو عدم عبور الحدود اللبنانية على سبيل المثال .
وهنا أصدر الأوامر للجيش بأن يضرب قواعد العدو في قواعد القريّة

من دمنسق وان يتعد عن الاهداف المدنية ، لكننى لا ابغ الجيش كيف ينفذ ذلك ، وأن لم يكن هناك ما يمنع من أن ابدى آرائى .

وهكذا نجد أن الوزير قد يكون لديه بعض الموظفين لكنه لا يملك أركان حرب . أما المسئولية الحقيقية فى الجيش فتقع على عاتق رئيس الاركان الذى يخطط ويزيد ويرفض ويعارض أية آراء تتعلق بالعمليات او يضعها موضع التنفيذ .

وليس معنى ذلك اننى فيعت وراء مكتبى مكفيا باتخاذ القرارات السياسية انناء القتال ، وانما كنت ازور على الاقل احدى الجبهتين يوميا . وكان الانتقال من جبهة لآخرى لا يستغرق أكثر من ساعة أو ساعتين ولم يكن ممكنا أن احكم على ما بدور فى ميادين القتال من خلال تقارير رئيس الاركان ، ولا حتى من تقارير قادة الجبهة . وكان الاسلوب الافضل فى نظرى هو الوصول الى الجبهات نفسها والاجتماع مع قادة التشكيلات الفرعية وسماع الحقيقة منهم ورؤية الواقع مباشرة فى ميدان القتال وبقيت اتبع هذا الاسلوب حتى آخر أيام الحرب .

لم اكن اذهب الى منزلى رغم قربى من القيادة والوزارة ، وكان لولادى الثلاثة قد عبثوا : فياتيل تعمل فى مستشفى تل هاشومير وابنى اودى يخدم فى وحدة كوماندوز بحرية ، وابنى الصغير عساف يخدم كقاذف مورتار مع وحدة مظلات . أما زوجتى راحيل فهى فى عمالها نهرا ، وفى المساء ننتظر فى المنزل مكالماتى التليفونية وكنت خلال زيارتى للجبهة ارتدى زبا عسكريا بدون رتب عسكرية .

هذا عن الامور الخارجية ، أما حياتى من الداخل فقد سيطرت عليها بشكل كامل حرب يوم الغفران . وكانت حياتى مزيجا من القلق الشديد والحزن والمجهود الضخم الذى كنت أبذله لتركيز افكارى . وكانت هى الحرب الرابعة التى اخوضها . الاولى ، حرب الاستقلال عام ١٩٤٨ كان عمري خمسة وعشرين عاما ، وكان العمل سهلا وناجحا ، وضحكت كثيرا . كذلك فان معركة سيناء عام ١٩٥٦ وحرب الابام الستة ١٩٦٧ ، لم تكونا بالحروب الصعبة . أما حرب يوم كيبور فقد اخلفت تماما ، فلم تكن حربا صعبة فحسب ، بل كان جو الحرب نفسه صعبا .

فقد كان علينا أن نواجه حشودا كبيرة من القوات ، مسلحة بكميات ضخمة من الاسلحة المختلفة والقوية . . . وعندما كنا ننجح فى تحطيم مئات الدبابات ، لم تكن نفرح اما عندما كان خط استحکاماتنا يسقط ، او عندما نفقد ٣٠ دبابة فى عملية واحدة ، فان الامة كلها كانت تصاب بالذهول والحزن وقتل الكثير من نخيرة ضباطنا الطيارين وقادة المدرعات وضباط المظلات . وكان كل يوم يمر بحمل انباء سيئة

عن أرواح أو أبناء أو أقارب أو جيران قتلوا في المعركة وكان شعبنا
حتى بعد أن هزمنا المصريين والسوريين بمر بحالة قلق حول الرجال
الأسرى والجرحى .

وقد عشت أنا في هذا الجو أيضا . ولم أكن أقلق ولو للحظة واحدة
من التفكير في مستقبل الحرب . أسئلة كثيرة كانت نسابق الى ذهني
ماذا افعل الان ؟ كيف ستتطور الامور ؟ ماذا يحتمل ان يفعل الاتحاد
السوفييتي ؟ كيف ستتصرف الولايات المتحدة ؟ هل سفتح الاردن
جبهة ثالثة ؟ هل سستصل الى العرب امدادات جديدة ، ماذا نقدر ان
نعمل في الجبهتين الشمالية والجنوبية ؟ وكان ذلك هو مجال تفكيري
خلال الليل والنهار .

وكانت تواجهنا ثلاث مشاكل . أولاها : فنية ، تتعلق بمواجهة
السواروخ السوفيتية المضادة للطائرات والدبابات ، والثانية تتعلق
بمستقبل علاقتنا مع الدول العربية المجاورة ، وهل نصمم على أن
نحتل اجزاء اخرى من مصر وسوريا . والثالثة هي موقف القوى
الكبرى مما يحدث وخاصة احتمال تدخل السوفييت ازاء تهديد
مواننا باحلال دمنق . وكان الاختلاف بين هذه الحرب والحروب
السابقة لها ، ان العرب اصبحوا اكبر وأقوى مما كانوا عليه . ورفع
هذا من خسائرنا ، واحتاج الامر الى تصميم من رخالنا . كانت قوة
العرب في الرجال والعتاد أكثر ثلاث مرات مما كانت عليه في حرب الايام
الستة . وكانت المقارنة بالنسبة لعام ١٩٦٧ مليون رجل مقابل ٣٠٠
الف . ٥٠٠ دبابة مقابل ١٧٠٠ ، ألف طائرة مقابل ٣٥٠ . و ١٨٠٠
مدفع ميدان مقابل ١٣٥٠ . وصاحب الارتفاع في العدد ايضا ارتفاع
في النوعية والمستوى التكنولوجي للأسلحة ، هذا بالإضافة الى
السواروخ المضادة للطائرات والدبابات . وخاصة الدبابة السوفيتية
الحديثة ت ٦٢ .

ومما لاشك فيه نوعية المقاتل أيضا قد تطورت . فهو في هذه الحرب
يعرف كيفية استخدام سلاحه . ولعل ذلك بسبب الجيد الذي بانه
الخبراء السوفييت في تعليم المصريين القتال الحديث . وقد زود
السوفييت مصر وسوريا بصواروخ أرض/ أرض من طرازين الاول مروج
مداه ٥٠ ميلا وقوته التفجيرية ١١٠٠ رطل ، والثاني سكاو ومداه برأوح
بن ٢٠٠ و ٢٥٠ ميلا وقوته التفجيرية ٢٠٠٠ رطل ، وكذلك الصاروخ
كيلب جو/أرض ومداه ١٢٥ ميلا ويحمل ١١٠٠ رطل من الانفجرات
وبهذه الصواروخ أصبح في مقدور العرب ضرب مدننا ومراكزنا
الصناعية من الجبهتين الشمالية والجنوبية .

ومع عدم وجود حل لهذه المشكلة التكنولوجية . كانت الاجابة من
خلال محور التكتيك ، وأصبح المفتاح في يد المقاتل لا السلاح . وفي
ميزان الاسبوع الاول من الحرب ، فقد اطلق عدة صواريخ

أرض / أرض . ولكنها لم تحدث أى امر على نفد الحرب . فقد أطلق السوريون عدة صواريخ فروج على القاعدة الجوية فى رامات دافيد وعلى مدينه كريات شمونا فى الشمال ، ولكن تأثيرها كان محدودا للغاية . وأطلق المصريون عدة صواريخ كملت من الطائرات توبوليف ١٦ على تل أبيب وعلى عدة أهداف عسكرية فى سيناء من بينها شرم الشيخ . ولم يطلق المصريون صواريخ أرض / أرض سكاذ الا يوم ٢٢ اكتوبر (تشرين اول) على مناطق الجسور فى قناة السويس وكان ذلك قبل وقف اطلاق النار الاول .

وكانت الاسلحة المضادة للدبابات (الآر بى جيه) وصواريخ ساجر ، مؤثرة جدا ٠٠ وفى بداية المعركة كبدتنا هذه الاسلحة خسائر فادحة وخاصة فى الجبهة الجوية . ولكن بعد فره تعلم رجالنا كيف يتعاملون معها . فمدى الاربى جيه ٣٢٥ ياردة والساجر ميلين ٠٠ وكانت أخطر الاسلحة التى نواجهها هى بطاريات صواريخ سام المضادة للطائرات . ولا أعتقد ان الطائرات تستطيع التغلب بصفة كاملة على بطاريات هذه الصواريخ . ولهذا فان دعم القوات الجوية للقوات البرية فى منطقة قريبة من هذه البطاريات ، لا يمكن أن يكون مؤثرا ، ونلك هى الحقيقة التى يجب أن نؤمن بها . والحقيقة اننى بدأت أسك فى قدرة الطيران على التغلب على هذه الصواريخ فى أغسطس (آب) ١٩٧٠ قبل انتهاء حرب الاسنزاف ، عندما أصيبت لنا طائرتا فاننوم بالقرب من البحيرات المرة ٠٠ ومرت ثلاث سنوات على هذا الحادث ٠٠ ولكن فى المواجهة بين الطائرات والصواريخ لم تكن الطائرات هى الاحسن وهذا لا يعنى أن قيمة الطيران انتهت ولكن تتطلب تغييرا فى نظريات العمليات .

ومنذ ستة أعوام ، فى حرب الايام الستة ، دمرت اسرائيل الطيران المصرى فى بداية الحرب ، وكذلك كل البطاريات المضادة للطائرات فى سيناء . أما فى هذه الحرب فقد أصبحت حركة الطيران الاسرائيلى مقيدة ومحدودة . وقد أبرزت هذه الفترة ثلاثة مؤشرات رئيسية :

● حققت القوات الجوية سيطرة كاملة ، وبهذا لم تمنع العدو من قذف الاهداف المدنية ، بل استطاعت ايضا أن تحقق لقوافل الامدادات والنمويل للجبهة السلامة الكاملة .

● بخلاف بورسعيد : لم تستطع قواتنا الجوية تطهير جبهات القتال من بطاريات الصواريخ . حتى فى يوم ٧ اكتوبر (تشرين الاول) عندما عطلت معظم بطاريات الصواريخ فى الجولان ، فانها عادت للعمل فى اليوم التالى .

● اما ان تتقدم القوات بدون غطاء جوى قريب ، او ان نصاحبها الطائرات فتعرض للاصابة بالصواريخ ، وذلك هو ما حدث خلال الاسبوع الاول .

أما معارك الدبابات في الاسبوع الاول ، فقد خضعت للاختلاف بين الجبهتين الشمالية والجنوبية . . ففي الجبهة الجنوبية صحراء وقناة السويس وجبهة طولها ٩٥ ميلا . . أما الجبهة الشمالية فقد كانت شديدة وصخرية وجبلية مما يجعل مرافبها والسيطرة عليها سهلة . وهكذا اختلفت نتائج المعارك في الجبهتين في ثلاثة أمور :

● في الشمال ، وباستثناء جبل السح ، دفعنا السوريين الى الورا ، من كل أقاليمنا بينما احتل المصريون الشاطئ الشرقى للقناة .

● فقد السوريون ٩٠٠ دبابة بينما فقد المصريون حتى الاسبوع الاول ٣٠٠ دبابة .

● وفي الجبهة الجنوبية سقطت كل استحكاماتنا عدا واحد ، وفي الشمال لم يسقط سوى جبل الشيخ .

نستخلص من ذلك أن كل العمليات حدثت مع سوريا من خلال الهجوم والحركة وبينما كانت الدبابات السورية نهجم وتتحرك كانت دباباتنا متمركزة في مواقع دفاعية وكان هذا الوضع ملائما لدباباتنا ومدفعاتنا لضرب الدبابات السورية . ولم تكن الصواريخ السورية ساجر ذات تأثير فعال في سبر المعركة . ولم تكن تلك هي الحالة في الجبهة الجنوبية . ففي اليومين كانت دباباتنا في حالة هجومية وهي تسرع ناحية القناة ، بينما كان المشاة المصريون المزودون بصواريخ مضادة للدبابات متمركزين في مواقع دفاعية . ولهذا فان كل خسائرننا من الدبابات في الجنوب كانت بسبب حسن انتشار المواقع الدفاعية المصرية . وعندما عبر المصريون القناة عملوا على نقل دفاعاتهم المضادة للدبابات وقواتهم المدرعة تحت مظلة الحماسة المضادة للطائرات وحرامهم القوى المضاد للدبابات في حين كان هدف الهجوم السوري المباشر احنلال الجولان كلها .

ويؤسفني ، ألا أعزو تقدم المصريين وفشل السوريين الى الاختلاف في طبيعة الجبهتين فقط ، ولا الى طريقة حرب الجيشين . فالحقيقة أن قواتنا في الجبهة الشمالية خاضت الحرب جدياً ولم تفعل ذلك في الجنوب ، وفي الساعات القليلة بين الانذار ونشوب الحرب ، لم يتم في الجنوب عمل ما كان يجب عمله فلم تتمركز الدبابات في مواقعها القتالية ، ولم تكن هجزمها على القوات المصرية التي عبرت القناة منظماً او محققاً للهدف . وكانت تلك هي الحالة قبل وصول الاحتياطى ، وحتى عندما وصل الاحتياطى بنسكياته السلاية بقيادة البرت وبرن واربك ليقتودوا الهجوم المضاد . فان ذلك ايضا لم يتحقق .

أما بالنسبة لمستوى قتال الجنود العرب فاننى اسطيع ان أقرر ذلك في جملة واحدة أنهم لم يهربوا كما كانوا يفعلون في الماضى . وفي

الماضى كان الهروب هو أحد الملامح العامة في شخصية الجيوش العربية . . ليس في كل الجيوش ، وليس الهرب في الجبال ، وإنما ذلك بصفة عامة ، كانوا عندما يشعرون بأنهم قد ضربوا ، أو أن جبهتهم انهارت ، فانهم كانوا يجرون ، أما في هذه المرة ، في حرب يوم كيبور ، فانهم حتى عندما تكبدوا خسائر فادحة واكتشفوا أنهم خسروا الحرب ، لم يجرؤوا وإنما انسحبوا . وعلاوة على ذلك فإن المستوى القتالي للجندى العربى احرز تقدما كبيرا . وقد حاربت بعض الوحدات بمرارة حتى النهاية ، وأظهرت بعض الوحدات أعلى درجات السيطرة والقيادة في العمليات مستخدمة أحدث الاجهزة التكنولوجية المتطورة . وتأكدت اننا لن نستطيع أن نحقق بالعرب الانهيار الكامل

وكان على المرء أن يضع في حسابه العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة . وكانت الولايات المتحدة متعاطفة معنا الى آخر مدى ، وقد ساعدتنا الحكومة الامريكية بامدادات السلاح والمساعدات الاقتصادية والدعم السياسى . وكنت أكره مجرد التفكير فيما كان يمكن أن يحدث لو أن الولايات المتحدة اوقفت مساعداتها لنا ، أو ماذا كنا نفعل لو أنها ادارت لنا ظهرها في هذه الأيام . وكانت منطقة تعاملنا مع الولايات المتحدة تشمل الرئاسة ووزارة الخارجية والبنطاجون وعندما نشبت حرب يوم كيبور بدأت واشنطنون تسأل عنى بدأ الحرب ؟ هل هى خطيرة ؟ ربما تبالغ اسرائيل في الامر ؟ وكانت في نفس الوقت تفترض - بناء على معلومات امرنا مثلنا في واشنطنون بنقلها - اننا سوف نهزم العرب خلال عدة ايام . وفي ضوء هذا الموقف تصرف الامريكيون ببرود بالنسبة لطلباتنا العاجلة للحصول بسرعة على كمية كبيرة من امدادات السلاح . حتى وزارة الخارجية التى كانت تدرك مدى احتياجاتنا ، قالت اننا نستطيع الان الحصول على كمية محدودة من المعدات ، ورفضت اعطاءنا طائرات اضافية أثناء استمرار المعارك . ولم تكن نحن ، من ناحية أخرى ، نستطيع التراخى في طلباتنا . كنا نحتاج الى طائرات ودبابات واسلحة مضادة للدبابات وصواريخ هوك المضادة للطائرات وهليكوبتر ومدافع ذاتية الحركة .

وظللنا نرسل البرقيات حول احتياجاتنا السريعة للفانتوم . واخيرا تلقينا ردا ايجابيا يوم الثلاثاء ٩ اكتوبر (تشرين الاول) بعد ثلاثة ايام من القتال ، يفيد اننا سنتلقى طائرتى فانتوم من الحصة المخصصة لنا . . وكان هذا الموقف الامريكى نتيجة للمعلومات التى وصلت اليها من اننا بدأنا الحرب ولضغط الدول العربية المصدرة للبترول لعدم تزويد اسرائيل بالاسلحة ، وعلمنا اننا سنحصل على السلاح في حالة واحدة ، اذا ما ساء موقفنا للغاية . أما الدبابات فمن غير المستطاع أن تصلنا قبل عدة اسابيع .

وفي يوم الاربعاء علمنا ان الرئيس الامريكى قد وافق على أن يمدنا بأحدث المعدات الالكترونية وبطائرات اضافية . وانه سيتم تعويض

نل حسانرنا فى الحرب وقيل لنا بصفة خاصة انه كان لابد من ازالة
عدة عوائق فيل أن يتم التوصل الى هذا القرار . وكانت المشكلة الآن
هى كيف سنصل اليها هذه الاسلحة . ولم يكن للعرب هذه المشكلة ،
فعى خلال يومى ٩ ، ١٠ اكتوبر وصل الى المطارات السورية ٢٠
طائره نقل انتينوف سوفيتيه ضخمة ولم تكن حكومه الولايات المتحدة
بسيده عن هذا الامر ، وكنت اظن انها سنراقب هذا الامر باهتمام ،
وانها ستقوم بالاسراع فى ارسال امداداتها . وفعلا بدأت الولايات
المتحدة فى النقل بجسر جوى استمر بين ١٤ اكتوبر (سترين الاول)
و ١٤ نوفمبر (سترين التالى) لمدة شهر ، لكننا فى النهاية لم نلقى
النعويضات الكاملة عن خسائرنا ، وتلقينا اقل من نصف الفانتوم التى
طلبناها وخمس الدبابات ولم نلقى سياره واحدة نصف مجنزرة ،
ربضعة طائرات هليكتر . وكنا قد طلبنا كمية صغيرة من مدافع
الميدان فتلقينا نل ما طلبناه . اما الصواريخ المضادة للطائرات فقد
نلقينا ربعا .

كان هذا النقص فى امدادات السلاح مثار انزعاج لنا لكن حكومة
نيكسون على أى حال ، كانت أفضل من حكومة ايزنهاور التى رفضت
ان تمدنا بالسلاح خلال معركة سيناء . بل وافضل من حكومى كنىدى
ونرومان . وبالرغم من أن ترومان كان صديقا مخلصا لاسرائيل ، الا
انه فى عام ١٩٤٨ وأثناء لحظاتنا الحرجة خلال حرب الاستقلال ، لم
يرحب بمساعدتنا بالاسلحة . والان فى عام ١٩٧٣ لا نجد دولة واحدة
تحاول مساعدتنا بالاسلحة غير الولايات المتحدة . حتى ألمانيا الغربية
التي يرأسها المستشار فىلى برانت ، وهو صديق مخلص لرئيسة
الوزراء ، رفضت ان تقوم الولايات المتحدة بنقل اسلحة لنا من القاعدة
الامريكية هناك . ورفضت كثير من الدول الاوربية حتى مجرد
السماح للطائرات التى تحمل لنا السلاح بالهبوط فى مطارها للتزود
بالوقود . وأوقفت بريطانيا صفقة الدبابات التى كانت متعاقدة عليها
معنا .

وفى يوم ١٠ اكتوبر (سترين الاول) ررت الجرال يشاباهو جافينس
الذى كان يتولى قياده الجزء الجنوبى من سيناء وبصحبتى قائد
الطيران وفى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ررت قيادة الجبهة
الجنوبية لاستمع الى تقارير الموقف وتحدثت حول نفطتين هما :
احتمال تقدم المصريين ناحية الجنوب على الساحل الشرقى لخليج
السوس ، والاخرى هى امكانه عبورنا القناة للضفة الغربية .

وكان اول موقع طبوغرافى بعد رأس سدر يصلح للاغلاق بحيث
يجبر القوات المتقدمة على التوقف ، يقع شمال ابو رديس ، حيث
نلامس سلسلة جبال وسط سيناء الشاطىء ، فهناك احسن مكان
لاقامة خط دفاعى ولزراع الالغام وحفر الخنادق للاسلحة المضادة
للدبابات وانتشاء تحصينات قوية للمتساة . ولكن مع ضرورة عدم

حدث أى انسحاب لقواتنا من مواقعها الحالية . وكان أحد الالوية
الميكانيكية من الفرقة السادسة قد حاول خلال الليله السابقة ان
بحرر ناحية الجنوب . وعندما وصل الى عبون موسى التى تقع على
مسافة عشرة أميال جنوب السويس ، اشتبك مع أحد وحدات
المظلات المدعمة بعشرين دبابة وبالمطيران . وقد تكبد العدو خسائر
فادحة واضطر الى الانسحاب . كان فى وسع طرادنا ان يقوم بعملاته
بحرية فى هذه المنطقة لبعدها عن مدى الصواريخ المصرية المضادة
للطائرات . وكانت معظم الخسائر الى حدوث لواء المصرى نتيجة
الفصف الجوى ، وبعد هذا الفشل من المصريين أصبحت أعقد أنهم
لن يحاولوا التقدم جنوبا ، وان المظليين والمدرمات والطيران يستطيعون
ان يمنعوا أى تقدم مصرى فى الجنوب . وطالما فشل المصريون فى
تحريك بطاريات صواريخ سام الى الضفة السوفيه . فان هذه
المنطقة ستكون تحت سيطره طرادنا وذات المدافعة ما بين خليج
السويس وشرم الشيخ هدفا للقصف المصرى . وبعد خمس دقائق
من بدء الحرب قصف المصريون المرافق العسكرية فى الجنوب واشعلوا
البران فى خزانات البترول فى أبورديس حيث اشتعلت النيران فى
ثلاثة خزانات . وفشل سبعة من جنودنا وجرح عدد آخر . وكان أكبر
نشاط قام به المصريون فى هذه المنطقة هو ارسال ثلاثة كائب كوماندوز
بالقوارب والهليكوبتر يتراوح عددهم بين ٧٠٠ و ٨٠٠ رجل فى المنطقة
بين رأس سدر وابو زبيح . وقد فشلت هذه العملية تماما .

وكانت تحصيناتنا العسكرية فى هذا المثلث الجنوبى قوية ومحسنة
واى محاولة لاقتحامها ستكون صعبة اما شرم الشيخ فقد قمنا
بتحسينها تماما بعد الاستيلاء عليها فى ١٩٦٧ . وكنت مؤمنا أن المصريين
لن يستطيعوا الاستيلاء عليها وامل الان بخطة حكومة اسرائيل عنها
مطلقا .

وكان هناك أهداف اخرى على خليج السويس قد يجذب العدو
لنخريها او احلالها ، مثل أبو ردىس التى قام المصريون باشمال
الحرائق فى خزانات البترول فيها . والآن . وبعد اسبوع من الحرب ،
فان تواجد لواء المظلات الاسرائيلى مدعما بالمدرمات قد غير الموقف
تماما فى هذا القطاع . وكان ولدى الاسفر مسداف يستخدم على مدفع
مورنار ثقيل مع قوات المظلات فى هذه المنطقة وحلى أى من الاشتباكات
مع قوات العدو ومطاردة الكوماندوز المصرية واخبرنى ايضا عن ضباطه
فقد كان قائده الذى استدعى من الاحباط من انشغال اعضاء أحد
الاحزاب اليمنية المعروف عنها عدائها الشديد للدول العربية ، اما
نائبه فقد كان يساريا مدطرا فاجب التنازل عن الاراضى للعرب ورغم
اختلافهما السياسى فقد كانا متفاهمين فى الامور العسكرية وخاصة
فيما يتعلق بمطاردة الكوماندوز المصريين وضرورة القضاء عليهم تماما .

ولم يعد السؤال الآن فى الجبهة الجنوبيه دفع المصريين الى الوراء ،
وانما وماذا بعد ؟ .

وكننت احاول البحث عن امكانية احتلال جزء في الضفة الغربية او غرب خليج السويس ، اذ كان ايقاف اطلاق النار محتملا في أى لحظة . وبالنسبة للجبهة الشمالية فقد دفعنا السوريين الى ما خلف خطوط ١٩٦٧ ، وكبدناهم خسائر فادحة . اما في الجبهة الجنوبية ، فقد احتل المصريون شريطا بطول الضفة الشرقية لفنسة السريس ، واذا لم يكن بمقدورنا دفعهم مره ثانية الى الضفة الغربية في الحال ، فلا بأس من محاولة احتلال جزء من ارضهم في غرب القناة : وعندئذ يمكن أن يكون لدينا شيء نساهم به .

ورفض بارليف أن يوافق على هذا التقدير للموقف وأكدت له أنه يمكن نقل قوات من الجبهة الشمالية الى الجنوبية ، عندها وافق بارليف .

وبدأنا نستعرض الاماكن الصالحة . واقترحنا الحافة الجنوبية لخليج السويس ، لكن العقبة كانت في حتمية اعتمادنا على الامداد البحري . وطلب التفكير في موقع يمكن احتلاله مع اقامة جسر يربى يصلنا بقواتنا في المؤخرة . وعلى أية حال فان الخط الرئيسي لحركتنا القادمة أصبح واضحا الان فسواء في الجولان أو سيناء ، كان لا بد وأن نبدا الهجوم . وفي اجتماعى مع رئاسة الوزراء في نفس الليلة اقترح ان نقوم قواتنا بهجوم على الجبهة السورية وتتقدم نحو دمشق . ولم يكن لدينا الرغبة في احتلال دمشق أو قصفها ، وانما مجرد الحصول على أرض أخرى خلف خطوط ١٩٦٧ ، وأن نجعلهم يشعرون أن دمشق في خطر ، وكانت الخطه تقضى بأن نبدا هجوما يوم ١١ أكتوبر (تشرين الاول) صباحا ، وأن نقوم بضربة جوية نحطم خلالها المطارات وبطاريات الصواريخ حتى نصبح السماء خالية أمامنا .

وكننت قبل اجتماع الليلة مع رئيسة الوزراء قد عقدت اجتماعا مع رئيس الاركان لفحص متساوراته مع ضباطه ، قبل ذلك ، بدون حضورى . وحضر هذا الاجتماع مع رئيسة الوزراء وزياران دعتهما ، ورئيس الاركان ونائبه الجنرال طال ورئيس المخابرات وقائد الطيران . ولم تكن هذه الاجتماعات طويلة فقط ولكنها كانت شاقة . فقد وصلنا الى مرحلة نعلم فيها ما الذى نريده في الخطوة القادمة ، وماذا يجب أن نفعل وكيف في كلا الجبهتين . وما الحل ، اذا قرر مجلس الامن ايقاف اطلاق النار ؟ وماذا نفعل لمنع تدخل الاردن والعراق اذا حدث ؟ وهل نستطيع الاستمرار في القتال اذا طال ؟ وكان السؤال الرئيسى كيف نستغل جهودنا المتفوقة ؟ وهل هناك امكانية توجيه ضربة قوية لاي الجبهتين ؟

كان الجيش السورى الآن فى وضع سىء فقد دمرنا ثلث قوته الهجومية وتشكيلاته الاقتحامية ، وكان التوتر على المسرح الدولى قد بلغ مداه ، وخاصة بين روسيا والولايات المتحدة اللتين كانتا تزودان

المنحاريين بالاسلحة . وابلغنا ممثلنا في واسطل ان الامور تسير نحو صدور قرار من مجلس الامن . بعد نصاعد الضغط الدولي ، بوقف اطلاق النار بدون شروط ، وكان ذلك نصرا للعرب ، اذ يتم تجميد المكاسب التي حققوها .

وكنا نحتاج لعدة ايام اخرى لتغيير الموقف على الجبهات لصالحنا . وكان علنا ان نحقق نتائج سريعة قبل انقاف اطلاق النار الذي نتوقع ان ينم فورا . اما الاردن فقد انهى الراء الى انها بعد ان رات ما حدث لسوريا فلن تدخل الحرب ولن تفتح جبهة جديدة ، الا ان قواتها الموجودة على الجبهة السورية سوف ، حارب في صف القوات السورية .

وعندما عدت من الجبهة الجنوبية . في يوم ١٠ اكتوبر « تشرين الاول » وجدت رئيس الاركان عائدا من الشمال في حالة سيئة . فقد فصلت تشكيلات دان ورافويل في التقدم . اذ كان خط الدفاع السوري أقوى مما كان قبل الحرب . صحيح ان لدينا ثلاثة تشكيلات مدرعة في الشمال لكنها كانت اقل من المسرى الجيد . وكان من المحتمل ان يتم اصلاح اكثر مدرعاتنا خلال الليل . الا ان موانا كانت منعبة وكان رجالنا يسقطون نائمين كلما وقعوا في اى مكان الى ان نم ايقاظهم لتلقى الاوامر الجديدة . وكان يجب ان ندخل في حساباتنا خط الدفاع الخاص بنا في الشمال . فلو اننا تقدمنا خمسة او عشرة اميال لعرضنا للخطر . وبرغم كل هذه العوامل ، فقد استقر الراى في هذا الاجتماع مع رئيسة الوزراء على توجهه نربة موجهة السوريين قبل وقف اطلاق النار .

ووصف نائب رئيس الاركان ، الجنرال طال ، الموقف على الجبهة المصرية ، واقترح أن نركز نشاطنا على الجبهة المصرية التي ما زالت قادرة على العمل مع تجميد الجبهة السورية التي لم بعد في استطاعتها التحرك . صحيح اننا لم تكن سنتمكن من نهل قوات من جهة لآخرى ، غير اننا بتحركات تكتيكية كنا نستطيع شن هجوم ساحق على المصريين وتحقيق تغيير جذري في مسار الحرب . وكنت اكثر الموجودين تفؤلا بالنسبة للجبهة الجنوبية ، وان المصريين ان سخطعوا التقدم نحو الجنوب ، ويجب علينا اعداد قواتنا لهجوم الهدف منه احتلال منطقة غرب القناة . وكان تقديري اننا سوف نفعل ذلك . وفي كل الاحوال فان المرحلة الحالية تتطلب الهجوم الفوري على الجبهة الشمالية . وكنت اشعر بأنه لا يجب صدور قرار بوقف اطلاق النار الآن ، فالحرب لا يمكن ان تقف عند هذه الخطوط العسكرية .

٣٣ التّقدم في الجولان

وفي الساعة الحادية عشرة صباح ١١ أكتوبر « تشرين الاول »
«وفقا للخطه ، بدأت قواتنا هجوما في الجولان ، مدعمة بالطيران ، على
القوات السورية المدعمة بالقوات المدرعة العراقية والاردنية والمغربية .
وبدأت قواتنا في التقدم طوال اليوم التالي وجزءا من اليوم الذي يليه
وقضت يوم ١٣ أكتوبر (تشرين الاول) في تحسين مواقعها في المنطقة
التي احتلناها أخيرا وأقمنا خط دفاعنا على مسافة عشرة أميال بعد
خطوط ١٩٦٧ . وخلال سير الهجوم كنت دائم الزبارة للمواقع الامامية
في تشكيل رافويل عيثن ودان لاندر . وكنت أشجعهم على الافتراب
بغدر الامكان من دمنق لتصبح في مدى مدفعيتنا ، وحتى تكون أوضاعنا
جيدة عند صدور قرار ايقاف اطلاق النار ولاننا لم تكن نهذف الى
احتلال دمشق ، فقد كنا راضين عما حققنا الآن ، لانه كان ملائما للدفاع
ضد أى هجوم مضاد . وكانت لهجة الروس قد بدأت تشتد مع
استمرار السوريين في الانسحاب ، وكان واجبا علينا الحرص حتى
لا ينطلق الدب من الغابة . فقد وصلتنا معلومات أكيدة أن الروس يعيّنون
ثلاثة تشكيلات لمساعدة العرب . وعلى أية حال ، فانه يجب علينا الآن
أن نركز على الجبهة المصرية ، وأن ننقل قوات من الشمال الى الجنوب ،
بالرغم من ان تقارير المخابرات تقول ان هناك ٩٠٠ دبابة ما زالت بين
خط دفاعنا وبين دمشق من بينها دبابات عراقية وادنية ومغربية .

وبعد نجاح هجومنا المضاد على الجبهة السورية في ١٣ أكتوبر (تشرين الاول) انتقل التركيز العسكرى الى الجبهة الجنوبية . ومع وجود القوات المصرية على الضفة الشرقية ، كان لا بد من تغيير الموقف حتى نؤكد للمصريين انهم لم يحققوا اهدافهم من شن الحرب علينا .

وبعد مناقشات طويلة قررنا عبور القناة والتمركز على الضفة الغربية منها ، والوقوف على الطريق الى القاهرة وكنا نتوقع أن يشن المصريون علينا هجوما مكثفا في الضفة الشرقية ، ولذا قررنا انه من الحكمة ان ننتظر عدة أيام للاشتباك معهم هنا أولا ثم عبور القناة ، وهجم المصريون بالفعل يومى ١٣ ، ١٤ وفقدوا مائتى دبابة .

وفي يوم ١٤ أكتوبر (تشرين الاول) أصدرت قيادة الجبهة الجنوبية أمرا بالاستعداد للعبور ، وحددت الساعة السابعة مساء اليومى التالى لتنفيذه . وحددت نقطة العبور بمنطقة الدفرسوار شمال البحيرات المرة الكبرى ، بحيث تعبر تشكيلات اريك شارون ، ويقوم تشكيلان آخران باحتواء قوات الاعداء على الضفة الشرقية . وكان على تشكيل اريك أن يفتح ممرا عرضه ميلان ونصف باحتلال طريق رئيسى هناك يدعى المزرعة الصينية . ويقوم لواء مظلات مدعما بالدبابات بقيادة الجنرال داني مات باحتلال رأس جسر في الضفة الغربية قبل الصباح . ويتم اقامة جسرين : ويعبر أولا تشكيل اريك ويظهر المنطقة ويحمى رؤوس الجسور على الجانبين . ثم يعبر تشكيل برن ويتقدم جنوبا فى اتجاه خليج السويس .

وبإقرار الخطة شعرت أن هذا التحرك العسكرى صحيح ، وبرغم ادراكى للصعوبات فأننى كنت أثق تماما فى أن اريك سينجح . وكنت أعرف اريك شارون منذ خمسة وعشرين عاما عندما كنت قائدا للجبهة الشمالية عام ١٩٥٢ ، كان يعمل معى رئيسا لمخابراتى . وكان بن جوريون يكن اعجابا يصل الى حد العبادة لثلاثة من الجنرالات هم حاييم لاسكوف وعساف سمحونى واريك . وكان يرى فيهم تجسيدا لحلم اسرائيل اليهودى ، فهم يمثلون اليهودى الذى يحارب من أجل ارضه بشجاعة وثقة . ولم يكن بن جوريون يعجب الا بفترة المبدأ الاول « من القرن العاشر حتى السادس قبل الميلاد » ، فأيامها كان هناك اليهود الذين عاشوا فى الارض وزرعوها وحاربوا من أجلها .

ولم اكن أعرف قائدا ميدانيا قديرا مثل اريك ، وان لم يكن ذلك يعنى اننى لم اكن أنتقده . وعندما عينته قائدا لوحدة المظلات ١٠١ أخبرته انه ليس عليه فقط ان يعرف كيف يهزم العرب ، بل عليه ايضا ان يعرف كيف يتعايش مع اليهود ، فلطالما تشاجرنا سويا . وعندما كنت أشعر بأننى سوف أقتله ، فقد كنت على الاقل أشعر بأنه يستحق القتل .

وكان عبور القناة هو ثالث صدام خطر مع المصريين ، الاول ،
سندما عبر المصريون القناة وبدأوا هجومهم في وقت لم تكن فيه قواتنا
منمركزة في مراكز قتالية جيدة . والثاني ، خلال الهجوم المضاد يوم ٨
اكتوبر ، حيث لم تكن خططنا جيدة ولم بدر العنل كما كان يجب أن
يدور . وفي هذه المرة كان بارليف وإريك وبرن على أهبة الاستعداد للقيام
بالعملية بأسلوب متالى . ولم يكن ميزان القوى فى صالحنا ، فالمصريون
لديهم ٧٥٠ دبابة فى الضفة الغربية و ٦٥٠ دبابة فى الضفة الشرقية و ٥٠٠
طائرة حربية . وفى يوم ١٥ اكتوبر طرب الى الجنوب لآكون مع الوحدات
ساعة بدء العملية فى السابعة مساء . وبدأ إريك هجومه بهدف اخراق
الخطوط المصرية والاستيلاء على الدفرسوار وسبق العملية قصف جوى
وبرى ووصلت المظلات بقيادة دان ، الى القناة وعبرتها فى زوارق مطاطة
على أن تتبعها الدبابات .

وبعد ساعة ونصف من بداية الهجوم ، طلبت إريك تليفونيا وطلبت
منه أن يرسل لى سيارة جيب للحضور اليه ، فأخبرنى أن الطريق مغلق
واتفقنا على أنه سيرسل لى السيارة بمجرد أن نكون هناك إمكانية لذلك
وأخذ نصف لى الموقع الذى يمر به الآن فى محاولة لاختفاء نوتره . وعند
منتصف الليل وصلت أنباء جيدة وأنباء سيئة كانت الأنباء الجيدة هى
التي أرسلها إريك من أنه قد احتل الجزء المتاخم للقناة والمعد للعبور
أما الأنباء السيئة فهي أن الطريق اليه قد أغلق ، وأن معدات الجسور
لا تستطيع الوصول الى حافة القناة ، بالإضافة الى أعطال فنية فى المعدات
تحتاج على الأقل لساعة لاصلاحها . وكانت وجهة نظرى أنا وبارليف
أن نستمر فى العبور حتى ولو لم تصل الجسور .

وفى الساعة ١٢ صباح يوم ١٦ اكتوبر « نشرين الاول) جاءت
الاشارة (قوات دان على حافة المياه) وبعد دقائق جاءت الاشارة الثانية
« قوات المظليين فى الضفة الغربية » ولم أستطع أن أمنع قلبى من الاسراع
فى دقانه .

وفى الساعة ٦١٥ صباحا اتصلت بنا رئيسة الوزراء وبدأت ابلاغها
بالاخبار السيئة : فالجسور لم تتركب بعد والطريق مغلق بالوحدات
المصرية ، لعزل رأس الجسر الذى أقمناه ونحن نأمل فى دفعهم الى الوراء
واحضار الكبارى ناحية مياه القناة وإقامتها خلال هذا اليوم . ولكن
قوات المظلات الآن على الضفة الغربية على القناة ونحن لن نستعبدنا
الى الوراء مرة اخرى ، حتى لو تأخرت الجسور وكانت رئيسة الوزراء
تخشى عزل هذه القوات ، وتلك نقطة دارت حولها مناقشات كثيرة فى
اجتماع مجلس الوزراء .

وعند الفجر كانت هناك عدة قوارب فى الماء تحمل بعض الدبابات
للضفة الغربية . وعلى الناحية المضادة أصبح واضحاً ان اغلاق المصريين
الطريق أصبح بشكل خطورة فى الموقف . وفى الساعة الثامنة صباحا عاد
رئيس الاركان الى تل ابب ، بينما قررت أنا البقاء فى الجنوب .

وزرت برن ، وكانت تحت قيادته ثلاثة ألوية • ولو أن تشكيلاته دخلت في العملية من الليلة الماضية كما كان مخططا لكنت الان في غرب القناة . ومنذ اغلاق الطريق نم نكليفهم بمهمة اخرى ، وهى فتح طريق آخر لاضمار معدات الكبارى وجعلها تتقدم الى حافة القناة • وفى هذه الاناء كانت تدور ثلاث معارك كتيبة دانى ومعه ٢٨ دبابة من تشكيل اريك تخوض معركة غرب القناة تحتل ونفتح الطرق وتؤمن رأس الجسر هناك . وبقية تشكيل اريك كان يخوض معركة عند خط المياه على الضفة الشرقية ، وكانت تلك هى اكثر المعارك عنفا ، لانها كانت عند نقطة العبور • ولم يكن المصريون قد فهموا ما الذى تفعله قواتنا على الضفة الغربية فقد كانوا يظنونها مجرد غارة .

أما المعركة الثالثة فكان يسها « برن » بالضغط من ثلاثة اتجاهات أولها على الجيش الثانى فى الشمال محاولا الالتفاف حوله • وفى اتجاه الجنوب للضغط على الجيش الثالث ومنع اى امدادات ناحية منطقة الجسور ، وفى الغرب فى اتجاه المزرعة الصينية لتوسيع الممر الى رأس الجسر والاتصال بعرات « اريك » . وكانت المعركة فى جبهة القناة تتميز بكثافة النيران وانها معركة محترفين • ولم يكن المصريون فيها هم القوات الخائفة كما كانت منذ سبع سنوات ، وكانت قيادة « برن » المتقدمة عبارة عن سيادتي نصف جنزير وعدة سيارات جيب متجمعة على تل رملى بشرق على منطقة القناة على مسافة سبعة أميال . وكانت الدبابات التى تحاول ان تتقدم ناحية القناة تشتعل أو تضرب أو يهجرها اطقمها متجهين نحونا على أقدامهم بحثا عن مخرج تحت قصف مركز من مدفعية الاعداء .

وحاول « برن » أن ينقدم بلواءاته من ناحية الاجنحة ، ولكنه فشل فقد تمركز المصريون فى مواقع دفاعية ممتازة وخاصة فى المزرعة الصينية وكانوا يطلقون موجات قوية من القذائف المضادة للدروع كلما حاولت اى قوات مدرعة الاقتراب منهم . وبدأت اعداد الدبابات المصابة تتزايد وفرب المساء عرفنا برن أن القوات أصبحت عاجزة عن طرد المصريين ، وبالتالي عن فتح الطريق . وبعد مناورات مع القيادة الامامية قررنا أن نهاجم المزرعة الصينية اثناء الليل بقوات المشاة بواسطة لواء المظلات بقوده « عوزى » من القطاع الجنوبى . وتركنا برن فى قيادته المتقدمة لاعداد الى نل أيبب .

وعندما اتصلت تليفونيا بياريف صباح اليوم التالى سمعت نغمة منتشرة فى صوته وقال لى « لقد فتحنا الطريق • • عوزى وبرن قاما بعمل جيد هذه الليلة ، وقد دفع برن بقواربه الى الامام ، والمقدمة فى الماء الآن » .

وقد سمعت بعد ذلك فى القيادة الجنوبية أن معركة الليلة كانت من أصعب المعارك الوحشية وأن لواء المظلات بقيادة عوزى قد تكبد خسائر

فنادحة وفد تم سحبه من المزرعة الصينية في الصباح بواسطة المدرعات .
وعندما خططنا للعملية ، كان هناك اعتقاد بأن هناك عدة فصائل من
سائدى الدبابات في منطقة المزرعة الصنية وأنهم قد يجدون مخابىء في
الدشم الكثيره الموجودة بهذه المنطقه . وفي الحقيقه فان النظام الدفاعى
المساز ، المرود بالاسلحة المصاده للدبابات والمورنار ، كان من أكثر
العوامل فاعلية فى قتال المصريين فى هذه المعركة فعندما وصلت كتيبة
المظلات الى منطقة المعركة فى العاشرة مساء ، بعد رحلة من جنوب سيناء
دخلوا الى العمل مباشرة بعد منتصف الليل .

وفي الساعة الثانية والنصف صباحا ، انفروا مع المراكز الدفاعية
المصرية وفى خلال لحظات كانت المنطقة مغطاة بنيران مكثفة من خلال قصص
مدفعى مركز . بسرعة تبين ان هذه النيران المركزه نأى من عدة فصائل
من سائدى الدبابات ، ولكنها كانت منتشره ومماسكة وغير قابلة
للاختراق . وقد قتل على الفور قائدان من فاده المجموعات وجرح
الثالث . واصبحت نيران العدو أكثر قوة وارتفع خسائرننا ، ورغم هذا
اندفع رجالنا فى اقتحام المواقع . ولكن نظام دفاع العدو كان ممتازا ،
فاذا سقط الخط الاول يستمر الثانى فى العمل ، وفى تشديد القصف، على
قوات المظلات . واضطرت الكتيبة الاسرائيلية ازاء هذا الموقف الصعب
الى ان تطلب مساعده المدفعية والمزيد من الدبابات .

وفيل العجر بقليل ، فى الساعة الرابعة والنصف صباحا ، تلقت
احدى كتائب المدرعات الاوامر لتوجه فورا لقوات المظلات واخلاؤها .
لم يكن هناك وقت لتضييعه ، فتقدمت الكتيبة فورا من أقصر طريق ،
بعد ان طلبت من المظليين اظهار أماكنهم بقنابل الدخان . وقام المظليون
بتقسيم أنفسهم الى مجموعات صغيرة بين ١٥ و ٢٠ رجلا للاخفاء فى
منطقة تبعد ٥٠ يارده عن مئات الجنود المصريين الزوידين ب
« ر . ب . ج » « الكلاسنكوف » ، وعندما اقتربت المدرعات خرجت
المدرعات المصرية لمقابلتها وجرى تبادل عنيف فى اطلاق النيران .
وانسحبت دبابات العدو . بينما ظلت نيران المشاة المصريين فى نزايده .

وفتل الطبيب ومساعداه الذين حضروا مع الكتيبة المدرعة ،
وتقدمت الدبابات واصحمت مواقع مساة العدو ، وأخذت حاملات
الجنود المدرعة فى سحب الجرحى الى الوراء تحت غطاء نيران مدفعية
الدبابات وأصيب خمس دبابات وحاملتان للجنود ، وقرر قائد كتيبة
المدرعات الانسحاب قبل ان يخسر بفيه القوة . وفى حوالى الساعة
الخامسة والنصف صباحا انسحب المدرعات ، ولكن اتضح ان هناك
دبابات لم نهرب فنائب القائد الذى اصيب مجموعة دباباته ، ظل فى
الميدان ومعه سبعة جنود اختبأوا بين دبابتين مضروبين ثم جرت بعد
ذلك معركة انتقاذ أخسر الجرحى وفادتها مجموعة من لواء «نايكى»
ومجموعة من لواء (أمير) ، واستمرت عدة ساعات . ومع أن (عوزى)
قد أبلغ انه لم ينجح فى دفع المصريين الى الوراء ، وانه اضطر الى سحب

قوانه من ميدان القتال ، الا انه نجح في الحقيقة في مهمته ، بينما كان المصريون مستبكون في هذه المعركة ، فانهم توقفوا عن التدخل في الحركة على الطريق الاحتياطي . وهذا ما ساعد برن على تحريك فواربه الى الامام وفي الساعة السادسة صباحا وصل الى خط المياه عند رأس الجسر ، وانصل بقوات ابريك .

طلبت من اريك ان يلحق بي في قيادة برن ، في الساعة الثانية عشرة والنصف بعد الظهر وبعد نصف ساعة وصل رئيس الاركان وتوجهنا الى حفره مجاورة ، وهناك بين الرمال الساخنة نصف جالسين ونصف مستقلين ، عقدنا مجلس حرب يضمنى واليعازر رئيس الاركان وبارليف واريك وبرن وناقشنا الحسائر الفادحة والضغوط المستمرة علينا من القذف والقصف الذي كان يجعلنا حنى في هذه اللحظات نرفع أصواتنا . بالاضافة الى ان العلاقات بين بارليف واليعازر من جانب آخر لم تكن جيدة . كان تقدير اريك للموقف بخلاف تماما عن تقدير تلك الرتب الكبيرة وأسوأ ما في الامر هو انعدام الثقة المتبادل فيما بينهم . فقد كان اريك يؤمن بأنهم يتآمرون ضده ، وأنهم كانوا لا يثقون في تقاريره عن المعركة وفي تفوق ضباطه . وكانوا يتهمونهم بعدم تنفيذه لأوامرهم ، وان دوافعه الشخصية هي التي تسيطر على كل نشاطه ، وأنه بكسر حدود النظام ، من أفريقيا ، كما كان يسميها ، بعد العبور مباشرة ، وكان يتكلم تلفونيا مع اصدقائه .

وعندما وصل اريك الى اجتماعنا كانت رأسه مربوطة فقصص أصيب جبهته بسطية دانة . وكان وجهه يحمل علامات المعركة . والواقع أنه هو وتشكيله قد قاتلا بشجاعة نادرة متكبدا خسائر رهيبة ولكنهم لم يترجعوا اطلاقا عن تحقيق هدفهم . وقد احتل رجاله رأس الجسر المصرى في الضفة الشرقية خلال معركة مدرعة وحشية ، وفي هذه المعركة قتل أكثر من مائتى رجل في لواء امنون ، كما قتل جميع قادة المجموعات مرتين ، فبعد أن قتل القادة الاصليون ، قتل أيضا بعد ذلك القادة الذين حلوا محلهم ، فأصبح القادة الحاليون هم الصف الثالث . وقد ضرب معظم الدبابات وأحترقت أو دمرت ، وتركت محترقة عند الاستحكامات القوية والمزرعة الصينية .

وكان السؤال الاول في هذا الاجتماع هو هل يتقدم برن بتشكيله لعبور القناة بمجرد اقامة الجسر ؟ وكنت أنا شخصيا في صف ذلك لانى كنت أتصور أن الجسر فور اقامته سيتعرض للضرب باستمرار والسقوط ، وكان رأى بارليف أن هناك جزءا من قوات برن يخوض الان معركة ، ولا بد أن يأخذ قسما من الراحة قبل أى عملية جديدة . وفي نفس الوقت بدأ العدو بقصف مكثف على رأس الجسر . وأبلغنا مهندسونا أن الجسر سيصبح معدا للاستخدام بعد الظهر بدلا من الساعة الحادية عشرة صباحا ، وسيسمح ذلك بأن ينهى برن معركته قبل هذا الوقت ويستعد للعبور .

ولم يوافق اريك على هذا . وطبقا لما قاله فان هناك قوة مصرية يتم تنظيمها على مسافة ستة أميال من المعبر ، ولهذا فلا بد من العبور بأسرع ما يمكن . قبل ان يحكم المصريون الحلقة حول رأس الجسر الغربي . وبالنسبة للثلاثين دبابة التابعة لاريك التي عبرت ، فقد أصيبت ثلاثة منها ، ولكنه ظل يحتفظ بدبابات اضافية على الضفة الشرقية ، وأراد أن ينقلها الى الضفة الغربية على القوارب . ولكن قيادة الجبهة الجنوبية اعترضت على هذه الفكرة ووافق بارليف على نقل دبابات اضافية قبل اقامة الجسر ، على أن تكمل القوة في الضفة الغربية الى مستوى اللواء . أما بقية الدبابات فتتحرك بعد اقامة الجسر مباشرة وظل اريك يطالب بحريك فوري للدبابات على القوارب حتى يمكن أن يكون لنا أربعة لواءات قبل منتصف الليل على الضفة الغربية وأيد رئيس الاركان بارليف في وجهة نظره الخاصة بنقل دبابات بالقوارب لزيادة القوة على الضفة الغربية الى مستوى اللواء فقط . ونقل الباقي عندما يقام الجسر . وكان برن متشوقا لعبور القناة بسرعة ووعد بهاء المعركة في أسرع وقت ، وأن يكون على الجانب المصري في المساء فانهى الاجتماع في الثانية بعد الظهر ، وتوجهت مع اريك الى نقطة العبور .

وكان الموقع نحت أنظار المصريين الذين بدأوا في القصف المركز ، وبالرغم من ذلك فقد استمرت قواتنا في العمل ، فالرجال الذين أصيبوا ثم اخلاؤهم . والقوارب التي أصيبت استبدلت بغيرها ، وبنات البلدوزرات تعمل لاقامة الجسر وعبرت مع اريك للضفة الغربية الى تختلف تماما عن الضفة الشرقية بكثرة المزارع فيها ، وهنا « في أفريقيا » أراد اريك أن نتسلق سطح إحدى المدرعات ، ولكنني فضلت السير على الاقدام غربا في عمق اراضي العدو وأخبرني اريك أنه نرك مع « داني مات » سبع دبابات للدفاع عن رأس الجسر ، بينما الباقية ، وهي تزيد عن عشرين موجودة في النقطة الامامية . وأخبرني أنه في اليوم السابق تم تدمير أكثر من عشرين دبابة وبطاريتي صواريخ على الضفة الغربية .

وعندما عدت للضفة الشرقية ، كان الجسر معادا ، والعوامات متصلة ببعضها بين الضفتين وكانت الساعة الرابعة عندما عدت من الجبهة الجنوبية الى تل أبيب ، وأوفى برن بوعده ، حيث أنهى معركته بسرعة وقد أصابت قواته خمسين دبابة من قوات العدو ولم تفقد ولا دبابة . وفي الساعة العاشرة مساء بدأ تشكيله في عبور القناة ، وفي السادسة صباحا كان قد تقدم لمسافة ستة أميال ، وتقدمت القوات على طريقين أحدهما غربي في أعماق مصر والثاني بمحاذاة القناة جنوبا في اتجاه قاعدة فايد الجوية ، وسألت بارليف هل كل شيء يسير على ما يرام ؟ وأجاب بنعم . ولكنه أضاف بحرص بارليف المعروف . . . كل شيء سيتضح خلال ٤٨ ساعة .

وحرصت على زيارة المزرعة الصنبية ، فوجدت فيها متهددا لا يمكن أن أنساه ، بل لم أره في حياتي من قبل ولا حتى في أفلام السينما .
فها هي آثار المذبحة التي حدثت ، وما زال الدخان يتصاعد من بقاياها ، كدليل حي على المعركة الرهيبة التي دارت رحاها في هذا المكان .

وفي الأيام التالية للعبور جرب معارك قاسية على كلنا الضفتين ولكن في كل ساعة تمر كنا نزيد من قواتنا في الضفة الغربية ، لأن المصريين ما زال لديهم ألف دبابة ، منها خمسمائة على كل جانب ، ولكنها تمررت للدفاع ، واستطاع رأس جسرنا على الضفة الشرقية أن يقطع الاتصال بين قوات الجيشين الثاني والثالث . وفيما يشبه الدائرة على الضفة الغربية ، انتشرت الفسوات المصرية من القنطرة الغربية شمالا حتى خليج السويس جنوبا . ولكن الأهم من ذلك كله أن مفتاح الغدير في مجريات الحرب أصبح الآن بيدنا نحن .

وعد أمر هذا التغيير العسكري على المسرح الدولي . ففي ١٩ أكتوبر « تشرين الأول » أخبرنا سفيرنا في واشنطن أن هناك مباحثات محمومة بين الأمريكيين والروس للاشتراك في العمل على إيقاف إطلاق النار عن طريق مجلس الأمن واصبح واضحا انه لم يبق سوى عدد أيام على نهاية الحرب . وطلبت رئيس الأركان والضباط الكبار لاجتماع في هذا الصباح . وقررنا في هذا الاجتماع ضرورة احتلال موقع جبل « الشيخ » في الجولان ، وتحسين خطوطنا في الجبهة المصرية . قبل الموافقة على إيقاف إطلاق النار . واجتمع مع رئيسة الوزراء ، وعرضت عليها الخطوط النهائية التي يجب أن نصلها قبل إيقاف إطلاق النار .

وعندما توجهت الى الجنوب لمقابلة أريك كانت الساعة الحادية عشرة والنصف صباح ١٩ أكتوبر (تشرين الأول) . وحاولت الوصول الى مقر قياده أريك بالضفة الغربية بالهليكوبتر الى فشلت في العثور لها على مكان صالح للهبوط ، فعدت مرة أخرى الى الصنعة النصرية ، وطلبت من قائد الطائره الهبوط شمال البحيرات المرة سرق الفناء . وأخذت سيارة لاعبر بها الجسر وقبل أن أصل الى رأس الجسر وفجعا تحت نيران المدفعية الثقيلة . وكان من المنحيل الاستمرار لأن الطريق مغلق بالسيارات المحترقة . وانظرنا بعض الوقت لتتجيب فرصة ، ولكن الطائرات المصرية بدأت تقصف القافلة التي تمر على الجسر . واشند القصف عنفا واقترح على مساعدى العودة الى تل أبيب . ونجح في اصطلياد عربة قيادة مرت بأعجوبة من خلال القذائف والعربات والمدفوعات المحترقة .

كنت أكثر حظا في اليوم التالي السبت ٢٠ أكتوبر (تشرين الأول) في زيارة الضفة الغربية . وفي إحدى القيادات المتقدمة التقيت ببرن .

واريك والجنرال كالمان ماجن الذى حل محل الجنرال البرت ماندر الذى قتل فى اليوم الثامن من الحرب ، وكان واحدا من أفضل جنود اسرائيل وخلال الزيارة حرصت على حث اريك وبرن وماجن على تحقيق الاهداف المطلوب بأسرع ما يمكن لان ايقاف اطلاق النار سيجعلنا فى مأزق يوم أو يومين وأخبرتهم عن رحلة كيسنجر لموسكو ، وأن الروس يحاولون دفع الامريكيين الى الموافقة على ايقاف اطلاق النار مع عودتنا الى حدود ما قبل الحرب . وفى نفس الوقت فان عدة دول بدأت ترسل الى مصر كميات هائلة من الذبابات والصواريخ لتعزيز قواتها فى الحرب . وفى زيارة أخرى للصفة الغربية يوم ٢١ أكتوبر (تشرين الاول) ، طلبت مقابلة الكولونيل عوزى يائيرى الذى خاض معركة المزرعة الصينية بلواء المظلات . وتكلمنا عن معركته . قال له بارليف انه تكبد خسائر فادحة ولكنه فى النهاية فتح الطريق ولكن عوزى قال ان الطريق فنتحته المدرعات ، وكنت أود أن أقول ان وحدتى فعلت ذلك . لكننا خسرننا سبعين رجلا لاننا دخلنا المعركة بسرعة بدون معلومات عن العدو .

وفى الساعة السابعة من مساء نفس اليوم تقابلت مع رئيسة الوزراء لافدم لها تقريرا عن التطورات ، ثم توجهت الى مكتبى . وبعد ساعتين طلبتنى بسرعة ، وعندما وصلت مكتبها قالت (هذا هو ايقاف اطلاق النار) . وفى الساعة الثالثة صباح اليوم سيجتمع مجلس الامن لمناقشة مشروع القرار المقدم من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بايقاف اطلاق النار بعد اثنتى عشرة ساعة من صدور القرار ، وقد أوصانا الرئيس نيكسون بقبوله واجتمع مجلس الوزراء فى منتصف الليل وقرر الاستجابة لطلب الرئيس نيكسون .

وكانت عملية احتلال جبل هرمون قد بدأت مع غروب نفس اليوم واستمرت خلال الليل وانتهت قبل ظهر ٢٢ أكتوبر (تشرين الاول) . وطلبت من بارليف الاسراع فى احتلال جبل عتاقة غرب خليج السويس، فذلك سيجعل موقفنا قويا فى المنطقة الواقعة من الاسماعيلية حتى خليج السويس ، بحيث نعزل الجيش الثالث ، ومدينة السويس . وفى الساعة الثانية والنصف بعد ظهر نفس اليوم أعلن راديو القاهرة أن الرئيس أنور السادات قبل وقف اطلاق النار الذى يبدأ تنفيذه فى الساعة ٦٥٨ بعد ظهر نفس اليوم . وقد ركز الطرادان المصرى هجماته خلال هذا اليوم واليوم التالى على قواتنا شرق القناة واستمرت الوحدات المصرية فى القتال العنيف . ويبدو أن السبب فى ذلك أن سوريا رفضت ايقاف اطلاق النار . وقد أصدر القادة المصريون الاوامر لوحدهم باحتلال المراكز الاسرائيلية وحاولوا ذلك فعلا .

وفى الساعة ٦١٥ صباح اليوم التالى ٢٣ أكتوبر (نشرين الاول)
أعلنت سوريا قبولها لقرار مجلس الامن بايقاف اطلاق النار بشرط ان
تسحب القوات الاسرائيلية الى مواقعها قبل حرب ١٩٦٧ . .

واسمى المصريون يحاربون فى الارض والجو ، وحاولت قواهم
العدم فى مختلف القطاعات . وفى هذه الحالة اسرائيل أصبحت نبر
ملنزمه بقرار ايقاف اطلاق النار ، واستمرت وحدتنا أيضاً فى القتال .
واستبكت طائراتنا مع طائرات الاعداء ، واحتلت احدى الوحدات جبل
عتاقة .

وباحلالنا الادبية انضمت قوات البحرية لقواتنا البرية . وحاصرت
القوات البحرية مدينة السويس ومنعت الامدادات عن الجيش الثالث .

وقد فامت بحريتنا بعمل عظيم فى هذه الحرب ، ولم تكن اسرائيل
فى معاركها السابقة فى حاجة الى الهجوم على سوريا ومصر من البحر
المنوسط أو خليج السويس . ولكن قوارب الصواريخ البحرية السريعة
هاجمت قوات العدو البحرية واقتحمتها فى براعة ، واستبكت مع السفن
الحربية المزودة بالصواريخ السوفيتية . وكانت هذه القوارب تقرب
بسرعة من السفن وتضربها قبل أن تعد هى صواريخها للاطلاق .

وفى مساء يوم ٢٣ أكتوبر حاصرت قوات برن مدينة السويس
والجيش الثالث . وبعد منتصف الليل يوم ٢٣ أكتوبر (نشرين الاول)
جاءنى قائد المراقبين فى قوات الامم المتحدة الجنرال سيلاسفو ، الذى
كان فى القاهرة ، وأبلغنى أنه يريد ، بناء على تعليمات نيويورك ، شى
ارسال مرافقين للجبهة المصرية لمراقبة وقف اطلاق النار . وقلت له أنه
يجب أولاً أن يكون هناك وقف اطلاق نار حقيقى . ومن جانبنا ، فنحن
نقبل ذلك . واقترح أن ينم ذلك فى السابعة من صباح اليوم التالى
٢٤ أكتوبر (نشرين الاول) على أن نتلقى كلمة من المصريين أنهم يقبلون
ذلك أيضاً . وبعد أن قمنا بكل استعداداتنا لوقف اطلاق النار شى
السابعة صباحا ، لم نتلق كلمة من المصريين . ولكن جنرال سيلاسفو
عاد مرة أخرى الى مكتبى ، فأعطيت خرائط بمواقعنا بما فيها جبل عتاقة
ومبنى الادبية ، وطلبت منه رد المصريين . وعاد سيلاسفو الى القاهرة وفى
الساعة ٨٤٥ صباحا طلبنى نائبه المقيم فى القدس تليفونيا وأخبرنى
أنه تلقى اشارة بالراديو الآن من القاهرة تقول (موافقون . موافقون .
موافقون) وسألته اذا كان المصريون قد رددوا كلمة الموافقة ثلاث مرات ،
فاجاب بل اربعة .

و كنت فى يوم ٢٢ أكتوبر (تشرين الاول) عندما طرت لزيارته
يرن ، فد نلعت من رئيسة الوزراء طلبا بأن أعود الساعة ١٤٥ راء للغداء
مع كيسنجر . وبعد هذه الزيارة التى تعرضنا فيها لقصف مركز عدت
الى بل أبيب فى وقت مناسب للغداء مع كيسنجر . وكنا نعرف بعضنا
من وقت طويل . ومنذ عشرين عاما ، وقبل وبعد تعيينى وزيرا للدوع
كنت أراه خلال زيارتى للولايات المتحدة . وكنت متأثرا جدا - بحكمته
وسعة اطلاعه ودكائه وطاقته الهائلة فى العمل .

لقد سفق الكثير عندما فتح فصلا جديدا فى العلاقات الامريكية
الصينية . لكن تعرده بين سابقيه من وزراء الخارجية الامريكية يكمن
فى مفرته على المواءمة بين ذكائه الشخصى وبين القوة العظمى التى تسيطر
امريكا بكل قوتها .

وخلال الغداء دار الحديث حول ايقاف اطلاق النار والعلاقات
الامريكية الاسرائيلية وفوق ذلك امدادات السلاح . بالنسبة لاييقاف
اطلاق النار ، كان شرطنا الرئيسى تبادل الاسرى . ولم يرحب كيسنجر
بعنف الصيغة التى طرحناها (اذا لم يكن هناك تبادل اسرى فليس هناك
وقف اطلاق نار) ، ولكنه وعد بطلب مساعدة الروس فى هذا الامر .
وكان الانطباع الذى تكون لدينا أن أمريكا تحاول التصرف بحكمة ، فلو
كنا نحن قد بدأنا القتال مثلا ، لما حصلنا على مسمار واحد من الولايات
المتحدة ، وأن القادة الامريكيين لو خبروا بين مساعدتنا والمقاطعة
البنزولية فى ذلك الوقت ، لعقدوا اتفاقا مع العرب ، ولو على حساب
رعلاوة على ذلك ، فقد وافقت الولايات المتحدة على وقف اطلاق النار ،
حتى لا تستمر الحرب وتسقط النظم العربية المعتدلة لتحل محلها نظم
مطرفة ، وحتى لا تتدخل روسيا لمنع انهيار حلفائها . وكان رأينا أن
العرب قد أدركوا أن الولايات المتحدة هى الوحيدة القادرة على تحقيق حل
سياسى للزمة اما من حيث موضوع الاسلحة لاسرائيل ، فانه لا بد للقادة
اليهود فى أمريكا أن يعبروا عن التقدير لا أن ينتقدوا الموقف الامريكى
كما يفعلون الآن .

وعادرت الغداء بأحاسيس مختلطة ، لكننى كنت وانقا من أن
كيسنجر سوف يبذل جهدا نشطا فى المحادثات مع العرب ، وان كنت
أعتقد أن محاولة أمريكا للاحتفاظ بالعلاقات العربية سوف تتم على حساب
اسرائيل عن طريق مزاوله الضغط عليها .

وفى المساء انعقد مجلس الوزراء لمناقشة الموقف بعد وقف اطلاق
النار . وتقرر أنه ما لم يمتثل المصريون لوقف اطلاق النار ، فان الجيش
الاسرائيلى (سيطرد العدو من البوابة) . وهو تعبير مأخوذ من النوراة .
لكن البوابة هنا تعنى جبل عتاقة .

ما بعد الحرب

(١٩٧٣ - ١٩٧٥)

عجيب أمر هذا الرجل فهو يكذب وبإصرار ، ولكنه نسي أن يطبق المثل القائل : « اذا كنت كذوباً ، فكن ذكوراً » .. فبالرغم من اعترافه صراحة بالهزيمة التي منى بها جيش اسرائيل والتي زلزلت كيانهم في السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣ .. نراه هنا يتصور خيالات واهام لم يكن لها وجود سوى في خياله المريض .. فلم يكن في استطاعته كما بدى أن ينال من الجيش الثالث مهما لفق من حكايات وأكاذيب . وهو يعلم أن جميع المعلقين العسكريين كان لهم رأى آخر .. وهو أن وضع الجيش الثالث لم يكن سيئاً بالصورة التي صورها كذب موسى ديان « في مذكراته .. بل العكس هو الصحيح فقد كانت القوات الاسرائيلية في غرب القناة تحت رحمة الجيش المصري وكان يمكنه القضاء عليها تماماً في أي لحظة وكلها أمور يعلمها « ديان » جيداً .

٣٤ ضغوط دبلوماسية

بعد موقفنا الاخير جاءت الازمة .

وانضح أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي قد نسفنا كل الامور بينهما ، وتحولت الازمة لتصبح بين اسرائيل والولايات المتحدة ، وقد بدأت حينما اتضح للولايات المتحدة أن الاتحاد السوفيتي يفكر جديلا في ارسال بعض قواته النظامية لتحرير الجيش الثالث . وفهمت أن الخطة قد وضعت بحيث تصل هذه القوات الى القاهرة ، ثم نتحرك لمهاجمة قواتنا . وفسرت الولايات المتحدة احتمال التدخل السوفيتي على أنه تحول خطير ، ووضعت الولايات المتحدة يوم ٢٥ أكتوبر (تشرين أول) قوانها على أهبة الاستعداد . ولم آكن أعلم على وجه التأكيد هل ألغى الاتحاد السوفيتي هذه العملية بعد رد الفعل الامريكي ، أم أن الانذار السوفيتي كان من البداية انذارا زائفا . وعلى العموم ، فإن الخط الساخن بين موسكو وواشنطن أثبت فعاليته ، وانتهت الازمة بين القوتين الكبيرتين .

وفي اليوم التالي ، ٢٦ أكتوبر (تشرين أول) ، ردت الكرة اليينا . فقد أبلغنا الامريكيون أن لديهم معلومات بأننا سنهاجم الجيش الثالث

وقالوا أن ذلك يعد خرفا لانفاهيه وقف اطلاق النار . وأنهم يفهمون ، وبعد الخطوات الخطيرة المحتمل أن تتخذها الولايات المتحدة ضدنا . وبعد نصف ساعة من قيامنا بإرسال انكار سديد حول هذا الهجوم ، بلغت سفارتنا في واشنطن نصيحيا يقول أن الأمريكيين قد اكتشفوا أن المصريين - لا نحن - هم الذين يواصلون العمليات العسكرية ، ولكنهم أضافوا أن المشكلة الرئيسية في الوقت نفسه هي وضع الجيش الثالث ، وأن الأمريكيين لا يسمحون بتدمير هذا الجيش أو بتركه يموت جوعا أو عطشا ، أو بأسر أفرادهم . وإذا لم يتلق الجيش الثالث امدادات بأى طريق فإن السوفيت سيتولون ارسال هذه الامدادات . وقالوا أن هذا التحرك لو حدث يعد تدخلا عسكريا ، ويدفع الأمريكيين الى مواجهته جديدة مع الاتحاد السوفيتي .

وبدأت اتصالات تليفونية لا نهاية لها بين واشنطن والقدس . وبينما كان مجلس الوزراء الاسرائيلي منعقدا ، قدم الأمريكيون طلبا منهم في شكل انذار ، مما دفعنا الى السماح لقافلة تتضمن مائة سيارة نقل مصرية بالعبور خلال خطوطنا تحمل الامدادات غير العسكرية الى الجيش الثالث ، بجنا لحدوث أزمة بيننا وبين الولايات المتحدة . وكانت تلك بداية حصار الجيش الثالث الذي استمر من ٢٣ حتى ٢٦ أكتوبر (تشرين أول) . وبعد ذلك بعدة أيام طلب الرئيس نيكسون شخصيا السماح بمرور خمسين سيارة أخرى من الامدادات ، ثم جاء طلبه الثالث أن من الأفضل خلال الوقت الذي يجرى فيه كيسنجر محادثات في القاهرة ، أن تصل الامدادات بانتظام للجيش الثالث ، وقال الرئيس أنه إذا لم يحدث ذلك فانه يشعر أنه لن يكون هناك أى تأثير على القاهرة لاجراء محادثات حول مسائل أهم بكثير من الجيش الثالث . وقد صاغ الرئيس الأمريكي طلباته وفق العلاقات (الخاصة جدا) بين اسرائيل وأمريكا ، وهو الوصف الذي كان أبا ايابن يطلقه على هذه العلاقات عندما كان سفيرا في واشنطن .

وكان موقف الجيش الثالث السيء يوم ٢٦ أكتوبر هو الذي أوصل الحرب الى نهايتها . وكانت أول خطوة هي قرار مجلس الامن بانشاء قوات دولية للطوارئ ، على أن يقدم السكرتير العام للأمم المتحدة تقريرا عن التطورات خلال ٢٤ ساعة . ووافقت مصر واسرائيل . وأبلغنا الأمريكيون أنهم قد اتفقوا مع الروس على عدم اشتراكهم هم والروس في قوات الطوارئ . وكانت الخطوة الثانية هي اتفاق مصر واسرائيل على اجتماع ضباطهما الكبار . وكان الغرض كما ذكره المصريون هو أول مناقشة الجوانب العسكرية لتنفيذ قرارى مجلس الامن ٣٣٨ و ٣٣٩

وكانت الولايات المتحدة مشغولة في تحركات سياسية ثلاثة في منطقة الشرق الاوسط ، كلها في النهاية لا تخدم اسرائيل . الاول هو محاولة رفع حظر تصدير البترول الى الولايات المتحدة ، والثاني تقوية موقف ونفوذ الولايات المتحدة في الدول العربية وفي مقدمتها مصر والسعودية ، والثالث هو أن تبحث بأسلوب هادئ مع الاتحاد السوفيتي حل الصراع بين العرب واسرائيل . وكانت المحادثات في أمريكا - في تصوري - صعبة هذه المرة مع نيكسون وكيسنجر .

وعادت جولدا مائير من أمريكا ، وطاز كيسنجر الى مصر ليعرض اقتراح اتفاقية فصل القوات بين اسرائيل ومصر .

وفي مصر أحرزت الامور تقدما ، اذ كان الرئيس السادات في الحقيقة يريد الوصول الى اتفاق للسلام في الوقت الذي لم يكن يرحب فيه بتدخل أى من روسيا أو أمريكا في بلاده . هذا في الوقت الذي ظل فيه المتحدث الرسمي المصرى والصحافة المصرية ، يرددون أن قواتنا نحن في الضفة الغربية في المصيدة .

وكانت الاتفاقية الاولى التي توصلت اليها وساطة كيسنجر بين مصر واسرائيل ، لاحقة للمباحثات العسكرية عند الكيلو ١٠١ وتم توقيعها يوم ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) وكانت تتضمن ٦ مواد تتعلق فقط بامدادات الجيش الثالث وتبادل الاسرى . وقبل ذلك بأربعة أيام كان جوزيف سيسكو أحد مساعدي كيسنجر ، قد حضر الى القدس ومعه مسودة الاتفاقية التي تقترحها مصر ، والتقى مع ممثلين لحكومتنا . وبعد مناقشة لعدة ساعات وادخال بعض التغييرات اتفقنا على قبولها . وفي اليوم التالي نوقشت هذه المسودة في مجلس الوزراء ووفق عليها . . وكانت الاتفاقية تغطي فقط المواضيع العاجلة ، أما المسائل الرئيسية التي لم تثر في الاجتماعات العسكرية فقد عهد بها الى مؤتمر السلام المقترح عقده في جنيف . وعندئذ فقط أحسست بالراحة .

ولم يكن تقدم مباحثات الجسمى وياريف عند الكيلو ١٠١ مبعث سرور بالنسبة لى ، فقد كان يبدو لى أننا سنقدم بعض التنازلات مقابل لا شيء ، ولكن لم يكن فى مقدورى منعها . وكانت النقاط الدقيقة تعرض على مجلس الوزراء لتقديرها واصدار القرارات بشأنها . ولكنى لم أجد دعما وتأييدا لمقترحاتى التي تتضمن أن ننسحب من الضفة الغربية الا اذا عقدنا اتفاقا سياسيا يؤكد تغييرات أساسية فى الوضع ، منها حرية الملاحة فى قناة السويس وإعادة فتحها ، وتحديد القوات على القناة ، وإعادة بناء مدن القناة ولم يكن ممكنا تحقيق ذلك خلال مباحثات الجسمى

— ياريف وبدون وساطة الولايات المتحدة وقبولها المسئولية • ومع كل تحفظاتى على تحرك كيسنجر ، فقد كانت مصر متلهفة على خروجنا من أراضيها ، وهذا هو الوقت المناسب للوصول الى اتفاق عسكري سياسى معها • وقد يكون هذا ممكنا فى جنيف ولكن بالتأكيد ليس فى الكيلو • ١٠١ •

وفى منتصف محادثاتنا حول فصل القوات ، وفى يوم السبت أول ديسمبر (كانون الاول) فى الساعة العاشرة والنصف صباحا ، توفى دافيد بن جوريون • وكنت قد زرته قبل يومين من وفاته بعد أن أبلغنى طبيبه عن حالته • وجلست بجوار سريريه وكان يبدو هادئا فقد عاش حياة طويلة عاصفة وها هو يعادرها هادئا • وعندما نظرت إليه فكرت فى أنه سينعى ويبكى عليه الجميع حتى الذين هاجموه فى أيامه الاخيرة • • سينعيه قادة حزب العمل الذى قاده طويلا وسينعبه محررو جريدة دافار الذى أنشأها وسيفرقون بين الرجل والقيادة أى بين بن جوريون والبنجور يونيه •

راودتنى الافكار حول حتمية أن يبكى عليه الجميع بما فيهم من هاجموه • • بما فيهم قادة حزب العمل الذى قاده • وسوف يطلقون عليه (أعظم اليهود — ومهندس الدولة — وزعيم الامة) ، وانهم سيفرقون بين الزعيم وبين الانسان الذى قد يخطئ • لكن هذه التفرقة كانت خاطئة ، فالزعيم والانسان واحد •

٣٥ محادثات في واشنطن

فى ديسمبر (كانون الثانى) عام ١٩٧٣ سافرت الى الولايات المتحدة لالقاء خطب فى عدة اجتماعات تحت رعاية منظمة الغذاء اليهودى الموحد . ولما علم كيسنجر بهذه الرحلة اقترح على أن أبدأها قبل موعدها بعدة أيام لمقابلته ومقابلة وزير الدفاع . وقد أجريت أيضا محادثات مع جبرالد فورد نائب الرئيس . آتخذ بناء على دعوته . . . والتقيت مع كيسنجر مرتين بدلا من مرة . كما كان مقررا ، اذ بدأت محادثتنا صباح ٧ ديسمبر (كانون أولى) واستؤنفت بعد ظهر نفس اليوم . وكان معى مساعدى زفى تسور وموتاجور الملحق العسكرى فى سفارتنا فى واشنطن ، وسيمحا ديننز سفيرنا ، وكان مع كيسنجر جوزيف سيسكو واثنان من المساعدين الآخرين .

وكانت بداية المحادثات فى الصباح تتعلق بإمدادات السلاح . وبمجرد أن بدأت الحديث فى هذا الموضوع ، حتى انفجر كيسنجر متسائلا هل ستوقف اسرائيل دفع مرتب سفيرها اذا لم يقيم باثارة موضوع السلاح أكثر من عشر مرات يوميا . وشرح تسور أهمية كميات الاسلحة التى وصلت للعرب لا بالجسر الجوى فقط بل بالجسر البحرى ، والتى وصلت الى ٣٠٠ ألف طن ، بينما تلقينا نحن أقل من

ثلث هذه الكمية من الولايات المتحدة . . . وبعد ذلك عرضت أنا الأرقام
مقارنا بما حصلنا عليه من الولايات المتحدة فقد أسلم العرب ٣٥٠
طائرة منها ٢٠٠ من الدول الاشتراكية و١٥٠ من الدول العربية ، و١٥٥٠
دبابة من الدول الاشتراكية . فإذا أضفنا اليهم ما وصل من الدول
العربية فإن العدد يصل الى ٢٥٠٠ أى أكثر مما فقدوه فى الحرب .

وقلت لكيسنجر أن هناك أيضا مساعدات من نوع آخر ، فقد حاربنا
فى سوريا دبابات تقودها أطقم كويبة ، وكذلك أسقطنا قبل يوم واحد
طائرة على الجبهة المصرية يقودها طيار من كوريا الشمالية . ومن ناحيتنا
فإن قوتنا البشرية محدودة ، ولذا فإن كميات السلاح التى يمكن أن
نطلبها من الولايات المتحدة يجب أن تعوضنا هذا النقص . وقد طلبنا
حاملات جنود وتلقينا ثمن ما طلبناه . . وهذه الحقيقة أيضا تنسحب
على بقية أنواع الأسلحة التى طلبناها مثل صواريخ هوك أرض - جو .
وطلبت السماح لنا بأن نطلب عددا أكبر من الطائرات من المصانع
مباشرة . وقبل الحرب كنا قد طلبنا عددا قليلا من طائرات الفانتوم ،
وفيل لنا أثناء الحرب أنه لا يوجد فائض فى الفانتوم للاستغناء عنه .
ثم شرح كيسنجر موقف الولايات المتحدة ، وأسبابه . وفى النهاية أبلغنا
أن بعض طلباتنا ستتحقق ، والباقى ستتم دراستها .

وانتقلنا الى الموضوع الثانى ، فتناقشنا الاتفاقات مع مصر فيما
يتعلق بقناة السويس . وكان موقف الولايات المتحدة النهائى أنها تفضل
فتح قناة السويس . . وقلت لكيسنجر أن سيطرتنا على القناة الآن أكثر
من ذى قبل . . وشرحت له وجهة نظرى الشخصية (التى وافقت عليها
رئيسة الوزراء) . وقلت ان انسحابنا من قناة السويس - وهو أكبر
تنازل - لا يمكن أن يكون بلا ثمن . وأن الثمن الذى نتصوره هو اتفاقية
سلام مع مصر . وقد اتضح من اقتراحات مصر عند الكيلو ١٠١ أن علينا
أن نقدم الحد الأقصى ونأخذ الحد الأدنى . فإذا كان علينا الانسحاب
سبعة أو عشرة كيلو مترات شرقى القناة . فثمة يجب أن نضمن توقف
الاعمال العسكرية ضدنا . هذا مع إعادة فتح قناة السويس وعودة المواطنين
الى مدن القناة . ويمكن إنشاء منطقة عازلة توضع تحت سيطرة الأمم
المتحدة . كما يجب أيضا أن نبالس عملا تجليا مع الولايات المتحدة من
أجل فتح مضائق باب المندب ، لتأمين حرية الملاحة فيها .

ولم يوافق كيسنجر على كل هذه الأفكار ، وكانت له تحفظات على
بعضها . . وقبله أثار دهشتى أنه كان يجهل بعض الأمور حول هذه المنطقة .
وفيما يتعلق باب المندب ، فعلى الرغم من أن حاملات الطائرات الأمريكية

بؤثر فى هذه المطفة . فانها لا تريد أن نعمل كرجل البوليس فى هذا العالم . وخلصت الى أن الولايات المتحدة قد بدخل الحرب من أجل مصالحها ، ولكن ليس من أجل مبادئ دولية مثل حرية الملاحة . وكان الدليل الواضح على ذلك يعمل فى التفسيرات التى طلبها الكونجرس من الرئيس عقب اعلانه وضع الاستعداد فى القوات الأمريكية فى أكتوبر (تشرين أول) ، عندما هدد الروس بإرسال قوات إلى القاهرة .

وعلى أية حال فإن مصر بصر على انسحابنا من معظم سيناء قبل أى حديث عن انتهاء الحرب . وبالإضافة إلى ذلك فإن ياريف أخبر الجسمى أن هناك احتمالا بانسحابنا من قناة السويس فى إطار اتفاقية تخفيض القوات ، دون أن يضع أى شروط سياسية بالنسبة لمصر . وقلت لكيسنجر أنه إذا أصرت مصر على رفض الشروط السياسية فى الاتفاق ، فإننا سنبقى فى مواقعنا العسكرية ، وعندئذ ستقبل مصر الاتفاقات التى رفضها الآن . وقلت هذا رغم أننى أعلم أنه ليست مصر وحدها هى التى تهتم باتفاق فورى ، بل ان الولايات المتحدة أيضا لديها هذا الاهتمام لكى تنتبه لهسنيريا البترول التى تسود أوروبا . ولكننى كنت أعرف أيضا أننا لو ظللنا فى مواقعنا لمدة عام آخر ، فإن الولايات المتحدة سيكون لها موقف آخر .

وناولت كيسنجر الخريطة التى أحضرتها معى ، وعليها العلامات التى وضعتها فى ضوء اقتراحى بانسحاب القوات المصرية والإسرائيلية لمسافة ميل ونصف من خطوط وقف إطلاق النار . وكان هذا الاقتراح بناء على مشورة الجنرال سيلاسفو الذى كان يعتبر ذلك خطوة أولى نحو فصل القوات . ولم يكن لدى أى شك فى أن المصريين سيفضون ذلك . وبالرغم من تحفظات كيسنجر الجديدة حول هذه الاقتراحات فقد اتفقنا على إجراء مناقشات أخرى بعد انتهاء رحلته للقاهرة المحدد لها ١٢ ديسمبر (كانون أول) وحضوره للقدس يوم ١٦ .

وبعد يومين فى ٩ ديسمبر (كانون أول) ، التقيت بوزير الدفاع جيمس شليزنجر . وكان الاجتماع غير متوقع ، اضطرت إزائه للعودة إلى واشنطن من نيويورك . وكنت تناولت الغداء يوم ٧ ديسمبر (كانون أول) ، مع وليام كليمنتس ، نائب وزير الدفاع ، وتشاورت معه حول امدادات السلاح . وتبينت لحسن الحظ ، أن الولايات المتحدة لديها أسلحة كافية .

وبعد الغداء ذهبت إلى الاجتماع الثانى مع كيسنجر وأخبرته عن محادثاتى فى البنتاجون . وفى المساء علمت فى فندقى أن شليزنجر

سيعود من أوروبا في اليوم التالي . وبالرغم من أنه لم يتعود الذهاب الى
البنجاحون يوم الاحد ، فإنه سيقابلني هناك في صباح الاحد .

وكانت محادثاتي مع شليزنجر سارة ودار الحديث حول طلباتنا
من الاسلحة ، ووعود التعويض التي لم تنفذ ، والهوة الضخمة بين
ترسانتنا وترسانة العرب من الاسلحة . وأثرت مسألة شراء الطائرات
من المصانع رأساً ، وقلت له أن إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي لا يسمح
لها أن تشتري احتياجاتها من الاسلحة من المصانع . فليبيا مثلاً تستطيع
شراء كل ما تطلبه من فرنسا ، والدول العربية الاخرى تستطيع شراء
من الغرب والشرق بزئيدها الضخم من الدولارات ، أما نحن فحتى عندما
تكون لدينا الاموال لا نستطيع الشراء . والدولة الوحيدة المستعدة للبيع
لنا هي الولايات المتحدة . وبعد ذلك انتقلنا الى قائمة الاسلحة . واسنمع
ولكنه لم يعد بشيء .

وقرب نهاية المحادثات ، سألتني عن وضع إسرائيل في الجبهتين
الشمالية والجنوبية عسكرياً ، وعن احتمالات السلام . وأبلغته أن عمق
رأس الجسر في الجبهة المصرية يزيد على الست أميال ، ولكن لا خوف
من عزلها لأن المصريين لا يملكون الفرصة لعمل ذلك ، ونستطيع أن نبقى
في الضفة الغربية شهوراً وشهور . ولا يوجد مكان مثل هذا نستطيع
فيه سياسياً أن نتقاضى ثمنها غالياً . وبالنسبة لاتفاقية السلام مع مصر
قائني أخشى أن مصر قد لا تقوم بتقرير مثل هذه الاتفاقية الا اذا توصلنا
لترتيبات مع سوريا والأردن . وصحیح أن مصر تريد انهاء الحرب وانها
تريد انسحابنا لمدة ستين ميلاً في سيناء ، ولكنه عندما نصل الى المحادثات
حول التسوية النهائية ، فإن السادات يصير على ضرورة حل مشكلة
اللاجئين الفلسطينيين والقدس .

وكان اجتماعي بجيرالد فور ، في أول يوم عمل له كنائب للرئيس .
وكان حديثنا صريحاً ومفتوحاً . وأخبرته عن الاسلحة السوفيتية التي
واجهناها ، وعن المساعدات العسكرية التي وصلتنا من الولايات المتحدة ،
وما الذي كان يمكن أن يحدث لو أن هذه الاسلحة لم ترسل إلينا ، فقلت
له اننا كنا حقيقة سنصمد ، ولكن الحروب كانت ستكون أقسى والخسائر
أفدح . وكذلك ذكرت له مقابلتني مع كلمنت . وقال لي فورد عن
كيسنجر أن الامريكيين يؤمنون به . وعندما تحدث عن السلام قال فورد
أن الولايات المتحدة تساعد إسرائيل وستستمر في ذلك ، ولكننا نرى
في أن نساعدكم للوصول الى السلام الدائم . وعندما ناقشنا القرض
الذي طلبته إسرائيل بمبلغ ٢٢٢ مليون دولار ، قال أن الكونجرس

سوف يوافق عليه بأغلبية ، ولكنه قرر أن هذا القرض يعتبر استثمارا من أجل السلام وليس لتجديد الحرب . وكان واضحا أن الأمريكيين سيعطونا هذا القرض في مقابل أن نعمل نحن من جانبنا على الوصول إلى سوية مع العرب . وفي نهاية الاجتماع عبر عن أمله في أن ينجح كيسنجر (الذي انتشلنا من فيتنام) في التوصل إلى سوية في الشرق الأوسط .

وقلت له أننا سنرى كيسنجر مرة أخرى في إسرائيل في ١٦ ديسمبر (كانون أول) قادما من القاهرة ومع وجهه النظر المصرية ، وآمل أن نجد طريقا نحو السلام وأن لا تتجدد هذه الحرب . ولم تكن هناك نتائج ايجابية ومفيدة لهذا الاجتماع وما كنا نتوقع ذلك ، ومع هذا فقد غادرت مكتب نائب الرئيس بشعور سار ، لأن مباحثاتنا تميزت بالاخلاص والوضوح .

وفي اليوم التالي خرجت مباشرة من اجتماعي مع شليزنجير إلى المطار . وركبت إحدى طائرات العال التي كانت تحمل معدات في رحلة مباشرة من واشنطن إلى تل أبيب .

ووصلت في صباح يوم ١٠ ديسمبر (كانون أول) ، توجهت مباشرة إلى القدس لأقدم تقريري إلى رئيسة الوزراء . وبعد التقارير التي أرسلتها لرئيسة الوزراء برقيا من واشنطن ، كان على أن أتناول التفاصيل . وتكلمت عن فرصتي في الحصول على أسلحة جديدة وعن خطوتنا القادمة في المباحثات مع مصر . بالنسبة للموضوع الأول أخبرت رئيسة الوزراء أنه من المحتمل أن نواجه صعوبات في الحصول على كل الأسلحة والمعدات التي طلبناها . وبالنسبة للموضوع الثاني فإننا سنستمع لكيسنجر الذي سيحضر بعد عدة أيام ويخبرنا عن رد الفعل المصري على اقتراحاتنا . وأبلغتها أن اقتراح ياريف في محادثات الكيلو ١٠١ يوم ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) قد لاقى ترحيبا من الروس . ولكنني أبديت اعتراضى على هذا الاقتراح الذي يمتد مفعوله تسعة أشهر فقط . وقلت أننا لسنا في عجلة ، ونستطيع أن نمارس الصبر ، ونبقى على الضفة الغربية لقناة السويس ، إلى أن يتضمن اتفاقنا العسكري مع المصريين الشروط السياسية التي نطلبها . وكذلك فلا بد من تدخل الولايات المتحدة في المباحثات وجعلها مسئولة عن التنفيذ .

وقدمت تقارير أيضا لمجلس الوزراء ووزارة الخارجية ولجنة الامن في الكنيست . وكانوا يرغبون في سماع وجهة نظري عن رؤية الولايات

المنحدة للموقف . وفلت لهم أنهم يتلهفون على الوصول الى نهاية للصراع فى الشرق الاوسط ، ولذا فهم يطلبون منا أن نوافق على الحد الاقصى الذى يطلبه العرب ، حتى لو كان ذلك على حساب اسرائيل . وهناك أيضا رغبتهم فى مزيد من التفاهم مع الاتحاد السوفيتى . ولذا فهم يرون أن يعود كيسنجر مع الروس مباحثات السلام فى جنيف .

وأبلغت لمجلس الوزراء أنه قد قيل لى فى واشنطنون ، بطريقة غير مباشرة ، أنهم لا يرغبون فى استسلامنا أو تخلينا عن مصالحنا ، وانما يتوقعون منا مزيدا من التقدم نحو السلام وأن هناك وقتا قد يضطرون فيه لممارسة الضغط علينا . ولكن حتى هذه اللحظة ، فائنى أعتقد أنهم لن يجبرونا على التخلي عن مواقفنا عن طريق منع السلاح عا . ولم يحول الامريكيون فى أى وقت أن يطلبوا منا الانسحاب الى خطوط ٢٢ أكتوبر (تشرين أول) ولم أسمع منهم اطلاقا اننا اذا لم نفعل ذلك فاس الحرب ستتجدد . وبالنسبة لباب المندب فقد كانت للمصريين هناك مدمرمان . ولكننا نحن الذين أوقفنا حاملات البترول القادمة لنا . وفلت لمجلس الوزراء أن وساطة كيسنجر بين العرب واسرائيل سوف تشمل موضوع حرية الملاحة فى مضائق باب المندب . وفى اللحظة التى يتم فيها توقيع اتفاقية فصل القوات ، فان المصريين لن يعترضوا سفننا هناك .

وبعد عودتى بأربعة أيام جاء كيسنجر لاسرائيل بعد أن زار الجزائر ومصر والسعودية والاردن وسوريا . وكان هدفه الرئيسى ان يؤمن انتهاء المقاطعة البترولية لامريكا ، ولكن هذا الامر أصبح يتدخل اتصالا مباشرا بمحادثاتنا مع مصر وسوريا . وقضى عدة ساعات من اليوم الاول مع رئيسة الوزراء فى القدس ، وفى اليوم التالى التقى بوفد المباحثات الذى كان يضم جولدا مائير وآلون وايبان وأنا ، كما حضر أيضا رئيس الاركان وياريف ودينتز . وكان يصاحب كيسنجر مساعده جوزيف سيسكو وبعض المسئولين فى الوزارة وكينيث كيتنج السفير الامريكى فى اسرائيل . وبدأ الاجتماع فى الصباح واستمر حتى منتصف الليل .

وبدأنا بالموضوع المزمع الخاص بالاسلحة ، وتناولنا بعد ذلك مشكلات المباحثات مع العرب . ولم نخرج بشئ جديد من مناقشتنا حول الاسلحة اذ كنا قد طلبنا شراء بنادق من الولايات المتحدة وكنا فى حاجة اليها بسرعة ، ولكن البنتاجون قرر ارسالها بالسفن لا بالطائرات . ليتفادى ما قد يقال من أن الولايات المتحدة تدفع اسلحة عاجلة الى اسرائيل . ورغم قولنا أن وسائل النقل شئ يخصنا نحن ، فانهم لم يعبروا أى التفات لقولنا . .

وكانت مفاوضاتنا مع سوريا تكاد تكون منحصرة في تبادل الاسرى .
وكان السوريون قد رفضوا اعطاءنا قائمة بالاسرى ، ولم يسمحوا
للمصليب الاحمر بزيارتهم . وقد أثار هذا الموقف غضبنا . ولم يكن
معقولا أن نجلس معهم على مائدة مفاوضات واحدة في جنيف فبسل أن
ينتهي هذا الموقف . وكان الرئيس الاسد يريد أن يستخدم الاسرى
لضغط خلال المباحثات لتحرير الاراضي المحتلة ، اذ كان يطالع من خلال
الصحف الاسرائيلية مدى قلق الرأى العام على أولئك الاسرى وكان يعتقد
أنه سينجح في استخدام هذه الوسيلة . وتحدثنا مع كيسنجر فى هذا
الموضوع وقلنا له أنه يجب أن يجد وسيلة لجعل سوريا تسلمنا قائمة
الاسرى قبل البدء فى أى مباحثات وأن يسمح أيضا للمصليب الاحمر
بزيارة الاسرى . ولكن الاسد كان عنيدا وكان هدفه ، وان لم يقل ذلك
صراحة ، هو تدمير اسرائيل .

وكانت مصر هى الموضوع الرئيسى فى مباحثاتنا مع كيسنجر .
وكننت فى واشنطن قد أكدت حاجتنا للتأكد من أن اتفاقية فصل القوات
ستتناول وقف الاعمال العسكرية .

وكان الاقتراح الذى أحضره معه كيسنجر من القاهرة يقضى بخلق
ثلاث مناطق شرقى القناة ، الاولى منطقة مصرية ، والثانية تحت سيطرة
قوات الامم المتحدة ، والثالثة اسرائيلية . وأن تمتد المناطق الثلاث الى
٢٠ ميلا من قناة السويس ، وأن تتمركز القوات الاسرائيلية شرق معمرات
منلا والجدي ، وتتمركز قوات الامم المتحدة على المداخل الغربية لهذه
الممرات . ويتم تحديد القوات المصرية والاسرائيلية فى هذه المناطق ،
سواء من ناحية عدد القوات او القوة . وبالنسبة لحجم القوات فقد
حددها السادات بتشكيلين يضمنان ٢٤ الف رجل و ٢٠٠ دبابة . ووافق
أيضا على عدم وجود بطاريات صواريخ أرض / جو فى شرق القناة ، لكنه
لم يكن مستعدا لقبول أى تحديد لقواته غرب القناة .

وبعد أن وضحت التفاصيل ، دخلت المناقشات فى موضوع
انسحابنا ، وما الذى يمكن أن نحصل عليه مقابل ذلك . لقد كان الاتفاق
حول فصل القوات ، ولكنه كان يتناول أيضا الانسحاب الاسرائيلى . وكنا
نحن فقط الذين ننسحب من غرب القناة ، ومن المواقع التى احتلناها فى
شرق القناة لمدة طويلة . ونتيجة لهذا فان موقفنا العسكرى سيضعف .
ومع هذا فان العرب لن يرضوا لانهم يريدون أن ننسحب الى حدود ما قبل
١٩٦٧ . وهم يجدون تأييدا لهذا الطلب خارج نطاق العالم العربى .

اذن ماذا نحصل عليه نحن من انسحابنا ؟ سيتجدد علينا الضغط للعودة.
أكثر الى الوراء وسنكون في موقف عسكري وسياسي سيء .

والاجابة على كل هذه الاسئلة انه ليس لدينا ما نخسره . وربما
لا تكون قواتنا في مصيدة عسكرية لكنها في مصيدة سياسية . فالمصريون
لن يسكتوا على وجودنا في الضفة الغربية . واذا تجددت الحرب وان
العالم كله سيقف ضدنا حتى الولايات المتحدة . فالعالم له مصلحة قوية
في البترول لا في الحق . وهو يريد من الدول العربية المنتجة للبترول
أن ترفع الحظر البترولي الذي فرضته حتى تدفع الدول الى موقف معاد
لاسرائيل . وحتى أولئك القلة الذين وقفوا الى جانبنا ، فانهم لن يستمروا
في ذلك . ولذا فان السؤال الهام (كيف ستنتهي كل هذه الامور ؟) .

ولم يكن هناك اجابة حقيقية لهذا السؤال ولو أن الاجابة أن أسوأ
ما يمكن أن يحدث بعد ستة شهور قد يحدث الآن اذا لم يحدث أى اتفاق .
ولهذا فان الهدف السياسي الاستراتيجي الذي يجب أن يسود الآن هو
ايقاف جنون الحكومات في أوروبا واليابان والبلدان التي تتعرض
للضغط ، نظرا لايقاف ضخ البترول . وكانت كل هذه الحكومات تحاول
أن تظهر نشاطها لانهاء هذا الموقف بالضغط على اسرائيل . وكانت
الولايات المتحدة ترغب في الوصول الى انهاء موضوع ايقاف ضخ البترول
عن طريق عقد اتفاقية بين اسرائيل وكل من مصر وسوريا . وكان انهاء
ايقاف ضخ البترول مهما أيضا بالنسبة لنا أيضا ، لكنه لم يكن موضوعنا
الرئيسي . ولم يكن البترول هو المشكلة بين اسرائيل ومصر .

وكانت أول مرة أسمع فيها سؤال (كيف ستنتهي كل هذه الامور)
خلال أحد اجتماعاتي مع اليهود في نيويورك . وكنت بدأت اجتماعي
معهم بتلاوة اصحاح ٤٤ (لا تخف شيئا يعقوب خادمي) . وبعد أن
أنتهيت من حديثي كانت هناك أسئلة كثيرة ، ولكن أول سؤال كان من
رجل عجوز قال لي (يا وزير الدفاع كيف سينتهي كل هذا ؟) وفي
محادثات مع كيسنجر ، شعرت أن الحل الوحيد هو التمسك باصحاح
(لا تخف من شيء يا يعقوب) . لهذا عدت الى اقتراحي التقديم والخطبة
التي حاولت طرحها بها بلا نجاح منذ حرب الايام الستة . وقلت أن
جولدا ماتير على حق في قولها ان ما يطلق عليه فصل القوات ما هو الا
انسحاب من جانب واحد للقوات الاسرائيلية . وما تحتاجه ليس انسحابا
مماثلا للقوات المصرية ، بل اتفاقا مع المصريين ، يتضمن ثلاث مسائل
رئيسية .

● ان فصل القوات يتم ضمن اطار اتفاقية انهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل .

● ان انسحابنا لن يبعه قيام المصريين بتقوية خطوطهم الامامية ، وأن دباباتهم لن تحل محل دباباتنا التي ستسحب .

● اعادة الحياة الطبيعية الى المناطق المتفق عليها . وذلك يعنى اعادة بناء مدن قناة السويس وعودة المدنيين واعادة النشاط الصناعى .

وكانت تلك هي الافتراضات التي ظلت أرددها لسنوات ، وقلت انه ربما يكون هذا الوقت مناسباً لوضعها موضع التنفيذ . ونحن لا نرغب فى البقاء غرب القناة ، أما بقاؤنا فى الشرق فقد كنت أرى أيضا اننا يمكننا أن ننسحب قليلا الى الوراء . وكان كل الاسرائيليين الحاضرين يعرفون هذه الافتراضات ، حتى كيسنجر اذ كنت قد ذكرت لها فى واشنطن . وهز رأسه بعلامة الموافقة ، ويبدو أنه عرضها على السادات فى القاهرة ووجد أن هناك امكانيات لتنفيذها .

وسعدت لسماع هذه الانباء من كيسنجر ، فالطريق الى الاتفاق ما زال طويلا ولكنه ليس مسدودا . وأنا لا أعتقد ان مصر مستعدة للوصول معنا الى اتفاق لانهاء الحرب ، حتى مع عودتها الى حدود ما قبل ٦٧ ولكنى كنت أعتقد أن مفتاح الوصول الى أى اتفاق مع أى دولة عربية ، وخصوصا مصر ، هو خلق ظروف تخفض عن رغبة العرب فى الحرب وتعيد للحياة شكلها الطبيعى . وبالنسبة لمصر فان منطقة القناة هى المفتاح الآن لانها ليست على نفس المستوى مع الفباس بالضفة الشرقية . فالمصريون يعلمون أنها ليست مهمة لهم فى حين أنها مهمة لنا ، ما عدا شرم الشيخ التى يمكنهم استخدامها لاغلاق الملاحة هناك . . وأنه ما دامت لن نحصل قضابا الاردن وسوريا ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين فلن نصل الى حل نهائى مع مصر .

وفى يوم ٢١ ديسمبر (كانون أول) جرت مراسم بدء مؤتمر جنيف للسلام الذى تأجل بعد ذلك . وعندما كانت بعثتنا العسكرية تستعد للسفر لسويسرا ، طلبت الكولونيل دوف سيون ، الذى سيكون نائبا لرئيس وفدنا العسكرى فى المؤتمر الجنرال موخاى هود ، ملحقتنا العسكرى فى واشنطن . وسلمت دوف سيون قرارات حكومتنا وأعطيته تعليماتى . وكان سيون قد اشترك مع ياريف فى محادثات الكيلو ١٠١ ، وعلى علم بكل شىء عن الموضوع . وبالرغم من حى له وتقديرى للكائنات والعلاقة غير الرسمية التى تربطنا ، اذ كان زوج يائيل ابنتى ، فقد كنت متألما أن أعطيه هذا القدر من السلطة . وكانت تجربتى مريرة ،

من محادثات الكيلو ١٠١ عندما أعطيت لممثلينا توجيهات وتعليمات غامضة ، ولم يكن واضحا امامهم من هو المسئول المباشر لهم .

وفلت لسيون : أن مسئولية الوفد وسلطاته تنحصر فقط في تعدييم اقتراحاتنا الرسمية ، وإذا سئلوا عن مقترحات غير رسمية تكون الاجابة بالنفى . وكان كيسنجر وجروميكو قد غادرا جنيف الى عاصمتيهما . وكان على وفدا العسكرى أن يقضى الوقت فى فراغ حتى ما بعد انتخابات اسرائيل العامة فى ٣١ ديسمبر (كانون أول) . وفلت له أنهم قد يرسلون تقاريرهم الى رئيسة الوزراء ورئيس الاركان ولوزير الخارجية ولكنهم لا يتلقون تعليمات الا منى فقط .

وكنّا نود أن نعرف من سيقود الحكومة بعد الانتخابات . هل سنستمر جولدا رئيسة وزراء ولم أكن أعرف اذا كانت سترغب فى أن أستمّر فى العمل معها كوزير للدفاع . ولكن أيا كان ، أنا أأم أى شخص آخر ، وزيرا للدفاع مستقبلا ، فانه سيستمر فى محادثات مع الأمريكيين حول اتفاقية فصل القوات المقترحة . وسوف يعرف سفيرنا فى واشنطن متى يرغب كيسنجر فى الحديث معنا مرة أخرى .

ونحدد للاجتماع يوم ٤ يناير (كانون الثانى) ١٩٧٤ فى واشنطن . وللاعداد لهذا الاجتماع عقدت جولدا اجتماعا مع خمسة وزراء ورئيس الاركان . وقدمت اقتراحاتى ، بناء على طلبها ، والتي شملت عدة نقاط ، اربع منها عسكريا خاصة بتمركز القوات وتحديد حجمها وجدول زمنى لتمرکز وميزانية خاصة لانشاء طرق فى الخطوط الجديدة . وكان النقط الأخرى غير عسكرية مثل جهاز الاشراف على الاتفاقية كمراقبى الامم المتحدة وغيره ، ووقف الاعمال العسكرية ، وإعادة المدنيين الى منطفة القناة ، وحرية الملاحة فى باب المندب ، وتخفيض عدد القوات الاسرائيلية المصرية . هذا بالإضافة الى اتفاق بين الولايات المتحدة واسرائيل حول امدادات السلاح والمساعدات الاقتصادية بعد تنفيذ الاتفاق مع مصر . وعرض رئيس الاركان الخريطة المقترحة للتمرکز ، وقالت رئيسة الوزراء أن الخطوط الرئيسية ستراجع وتعرض على مجلس الوزراء فى اجتماعه فى اليوم التالى . وبالفعل وافق مجلس الوزراء عليها ، وخولت الساعة لعرضها على كيسنجر .

وعندما فابلت كيسنجر يوم ٤ يناير فى واشنطن ، عرضت عليه الاقتراح الذى وافقت عليه الحكومة ، والذي ستتبناه الحكومة التى ينم شكلها بعد الانتخابات . وقلت له اما أن يقبل الاقتراح ككل أو يرفض

ككل وأن الهدف منه هو فتح صفحة جديدة بين مصر واسرائيل . ولم
أكن أعتقد أن مصر ستعيد فتح قناة السويس أو تعيد توطين مدن العساء
طالما بقينا نحن في منطقة القناة ، حتى ولو كنا بعيدين عن الساحل
ونسيطر عليه بمدفعيتنا . ومن ناحية أخرى فلا معنى انسحابنا من
الضفة الغربية اذا لم يكن مصر مهتمة بإعادة فتح القناة مع منح شحنات
اسرائيل حرية المرور ، كما أن الولايات المتحدة يجب أن تضمن حرية
الملاحة في باب المندب .

وتقابلنا في اليوم التالي ، وكان كيسنجر قد درس الاقتراحات
المكتوبة . وأثار موضوع تخفيض القوات ، ثم انتقل مباشرة الى موضوع
ممرات متلا والجدي . وأنا أعلم أن السادات فإنه دخل الحرب بهدف
الوصول ولا بد له أن يحقق ذلك . حتى مع وجود قوات الطوارئ عند
مدخل هذه الممرات ، فإنه يستطيع أن يطرد هذه القوات بإشارة من
أصابعه ، وذلك في حالة ما إذا قرر قراره على الحرب من جديد . وفضبت
ساعة لاقنع كيسنجر أنني لن أترشح عن موقفي . وبعد هذه المحادثات
تقابلت مع وزير الدفاع في البنتاجون وكان من الصعب أن أهرب من
الانطباع بأن سياسة أمريكا بالنسبة للسلاح هي إعطاءنا القليل الى أن
نصل الى اتفاق مع مصر ، وفي هذه الحالة سنتوقع امدادات طويلة الاجل
من السلاح . وكادت المشكلة أن أمريكا هي صديقنا الوحيد ، مع عدة
خطوط تحت كلمة (الوحيدة) .

٣٦ الملوك والاتفاقية

كانت هناك ستة أيام محبومة في شهر يناير (كانون ثان) ، ظل فيها هنرى كيسنجر كالمكوك رائحا غادا بين القاهرة والقدس فقد قضى يوم ١٤ يناير (كانون ثان) مع السادات وعاد إلينا في اليوم التالي . وفي هذه المرة أحضر معه الاقتراح المصرى . وكان اختلافا مع المصريين . يتركز أساسا في نقطتين : من الذى سيحتل ممرات متلا والجدي ، والنقطة الثانية خاصة بتخفيض القوات . وفي كلتا النقطتين لم تكن مستعدين للقبول بالحلول الوسط حتى ولو أدى ذلك الى فشل الاتفاق . وبعد ساعات طويلة خلال النهار مضت في المناقشة ، انتهى العمل بعد أن وضعنا خريطة تحدد موقفنا من النقطتين ، ومن بعض الوثائق الخاصة (بالتفاهم) مع الولايات المتحدة . وعرضت صيغة الاقتراح على مجلس الوزراء الذى عقد خصيصا لهذا الغرض فى منزل رئيسة الوزراء التى كانت تعاني من نزلة برد . وقرر المجلس تخويل رئيسة الوزراء فى إعطاء السلطة لرئيس الأركان أن يتقابل مع رئيس الأركان المصرى عند الكيلو ١٠١ وتوقيع اتفاقية فصل القوات والخرائط الملحقة بها .

وسافر كيسنجر إلى القاهرة وعاد مساء يوم ١٦ يناير (كانون ثان) ، وأحضر معه النقاط النهائية للمصريين التى تضمنت بعض

التغيرات الطفيفة ومنها إنسحابنا ١٢ ميلا من مدينة السويس جنوبا الى رأس مسلة على الشاطئ الشرقى من خليج السويس . ووافقت لانه لا داعى عسكريا لوجودنا بالقرب من مدينة السويس لان ذلك لن يشجع على اعادة توطين المدينة بل سيزيد رغبة المصريين فى القتال . وفى اليوم التالى سافر كيسنجر لزيارته الاخيرة للقاهرة حيث يطير من هناك الى واشنطن عن طريق الاردن وسوريا . وتم اعداد ترتيبات توقيع الاتفاق فى اليوم التالى .

وفى يوم ١٨ يناير (كانون ثان) ١٩٧٤ عند الكيلو ١٠١ ، مثل الجنرال دافيد اليعازر اسرائيل ومثل الجنرال عبد الغنى الجسمى مصر ووقعا على الاتفاقية . ووقع عليها الجنرال سيلاسفو ممثل الامم المتحدة كشاهد ، الى جانب حضور مستشارين امريكيين وروس من بين رجال الامم المتحدة ، وجمهرة غفيرة من المراسلين الاجانب وكاميرات التليفزيون . وكان مؤتمر جنيف قد انعقد يوم ٢١ ديسمبر (كانون أول) قبل توقيع اتفاقية فصل القوات بأربعة أسابيع . وكانت الوفود برئاسة وزراء الخارجية ، وتضم بعض العسكريين من ذوى الرتب الكبيرة .

وهكذا نرى أن مؤتمر جنيف لم يلعب أى دور فى التوصل الى الاتفاقية ، وانما تم العمل فعلا فى القاهرة والقدس وواشنطن . وكنا نسمى مؤتمر جنيف فى هذه الاثناء (الطريق التركى) نسبة الى أيام الصبا عندما كان الحكام الاتراك يهملون رصف الطرق فتضطر العربات والخيول الى السير فى أى مكان الا على الطريق التركى .

وكان يوم ١٨ يناير الذى وقعت فيه الاتفاقية ، هو اليوم الاول الذى تسكت فيه المدافع ، اذ أن الحقيقة أن الاشتباكات لم تنقطع منذ وقف اطلاق النار رسميا يوم ٢٤ أكتوبر (تشرين أول) وفى خلال الشهرين التالىين على إيقاف اطلاق النار وقعت ٤٥٢ حادثة خرق لايقاف اطلاق النار من المصريين ، كانت خسائرننا خلالها ١٥ قتيلا و٦٥ جريحا . ولا أعرف ما هى خسائر المصريين ولكن أتخيل أنها أكثر منا . وأيضا خلال هذه الفترة أسرنا ٦٨ مصريا بينهم ٨ ضباط . وكانت تمر أيام على بعض القطاعات فى سكون تام ، وفى أيام أخرى تتساقط علينا مئات بل آلاف الدانات من المدفعية . وكانت تعليمات القاهرة تقضى بعدم احترام قرار وقف اطلاق النار . وأحيط مجلس الشعب المضرى بأن هناك تعبئة للقنصاة لاصطياد القوات الاسرائيلية المتمركزة غرب قناة السويس وقد اتصلنا بكيسنجر وأثرنا هذا الموضوع فى مباحثات الكيلو ١٠١ وهددنا بإيقاف امدادات الطعام لقوات الجيش الثالث .

وفى أول يناير (كانون ثان) ١٩٧٤ أخبرنى الجنرال سيلاسمو أنه قابل فى اليوم السابق وزير الحربية المصرى ورئيس أركانها ، اللذين أخبراه أن محاولات إقامة التحصينات التى تقوم بها قواتنا غرب القناة ، قد أثارت غضب القوات المصرية ، فقد خيل لهم أننا نفهم هذه التحصينات من أجل الاحتمال الدائم لهذه الاراضى ، ولهذا فتحوا نيرانهم . وأن الطريق الوحيد لايقنهم أن نوقف هذه العمليات . وكانت سياستنا أن نرد بشدة على أى نيران مصرية ، وكنوع من التحذير أن نحجز امدادات التموين للجيش الثالث لعدة ساعات .

وكانت نيران المصريين القوية فى منطقة الاسماعيلية موجهة الى القوات التى يقودها ايريك شارون . وكان الرد القوى عليهم يأتى من اريك ، الذى لم يكن يسمح للمصريين بأن يشعروا بأنهم قادرون على أن يفعلوا ما يشاؤون . وعلاوة على ذلك فإنه كان يعلم أن هناك موافقة على الرد الحاد . وكالعادة لم يكن يأخذ موافقة القيادة الجنوبية عندما كان يقوم برد الفعل على الاعتداء المصرى . فى حين كان فادة القطاعات الاخرى يطلبون التصريح قبل الرد وكان قائد الحبهة الجنوبية ، وهو الآن جنرال تال ، يعطهم هذا التصريح بعد تردد ملحوظ .

وهكذا ظل وفى اطلاق النار على الورق . ولم يكن الاستثمار فى اطلاق النار هو السمة الوحيدة للحبهة الجنوبية ، فان الفترة ما بين ٢٤ أكتوبر (تشرين أول) و ١٨ يناير (كانون ثان) كانت تحمل معها احتمالات تجدد القتال على أوسع نطاق . وكانت هناك ثلاثة خطط وراء هذا الاحتمال خطتان من جانب مصر وثالثة من جانب اسرائيل . فقد كانت هناك خطة مصرية لمهاجمة قواتنا غرب القناة من اتجاه القاهرة . والخطة الثانية هى عزل رأس الجسر التابع لنا باقامة اتصال بين الجيشين الثانى والثالث على الشاطئ الشرقى . وكلتا الخطتين كانت ستتسم تحت قصف مركز قوى من المدفعية على قواتنا التى لم تكن محصنة ، مما يكبدنا خسائر فادحة ولهذا فان الاحتمال الموضوع للخطة أن اسرائيل ستتسحب خوفا على حياة جنودها ، وهو أمر حساس بالنسبة لاسرائيل

وكان لمصر فى ذلك الوقت ١٧٠٠ دبابة على الحطوط الامامية على الضفتين ، ٧٠٠ على الضفة الشرقية و ١٠٠٠ على الضفة الغربية . وهناك أيضا فى الضفة الغربية ٦٠٠ دبابة اضافية على الخط الدفاعى الثانى للدفاع عن القاهرة . وكان لديها أكثر من ألفى مدفع و ٥٠٠ طائرة وعلى الاقل ١٩٠ بطارية صواريخ سام ملتفة حول قواتنا لتمنع أى دعم جوى لها .

ومنذ انتهاء الحرب خرج كثير من الضباط المصريين من ذوى الرتب الكبيرة . ولكن أكثر الامور اثاره كانت طرد رئيس الاركان اللواء سعد الشاذلى . وكانت هناك تفسيرات كثيرة لخروج الشاذلى ، أهمها أنه فشل فى الوقت المناسب فى ادراك معنى عبور قواتنا للقناة . والواقع انه لم يستطع ايقاف عملية عبورنا للقناة ، لانه لم يكن يفهم ماذا يحدث ، ولذلك لم يبلغ الرئيس السادات ، بل انه لم يتخذ اجراء سريعا لتحطيم رأس جسرنا عندما كان لا يزال فى مرحلة الانشاء . وكان واضحا انه طالب بهجوم شامل على قواتنا فيما بعد نتيجة لسوء تقديره للموقف ، وكان يرى ضرورة تحطيمها مهما كان الثمن وكان السادات يخشى مثل هذا العمل العسكرى لان قواتنا غرب القناة كانت قد تزايدت الى ثلاثة فرق ، وكانت قد قامت بتطهير المنطقة المحيطة بها من بطاريات الصواريخ أرض/ جو . ولذا فقد فضل طرد الشاذلى والمضى فى مباحثات من خلال وساطة كينسنجر .

وكانت لدينا أيضا فكرة عن عملية هجومية فى حالة تجدد القتال سواء من جانب مصر أو من جانبنا . وكان اريك ، الذى لاحظ بحق أن الحرب مع مصر لم تكن حاسمة ، هو الذى يرى أن بإمكاننا أن نهاجم مواقع القوات المدرعة فى المنطقة بين قواتنا والقاهرة ، بل وأشار الى الاماكن التى يمكن اختراقها بسهولة بين وحدات الاعداء ولكن كل هذه الافكار لم تصل الى مرحلة الخطة الكاملة ، لاننى لم أقتنع بها ، فقد كنا فى أحسن الاحوال سندمر بضعة مئات أخرى من الدبابات ونقوم بالانتشار فى منطقة أخرى ، بدون موقف عسكرى أو سياسى واضح . ولا شك أننا فى هذه الحالة كنا سنتكبد خسائر فادحة ، ولم يكن ذلك بالمبرر الكافى بالنسبة لعملية مشكوك فيها . وكانت الامكانيات الملائمة لنا هي تحطيم الجيش الثالث المحاصر . ونستطيع أن ندفع لهذه العملية ببعض الدبابات التى تتيح لنا التفوق ، ولكن كل هذه الاحتمالات قد تصبح حقائق فى حالة اذا ما بدأت مصر حرب استنزاف ضد قواتنا غرب القناة ، وذلك ما لم يحدث .

وشعرت بأن هذه الاتفاقية مع المصريين قد وضعت نهاية للحرب ، كذلك فانها ستدفع الى تحسن العلاقات بين مصر والولايات المتحدة وخاصة بالنسبة لمشكلة البترول . وهذه النقطة الاخيرة لها أهمية خاصة بالنسبة لاسرائيل . فالقلق كان يساورنا حول امدادات البترول للولايات المتحدة . لانها وان لم تكن مشكلتنا بالدرجة الاولى ، فإن واجبا بالتأكيد يقضى بمساعدة أصدقائنا من أجل المساعدات التى نتلقها منهم .

٣٧ الحاجز الأخير

كانت مشكلة مباحثات فصل القوات مع سوريا ، انها تدور داخل دائرة مغلقة • فالسوريون يطالبون ببدء المحادثات قبل تقديم قائمة الاسرى لنا ، ونحن نصر على عدم البدء في المباحثات قبل وصول هذه القائمة • وفى يوم ١٧ فبراير (شباط) ١٩٧٤ ، وصل كيسنجر الى القدس ، خلال احدى مهام سياسة المكوك فى عواصم الشرق الاوسط ، وسلم الى رئيسة الوزراء قائمة بأسماء ٦٥ أسيرا • وقرر أن السوريين أخبروه أن هؤلاء هم جميع الاسرى وأن ما يتردد عن قتلهم أو تعذيبهم لبعض الاسرى غير صحيح • واقترح كيسنجر ، بعد أن تم ازالة آخر حاجز ، أن ترسل اسرائيل ممثلين عنها الى واشنطن ، لتقديم مقترحاتهم حول اتفاقية فصل القوات مع سوريا •

ووافق مجلس الوزراء على هذا الاقتراح ، وقرر يفادى • وسافر كيسنجر الى موسكو ، وتم الاتفاق على مقابلته فى واشنطن بمجرد عودته • وقبل سفرى ، استدعت رئيسة الوزراء المجموعة الوزارية لوضع اقتراح نهائى أخذه معى الى واشنطن • وكانت ماثير بعد الانتخابات قد شكلت وزارة جديدة • وحضر هذا الاجتماع آلون وياريف وجاليل وسابير وبارليف وبيريز ورابين وأنا ، وحضر أيضا رئيس الاركان • وقد ووفق

على أن أقدم الى كيسنجر الخرائط والاقتراحات الخاصة بفصل القوات ، وأن أصر على أن أى إتفاقية مع سوريا لن تتعقد قبل اطلاق سراح الاسرى . كما يجب أن تتضمن الاتفاقية بندا يتعلق بمنع أعمال التخريب . وكان على أن أطلب من كيسنجر أن يقوم بجهود مكثفه للسماح لليهود السوريين بالهجرة .

وقد أثار أسفى ضرورة صياغة اقتراحنا بطريقة تكتيكية ، ولكن يبدو أنه لم يكن هناك مفر من الخوض فى هذه الامور فى المحادثات . وفى رأى أن العرب هم وحدهم الذين قرضوا علينا هذا الاسلوب فى المساومة بأن نبدأ بالكثير ثم ننزل الى القليل . كذلك فإن الامريكيين أنفسهم يفضلون ذلك حتى يجعلوا العرب يؤمنون بأنهم هم فقط الذين يستطيعون دفع اسرائيل الى الانسحاب . وقد يحصل العرب على السلاح من الاتحاد السوفيتى ، ولكنهم يجب أن يؤمنوا أن مفتاح الحل السياسى فى يد الولايات المتحدة الامريكية .

وكانت مشكلتنا فى هذه المساومة أنها ستضعنا وجها لوجه مع شعبنا . فلا توجد أسرار فى اسرائيل . ولذا فإن أى موقف سياسى معين نأخذه ، سيكون معروفا تماما . وبعد ذلك اذا أسقطنا بعض طلباتنا فإن ذلك سيؤخذ على أنه استسلام سياسى ، ونتهم بهذه التهمة . ولم أكن أعتقد أن محتويات اقتراحنا ستلاقى قبولا من السوريين . فالسوريون يتميزون بالعناد ، وسيفضلون الاستمرار فى موقفهم على الموافقة على هذه الخطة . وكانت صعوبة المشكلة تتمثل فى أن عدم توصلنا الى إتفاقية مع سوريا ، سوف يضع مصر ، وهى الدولة العربية الوحيدة التى وقعت معنا إتفاقية فى موقف يجعلها لا تستطيع تنفيذها .

وأجريت عدة مشاورات مع رئيس الاركان ومع قادة الجبهة الشمالية للوصول الى الحد الأدنى للخطوط التى يمكن أن ننسحب اليها . وقمت بدوريات فى المناطق المقترحة لخطوطنا . وأنتهيت من وجهة نظرى لتحديد هذا الخط ، بحيث نستطيع أن نترك مدينة القنيطرة أو الجزء الذى يقع منها شرقى الطريق الرئيسى . وعلى أية حال فإن المشكلة لم تكن هذا الخط أو ذاك . وانما المشكلة هى مستقبل مرتفعات الجولان ، وأن لم تكن تلك هى المسألة العاجلة فى جدول الاعمال . ولم أكن أعتقد أن السوريين يستطيعون أن يقبلوا بسهولة فقدان الجولان . كما أن استمرار تواجدنا هناك يعنى أن حالة التوتر مع السوريين ستظل مستمرة ، وأن التأثير الاول سيقع على رأس مستعمراتنا المدنية هناك وكنت قد ألتقيت مع سكان تلك المستعمرات يوم ١٢ فبراير (شباط) ١٩٧٤ بعد قصف مستعمرة عين زيفان بيوم واحد الذى أسفر عن قتل امرأة واصابة آخرين ، وقالوا لى أن روحهم المعنوية لم ترتفع فقط بعد حرب يوم كييبور ، بل انهم يريدون

البقاء أكثر من قبل ، وأن ما يفلهم ليس هو الهجوم السوري بقدر فلفهم من امكانيه صدور فرار من الحكومة الاسرائيلية بالانسحاب .

وقابلت كيسنجر فى واشنطن يوم ٢٩ مارس (آذار) ١٩٧٤ ، فأبلغنى أن الروس مصرون على أستئناف أعمال مؤتمر جنيف فى الحال . وأنهم قد يشكون من الطريفه التى تجرى بها أمريكا وحدها المفاوضات بين مصر واسرائيل وبدا واضحا أنه لو فسلت الوساطة الامريكية بين اسرائيل وسوريا ، فان هيبه الولايات المتحدة ستنأثر فى منطقة الشرق الاوسط ، وستجد اسرائيل نفسها فى موقف صعب للغاية . وقدمت اقتراحاتى لكيسنجر ، وكما قلت فيما بعد ، فاننى لم أقم (بصيغها) له بل اننى لم أكن متأكدا أنه سيربها لمبنى سوريا المقرر حضورهم الى واشنطن فى ١٤ أبريل (نيسان) لبدء المحادثات . وأثناء تناولنا الغداء فى وزارة الخارجية ، انتقلنا الى مواضيع أخرى منها تبادل الجرحى من الاسرى مع سوريا ، وامدادات الاسلحة الامريكية لاسرائيل التى لم تصل .

وبأنسبه لموضوع الاسلحة ، فقد دخلت فى التفاصيل فى اليوم التالى حيث أبغيت كيسنجر فى اجتماع مغلق اننى أصبت بخيبة أمل نتيجة للرد الذى تلفبناه فى موضوع الاسلحة . وقلت انه حنى اسرائيل ، وهى اندولة الصغيره ، يمكنها أن ترسل عدة مئات من الدبابات لدولة صديقه فى حاجة اليها . وبعد ذلك انتقلنا الى المستقبل وقلت له اننا حنى لو وصلنا الى اتفاقية مع سوريا ، فان المشكله الرئيسيه ستبقى بلا حل ، وتحتاج الى تأكيد قوة اسرائيل فى الاعوام القادمة . ولعل وزير الخارجية الامريكى يشاركنى فى التفكير فى موقف اسرائيل خلال الخمس أو العشر سنوات القادمة . ونحن نحتاج بصفة عاجلة لطائرات وطرز مختلفه من الاسلحة الهجوميه التى تمنحنا القدره على الدفاع عن أنفسنا الآن وفى المستقبل . وطالت المباحثات ، ودخل سكرتيره ليذكره أنه يجب أن يذهب فوراً (للاجتماع) الذى أعده ، وعرفت فيما بعد أن هذا الاجتماع كان زواجه بنانسى .

وصباح يوم الاثنين التقيت بوزير الدفاع فى البنتاجون وكان كعادته فرحاً وودوداً ولم ألتق منه أى تأكيد حول أى شئ ، سوى أنه قال أنه خلال الانتاج الجديد من الطائرات سيبحث طلب اسرائيل وبعد الظهر التقيت بلجنة القوات المسلحة فى الكونجرس وكان معى مورداى هود . وكان علينا أن نجيب على أسئلة كثيرة بعضها عادى ، وبعضها فنى مثل تلك التى كان يوجهها بارى جولد ووتر فى مواضيع الطائرات والصواريخ المضادة وأثناء الاجتماع تلقيت مخابرة تليفونية ، ولدهشتى أبلغت بأننى

بعد أن تركت البنتاجون صباحاً ، تمت اجابة طلبى وأنه بالرغم من الصعوبات فقد تقرر اعطاء الدبابات والحاملات الى طلبناها . وطرت بعد ذلك بعدة ساعات الى اسرائيل وقد ارتفعت روحى المعنوية .

وقد قمت خلال زيارى هذه ، بالاضافة الى المباحثات ، بالماء حطب فى عدة اجتماعات للنساء اليهودى الموحد ، وظهرت فى عدة برامج الميغزونية . وقضيت كل أيامى بدون اجازة أو فليل من الراحة . وعلى أية حال فان أقصى متعتى كانت عند زيارى لمشفى متروبو لبنان ، وبروكلين ، وخاصة القسم المصرى .

وفى يوم ٢ مايو (آيار) وصل كيسنجر الى اسرائيل مع فريق من مساعديه ، وبصحبته هذه المرة زوجته نانسى . وأفرح أن يكرس جهودا مكثفة للوصول الى اتفاق مع سوريا . وبدأت رحلات بين اللد/دمشق / اللد فى النهار ، ومناقشات فى المساء . وكالعادة كان الاجتماع الاول مع رئيسة الوزراء . وأجتمع وهذا المباحثات الساعة الثالثة بعد الظهر . واستمرت المناقشات فى عشاء عمل فى المساء فى منزل وزير الخارجية . وعلمت خلال العشاء أن اجتماع كيسنجر وجولدا مائير لم يكن مرضيا ، وكذلك فان اجتماع وفدى المحادثات بعد الظهر كان عقيما .. وخلال العشاء التقت مع كيسنجر وأقترح أن نعقد سويا اجتماعا خاصا . فاشترت الى رئيسة الوزراء . وبعد العشاء ، أخذتنى جولدا جانبا والمليت منى ان ألتقى بكيسنجر . وقلت لها اننى سأقترب خلال محادثتنا من موضوع القنيطرة ، فوافقت جولدا بشرط أن أؤكد له اننى أعبر عن رأى الشحسى . وطلبت أن ينضم لى سيمحا دينيز سفيرنا فى واشنطن ، ومساعدي آريه براون .

وتقابلنا مع كيسنجر ، وكان معه بيتر رودمان . وكان الوقت فاصل منتصف الليل بعشرين دقيقة . وكان كيسنجر يريد أن يعرف السبب وراء كل نقطة فى اقتراحاتى : لماذا نحن مصرون على التمسك بالقنيطرة ؟ وما هى أهميه الطريق الذى يمر بالقنيطرة ؟ وأين بالضبط يقع اقليم رافد ؟ وأين نقاطنا الامامية فى جبل الشيخ ؟ وعندما عادت حجرة كيسنجر كانت الساعة الواحدة والنصف صباحا . كنت أكاد أسقط من الاعياء ، بينما كان كيسنجر نشيطا كما هو دائما .

وخلال فربى من كيسنجر والمباحثات اكتشفت فيه القدرة الهائلة على العمل والذكاء الخارق حتى أنه كان يحفظ الخرائط والاصراحات فى ذهنه . وكان يصر على تحديده كل عبارة ولفظ بالتحديد ، ولا يترك العبارات تحتل أكثر من تفسير كما كان يفعل الدكتور والى بانس خلال

محادثات ١٩٤٩ • وكان يستخدم الفاظا بذئثة مع مساعديه ادا لم تطع تعليماته وتنفذ حرفيا وبسرعة • وكثيرا ما كان يسترخى فى وسط المحادثات مستغرقا فى تفكير عميق ويتشاور مع نفسه • وكنا نشعر بفرب حدوث هذه العنرات من التأمل عندما كان يبدأ فى قضم قلمه الرصاص الاصفر وكأنه طفل فى الحضانة •

وكانت هناك لحظات خلال الشهر الذى فضاء كيسنجر كالمكوك بين دمشق والقدس ، كنا نشعر فيها بأننا قد وصلنا الى طريق مسدود ، وأنه لن يكون هناك أى اتفاق • وكانت هذه المباحثات تتميز بأنها صعبة وشاقة ، والمساومة فيها على كل نقطة سواء كانت بالنسبة لتحديد القوات أو تحديد الخطوط الامامية • وكان أول اقتراح سورى يطالب بنصف الجولان وانسحابنا ٦ أميال غرب خط ١٩٦٧ • وقال السوريون أننا احتلنا جبل الشيخ بعد وقف اطلاق النار فى حرب ١٩٧٣ ، ولهذا يجب الانسحاب عنه كله ، كما رفضوا وجود قوات الامم المتحدة فى أراضيهم ، ورفضوا اتباع النموذج المصرى من حيث وجود ثلاثة مناطق سورية وآمم متحدة واسرائيلية • ونحن أيضا فى بادىء الامر ، قلنا أننا لن ننسحب بعد خط ١٩٦٧ ، ثم قررنا اعطاء السوريين الجزء الشرقى فقط من القنيطرة ، بينما تحل قوات الامم المتحدة الجانب الغربى • وفى النهاية تركنا القنيطرة كلها ، بل وفمنا ببعض الانسحابات الإضافية •

وكانت المساومات متعددة ، غير أنه فى النهاية ، عندما اتضحت تفاصيل الاتفاق الوحيد الذى يمكن أن توقعه سوريا كان علينا أن نقرر إما أن نوقعه أو نظل بدون اتفاق • وقد وضعنا لانفسنا مبدأين رئيسيين لا نعيد عنهما ؟! الاول أن لا ننسحب من خط عسكري جيد ، أى لا يمكن أن ننسحب من التلال التى تشرف على القنيطرة ورافد ، والثانى أن لا نترك مستعمراتنا الامامية معرضة للهجوم • أما بالنسبة لقوات الامم المتحدة ، فقد وافقنا على أن تكون أصغر حجما مما اقترحنا ، وعلى تغيير اسمها الى قوات الامم المتحدة لمراقبة فصل القوات • وفيما عدا موقع جبل الشيخ ، فان هذه القوات لن تسيطر بل ستراقب فقط تنفيذ الاتفاقية • وعلى عكس ما حدث فى مصر ، فان القوات الدولية ستحتل منطقة بمفردها ، ولكنها كانت منطقة صحراوية ، فى حين أن المنطقة السورية منطقة مدنية تخضع للإدارة المدنية السورية •

وقد أجرينا مباحثات جانبية ، فى نفس الوقت ، مع الولايات المتحدة ، للتأكد من استمرار امدادات السلاح خلال السنوات القادمة • والحصول على مساعدة مادية لتمويل شراء هذه الاسلحة ، مع تأكيد من الولايات المتحدة بأنها لن تطلب منا أن ننسحب من أى اراض أخرى •

وكما حدث في الجبهة المصرية ، فان وقف اطلاق النار في الجبهة السورية لم ينفذ فعليا الا عند توقيع الانفاقيه . ولم يحاول السوريون احتلال اى موقع جديد ، باستثناء موقع واحد . (ولكنهم استمروا في القصف المدفعى على الحدود . وكان الاستثناء الوحيد هو جبل الشيخ . فعندما احتلنا المواقع الثلاثة التى تحيط بالجبل ليلة ٢١ اكتوبر (شربس اول) ، ونظرا لتساقط الثلج وعدم وجود طرق اضافيه ، فقد اخطينا موقع القمة بعد أن أكدت لنا قوات الامم المتحدة أن الموقع تحت سيطرتنا . لكننا لاحظنا بعد ذلك أن القوات السورية تصل اليه بضعة مسمره ، بل وكانت تبقى هناك بعض الوقت . ولهذا ارسلنا وحدة الى هناك . وحدث القواب السورية وهاجمتها واحتلت الموقع وبقيت فيه وتم تحصين الموقع ، ومهدنا طريقا ، وأحضرتنا هناك بعض الدبابات وواجهتنا منساكل في تشييد الطريق ثم في استعماله بعد ذلك . لان سفوح الجبال كانت شديدة الانحدار ، وكان الطريق الوحيد ضيقا ، ونحت نيران المدفعية السورية التى كانت تنطلق على أى سيارة تظهر . وحولنا بكل طاقمنا رعم مسمه الصعاب ورعم رداءة الجو . وكنت أزور هذا المكان على الاقل مرة اسبوعيا خلال أبريل (نيسان) ومايو (أيار) وكان واضحا ان السوريين يريدون في احتلال الجبل ويعدون العدة لذلك ولذا كنت اريد أن اؤكد بنفسى من أن قواتنا تحتل الجبل بقوة وبسيطره وتستطيع أن تدافع ضد أى هجوم .

وعقدت المرحلة النهائية للمباحثات مع سوريا في جنيف . ولم يكن هذه المرة حول نقاط الاتفاقية بل كانت حول الجدول الزمنى لانسحابنا . ونبادل الاسرى ، ودخول القوات السورية وقوات الامم المتحدة الى الاماكن التى نخليها . وكانت المباحثات تحت رعاية الامم المتحدة ممثلة بالجنرال سيلاسفو قائد قوات الامم المتحدة وضم الجانب الاسرائيلى الجنرال ممرزل شافير والكولنيل دوف سيون . وفى الساعة العاشرة والنصف من صباح ٥ يونيو (حزيران) ١٩٧٤ ، تم التوقيع على الاتفاقية . وكانت تلك هى الاشارة الرسمية الى انتهاء حرب يوم كيبور . وهدمت النار على الجبهة ، وعاد آخر الاسرى الى منازلهم ، وانتهت حالة الطوارئ ، وتم تسريح الاحتياطى ، وعاد الفلاحون السوريون الى مراعىهم على الحدود .

٣٨ معالوت

مرت أصعب أيام حياتي خلال السبعة شهور والنصف التي أعقب حرب يوم كيبور. لم يكن لذلك علاقة بكيستنجر ولا بالحرب، ولكنها كانت تتعلق بشكل جديد من أشكال العنف الذي مارسه الارهابيون، وجاء هذه المرة من الحدود اللبنانية. وكان الارهابيون منذ سبتمبر الاسود ١٩٧٠، عندما أمسك الملك حسين بزمام بلاده، قد تحولوا الى لبنان للقيام منها بعملياتهم. وتزايدت تلك العمليات من الحدود اللبنانية، ووصل عددهم على الحدود الى حوالي خمسة آلاف شخص. وفشلت الحكومة اللبنانية في كبت جماهم. وقد وجه الارهابيون عملياتهم ضد مستعمراتنا ومدننا في الجليل الاعلى. وكانوا يطلقون صواريخهم من داخل لبنان، وكانوا بين الحينة والاخرى يعبرون الحدود للقيام بعمليات تخريب أو قتل.

وبينما كانت المباحثات دائرة بعد حرب يوم كيبور لانهاء الاعمال العدوانية، وعقد مؤتمر جنيف للسلام، بدأت منظمات الارهاب نشاطها وفتحت فصلا جديدا باحتلال أماكن سكنية والتهديد بقتل من فيها وقتل أنفسهم معها، اذا لم تتحقق طلباتهم. بالافراج عن زملائهم. وقد وقعت حادثتان خلال شهر واحد، أحدثتا هزة عنيفة داخل اسرائيل، أولاهما في كيريات شمونا في ١١ ابريل (نيسان)، والثانية في ١٥ مايو

(آيار) ١٩٧٤ ، فى معالوت وتقع المدينتان فى الجليل الاعلى قرب الحدود الشمالية .

وفى كيريات شيمونا فى يوم العملية ، فى الساعة الحادية عشرة والرابع صباحا أعلن راديو دمشق أن مجموعة فدائية تابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (جورج حبش) قد اقتحمت مدينة كيريات شيمونا ، واستولت على مدرسة ، وقبضوا على كل من فيها . وحذر الاعلان السلطات الاسرائيلية من أى محاولة للاستيلاء على المدرسة ستعرض حياة الاطفال للخطر .

وعندما وصلت الى كيريات شيمونا ، كانت المعركة قد دخلت الى مرحلتها الاخيرة . وكان جنودنا يحاصرون المبنى ، وقد تم اجلاء السكان من فى رحلة فى الخارج ، وكان المبنى فارغا . فانتقلوا الى عمارة سكنية ، وانطلقوا داخل المبنى يلقون قنابلهم اليدوية ويطلقون النار من بنادقهم الاتوماتيكية ، وقتلوا السكان . وعندما وصلوا الى الطابق العلوى أغلقوا على أنفسهم حجرة تطل على الشارع وتحصنوا داخلها . وعندما اكتشف الجيران الحقيقة ، أبلغوا قوات الامن . وبينما حاصرت القوات المبنى من الخارج ، دخلت مجموعة مختارة الى المبنى واقتحموا الحجرة المغلقة وقتلوا المخرابين الثلاثة ، وكان المخربون قد قتلوا ١٦ مدنيا من بينهم ثمانية أطفال . وفى أثناء تبادل النيران قتل اثنان من جنودنا .

وعندما وصلت الى كيريات شيمونا ، كانت المعركة قد دخلت فى مرحلتها الاخيرة . وكان جنودنا يحاصرون المبنى ، وقد اجلاء السكان من المبنى المجاورة . وكانت قواتنا تطلق النار على الطابق الاعلى حيث يخشى المخربون . وعندما افتحم رجالنا الحجرة وجدوا المخرابين قتل على الارض . وكانوا صغار السن وذقونهم حليقة وشعورهم منسقة ولو اننى قابلتهم فى الطريق لما أثاروا أدنى انتباهى ولا أدرى اذا كان هؤلاء يقدرون قيمة حياتهم ، ولكنهم كانوا بالتأكيد يؤمنون أن قتل اليهود عمل بطول . ولم ينجح أولئك الارهابيون فى الافراج عن زملائهم وانما قتلوا . ولكنهم حققوا شيئا هاما ، هو توليد الخوف فقد نملك الخوف والرعب كثيرا من العائلات بالمدينة . لكن المؤسف أن كثيرا من الوزراء والضباط الكبار رفعوا أصواتهم بوعود لم يكن من السهل تحقيقها وخاصة فيما يتعلق بالامن .

وفى ١٥ مايو (آيار) ١٩٧٤ ، بعد هذا الحادث بشهر ، وقعت حادثة معالوت . فقد اقتحم ثلاثة مخرابين المدينة وارتكبوا أول حادث قتل قبل دخولهم اليها اذ هاجموا سيارة نقل تحمل بعض السيدات العربيات .

الى منازلهم بعد انتهاء عملهم في مصنع غزل • وقتل المخربون امرأة وجرحوا عشرة من بينهم السائق • وعندما وصلوا الى معالوت دخلوا أحد المنازل وقتلوا عائلة كوهين ثم انتقلوا الى المدرسة حيث يقضى مائة طفل وأربعة مدرسين الليل • واحتلوا المبنى وأرسل المخربون مدرسا وأربعة أطفال لخطابات تحمل انذارهم الذي أخذوا يكررونه من خلال مكبر صوت • وكانت طلباتهم الافراج عن ٢٠ ارهائيا ممن قبضنا عليهم ، ليطيروا الى دمشق • وعندما يعلن راديو دمشق عودتهم ، سيطلق سراح أطفال المدرسة • واذا رفضنا تحقيق مطالبهم فانهم سينسفون المدرسة بكل الاطفال •

وهذا بدون سك ، عمل تخريبي انتحاري • وفي النهاية قتل المخربون • ولم يكن واضحا ما اذا كان المبنى قد أحيط بشحنات ناسعه كما أعلن الفدائيون ذلك • وعندما انتهى كل شيء عثرنا على خمس شحنات من المتفجرات اثنتان منهما تحت السلم واثنان في الفصل الذي وضع فيه الاطفال ، وشحنة في الممر • ولم يكن واضحا ما اذا كانت البطاريات متصلة بالشحنات المتفجرة ، وانما المؤكد أن هذه الشحنات لم تكن كافية لنسف المبنى ، وأن الفدائيين كان لديهم الوقت لينسفوا المبنى ولكنهم لم يفعلوا •

وفي العمليات السابقة كان المخربون دائما يؤمنون عملية انسحابهم بزرع ألغام أو مواد تخريبية في طريق القوات لتعطيلها الى أن يكونوا قد عبروا الحدود في نفس وقت الانفجار • وهذه النظرية الجديدة قد حصلت المخربين من مشكلتهم • فبعد القتل والقبض على الاطفال يطالبون بمطالبهم ، التي هي دائما الافراج عن زملائهم ، وكذلك تأمين انسحابهم • وقد فجر هذا الاتجاه الجديد مشكلتين أمام اسرائيل الاولى : هل نخضع لعملية الابتزاز التي يمارسها المخربون ؟ والثانية : هي كيف من وجهة النظر العسكرية تقاتل المخربين أثناء احتلالهم تلك المباني ؟ وقد قابلتنا تلك المشاكل مرتين من قبل وكانت أول مرة في يوليو (تموز) ١٩٦٨ ، عندما اختطفت إحدى طائرات العال الى الجزائر (في أول اختطاف جوي بواسطة المخربين) وكانت مطالبهم حينذاك الافراج عن بعض زملائهم المسجونين في اسرائيل والسماح لهم بمغادرة البلاد • وقد عارضت بشدة الاستجابة الى مطالبهم ولكن الحكومة الاسرائيلية برئاسة ليفي أشكول آنئذ ، وافقت وتمت الاستجابة لمطالبهم • وتفجرت المشكلة الثانية في أغسطس (آب) ١٩٦٩ أمام مجلس الوزراء عندما تم اختطاف اثنين من الاسرائيليين معلم وصامويلوف من على متن إحدى طائرات الخطوط

الجوية العالمية ، وسجنا في دمشق وبادلتهم الحكومة باثنين من أسرى الحرب من الطيارين السوريين .

ومن أقرب الحوادث لحادثة معالوت هو حادث اختطاف إحدى طائرات شركة سامبينا المتجهة إلى إسرائيل . وهبط بها المختطفون في مطار اللد وطالبوا بالإفراج عن ٣٠٠ من زملائهم . وقررت الحكومة عدم الاستجابة لهم . وفي اليوم التالي وبعمل عسكري استغرق عدة دقائق ، قتل اثنان من المخربين ، وقبض على فئتين كانتا معهما . وحلал المعركة داخل الطائرة قتلت سيدة من الركاب .

وفي حادث كيرات شيمونا ، لم تضطر الحكومة إلى اتخاذ أي قرار ، لأن المخربين لم يحتجزوا أي رهائن ، ولذلك لم تكن هناك مباحثات حول مطالبهم . وقام الجيش الإسرائيلي بما يجب أن يفعله في مثل هذه الظروف ، فحاصر المبنى وأخل المبنى المجاورة ، وقام بعملية اقتحام . ول فيها المخربين . أما في معالوت فقد اختلفت الظروف فقد طرت إلى هناك مع رئيس الأركان . وعندما وصلنا علمنا أن المخربين في داخل المدرسة . ومعهم الأطفال . واتصلت تليفونيا برئيسة الوزراء وأبلغتها بالموقف . ونم عقد اجتماع عاجل لمجلس الوزراء لتقرير ما سوف نأخذ إذا هذا الموقف .

وفي معالوت كان المبنى محاصرا بقوات المظلات وامررت من المبنى بحرص ، وعندما وصلت إلى المؤخرة سمعت صوتا مألوا يقول : « إذا اردت الاقتراب أكثر فستضطر للجري ، وحتى لو زحفت فسوف يرونك » . وكان هذا صوت موكي زوج ابنة أختي ، الذي كان يقود إحدى مجموعات اقتحام المبنى .

ووافق مجلس الوزراء على مبادلة الأطفال بالمسجونين ، ولكن ليس بناء على الطريقة التي طالب بها المخربون لإطلاق سراح المسجونين . فقد وافقت الحكومة على إطلاق سراح الأطفال والمسجونين في نفس الوقت دون الاعتماد على وعد الإرهابيين . وعند الظهر طرت إلى القدس لاجتماع عاجل مع رئيسة الوزراء . وعندما تركتها أسرع إلى الهليكوبتر الذي تنتظرني لأعادتني مرة ثانية إلى معالوت . وهناك وجدت بجانب الطائرة عوزي ابن أخي زوريك الذي هرع خصيصا للمشاركة في العملية .

وعندما وصلنا معالوت اتجهت فورا إلى سطح منزل مجاور للمدرسة لأرى ماذا يجري واستخدمت نظارة الميدان فشاهدت الأطفال منعبين للغاية . وفي نفس الوقت ، كانت المباحثات التي جرت فيها الاستماعة

بوساطة انسفيرين الروماني والفرنسي ، قد انعقدت وكان الوقت يمر ببطء شديد . وعندما اقتربت الساعة السادسة مساء ، وهو موعد انتهاء المهلة التي حددها المخربون لتسف المبنى بالاطفال وانفسهم معهم ، أعطت الحكومة الاذن للجنود باقتحام المبنى . ودخلت مباشرة في أعقاب قوة الهجوم وتوجهت على الفور الى الفصل الذي احتجز فيه الاطفال . وكان المنتظر مرعبا ، فالارض مغطاة بالدماء ، وعشرات من الاطفال الجرحى مستلقون عند الحائط . وكان جنودنا قد قتلوا المخربين ولكنهم كانوا قد تمكنوا من قتل ستة اطفال وجرح ٦٨ .

ولم تكن محاولة انقاذ الاطفال هي العملية العسكرية الناجحة تماما. اذ أننا كنا ننتظر الى آخر لحظة . في حين أننا خلال النهار قد نجد لحظة تكون خلالها المخربون غير منتبهين ، أما خلال الساعة الاخيرة ، فانهم كانوا حذرين ولا يتحركون بحرية كما كانوا يفعلون في بادئ الامر . وكان الخطأ الثاني الذي ارتكبته قواتنا انها كانت ننحرك ببطء . تم أخطأت الطابق ، اذ توجهت الى الطابق الثالث ثم هبطت الى الثاني ، حيث ألقى الجنود بقنبلة فوسفورية وانتظروا انقشاع الدخان ، وعندئذ كان المخربون قد ارتكبوا عملهم الشرعي ضد الاطفال .

وقلت بعد ذلك في الكنيسة انني عارضت موافقة مجلس الورداء على قبول شروط المخربين ، وأن هذه الموافقة كانت تعني بالنسبة للمخربين اننا لن نتخذ عملا عسكريا سريعا . وعلاوة على ذلك فانني أظن أن رئيس الاركان أخطأ بالاستمرار في محاولاته للتفاوض حتى آخر لحظة ، رغم صدور قرار الحكومة بالعمل العسكري . وقد حاولت أن أحبه على الهجوم فورا . ولم يكن في وسعي أن أتصرف الا طبقا لتوجيهات الحكومة . وقبلت النصح كثيرا ولكن احدا لم يسمع الى .

وبعد أسبوع من الحادث حضرت اجتماعا لتأبين القتلى في معالوت - وكانت الحالة النفسية سيئة . وبعد الاجتماع حضرت اجتماعا آخر مع رئيس وبعض أعضاء المجلس البلدي وكانت معالوت قد أنشئت عام ١٩٥٧ نتيجة ضم معسكرين للمهاجرين اليهود من شمال أفريقيا . وبعد ذلك انضمت المدينة لبعض المدن العربية المجاورة أهمها (ترشيحا) . وقد أثير في هذا الاجتماع موضوع مضاعفة سكان معالوت لا لمواجهة مشاكل الامن وانما لمواجهة مستوى المعيشة المرتفع في الجانب العربي في ترشيحا . فالسكان في المدينة العربية كانت لديهم منازلهم الخاصة والسيارات ، في حين كان اليهود في معالوت يعانون من الفقر ويسكنون الاكواخ . ومن بين ٥٠٠٠ عربي في ترشيحا ، كان هناك ٥٠٠ طالب في مدرسة ثانوية خاصة بها ، و ٣٢ طالبا في الجامعة العبرية والجامعات

الأمريكية . هذا في حين أن سكان الجانب اليهودي وعددهم ٣٥٠٠ لم
تكن لديهم مدرسة ثانوية ، وكان منهم ٣ فقط في الجامعات .

ولم يكن الحل هو زيادة عدد سكان معالوت ، وإنما في غرس جذور
السكان اليهود في هذه الأرض حتى تصبح وطناً لهم ولأولادهم . فالعرب
في ترشيحا وصلوا الى هذا المستوى نتيجة لجذورهم الضاربة في الأرض
واستمرارهم في فلاحه أراضيهم وزرعها ورعايتها .

قرر أن تجرى الانتخابات العامة لاختيار أعضاء الدورة السابعة للكنيست يوم ٣١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٣ ، بعد الحرب التي نسببت في مد الدورة الحالية بعد انتهاء السنوات الاربع المقررة لها في ٣٠ أكتوبر (تشرين الاول) . وكانت الانتخابات هذه المرة تحظى بأهمية خاصة ، أد سنمئل نتائجها اتجاه الرأي العام بالنسبة للمستقبل القريب . وكان هناك نقد شديد للحكومة بسبب أخطاء حرب (يوم كيبور) ودعيت الامة لابداء رأيها في الحزب والاشخاص الذين ستعتمد عليهم وتشاركهم في نظريهم السياسية الخارجية .

ولم يكن نقد الماضي القريب منصبا فقط على الحرب ، بل كان موجها أيضا للسياسة العامة للحكومة التي فشلت في الوصول الى السلام مع العرب . وساد القلق بالنسبة للمستقبل ، ليس فقط بالنسبة للمشاكل العاجلة لما بعد انتهاء الحرب ، بما فيها مؤتمر جنيف ، وإنما بالنسبة أيضا لموقف اسرائيل السياسى فى العالم . فقد غطت السحب الكثيفة سماء البلاد ، لان العرب استطاعوا فرض ثقلهم فى السياسة العالمية من خلال تكتيف نشاطهم الدولى ومن خلال تحكمهم فى مصادر البترول الى

يملكونها • أما اسرائيل فقد ازدادت عزلتها ، وغرق شعبها في اليأس
ليزيد الطين بله •

وبالنسبة لى فان الانتخابات كانت لها أهمية خاصة • فقد وجهت
الى انتقادات عديدة شخصية وكوزير فيوصفى وزيرا كان على أن أتحمّل
المسئولية البرلمانية عن الجيش وقيادة الحرب • أما على المستوى الشخصى،
بعد كنت أحظى بوضع عسكري وسياسى مميز الى ما قبل قيام حرب
١٩٧٣ ، ومن هنا فان الناس كانت تتوقع منى أكثر مما تتوقعه من أى
وزير دفاع آخر ، وطالبت حركة المعارضة والصحافة واتجاهات الرأى
العام ، وحتى ضباط الجيش باستقالتي •

وكان هناك جانبان لهذا الامر ، أحدهما رسمى والاخر شخصى •
بالنسبة للجانب الشخصى ، فاننى كنت على نقه بأننى لم أفتشل فى تأدية
واجباتى • أما ما اذا كان يجب أن أظل فى عملى ، فهذه مسألة عامة قبل
كل شئ • وأما الاجابة على سؤال ما اذا كنت سأبقى وزيرا للدفاع ،
فكانت متوقفة على أربعة أجهزة : رئاسة الوزراء ، وحزبى السياسى ،
والناخبين ولجنة أكرانات •

وكانت لجنة أكرانات ، بغير شك ، هى الهيئة الاكبر اهابة لتحديد
ما اذا كنت مذنبا أم بريئا • وقد درست لجنة أكرانات كل الظروف
المحيطة بهذه الحرب • وكان أعضاؤها يتميزون بالحيطة والمهارة الفذة
فى التحقيقات ، وضمت أعضاء مؤهلين تأهيلا عاليا فى النواحي العسكرية
والقانونية • وقد جاء تشكيل هذه اللجنة فى أعقاب مشاورات على مختلف
المستويات ، وفى يوم ٨ نوفمبر (تشرين الثانى) اجتمعت رئيسة
الوزراء مع عدة وزراء ورئيس الاركان لبحث تشكيل لجنة تحقيق حول
هذا الموضوع المؤلم • وقد قلت للحاضرين انه من أجل تأمين عدالة النقصى
أمام هذه اللجنة ، فيجب أن تكون موضوعية وبعيدة عن أى تأثير حزبى
أو خارجى • وأكدت هذا الموقف برسالة بعثت بها الى جولدا مائير أؤيد
فيها تعيين هذه اللجنة •

وبعد عشرة أيام قرر مجلس الوزراء تشكيل لجنة لتقصى الحقائق
يرأسها رئيس المحكمة العليا وتضم خمسة أعضاء • وكان على اللجنة
أن تنقصى :

- معلومات المخابرات بالنسبة للايام السابقة لحرب يوم كيبور حول
تحرركات الاعلاء العسكرية ، واحتمال بدء الهجوم ، وتقييم هذه
المعلومات ، والقرارات التى اتخذها المسئولون العسكريون والسمطات
المدنية للرد على هذا التهديد •

— وضع جيش الدفاع الاسرائيل في حالة الحرب ، وحالة اسنعماده
في أيام ما قبل الحرب وعملياته الى أن نم احتواء العدو .

وكان فرار مجلس الوزراء بذلك من أجل تحقيق مطالب الرأى العام
العاجلة التى تتطلب التضحية . وفى يوم ٢١ نوفمبر (تشرين
الثانى) ١٩٧٣ أصدر الدكتور شيمون أجرانان رئيس المحكمة العليا
قرارا بتشكيل اللجنة برئاسته . وكان الاربعة الآخرون هم موشى لاندאו
القاضى بالمحكمة العليا ، ودكتور اسحاق تيينزال مراقب إيرادات الدولة ،
والجنرال بجال يادين ، والجنرال حاييم لاسكوف ، وبينما مضت اللجنة
فى أعمالها التى استغرقت قرابة العام ، استعدت الامة للانتخابات العامة
فى آخر ديسمبر (كانون الاول) وكان حزب العمل هو حزب الاغلبية
منذ انشاء الدولة . وعندما اقتربت الانتخابات واجه الحزب مشكلتين ،
الاولى الشخصيات التى سيرسحها ومن منهم سيكون فى مجموعة قيادة
الحزب والذين سيكونون بالتالى وزراء فى الحكومة اذا حصل الحزب على
الاجلبية . وكانت المشكلة النانية ايدولوجية . فما هى السياسات التى
سيتبناها الحزب ؟

وكانت الصدمة الى واحمها الامه فى الحرب قد تركت انطباعاتها
على الحزب ، حيب لم تغيير برنامجها الذى عرف باسم « وثيقة جاليلى » ،
وأصدر الحزب برنامجا والذى كان يحتوى على ١٤ مادة . ونصمت
التغييرات اتجاهات جديدة نتناول موضوع السلام . وكذلك فان تشكيل
قائمة المرشحين ومجموعة القيادة قد تغير تماما ، وقيل فى اجتماع اللجنة
المركزية للحزب ان ذلك من أجل صياغة خطط للسلام ومن أجل تحديد
القيادة فى الحزب . . . وقد عقدت اللجنة المركزية دورتين ، ووفق فى
الدورة الاولى على الموقف السياسى للحزب يوم ٢٨ نوفمبر (تشرين الثانى)
وذلك بأغلبية ٢٥٦ صوتا مقابل ١٠٧ وغياب ٣٠ على القائمة الجديدة
للمرشحين . وفى الدورة الثانية يوم ٥ ديسمبر (كانون الاول) أثيرت
الترشيحات مرة أخرى ، ومن تكون مجموعة القيادة على القمة . وقد
آثارته هذه المرة جولدا مائير رئيسة الوزراء ، التى رفضت أن تبدأ بخطاب
افتتاحى ، وطالبت بانتخابات سرية لاختيار مجموعة القيادة الجديدة ،
ولاتاحة الفرصة لكل من يريد تغيير رئيسة الوزراء لبدء رأيه . وكانت
العملية أيضا بمثابة طرح نقه بها .

وكانت جولدا منتهمة على معرفة النتيجة . واسنمرت الدورة طوال
اليوم وحتى آخر الليل . وكنب أجلس فى الصف الامامى فى القاعة .
وشعرت أن هذا الاجتماع يعد بمثابة نوع من المحكمة العليا للحزب .
كانت حرب يوم كيبور خلفنا ، واطلاق النار ما زال مستمرا على الحدود ،

واتفاقيات فض الاشتباكات لم تحسم بعد ، وما زال معظم شبابنا يخدم في الاحتياط على خط النار ، ولجنة أكرانات تواصل تحقيقاتها في القدس . . . وكان علينا أن نراجع كثيرا من الامور : علاقتنا مع العرب ، وعلاقتنا مع الولايات المتحدة الامريكية ، والمشاكل الاقتصادية . وقد تناول كل المتحدثين في المؤتمر هذه المشكلات ، وتعرضوا لتشكيل الحكومة القادمة بصورة مباشرة أو غير مباشرة . كما تعرضوا لاحتمالات تجدد الحرب ، والاستيطان في المستعمرات في الاراضي المحتلة ، ومشكلة الحدود الدائمة

وفي المساء طلبت الكلمة . وأعلنت أنه اذا تبني الحزب بعض المواقف الهامة ، فانني قد لا أؤيدها . وقلت على سبيل المثال انه اذا تقرر الاعتراف بدولة فلسطينية مستقلة ، فانني في هذه الحالة أترك الحزب ، ولكن ليس معنى هذا أنني سأترك الحياة السياسية . وأكدت أنني أؤيد « وثيقة جليليل » وخاصة ما يتعلق بإنشاء مدينة (ياميت) على البحر الابيض المتوسط ، وحق اليهود في شراء الاراضي الواقعة بعد حدود ١٩٦٧

وقلت ان النقد الموجه لي شخصيا ما زال تحت التحقيق الان بواسطة لجنة أكرانات ، وستصدر فيه قرارها ، وبالنسبة لتشكيل الحكومة القادمة ، فلم أقترح - ولم يطلب مني - أن أكون أحد أعضائها أما بالنسبة للجانب البرلماني من مسئوليتي كوزير للدفاع ، ومسئوليتي بالتالي عن الاخطاء التي حدثت في الجيش فان القرار بشأنها يتوقف على رأي رئيسة الوزراء ، فاذا طلبت مني الاستقالة فذلك ما سوف أفعله ، وتكلمت أخيرا جولدا مائير وتناولت الرد على كل الامور التي أثرت . فبالنسبة لموضوع استقالتي قالت أنني قدمت اليها استقالتي مرتين ، الاولى أثناء الايام المريرة في حرب يوم كيبور ، والثانية بعد أن أعلن وزير العدل يعقوب شمشون شايفرو أن على وزير الدفاع أن يذهب . وقالت أنها في المرتين رفضت هذه الاستقالة ، وأكدت أنها تشعر بالثقة الكاملة في . وقالت جولدا أنه اذا قرر الحزب رئاستها للحكومة القادمة فلا بد أن تكون حرة في اختيار وزرائها .

وتمت موافقة اللجنة المركزية في اقتراحها السري لـ ٣٤١ عضوا ، كما يلي : ٢٩١ اختاروا جولدا ، و ٣٣ رفضوا ، وامتنع ١٧ عن التصويت . وهكذا تقرر أن تقود جولدا قائمة الحزب .

هبت حركة المعارضة في البلاد ، واستطاعت أن تصل الى قلوب الناس . وكان أعضاؤها يجمعون بين العاطفة والسياسة . واستطاعوا تنظيم مظاهرات خارج مقر رئيسة الوزراء أثناء اجتماعات مجلس الوزراء . وقامت الجماعات المتطرفة بالتظاهر ضد كيسنجر وضد أي انسحاب من هضبة الجولان ، بينما طالب اليسار بالنقيض وأستمر نشاط هاه

الجماعات فى التدهور • وفى النهاية فشلت محاولاتها لتوحيد صفوفها فى
مدينة نوئر فى التيارات المنياى. ولكنها على الأقل أخذت تأثيرا لدى الرأى
العام بالنسبة لمسألتين ، الأولى المطالبة بالتغيير فى قيادة الدولة ، وقبل كل
شئ أنا • وانجحت أصابع الاتهام نحو المسئولين عن الاخطاء العسكرية
والسياسية عشية وأناء حرب يوم كيبور • واستطاعت المعارضه أن
تستقطب الشباب الذين اشتركوا فى الحرب ، والارامل ، وآباء وأمهات
الرجال الذين سقطوا فى المعركة •

ويحتاج وزير الدفاع الى ثقة الرأى العام أكثر من أى سياسى آخر ،
لأنه مسئول عن فزار الحرب • وقد لا يشاركه الرأى العام آراؤه
وتقديرانه ، لكنهم لا بد أن يؤمنوا بوعيه واخلاصه وفهمه • ولكننى فى
النهاية شعرت أننى بدأت أفقد ثقة الرأى العام وكان يحدث كثيرا أن
أمر أثناء مغادرتى لمجلس الوزراء ، ببعض المظاهرين فتشبر الى سيدة
(ربما كانت أرملة) قائلة « يا مجرم يا قاتل » وكأنها طعنة كانت
تصيبينى فى قلبى ، لأننى لم أصدر طوال حياتى أوامر بأبئة عملية دون
أن أكون مستعدا لأن أشارك فيها بنفسى • لكننى بالطبع لم أكن أحاول
حتى أن أشرح هذا الامر لتلك السيدة الصغيرة •

لكن هذه الحركات الراضة والمنجحة أنارت مؤنرات خفية تهدف
الى اضعاف قوتنا واستعدادنا للقتال • وكنت أنظر الى هذه الناحية بقلق
عنيف وشعرت أننا نضعف قدرتنا على النصال ضد الصعاب والمشاكل
التي نواجهها •

وفاد هذه الحركة ضابط صغير يدعى موشى أشكنازى ، كان خلال
حرب يوم كيبور يقود نقطة بوادابست على العنائة وهى الموقع الحصين
الوحيد الذى لم يحتله المصريون • ولم يكن ذلك بسبب موشى ، بل
بسبب موقعه الجغرافى القوى • ولكن أين للعامة •• أن يعرفوا ذلك ؟
وكان طالبا فى الجامعة العبرية بالقدس ، وعرض على أستاذه فى الفلسفة
البروفسور ناتان روتينستريش مقابلته فوافقت ، وتقابلنا فى منزل
البروفسور فى القدس •

وكان موشى يتحدث ، وكنت أنا متشوقا لسماع آرائه لكى أعرف
ما الذى يريده وقال انه يعجب بى ويحترم شخصى ، الا أنه مصر على
ضرورة استقالتي ، نظرا لمسئوليتى البرلمانية بالنسبة لكل نواحى القتل
فى الحكومة والجيش والحزب والسياسة التى سبقت الحرب • وكان
يرى أن كل ذلك فاشل ومملوء بالاخطاء ، وأن سياسة الحكومة كانت غير
عقومية ولا حكيمة ، ولذا فهو يطالب بتغيير القيادة ، وأن يتغير مجلس

الوزراء ، وأنا في المعصية . ولماذا كان نصر حرب الابرار السنة فاشلا ؟
لأننا لم نفصل سوريا عن الاردن ، ولم تكن قد هزمتا مصر هزيمة ساحقة .
ولو أننا في الشمال احتلنا جبل الدور بصفتة دائمة لفصلنا كليـة بين
سوريا والاردن ولو أننا في الجنوب كنا قد دخلنا مصر بعد عبور القناة
لاوصلناها الى ما يشبه الاسلام .

اما فيما يتعلق بحرب يوم كيبور فقد كان يرى أن كل شئ سيء
فالطيـارون كانوا يرسلون في مهام انتحارية بدون أى هدف ، وكان
يراهم وهم يتساقطون فيطالب القيادة الجنـوبية بعدم إرسالهم ، ولكن
أحدا لم يستمع اليه . وفي استحكامات قناة السويس لم يحارب أحد
جيـدا ، فالديابات كانت تحارب في منتهى السوء ، والاطباء لم يستطيعوا
اخلاء الجرحى ، والصناعة الحربية الاسرائيلية لم تكن مسـعدة للحرب ،
وكان على رجالها أن يعملوا ليل نهار لانتاج البندقية (جليل) للمشاة .
وكل ما نحتاجه هو الثورة . وهوشى نفسه يريد التغيير بطريـقه
ديمقراطية ، لكن هناك فلة فعل هم الذين يطالبون باستخدام وسائل
العنف ، وقد نجح في كـب جماهم لكنه لا يستطيع ان يظل ساكنا اذا لم
يحدث تغيير جوهري في السياسة .

وكنـت اسمع اليه بشغف . وكنـت انا شخصيا اعلم ان بعض
نقدم كان على حق ، لكن بـقية ما قاله لم تكن له قيمة لانه بدون أسـانيد .
ولم تكن هناك أى فرصة لمناقشة هذه الامور جديا على الاقل في هذه
المناسبة ، لانه حضر الى هذه المناقشة وكأنه يؤدي جزءا من حملته
الانتخابية ، وقد استمعت له حتى منتصف الليل ، ثم شكرت مضيفي
وانصرفت . ولم يكن اللقاء مدعاة للسرور ، لانه لا كلمات اشكنازى ولا
سلوكه مسا أى وتر لدى . وكل ما اكتشفته أنه ليس بمحدث ولا بالناس
الذين يشابهونه تم بناء اسرائيل وليس بهم نـزدهر . والحقيقة اننا كنا
نتكلم وكأننا من عالمين مختلفين بعيدين عن بعضنا البعض .

ودخل حزب العمل الانتخابات بعزيمة موحدة بحمل نفس القيادة ،
ولكن الخلافات كانت منتشرة بين افراد هذه القيادة . وكان الناخبون
يريدون التغيير ، يريدون ان يروا وجوها جديدة . ولم يكن الناخبون
هذه المرة هم نفس الناخبين في المرة السابقة . ففي هذه المرة كان هناك
شباب أكثر . وفوق كل هذا كان هناك جدل ونقد كثير حول الحرب
وسياسة ما بعد الحرب . وكان مما ضاعف التأثير كثرة الخسائر والقتلى
والجرحى ، ووصف الجنود العائدين للمعارك ، والاسرى العائدين من
من مصر ، الامر الذى سبب حالة من اليأس ، وجعل النقد أكثر حدة ،
وأدى الى تقوية المطالبة بتغيير القيادة .

وجاءت نتيجة الانتخابات بخفض ٥٪ من قوة حزب العمل ، وفقد سبعة مقاعد في الكنيست (حصلنا على ٤٩ مقعدا من ١٢٠) وحصلت الاحزاب المعارضة على ٩ مقاعد وأدى هذا الى منع حزب العمل من تأليف الحكومة بمفرده واضطراره الى التآلف مع أحزاب أخرى وبعد اجتماع اللجنة المركزية ، فى ١٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٣ ، دعوت نفسى الى منزل رئيسة الوزراء جولدا مائير ، لاسألها عما اذا كانت ستكلفنى بوزارة الدفاع فى الحكومة الجديدة وأردت أن أحيطها مقدما بأمرين : أنه فى حالة صدور أى شىء يمسسى من لجنة أجراتنا ، فأننى ساستقيل فوراً والامر الثانى أنها يجب أن تتجاهل أى ضغط من حزب رافى أو أى حزب آخر اذا ما ضغطوا عليها لتعيينى وزيرا للدفاع كشرط لانضمامهم للحكومة وأجابت جولدا أنها لن تنردد لحظه فى تعيينى وزيرا للدفاع فى حكومتها الجديدة : وأن هذا هو قرارها ، واذا حاولت أى قوة الضغط عليها لالغاء هذا القرار فأنها على استعداد للتخلى عن رئاسة الوزارة . وقالت أنها قد شاركتنى فى المسئولية ، وأنها كانت شريكة كاملة لى فى تلقي معلومات المخابرات واتخاذ القرارات الحاسمة وقد سررت لهذا الحديث الذى أعاد الثقة الى نفسى . وزاد من سرورى أن مائير لم تكن لتختارنى وزيرا للدفاع لولا تأكدها من أن ذلك يمثل صالح الدولة ، على الرغم من أن صداقتنا سوياً لم تكن كصداقتها مثلاً لجاليل أو ساير .

ومن بعد الانتخابات ، استمرت حركة المعارضة ضدنا ، وانضمت اليها الاحزاب السياسية التى فشلت فى تحويل نتيجة الانتخابات لصالحها . وظل جولدا تسهرين تجرى مباحثات لتشكيل الوزارة الجديدة ، وبعد جهود عنيفة قدمت الحكومة الجديدة الى الكنيست يوم ١٠ مارس (آذار) ١٩٧٤ . وكانت الصعوبة التى واجهتها هى رفض الحزب القومى الدينى الاشتراك فى الوزارة بسبب موقفها من قضية (من هو اليهودى ؟) وازاء ذلك اضطرت جولدا الى تشكيل حكومة أقلية لا تحظى بالاغلبية المطلقة فى الكنيست .

ولم أكن أشعر برغبة كبيرة فى الانضمام للحكومة . فما زالت حركة المعارضة مستمرة ضدى من كل الجهات حتى من زملائى فى الكنيست ومن صحيفة الحزب . بل أن بعض أعضاء البرلمان كانوا يقفون أمام كاميرات التليفزيون ليصافحوا زعماء حركات الاحتجاج ويهنتوهم على حملتهم ضد ديان .

ووصلت الحملة ضدى الى الجيش ، فقد وقف أحد الضباط الصغار فى اجتماع عسكري ، أمام رئيسة الوزراء ، وطالب باستقالتي .

وفي اجتماع لمجلس الوزراء أرسلت مذكرة لجولدا أخبرها فيها بأننى لن أنضم الى الحكومة الجديدة . وفرتها دون ان يبدو عليها أى صدمة أو مفاجأة وأبلغت أصدقائى فى رافى بهذه الخطوة . وأذيعت هذه الأنباء فى المساء ، وتلقيت مكالمة غاضبة من جولدا تستغرب فيها من اعلاني هذا الامر وظلت فى عدة مناسبات تحتنى على الرجوع عن هذا القرار ، بل وانصل بى بعض أعضاء الحزب وكذلك شيمون بيرير الذى رفض هو الآخر الانضمام للحكومة الجديدة بدونى . ولكننى أصررت على الرفض وكنت فى الحقيقة متلهفا على انتهاء هذه الحرب بالوصول الى اتفاق مع السوريين وإعادة أسرى الحرب ولكنى كنت أعلم أننى لن أنجح فى مهمتى هذه اذا لم يؤيدنى الحزب والكنيسست والحكومة . وبعد التشاور مع أصدقائها المقربين قررت جولدا تشكيل الوزارة بدون رافى ، الذى قرر عدم الدخول فى الوزارة الجديدة بدونى ، وكذلك بدون الحزب القومى الدينى .

وفى يوم ٣ مارس (آذار) ١٩٧٤ عقد الاجتماع الاخير لمكتب نيابة الحزب للموافقة على الحكومة وتقرر احلال اسحق رابين بدلا منى كوزير للدفاع ، ودارت خلال الاجتماع مناقشات عنيفة ونقد مرير لكل الامور . وانتهت هذه المناقشات بأن أعلنت جولدا أنها قد قررت عدم تشكيل الحكومة الجديدة . صحيح أن المناقشات كانت عنيفة ، ولكن رد الفعل عند جولدا كان أعنف . وعقدت دورة خاصة للجنة المركزية للحزب لاقناع جولدا بعدم الاستقالة . وفى اعتقادى أن جولدا لم تفعل ذلك لتخلي أصدقائها عنها ، ولا لان الحزب القومى الدينى وحزب رافى رفضا الاشتراك فى الحكومة . وانما لاعتقادها بأن رفاقها فى الاحزاب الاخرى سيسندون نحوها بعد أن ينتهوا من رجم كباش الفدا الاخرى .

وفى الاجتماع الذى عقد بعد يومين لمحاولة افناع جولدا مائير بالعدول عن استقالتها ، أرجع كل المتحدثين المناصب داخل الحزب الى رافى والى أنا على وجه الخصوص . وتكلمت أنا فأسرت الى أن هذا آخر يوم لى كوزير للدفاع ، وعبرت عن معارضتى لتشكيل حكومة اقلية . وحيث أننى أعلم أن جولدا لن ترأس الحكومة الجديدة ، فقد طالبت بانتخابات عامة جديدة . . . وغادرت الاجتماع قبل نهايته ، لاننى نلغيت مذكرة تفيد أن معلومات هامة قد وصلت من المخابرات ولا بد من حضورى الى مكنتى . وأرسلت الى السكرتارية قرار الحزب فيما بعد مكتوبا كما يلى :

« أن اللجنة المركزية تناشد جولدا مائير أن تتراجع وتأخذ على عاتقها مسئولية تشكيل الحكومة الجديدة . حظيت الفقرة بالموافقة .

بالاجتماع ، وامتناع أربعة فقط ، طلبت اللجنة المركزية من الحزب القومى الدينى الاسنراك فى الحكومة تحت رئاسة جولدا مائير ، وذلك لمواجهة الاحتياجات العاجلة للقيام بالواجبات السياسية ازاء ما يواجه اسرائيل (موافقة بالاجتماع) ، كل الوزراء وخاصة موشى وشميون بيريز مطلوب منهم أن يقوموا بواجباتهم كوزراء ممثلين لحزب العمل ، والاستجابة لرغبة رئيستها فى الانضمام الى الحكومة الجديدة بلا معارضة ولا أعذار (موافقة بالاجتماع) ، اللجنة المركزية للحزب تطلب من جولدا مائير استكمال جهودها لتشكيل الحكومة الجديدة وتقديمها للكنيست بناء على قرار اللجنة المركزية فى ١٤ فبراير (شباط) ١٩٧٤ » .

وكانت معلومات المخابرات التى وجدتها فى مكتبى أن السورىين شرروا استئناف الحرب فوراً . واذا كانت مثل هذه المعلومات نعالج فى العادة بأقصى اهتمام ، فإن الحساسية السائدة فى اسرائيل بعد حرب يرم كيبور ضاعفت من أهميتها . وأبلغت رئيسة الوزراء ، التى دعت الى اجتماع عاجل لمجلس الوزراء للنظر فى هذه الانباء ، وفى نفس الوقت ظلت الانباء تصل لجدد هذا التحذير . وفى اجتماع مجلس الوزراء الذى عقده فى النامنة والنصف مساء ، وكان بمنابة لجنة وزارية لشئون الامن تمت دراسة المعلومات وتحليلها . ومع أن اتخاذ القرار كان حتمياً ، الا أن الخلافات بين الاعضاء سيطرت على الاجتماع . وأصر ممثلو الحزب القومى الدينى على عدم الاشتراك فى الحكومة الا اذا اشترك فيها رافى أيضاً .

وفى نهاية الاجتماع أختليت بسمعون بيريز وفلت له أنه بناء على الموقف العسكرى الجديد فى مواجهة التهديد السورى فأننى أظن أنه يجب علينا أن نوافق على الانضمام للحكومة الجديدة ، وذلك سيجعل الحرب القومى الدينى يبعنا ووافى ، بيريز وعدنا الى جولدا ، وقلنا لها أنها اذا كانت لا يزال تريدنا كوزراء معها فأننا قد قبلنا . وقالت جولدا انسى لم ألقى خيراً من هذه الهدية وفى اليوم التالى وافق الحزب القومى الدينى على الانضمام للحكومة . وبعد أسبوع حازت الحكومة الجديدة على ثقة الكنيست بموافقة ١٦٢ ضد ٤٦ وامتناع ٩ عن التصويت .

ولم يقع الهجوم السورى المتوقع ، ولكن ثقة الرأى فى الحكومة مازالت غير متوافرة . وزاد الحالة سوءاً أن وزيرين من الوزراء همّا حايبم جفاتى وزير الزراعة وشلومو هيليل وزير البوليس صرحا بأن الرأى العام لا يثق بالحكومة . وكانت جولدا تدرك ضعف مركزها ولذا قررت الاستقالة . وفى ١١ أبريل (نيسان) ١٩٧٤ ، قدمت استقالتها

للكنيست • وفى هذه المرة كان قرارها نهائيا • وطبقا للقانون الاسرائيلى .
فان استقالة رئيسة الوزراء تعنى استقالة مجالس الوزراء كله وكانت
نلك هى نهاية حكومة يوم كيبور • لكنه أيضا طبقا للقانون الاسرائيلى ،
فان مجلس الوزراء يستمر فى عمله لحين تشكيل حكومة جديدة ، وقد
استغرق ذلك شهرين •

وفى نفس الوقت أعلنت لجنة أبحاث تقريرها الاول • وكان
يشمل على موضوعين هما معلومات المخابرات عن تحركات العدو وبوابه
ونقييم هذه المعلومات والموضوع الثانى استعدادات جيش الدفاع
الاسرائيلى • وأصدرت اللجنة توصياتها بوضوح كامل وفسوة شديده
وتناولت فى تقريرها مبادئ عامة ، لم تناولت أشخاصا فى مراتب
السلطة •

وأوصت اللجنة بأبعاد أربعة ضباط من المخابرات عن مناصبهم هم •
الجنرال الياهو زاعيرا مدير المخابرات • الذى بسبب فشله الفظيع
لا يجب أن يستمر فى منصبه رئيسا للمخابرات ، ونائبه البريجادير
اربيه شاليف ، الذى لا يجب أن يستمر فى عمله بالمخابرات ، والمقدم
يونا بند مان المسئول عن النشاط المصرى فى المخابرات ، الذى لا يجب
أن يعمل بعد الآن فى عمل يتصل بالمخابرات ، والكولونيل دافيد جيداليا
مسئول مخابرات الجبهة الجنوبية ، الذى لا يجب أن يعمل فى المخابرات ،
بالنسبة للمستوى القيادى ، فقد تقرر إيقاف الجنرال شمويل جوبن
قائد الجبهة الجنوبية عن العمل العسكرى الى أن تنهى اللجنة تحقيقاتها ،
وكذلك تقرر إنهاء خدمة دافيد اليعازر رئيس الاركان لمسئوليته الكاملة
عما حدث •

وفىما يتعلق بى ، قالت اللجنة انها قامت بالتشاور حول مسئولية
المباشرة وقالوا « أن السؤال كان هل يمكن لوزير الدفاع أن يقوم
بواجبات خارج نطاق مسئولياته » • وقالوا فى النهاية أن وزير الدفاع
لا يملك إصدار الاوامر الا فى حدود ما يقترحه عليه رئيس الاركان وفقا
للمشاورات التى يجرىها رئيس الاركان ومدير المخابرات • ولم تمتح
اللجنة موضوع استقالتي •

وفى ٣ يونيو (حزيران) ١٩٧٤ ، أعلنت الحكومة الجديد برتاسه
اسحق رابين ، وأصبح شمعون بيرير وزيرا للدفاع . وكانت اخر عملية
قمت بها فى وزارة الدفاع هو توقيع الاتفاقية مع سوريا ، وقيامى بتعيين
الجنرال موردخاى جور رئيسا للاركان بدلا من اليعازر ، وأصبح الجنرال

• نسلومو جازيت مديرا للمخابرات بالاضافة الى عدة تعيينات جديدة فى القيادات الشابّة •

لم يكن الاتفاق مع سوريا مرضيا مثل الاتفاق الذى حدث مع مصر ولكنه بالنسبة لى كان يمثل أهمية كبرى •• لانه أنهى كل ما يتعلق بحرب يوم كيبور • وهما أنذا أغادر منصبى كوزير دفاع ، وقد دخلت إسرائيل مرحلة استقرار جديدة تستريح فيها وتسترد أنفاسها وتقلب صفحة جديدة • صحيح أن هذه الصفحة ليست منفصلة عما يسبقها لكنها على أية حال تنهى الجزء الخاص بيوم كيبور • وقد نكون قد أنسحبنا ١٢ ميلا من قناة السويس وسلمنا مدينة القنيطرة ، ولكن خطوط وقف النار أصبحت الآن أكثر ثباتا من قبل الحرب وتمثل حقيقة جديدة • وقد أصبحت إسرائيل الآن بطائراتها وأسلحتها الحديثة أقوى عما كانت عليه قبل الحرب •

٤٠ حقيقة جديدة

كانت حرب يوم كيبور نتيجة لرفض مصر وسوريا عقد انقابات سلام مع اسرائيل ، ورفضهما أيضا برك الجولان وسيناء في يد اسرائيل . ولرغبة العرب في استعادة الارض التي فقدوها من خلال حرب جديدة .

وقد نحدد موقف مصر بالنسبة لاسرائيل بعد انتهاء حرب الايام الستة مباشرة ، عندما أعلن المصريون نقتهم بعبد الناصر . ورغم ما لحق بجيشهم من هزيمة ، فقد خرج عشرات الآلاف في مظاهرات في الشوارع تطالب عبد الناصر بسحب استقالته التي قدمها وكانت هذه المظاهرات بمثابة تعبير الامة المصرية عن أنها لم تنكسر .

ورغم أن مصر خسرت الحرب ، وفقدت جيوشها ، وفقدت كل سيناء ، الا أن الشعب لم يلم فادنه أو أنفسهم ، ولم يداخلهم حتى ولو دليل من اليأس ، ولم تحطم الهزيمة العسكرية ثقتهم في أنفسهم أو ثقتهم في قدرتهم على الاستمرار في النضال ضد اسرائيل .

وعندما شاهد الرئيس عبد الناصر هذه الثقة في الشعب لم يأخذها على أنها تأييد بالنسبة لشخصه فقط ، وانما تأييد من الشعب لسياسته

نحو تجديد العمليات العسكرية ضد اسرائيل . وبعد الحرب اضاف
عبد الناصر مبدأ آخر لمبادئ نضاله ضد اسرائيل ، يقول (ان ما أخذ
بالقوة لا يسترد بغير القوة) وأن حساب مصر مع اسرائيل ليس بالنسبة
لاستعادة سيناء ، بل لهزيمة الجيش .

ونمت صياغة سياسة ما يعد الحرب ضد اسرائيل في قرارات
الخطوط (بأنه لاسلام ولا اعتراف ولا مفاوضات) . وكانت خطة مصر
العسكرية لاستعادة أراضيها على ثلاثة مراحل : الدفاع والسمود ثم الردع
النشط ، ثم (حرب الاستنزاف) فالتصر . وكانت المرحلة الاخيرة وهي
العمل على احراز النصر قد بدأت عام ١٩٧١ . وقد أعلن الرئيس السادات
خليفة عبد الناصر أنها (سنة الحسم) لكنها تأجلت حتى عام ١٩٧٣ .
وقد ساعدت العوامل العالمية العرب على تنفيذ قرارهم بمبدأ الحرب .
وكان العرب يطالبون بتنفيذ قرار مجلس الامن ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ، الذي
يطالب اسرائيل بالانسحاب من جميع الاراضي التي احتلتها في حرب
الايام الستة . ولقي هذا التفسير للقرار تأييدا بدون تحفظ من جانب
الكتلة السوفيتية وفرنسا ودول عدم الانحياز ، لكنه لم يلق تأييدا من
الولايات المتحدة ، وبريطانيا التي صاغت القرار .

وبعد حرب الايام الستة مباشرة وعد السوفييت مصر وسوريا
(بتعليمها القتال) ومد جيوشهما بالاسلحة الحديثة ونمت اواصر الصداقة
بين سوريا ومصر من جهة والاتحاد السوفيتي من جهة أخرى . ووصل
الى مصر وسوريا آلاف الخبراء والمستشارين السوفييت ، وسلم عبد الناصر
الدفاع الجوي الى السوفييت وعندما تمت قوة السلاح الجوي الاسرائيلي ،
طلبت سوريا ومصر بمدهما بأحدث الاجهزة الالكترونية لمواجهة الطائرات
وتم تزويدهما بها . وبعد حرب الايام الستة بعدة سنوات ، اقتنع القادة
العرب بأن جيوشهم قد أعيد بناؤها وأنهم يملكون القدرة الآن على هزيمة
اسرائيل وكانت المساعدات الروسية تتم علانية ، وبالإضافة الى ذلك فإن
كل من سوريا ومصر قد انضمت اليهما قوات عراقية وسعودية وأردنية
ومغربية ، ووقفت روسيا الى جانبهم باخلاص وثقة .

ولم يستطع النشاط السياسي خلال السنوات التالية للحرب ، ولا
مبادرات السلام وجهود روجرز ويارنج ، أن تمنح العرب ما يريدونه .
وكانت اسرائيل تطالب (بسلام حقيقي) - كما قال بن جوريون - مقابل
انسحابها . ولم تكن مصر وسوريا مستعدتين لقبول مثل هذا السلام .
وصمم قادتهما على أن أي اتفاقية للسلام يجب أن تتضمن الى جانب
الانسحاب ، حل المشكلة الفلسطينية . وكان الفلسطينيون يصرون على

العودة الى أرضهم • وكانت اسرائيل تعتقد أنها اذا وافقت على مطالب الفلسطينيين ، فمعنى ذلك نفس أساس وجودها نفسه •

وخلال السنوات التالية للحرب ، آمن العرب بأن الاسلوب الوحيد لتحقيق أهدافهم هو الحرب • وبعد قرارات الخرطوم ، ألغت اسرائيل قرارها السابق اتخاذه في يونيو (حزيران) بالاستعداد للعودة للحدود الدولية في مقابل السلام مع مصر وسوريا • وبدأت اسرائيل فى اقاعة المنشآت فى المناطق المحتلة على أساس أننا لن ننسحب منها • فالقدس نم ضمها الى اسرائيل ، وبنيت مدينة عوفيرا فى شرم الشيخ ، وأنشئت مستعمرات فى الضفة الغربية ، وقال المتحدث الرسمى أن الجولان أراضى اسرائيلية •

ولم ننجح الوساطة الامريكية ، ووجد السوفييت فى أزمة الشرق الاوسط مرتعا خصبا لم نفوذهم على الدول العربية • وحتى الولايات المتحدة التى كانت نرغب فى حل المشكلة بالوسائل السلمية ، فانها لم نكن تستطيع فرض الحل بالقوة لانها كانت نعاني من مشكلاتها الخارجية مثل فيتنام والداخلية كوتر جيت حتى خلال الستين الحاسمين - ٧٢ - ١٩٧٣ ، لم تستطع الولايات المتحدة من خلال جهودها الدبلوماسية القيام بأى تأثير ، فى حين أن العرب كانوا قد انتهوا من بناء قوتهم العسكرية •

وما انتهت الاستعدادات العسكرية حتى بدأت عملية الضغط الشعبى نزايد ، مطالبة بالحرب ، وخاصة فى مصر • وكانت تكاليف بناء مثل هذا الجنس القوى قد كبدت ميزانية مصر تكاليف باهظة أرهقتها • كما أن شللاب مصر فى الجامعات والمعاهد العليا ظل يخدم فى الجيش عاما بعد عام • وقام السادات بمشاورات نبين منها أنه لن يستطيع الاستمرار فى هذا الموقف ، والا واجه أزمة حادة • وبدأ واضحا أنه لا فائدة اطلاقا من الجهود السياسية التى بذلها حافظ اسماعيل مستشار السادات من أجل الحصول على تأييد نيكسون وكان السادات يعتقد أن قدراته القتالية الآن تمكنه من أحراز النصر ، وهكذا شنت مصر وسوريا الهجوم يوم ٦ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ وكانت حرب يوم كيبور •

وقد أخذت اسرائيل بالمفاجأة بعد سنتين من وعد السادات بأن عام ١٩٧١ هو عام الحسم • ولم تتحقق تهديدات مصر وسوريا بالقتال خلال السنتين • وفى بداية أكتوبر (تشرين الاول) ٧٣ عندما كانت هناك علامات عن النشاط العسكرى المتزايد فى مصر وسوريا ، قالت المخابرات

الاسرائيلية أن المصريين يقومون بمناوراتهم السنوية وأنهم لا يستعدون للهجوم ولم تكن هذه وجهة نظر المخابرات الاسرائيلية فحسب ، بل أن المخابرات الامريكية ايضا قالت ذلك . فقد نشرت النيويورك تايمز فى ١٣ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٥ ، فى تقرير نشرته أن المخابرات الامريكية فشلت فى أكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٣ فى معرفة استعدادات الحرب بين العرب واسرائيل ، بل أن هناك عدة أجهزة تابعة للمخابرات فشلت فى معرفة ذلك حتى قبل بداية الاشتباكات بساعات قليلة .

وقال تقرير الجريدة أن نشرة المخابرات الامريكية التى صدرت فى اليوم السابق للحرب ، ذكرت أن المناورة العسكرية فى مصر تأخذ حجما أكبر من المناورات السابقة ، ولكن ذلك لا يدل على أنه أستعداد لعمل عسكري ضد اسرائيل . وكانت مخابراتنا هى التى قادت قيادة الجيش والحكومة الى هذا الموقف الذى واجهنا به الحرب بقوات قليلة العدد وبامدادات لم تصل فى الوقت المناسب للقيام بهجوم مضاد .

ولم يكن هدف العرب من حربهم تحرير أراضيههم فحسب ، فبالنسبة لسوريا لم تكن الجولان فقط هى الهدف وإنما بعد الاتصال بالاردن يتم الدخول الى الناصرة والجليل الاوسط . وبالنسبة لمصر لم يكن الهدف تحرير سيناء وقطاع غزة فقط ، وإنما كان هدف السادات عبور القناة والاستيلاء على ممرات متلا والجدي معتقدا أن ذلك يؤدى الى هزيمة اسرائيل واجبارها على التسليم بطلباته . وهكذا كان الموقف كما يراه السادات حتى نهاية الاسبوع الاول من الحرب ، وبعد بداية الحرب بأربعة ايام ابلغ الولايات المتحدة انه يقبل ايقاف اطلاق النار فى حالة موافقة اسرائيل على الانسحاب الفورى من سيناء وقطاع غزة وفقا لجدول زمنى . وبعد اسبوع آخر ، حتى بعد أن أقامت اسرائيل رأس جسر ودخلت الى الضفة الغربية للقناة واضطر السوريون للتقهقر وأقامة خط دفاع عن عاصمتهم دمشق . أعلن السادات فى خطاب أمام مجلس الشعب أن مصر ستظل تقاتل حتى تستعيد أراضيهما وتسترجع حقوق الشعب الفلسطينى . وقال أن مصر على استعداد لقبول ايقاف اطلاق النار بشرط أن تنسحب اسرائيل فورا الى حدود ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ . وانتهت الحرب بالرئيس المصرى وهو مستمر فى إرسال برقيات عاجلة لنيكسون وبريجنيف طالبا منهم ايقاف تقدم القوات الاسرائيلية التى تهدد القاهرة ، وكان السادات نفسه مع قواته المسلحة عاجزا عن ذلك .

وفى الجبهة الشمالية ، التى وصل فيها الجيش الاسرائيلى الى مسافة ٢٥ ميلا من دمشق أتخذ الرئيس الاسد خطوات ، اذ أمر قواته

التي فقدت نصف مدرعاتها أن تتحصن لندافع عن دمنشق ، وفي نفس الوقت أرسل برقيات احتجاج للرئيس المصري على قبوله إيقاف إطلاق النار ، وطلب الاسد عدم ايلاء أى اعتبار للموقف على الجبهة واستمرار الحرب للحفاظ على الروح المعنوية للجنود . ولم تعكس حالة إيقاف إطلاق النار ، وبعدها اتفاقيات فصل القوات على الجبهات . سياسة الدول المتحاربة فقط بل أيضا مصالح القوتين الكبريتين اللتين كانتا ترغبان في إنهاء الحرب لتجنب الصدام بينهما .

غير أن التغيير الاساسى الذى جاءت به الحرب ، هو أن السادات قد غير سياسة الحرب التي ورثها عن عبد الناصر الى سياسة سلام ، وكان بذلك يعبر أفضل تعبير عن رغبات شعبه .

وكانت كفاءة العرب فى شن هجومهم أكبر مما توقعناه . والحقيقة أن حرب الايام الستة والانتباكات التي سبقت الحرب جوا وبريا قادتنا الى إصدار حكم قاطع بأنه ليس من الصعب على اسرائيل أن تكسب الحرب اذا اندلعت . وكان الظن أن خطوطنا الامامية ، فى القناة والجولان ، قد أحسن تحصينها بحيث أصبحت حواجز لا يمكن اختراقها . كذلك فإن تفوق مدرعاتنا وطيراننا جعل قيادة الجيش ، وجعلنى ، أحس بشعور عميق الاغوار بالثقة فى قوتنا العسكرية واستقرارنا السياسى .

وعندما بدأت الحرب انكشفت نقط الضعف فى استراتيجيتنا ومدرعانا وفى عملياتنا الجوية المحدودة ، وذلك من خلال معارك كثيرة . . . فقد كانت دباباتنا تمارس تكتيكاً قديماً هو نفس التكتيك الذى استخدمته فى الحروب السابقة مفضلين الاختراق السريع بفواتنا المدرعة بدون مشاة أو دعم المدفعية . والهجوم فى قلب الاعداء محاولين بذلك تحقيق انكساره . ولكن هذه المرة ، وجدت قواتنا أنفسها محاصرة بألاف من مشاة الاعداء المزودين بالاسلحة المضادة للدبابات والتي كان بمقدورها إيقاف تقدمنا وتكبيدنا خسائر فادحة .

والحقيقة أن وجه الحرب قد تغير الى حد رهيب وحتى أولئك الذين تابعوا بحرص التطور التكتيكى الذى حدث فى الاسلحة خلال السنوات الاخيرة ، لم يستطيعوا استيعاب كمية التدمير الرهيبة التى يتحكمون فيها . فقد كانت معارك الدبابات وكميتها فى حرب يوم كيبور تعادل عشرة أضعاف ما استعمل خلال الحرب العالمية الثانية وضعف ما استخدمه الامريكيون فى حرب كوريا وفى الحرب العالمية النانية كانت أمام الدبابة نشيرمان فرصة واحدة فى كل ٢٠ فرصة لاصابة الدبابة المواجهة من الالفة الاولى على مدى ميل . وفى حرب كوريا كانت الفرصة واحدة لكل

ثلاثة • أما فى حرب يوم كيبيور فقد كانت الفرصة ٧ من كل عشرة •
ونذلك فان الدبابات كانت تتحطم بأرقام كبيرة وفى وقت قصير •

وفقد العرب دبابات أكثر عددا من الدبابات الأمريكية الموجودة
فى أوروبا وفقدت إسرائيل الكثير من الدبابات ولكن ليس فى اليوم الاول
عندما فاجأنا العرب • وانما حدثت معظم خسائرنا عندما صب عبثة
الاحتياطى ووصلت المعارك الى ذروتها فى يوم ١٢ أكتوبر (تشرين الاول)
فى الجبهة الشمالية ويوم ١٨ فى الجبهة الجنوبية •

أما قواتنا الجوية فقد كانت تقوم بعملياتها فوق منطقة مملوكة
بأنصواريخ المضادة • ولم تستطع القيام بهجومها بدقة وكفاءة • وكان
للتنسيق بين مجموعات صواريخ سام ٣ وسام ٦ والمدفعية المضادة
للطائرات أثر ضخم فى تدمير طيراننا خسائر فادحة • ومنعه من البقاء
طويلا فوق الاهداف أو دعم قواتنا البرية وحتى عندما قامت قواتنا الجوية
بضرب الجسور المصرية عند قناة السويس ، فانها لم تستطع التأثير على
عبور القوات المصرية لان هذه الجسور تم اصلاحها بسرعة فائقة • وكذلك
لم يستطع طيراننا ضرب مئات العربات التى كانت تحشد فى طوابير
منظرة عبور القناة •

وكانت هناك عمليات فاشلة كنقص الاستعدادات فى نفطة جبل
الشيخ فوق مرتفعات الجولان ، والفشل فى انتشار قواتنا فى غرب
القناة فى الوقت المناسب • والهجوم المضاد يوم ٨ أكتوبر • والمحاولات
القتالية الفاشلة لاحتلال مدينة السويس • وكان ذلك كله نتيجة أخطاء
القادة • وادت الأخطاء الثلاثة الاولى الى اثار سلبية فى مرحلة بداية الحرب
أما الفشل الرابع ، فى احتلال مدينة السويس ، فقد كان كفيلا بتغيير
نتيجة الحرب • اذ لو أن مدينة السويس سقطت لكان الجيش الثالث
قد استسلم ، برغم التدخل الأمريكى • وكانت هزيمة المصريين عندئذ
سكون أكبر ، وموقفهم فى المساومة يكون أضعف •

وهناك أيضا عدة حقائق لابد وأن تدخل فى الاعتبار ، وهى ان
الاسلحة التى اشتركت على جبهات بالغة القصر ، واليران التى استخدمت
كانت أكثر من أى حرب أخرى • ففي الحرب العالمية الثانية كان للفرنسيين
٢٠٠٠ دبابة فى خط دفاعهم الرئيسى (خط ماجينو) • وهاجم الالمان
بثلاثة آلاف دبابة • وفى العلمين كان مع موننجومرى ١٠٣٠ دبابة وكان
ويع روميل ٦٠٠ دبابة • وفى جبهة القناة كان لدى المصريين ضعف ما كان
مع موننجومرى ، وفى الجبهة الشمالية كان لدى السوريين نفس العدد الذى

هجم به الالمان على فرنسا ، يضاف الى ذلك الاعتماد الكبير من طرفي الحرب على القوتين الكبيرتين • صحيح أن قواتهما لم تتدخل ، ولكن الاستمرار فى القتال كان يتوقف على ارادتهما سواء بالنسبة للداية ، أو الاستمرار ، أو إنهاء القتال •

وبعد الحرب كان على إسرائيل أن تعوض خسائرها لكى تحافظ على مقدراتها على صد أى هجوم عربى فى المستقبل بعد أن خلقت الحرب حقائق عسكرية جديدة • أن هناك حدودا لتقوية إسرائيل عسكريا لا يمكن أن تتعدها ، والا أرهقها ذلك اقتصاديا •

ونقول نشرة معهد الدراسات الاستراتيجية فى لندن أن إسرائيل تحتفظ فى حالة السلم بجيش يعتبر حجمه مقارنا مع عدد سكانها أكبر من حجم الجيش فى دول أخرى أكبر منها بكثير • فالطيران والمدركات فى الجيش الاسرائيلى نسل ٨٠ / من حجمه وتوضح المقارنة التالية الموضوع ، فرنسا يبلغ عدد سكانها ٥٢٤ مليون نسمة لديها ٩٥٠ دبابة و ٤٦١ طائرة وببريطانيا سكانها ال ٥٦٤ مليون لديها ٩٠٠ دبابة و ٥٠٠ طائرة مقاتلة • أما إسرائيل وتعدادها ٣٣ مليون نسمة فلديها ٢٧٠٠ دبابة و ٤٦١ طائرة مقاتلة •

ولهذا فان الطريق الذى يجب أن تسلكه إسرائيل لتحقيق التوازن العسكرى مع العرب ، لابد وأن يعتمد على الاعداد الكبيرة بل على تطوير نوعية الاسلحة الى المستوى الذى يضمن أن أى محاولة من العرب لتحطيم إسرائيل سوف تؤدى فى النهاية الى تحطيم العرب أنفسهم •

وبالرغم من النصر الذى حققته إسرائيل فى حرب يوم كيبيور فان الحرب تركت البلاد فى حالة تمزق ، وقد سميت الحرب (بالغلطة) ، وشكلت لجنة للتحقيق مع المسؤولين عنها • لكن الرأى العام كان قد أصدر أحكامه قبل أن تصدر هذه اللجنة توصياتها ، وحظيت بالقسط الأكبر من هذه الاحكام • واتسم هذا الفصل من حياة إسرائيل بالفشل الناتج عن قصر النظر والاهمال والتراخى •

وفى اجتماع عقد فى حزب رافى بعد الحرب فلب أن ما حدث فى حرب يوم كيبيور ، هو أن الصدمة الكبرى حاءت من اكتشاف حقيقة جديدة تختلف عن الماضى ، وهى أنه لا يوجد شيء لا يقهر ، كما أن خسائرها كانت فادحة ٢٥٠٠ قتيل وهو ثمن فادح بالنسبة لإسرائيل • لكن هذا العدد من وجهة نظرى لا يمثل خسائر كبيرة بالنسبة لما حققناه أمام تلك القوة الهائلة التى واجهناها ، وأن الامم الاخرى التى تواجه مثل

هذا الموقف تعتبره صفحة مضيئة في تاريخها . . ولكن يجب علينا أن نتعلم الكثير من دروس حرب يوم كيبيور ونعيها جيداً . . وأهمها أن قيادات الجيش يتعين تغييرها ، وبسرعة ، إذا لم تقم بإجبتها المطلوب أثناء الحرب ، وأن الزعماء والوزراء لابد وأن يعرضوا أفكارهم ووجهات نظرهم وسياساتهم علانية طول فترة الانتخابات . ويجب أن يعرف الرأي العام سياسة الحكومة في شئون الدفاع والشئون الاقتصادية والسياسية الخارجية ، بل وأن يوافق عليها الرأي العام أيضاً .

وقد جرت حرب يوم كيبيور في وسط حقائق سياسية وعسكرية جديدة ، مختلفة عن حرب الأيام الستة ، وهي أن القوة العسكرية والسياسية للعرب قد تزايدت وأن الدول الغربية بما فيها الولايات المتحدة أصبحت تتخاف أن تغضب العرب من أجل ضمان تدفق بترولهم . ولو كان العرب قد نجحوا في احتلال الجولان وسيناء فأننا كنا سننفس كنبأ ولا أعرف ما الذي كان سيترتب على ذلك بل إننا حتى لو كنا قد أنقذنا بواسطة القوات الأمريكية فإن الموقف كان سيظل قاتماً للغاية .

وأخيراً

بعد سبع سنوات فى وزارة الدفاع ، عدت الى الحياة المدنية . ولم تعد الليالى يتخللها رنين التليفون ، ولم أعد أندفع الى مكتبى فى الصباح . . . وقد قضيت أيامى الاولى فى نحال بير سبع أتذكر الامطار تنزلق على سطح تلال الخليل ، لان هذا الشتاء كان ممطرا . ولذا توجهت الى الجنوب . . . والآن فى أوائل الصيف طفت بسيارتى حول طرف وادى بير سبع ، ومنذ ستة آلاف عام كان يسكن هذه المنطقة سكان يعيشون على الصيد ويفيمون فى كهوف على جانب الل ، لها فتحات صغيرة تمكنهم من الدفاع عن أنفسهم .

حول هذه الكهوف ونحولها الى مجرى النهر وحركت أحجار - وكانت هذه الاحجار هى التى شدت أنتباهى أثناء دورانى على أحد الطرق . فربطت حبلا فى سيارتى الجيب ونزلت الى ممر مجرى النهر الجاف لارى هذه الاحجار البيضاء . وفى البدايه كان صعبا على أن أجد مكانا لقدمى ، ولكن بعد أن تأرجحت قليلا وجدت مكانا جيدا ، هو سطح أحد الكهوف . ودخلت الى داخله ، وفى أحد الاركان وجدت بعض الصخور فى شكل دائرة . ويبدو أنه الموقد والمدفأة . ووجدت بعض الاوعية النى كانوا يستخدمونها متغاثرة وكذلك بعض الاسلحة والحراب المكسورة ورأس فأس .

وعندما حاولت أن أدرس أكثر فى مجتمع الكهوف القديم ونموذج حياتهم كانت الحضارة الحديثة ممثلة فى أصوات الطائرات النفاثة فوق رأسى تفتح على أستغراقى . وفحصت حطام الحيوانات المتبقية من وجبتهم الاخيرة . وكان سكان هذا الكهف يعيشون فيه قبل سيدنا ابراهيم بألفى عام . وكانوا لا يقرأون ولا يكتبون ، ولكنهم كانوا يرسمون على الصخور وكانت هذه منازلهم منها يتحركون ليصطادوا فى النجف وفى سيناء . يعرفون كل بقعة أرض لانها أرضهم وموطنهم . ولا بد أنهم كانوا يحبونها . وعندما كانوا يتعرضون للهجوم ، كانوا يقاتلون فى سبيل الحفاظ عليها . والآن ها أنا هنا فى نهاية الجبل وفى داخل منازلهم . وكان لشعورى غير العادى . فقد انتقلت الى هذا الجو القديم ، وبالرغم من أن النيران كانت مطفأة ، فقد كنت أغلق عيني وأتصور أن ربة المنزل بعد وجبة العائلة . . . عائلتى أنا .

خاتمة

ها قد انتهت رحلتك - أيها القارئ العزيز - عبر
الصفحات مع موسى ديان *

هذه هي قصة حياته ، بترجمة حرفية تقريبا ، قدمناها
لك بكل الامانة والشجاعة .. فنحن لم نعد نخشى هذا العدو
.. ولا بد أن نقرأ ونعرف عنه المزيد .. حتى ولو لم يكن
حديثه عنا منصفاً .

ها هو موسى ديان .. الرمز الحي ، بعد انهياره ،
لاسطورة الجيش الذي لا يهزم *

الرمز الذي تحطم .. ولكنه من خلال الغرور وادعاء
البطولة ، يحاول أن ينفي عن نفسه تهمة التقصير والفشل
في الحرب ، بعد أن واجه - كما يقول - (جنودا يختلفون
عن الجنود الذين عرفناهم عام ١٩٦٧) *

ها هي قصة اسرائيل من خلال قصة حياة ديان ..
سلسلة من المغامرات العسكرية المعتمدة على السلاح
كمبرر وسبب لبقائها .. وهذا هو أبلغ الدروس التي قد
نخرج بها من هذا الكتاب .. أن المغامرة قد تصلح لحياة
الفرد ، لأنها قد تنجح وقد تفشل ، لكنها لا تصلح لحياة
الشعوب وخاصة اذا ما كانت تخوض معركة لتقرير مصيرها
.. فالشعوب لا تحيا بالمغامرة .. وحتى لو نجحت في البقاء
على قيد الحياة حتى الآن بالمغامرة ، فلن تعيش طويلا الا اذا
نحت المغامرات جانبا ، واختارت الحق والعدل طريقا لها .
الم تسقط كل حصون خط بارليف على مناعتها أمام
المصريين ؟

الم يصرخ القائد الاسرائيلي قائلا : (لم أعد أستطع
الصمود وسوف أستسلم) أمام الدبابات السورية ؟

الم يقل ديان للرئيس الامريكى فورد : (لو لم يكن
المساعدات الامريكية ، لكانت الحرب اقصى والخسائر اشد ؟

اذن فهى مغامرة !! والشعوب - كما فلنا - لا تحيا
بالمغامرة .

* * *

لكنه يبقى بعد ذلك عدة استفسارات ، لا أشك فى
أن القارئ العزيز ، يشاركنى فى توجيهها الى ديان ، بعد أن
أنهى قصة حياته :

* لقد رويت لنا عن كل العمليات الاسرائيلية المضادة
فى سيناء ، ٠٠ فاين عساف ياجورى ولوا، الدبابات التى
صادته القوات المصرية ثم أسرت فائده ؟

* لقد رويت لنا عن حصون بارليف ٠٠ فلماذا لم
تذكر لنا تكاليف أقامتها التى وصلت الى ٢٤٠ ألف مليون
دولار ؟

* لماذا لم تخبر القراء - عند بداية حديثك عن الحرب
- عن براعة الاستراتيجية العربية التى أغلقت مضيق باب
المنذب ؟

* أين المعركة الباسلة لتحرير القنطرة شرق ، ثانى
مدن سيناء ؟

* لماذا أغفل ذكر الحقائق المهمة خلال فترة حرب
١٩٧٣ ، أثناء حديثه عن هذه الحرب ؟

* صحيح انه ذكر هذه الحقائق فيما بعد ، ولكن فى
فصول مستقلة بعيدة عن وقت حدوثها ٠٠ فهو يذكر مثلا فى
الفصل ٣٩ انه قدم استقالته الى جولدا مائير مرين احدهما
أثناء الحرب والاخرى عندما هاجمه وزير العمل مطالبا
باستقالته ٠٠ لماذا لم يذكر لنا هاتين الواقعتين - على
أهميتهما - خلال حديثه عن الحرب ؟

* وهو - مثلا - لم يكشف عن العيوب التى حدثت على
الجانب الاسرائيل فى العمليات وفى الطيران وفى المدرعات
الا فى الجزء (٤٠) آخر فصول الكتاب . وهو لم يعترف

ببساطة وصمود شعب السويس الا في نفس هذا الفصل
عندما يؤكد : (ان السويس لو سقطت لتغير الموقف) .

لكنه بالطبع لو ذكر هذه الحقائق في موضعها من سرد
الاحداث ، لكان قد كشف حقيقة الفشل الاسرائيل وعراه ،
ولكان قد اعترف بالانتصار العربي الحقيقي .

ثم ...

* لماذا يقول دائما ان اجتماعات جولدا مائير رئيسة
الوزراء ، كانت تتم بحضور خمسة وزراء فقط ، ولا يتحدث
عن هذه الحقيقة ؟ لماذا لم يذكر صراحة أن (المطبخ السياسي)
هو الذى كان يقرر الامور الهامة بعيدا عن مجلس الوزراء
بأكمله ؟

مرة أخرى نقول أن ديان لو أوفى هذه الامور حقها ،
لكان قد أنصف وصدق .. وما كان ذلك مطلوبا منه ..
ولا متوقعا .

ويابى ديان الا أن يختم كتابه بكشف صورته الحقيقية
كواحد من رواد ورعاة الحلم الصهيونى ..

انه ينهى كتابه بقصة الكهف الذى عاش فيه القداماء
منذ آلاف السنين لدرء الهجمات عن أنفسهم ، مستعدين
للدفاع بالسلاح ..

انه يقصد اسرائيل .

لكنه ينسى ان هؤلاء القداماء انقرضوا لانهم حبسوا
لأنفسهم داخل الكهف ، ولو مدوا أيديهم بالسلاح - بدلا من
السلاح - لجيرانهم ، لعاشوا أكثر من ذلك طويلا .

الفهرس

صفحة

الباب الاول

(من العمل السرى الى الحرية)

١٥	(١) البدايه
٢٥	(٢) الناهب
٣٩	(٣) فى السجن
٤٩	(٤) عودة الى ميدان العمال
٥٧	(٥) السماء

الباب الثانى

(الاستقلال ١٩٤٨ - ١٩٥٢)

٦٧	(٦) خطر فى الأردن
٧١	(٧) فرقه الكوماندور ٨٩
٧٩	(٨) الطريق الى النفب
٨٥	(٩) صديقى العدو
٩١	(١٠) محادثات مع ملك عربى
٩٩	(١١) عالم جديد

الباب الثالث

(واصبحت رئيسا للاركان ١٩٥٣ - ١٩٥٧)

١٠٩	(١٢) سفيل الجيش
١١٥	(١٣) الاتصال الفرنسى الاول

- (١٤) الانصال الفرنسى الثانى ١٢٧
(١٥) معركة سيناء ١٤١

الباب الرابع

(من وزير الى مواطن عادى ١٩٥٨ - ١٩٦٧)

- (١٦) الحرية والسياسة ١٥٥

الباب الخامس

(حرب الأيام الستة ١٩٦٧)

- (١٧) الانتظار الطويل الأول ١٦٩
(١٨) الانتظار الطويل الثانى ١٨١
(١٩) القرار ١٨٩
(٢٠) الانفجار ١٩٧
(٢١) الحرب ٢٠٣

الباب السادس

(الجسور المفتوحة ١٩٦٧ - ١٩٧٣)

- (٢٢) العصر الجديد ٢١٩
(٢٣) التعاسى ! ! ٢٢٧
(٢٤) حادث بين الاتار ٢٣٥
(٢٥) سبتمبر (ايلول الأسود) ٢٤٣
(٢٦) وزير الدفاع اثناء العمل ٢٤٩
(٢٧) حرب الاستنزاف ٢٥٣

الباب السابع

(حرب يوم الغفران ١٩٧٣)

٢٦٣	(٢٨) المفاجأة
٢٦٧	(٢٩) عشية الحرب
٢٧٣	(٣٠) الفوز
٢٧٩	(٣١) جبهات القتال
٢٩٣	(٣٢) جرد المخازن
٣٠٣	(٣٣) التقدم في الجولان

الباب الثامن

(بعد الحرب ١٩٧٣ - ١٩٧٥)

٣١٧	(٣٤) ضغوط دبلوماسية
٣٢٣	(٣٥) محادثات في واشنطن
٣٣٥	(٣٦) المكوك والاتفاقية
٣٣٩	(٣٧) الحاجز الأخير
٣٤٥	(٣٨) معالوت
٣٥١	(٣٩) بعيداً عن المنصب
٣٦٣	(٤٠) حقيقة جديدة
٣٧١	وأخيراً

الرفقم الدولى ٦ - ١٠ - ٥٢٧٢ - ٩٧٧
رفقم الابداع ٣٣٩٥ / ١٩٧٧

مؤسسسه دار التعاون للطبع والنشر

قصة حياتي

صدر هذا الكتاب في انجلترا بفلم
موسى ديان تحت اسم « قصة حياتي »
وقد فام مركز الدراسات الصحفية
بمؤسسة دار التعاون بنقله الى اللغة
العربية مع الاحتفاظ بالمضمون الاصل
للنص الانجليزي وذلك لايامنا بان
هذا الكتاب واحد من اهم الكتب التي
يجب ان يقرأها كل عربي ..
عسكريا كان او مدنيا .

لمن خلال قصة حياة موسى ديان
.. تنبسط امامنا الصورة الفعلية
للعنوا الصهيوني .. وتتضح الملامح
الحقيقية لاسرائيل « الدولة » ،
والفكرة الصهيونية العدوانية المخفية
وراءها .

ولن تتأني لنا رؤية واضحة الا اذا
قرأنا واستوعبنا ما يكتبه هذا العدو،
وعلى راسهم موسى ديان .

الكتاب - باختصار - درس لا بد
من قراءته واستيعابه